الْمَطالِبُ السَّنِيَّةُ

فى الْمَبادِئِ الْعَشَرَةِ لِلْعُلومِ الشَّرْعِيةِ



مُحَمَّد حَسَن نوُر الدِّين إسْماعِيلَ

الألوكة
www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحَمْدَ للهِ ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا وَمِنْ سَيِّئاتِ أَعْمالِنا ، مَن يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هادِيَ لَهُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ. وبعد :

فَإِنَّ أَهَمَّ وَأَشْرَفَ ما يَشْتَغِلُ بِهِ المُسْلِمُ فِي حَياتِهِ هُوَ طَلَبُ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ ، لأَنَّها تُقَرِّبُهُ إلَى اللهِ وَتَعالَى وَتَرْفَعُ عَنْهُ الجَهالَةَ ، وَتُيَسِّرُ لَهُ الدَّعْوَةَ إلَى اللهِ تَعالَى عَلَى بَصِيرَةٍ ، لا سِيَّما إذا كانَتْ تِلْكَ الْعُلُومُ عَلَى مَنْهَجِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَماعَةِ وَالَّتِي تَعْتَمِدُ عَلَى الأَدِلَّةِ الصَّحِيحَةِ ، كَما أَنَّهُ لابُدَّ مِنَ التَّدَرُّجِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَالْبَحْثِ عَنْ أَشْياخٍ وَعلَماء رَبَّانِيِّينَ يَدُلُّونَ عَلَى الطُّرُقِ الصَّحِيحَةِ النَّافِعَةِ كَيْ لا يَخْبِطَ طالِبُ العِلْمِ خَبْطَ عَشْواء فِي بُطُونِ الْمُؤَلَّفاتِ الَّتِي لا يَسْتَطِيعُ فَهْمَ مُبْهَماتِها ، أَوْ يَطَّلِعَ عَلَى مَسْأَلَةٍ فَيَهْدِيهِ فَهْمُهُ إلَى حُكْمٍ ما ثُمَّ يَتَبَيَّنُ لَهُ أَنَّهُ لَمْ يُصِبِ الحَقَّ فِيهِ ، أَوْ يُطالِعَ مُؤَلَّفاتٍ مُخالِفَةً لِمَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ ، فَكانَ لا بُدَّ عَلَى طالِبِ العِلْمِ أَنْ يَتَعَرَّفَ أَوَّلاً عَلَى المَبادِئِ وَالْمُقَدِّماتِ العِلْمِيَّةِ الأَساسِيَّةِ لِكُلِّ عِلْمٍ أَرادَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ وَيَخُوضَ فِيهِ حَتَّى إذا شَرَعَ فِي الطَّلَبِ اسْتَطاعَ أَنْ يُكْمِلَ مَسِيرَتَهُ الْعِلْمِيَّةَ عَلَى بَصِيرَةٍ وَبَيِّنَةٍ ، وَمِمَّا يَنْبَغِي عَلَى طالِبِ العِلْمِ فِي بِدايَةِ الطَّلَبِ أَنْ يَتَعَرَّفَ عَلَى ماهِيَّةِ العِلْمِ وَتَصَوُّراتِهِ الكُلِّيَّةِ كَتَعْرِيفِ العِلْمِ وَمَوْضُوعِهِ وَثَمَرَتِهِ وَواضِعِهِ وَفَضْلِهِ وَالَّتِي تُسَمَّى بِالمَبادِئِ العَشَرَةِ ، وَالَّتِي تَعارَفَ عَلَيْها أَهْلُ العِلْمِ عِنْدَما يَتَكَلَّمُونَ عَنْ عِلْمٍ مِنَ العُلُومِ ، وَالَّتِي تَكُونُ كَمَدْخَلٍ لِلْعِلْمِ وَكَيْفِيَّةِ فَهْمِهِ وَعَرْضِهِ وَالاسْتِفادَةِ مِنْهُ ، وَنَظَراً لِما تَقَدَّمَ أَخِي القارِئ كانَ هَذا البَحْث الَّذِى بَيْنَ يَدَيْكَ وَالَّذى سَمَّيْتُهُ (الْمَطالِبُ السَّنِيَّةُ فِي الْمَبادِئِ الْعَشَرَةِ لِلْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ) فَقَدْ حَوَى خَمْسَةً وَأَرْبَعِينَ عِلْماً وَدَقائِقَ عِلْمِيَّةً لا بَأْسَ بِها ، اسْتَخْرَجْتُها مِنَ الكُتُبِ وَأَفْواهِ العُلَماءِ وَانْتَقَيْتُ أَخْصَرَ ما يُؤَدِّى إلَى المُرادِ ، كَما أَنِّي أَضَفْتُ بَعْضَ العُلُومِ الَّتِي تَمُتُّ لِلْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ بِصِلَةٍ كَعِلْمِ الجُمَلِ، وَعِلْمِ النَّحْتِ، وَعِلْمِ وَالفِراسَةِ، وَالَّتِي عُنِيَ بِها العُلَماءُ فِي كُتُبِهِم وَذَكَرُوا طَرَفاً مِنْها فِي مُؤَلَّفاتِهِم. وَصَدَّرْتُ البَحْثَ بِمُقَدِّمَةٍ عَنْ أَهَمِّيَّةِ وَفَضْلِ طَلَبِ العِلْمِ ، وَأَنْواعِ العُلُومِ وَمَراتِبِها، وَأَقْسامِها، وَالتَّعْرِيفِ بِالْمَبادِئِ العَشَرَةِ، وَالْمُقَدِّماتِ العِلْمِيَّةِ الأَساسِيَّةِ لِكُلِّ عِلْمٍ عَلَى حِدَةٍ ، وَجَرْياً عَلَى سُنَنِ أَهْلِ العِلْمِ، فَإِنَّ البَحْثَ سَيَسِيرُ فِي ضَوْءٍ مِنَ هَذِهِ الْمَبادِئِ العَشَرَةِ وَهِيَ التَّعْرِيفُ بِالْعِلْمِ، ثُمَّ مَوْضُوعُهُ، ثُمَّ ثَمَرَتُهُ، ثُمَّ نِسْبَتُهُ، ثُمَّ فَضْلُهُ، ثُمَّ

واضِعُهُ، ثُمَّ اسْمُهُ، ثُمَّ اسْتِمْدادُه، ثُمَّ حُكْمُ الشَّرْعِ فِيهِ، ثُمَّ مَسائِلُهُ . وَالَّتِي جَمَعَها الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ الصَّبَّانِ، أَبُو العِرْفانِ، المِصْرِيّ، الْمُتَوَفَّى فِي القاهِرَةِ سَنَةَ ١٢٠٦ هـ في ثلاثَةِ أَبْياتٍ وَهِيَ :

إنَّ مَبادِئَ كُلِّ عِلْـمٍ عَشَـرَةْ *** الْحَـدُّ وَالْمَوْضُوعُ ثُمَّ الثَّمَـرَةْ
وَنِسْبَةٌ وَفَضْلُهُ وَالواضِـعْ *** الاسْمُ الاسْتِمْدادُ حُكْمُ الشَّـارِعْ
مَسـائِلٌ وَالبَعْضُ بِالْبَعْضِ اكْتَفَـى *** وَمَنْ دَرَى الْجَمِيعَ حازَ الشَّـرَفا

ثُمَّ أَرْدَفْتُ بَعْدَ مَبادِئِ كُلِّ عِلْمٍ أَهَمَّ وَأَشْهَرَ الْمُؤَلَّفاتِ الَّتِي صُنِّفَتْ فِي هَذا العِلْمِ وَأَسْماءَ مُؤَلِّفِيها لِتَكُونَ دَلِيلاً وَهادِياً لِتَتَبُّعِ هَذا العِلْمِ لِمَنْ أَرادَ أَنْ يَسْلُكَهُ وَيَتَبَحَّرَ فِيهِ ، وَأَسْأَلُ اللهَ ـ جَلَّ فِي عُلاهُ ـ لِهَذا الْبَحْثِ الْمُتَواضِعِ القَبُولَ وَالثَّوابَ ، فَعِيهِ بِعَقْلٍ مُسْتَنِيرٍ وَتَدَبَّرْهُ بِقَلْبٍ رائِدٍ لِلصَّوابِ ، جَعَلَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ مِمَّنْ يُرِيدُ اللهَ وَالدَّارَ الآخِرَةَ ، فَالْمُؤَلَّفاتُ تَتَفاضَلُ بِالزَّهْرِ وَالثَّمَرِ، لا بِالْهَذْرِ، وَبِالْمُلَحِ، لا بِالكِبَرِ، وَبِجُمُومِ اللطائِفِ، لا بِتَكْثِيرِ الصَّحائِفِ، وَبِفَخامَةِ الأَسْرارِ، لا بِضَخامَةِ الأَسْفارِ، وَبِرِقَّةِ الحَواشِي، لا بِكَثْرَةِ الغَواشِي. وَمُؤَلَّفُ الإنْسانِ عَلَى فَضْلِهِ أَوْ نَقْصِهِ عُنْوانٌ، وَهُوَ بِأَصْغَرَيْهِ اللفْظُ اللطِيفُ وَالْمَعْنَى الشَّرِيفُ ، لا بِأَكْبَرَيْهِ اللفْظُ الكَثِيرُ وَالْمَعْنَى الكَثِيفُ. وَهُنالِكَ يُعْرَفُ الفَرْضُ مِنَ النَّافِلَةِ، وَتُعْرَضُ الإبِلُ، فَرُبَّ مِئَةٍ لا تَجِدُ فِيها راحِلَةً. وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ قَدْ أَلْمَمْتُ بِالغَرَضِ الْمَقْصُودِ، وَأَنْ يَعُمَّ النَّفْعُ بِهِ، وَأَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهُ خالِصاً لِوَجْهِهِ الكَرِيمِ ، وَأَعُوذُ بِاللهِ تعالى أَنْ أُذَكِّرَكُمْ بِهِ وَأَنْسَاهُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وعلى وآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وآخِرُ دَعْوانا أَنِ الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العالَمِينَ.

بِاللهِ يا نَاظِراً فِيهِ مُنْتَفِعَـا　مِنْهُ سَلِ اللهَ تَوْفِيقاً لِجَامِعِـهِ
وَقُلْ أَنِلْهُ إلَهَ العَرْشِ مَغْفِـرَةً　وَاقْبَلْ دُعَاهُ وَجَنِّبْ عَنْ مَوَانِعِـهِ
وَخُصَّ نَفْسَكَ مِنْ خَيْرٍ دَعَوْتَ بِهِ　وَمَنْ يَقُومُ بِمَا يَكْفِي لِطَابِعِـهِ
وَالْمُسْلِمِينَ جَمِيعاً مَا بَدَا قَمَـرٌ　أَوْ كَوْكَبٌ مُسْتَنِيرٌ مِنْ مَطَالِعِـهِ

بِاللهِ يَا قَارِئًا كُتُبِي وَسَامِعَـهَا　أَسْبِلْ عَلَيْهَا رِدَاءَ الْحُكْمِ وَالْكَـرَمِ
وَاسْتُرْ بِلُطْفِكَ مَا تَلْقَاهُ مِنْ خَطَـأٍ　أَوْ أَصْلِحَنْهُ تُثَبْ إِنْ كُنْتَ ذَا فَهَمِ
فَكَمْ جَوادٍ كَبَا وَالسَّبْقُ عَادَتُـهُ　وَكَمْ حُسَامٍ نَبَا أَوْ عَادَ ذُو ثُلْـمِ
وَكُلُّنَا يَا أَخِي خَطَاءُ ذُو زَلَـلٍ　وَالْعُذْرُ يَقْبَلُهُ ذُو الْفَضْلِ وَالشِّيَـمِ

أَخَا الْعِلْمِ لا تَعْجَلْ لِعَيْبِ مُصَنِّفٍ وَلَمْ تَتَيَقَّنْ زَلَّةً مِنْهُ تُعْرَفُ
فَكَمْ أَفْسَدَ الرَّاوِي كَلامًا بِنَقْلِهِ وَكَمْ حَرَّفَ الْمَنْقُولَ قَوْمٌ وَصَحَّفُوا
وَكَمْ نَاسِخٍ أَضْحَى لِمَعْنَى مُغَيِّرًا وَجَاءَ بِشَيْءٍ لَمْ يُرِدْهُ الْمُصَنِّفُ

الفقير إلى عفو ربه؛

مُحَمَّد حَسَن نُور الدِّينِ إِسْمَاعِيل

عفا اللهُ عنه وعن والديه

الثالث عشر من شهر الله المحرم سنة ١٤٣٧ هـ

السادس والعشرون من شهر أكتوبر سنة ٢٠١٥ م

أهمية وفضل طلب العلم :

العلم فخر وشرف في الدنيا والآخرة، والعلم أفضل من المال، فهو سبيل إلى الخشية من الله تعالى.

قال صلى الله عليه وسلم (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) فإذا رأيت نفسك تتجه إلى الفقه، تتجه إلى العلم، تتجه إلى فهم الكتاب والسنة، فاعلم أنك ممن أراد الله بهم خيراً (فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر)

وقال (فَضْلُ العالم على العابد كفضلِي على أدناكم، وإن الله عز وجل وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جُحْرِها، وحتى الحوت لَيُصَلُّون على مُعَلِّمِ الناس الخير)

قال معاذ رضي الله عنه: (تعلموا العلم؛ فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، وهو الأنيس في الوحدة، والصاحب في الخلوة). وقال الحسن : "لولا العلماء، لصار الناس كالبهائم لا يدرون لا كيف يعبدون ولا كيف ينكحون".

والعلم يؤدي إلى الخشية، وهذه من أعظم الفوائد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر:٢٨] ليس العلم بكثرة الرواية، ولكن العلم الخشية.

ورأس العلم تقوى الله حقاً   وليس بأن يقال لقد رأُست

والعلم يدفع إلى الخشية من أن يسأل عنه صاحبه ولم يعمل به؛ ولذلك قال أبو الدرداء رضي الله عنه: [إنما أخشى أن يكون أول ما يسألني عنه ربي أن يقول لي: ماذا عملت فيما علمت؟].

وقال بعض السلف: والله إني لأخشى ألا تبقى آية في كتاب الله آمرةٌ أو ناهية إلا جاءتني يوم القيامة، فتقول الآمرة بالخير: هل عملت به؟ وتقول الناهية عن الحرام: هل انتهيت عنه؟

ولذلك لابد إذا تعلمنا أن نطبق، فهي سلسلة متواصلة علم وعمل، تعلم وتطبيق، ولذلك فليست القضية حشو أذهان ولا حفظ معلومات، وإنما هي أثر حقيقي على الإنسان، ولذلك كان العلماء الربانيون مخبتين لله تعالى، يقومون له بالعبادة، يقومون الليل ويستغفرون بالأسحار، قال ابن القيم رحمه الله عن شيخ الإسلام : أنه كان إذا صلى الفجر يقعد في مصلاه يذكر الله حتى ترتفع

الشمس جداً، وكان يقول: هذه غدوتي، وإذا لم أتغد سقطت قواي.

وقال الحسن رحمه الله: كان الرجل- يعني: من السلف- يطلب العلم، فلا يلبث إلا يسيراً حتى يرى أثر العلم في صلاته وخشوعه وكلامه وسمته؛ لأن الله قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً﴾[الإسراء:١٠٧-١٠٩].

وأول علمٍ نريده، العلم بكتاب الله حفظاً وتلاوةً وتفسيراً، وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم رواية ودرايةً وتطبيقاً، والعناية بالفقه في دين الله، في العقيدة والعبادات والمعاملات وسواها، ليكون المسلم على بصيرةٍ من أمره، كذلكم العلم بلغة القرآن الكريم، اللغة العربية الفصحى، التي زهد فيها كثيرٌ من الناس، وزاحموها بغيرها من اللغات، ولا تزال تلقى حرباً لا هوادةَ فيها، في أساليبها وتراكيبها، وشعرها ونثرها من بعض الحاقدين عليها، لكن الله حافظها ما حفظ دينه وكتابه.

هذا وإن المسلمين اليوم لفي أمس الحاجة إلى أن يتكون منهم أجيال ملمة بالعلوم المهمة التي يحتاجها المسلمون، كعلم الطب والهندسة والاقتصاد ونحوها، ليتسنَّى لهم خدمة دينهم والاستغناء عن غيرهم.

ومما يجدر التنويه بشأنه: ضرورة أن يتعلم طائفةٌ من المسلمين العلوم العسكرية والآلات الحربية، ليتمكنوا من مواكبة العصر الذي يعيشونه، وليتسنى لهم الدفاع عن مقدساتهم وحرماتهم وعقيدتهم، كما أنه ينبغي أن يكون من بين المسلمين من يُعنى بالعلوم المهنية، والأعمال الفنية؛ ليكمل المسلمون أنفسهم من كل علمٍ فيه نفعهم، وصلاح أحوالهم.

أنواع العلوم ومراتبها وأقسامها وهى أربعة أسس، وهي :

الأساس الأول: أول العلم النية.

الأساس الثاني: منازل العلم.

الأساس الثالث: الأدب قبل الطلب.

الأساس الرابع: اقتران العلم بالعمل.

قال الحافظ ابن عبد البر في كتابه "جامع بيان العلم وفضله"، عرَّف العلم فقال: "حد العلم عند العلماء هو ما استيقنْته وتبينْته، وكل من استيقن شيئا وتبينه فقد علمه"، هذا هو ضابط وتعريف العلم،

"حد العلم عند العلماء هو ما استيقنْتُه وتبينتُه، وكل من استيقن شيئا وتبينه فقد علمه".

والحافظ ابن عبد البر قسَّم العلوم إلى قسمين: فذكر في كتابه هذا أن العلوم تُقسم إلى قسمين:

القسم الأول: علم ضروري، والقسم الثاني: علم مُكتسَب.

أما العلم الضروري؛ فبيَّن أنه العلم الذي لا يُمكن للعالِم أن يُشكك نفسه فيه، وهو العلم الذي يُحَصَّلُ عن طريق الحس وعن طريق العقل، لا يمكن للإنسان أن يشكك نفسه في هذا العلم؛ مثل العلم الذي يدركه الإنسان عن طريق الحس والمشاهدة؛ كمعرفة الليل والنهار، ومعرفة الشمس والقمر، فهذا العلم ضروري.

أما العلم المكتسَب، وهو يحتاج إلى أدلة للحصول عليه، ويحتاج إلى نظرٍ وتأمُّل، ويدخل في هذا سائرُ العلوم، ثم هذا العلم المكتسب منه ما هو جلي وظاهر، ومنه ما هو خفي، فما كان أقرب إلى العلوم الضروريَّة فهو جلي، وما كان أبعد فهو خفي، بمعنى أن العلم المكتسب منه علوم واضحة جلية ظاهرة لكل الناس، ومنها دقائق العلم التي لا يدركها إلا الخاصة من طلاب العلم ويدركها العلماء المتمكنون وهم في ذلك درجة، هذا ما يتعلق بتقسيم العلوم وأنواع العلوم.

من العلماء من يقسم العلم إلى قسمين، فيقول: هناك علوم دنيوية، وهي العلوم التجريبية التي تتعلق بأمور الدنيا، ويدخل في هذا النوع علوم الطب، علوم الهندسة، علوم الفلك، وسائر العلوم التجريبية.

والقسم الثاني: هناك العلوم الدينية، التي لا يمكن أن تحصل إلا عن طريق الوحي، عن طريق الكتاب والسنة، فإن هذه العلوم مصدرها إلهِّي، وإن كانت هذه العلوم منها ما يتعلق بأمور الدنيا، ومنها ما يتعلق بأمور الآخرة، بمعنى أن العلوم الدينية جاءت بما يُصلح دُنيا الناس، وكذلك فيما يصلح آخرتهم، فالرسل جاؤوا بعلوم تتعلق بأحكام الدنيا، وتتعلق كذلك بأحكام الآخرة، فلما نقول علوم دينية لا يُفهم من ذلك أنه لا علاقة لها بالدنيا، بل ثمة أحكام دينية تتعلقُ بالأكل والشرب والنوم، وتتعلق بأحكام المعاملات، لكنْ هذه العلوم مصدرها الرئيسُ جاء عن طريق الوحي؛ أي عن طريق الكتاب والسنة، والسنة هي وحيٌ، ولذلك هذا العلم إذا أُطلق إذا قيل العلم والعلماء؛ فإنه ينصرف إلى أي نوع؟ مثلا في كتاب الله ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [المجادلة: ١١].

والعلم إذا أُطْلِقَ في نصوص الكتاب والسنة وفي أقوال سلف الأمة، فإنه يُعنى به علوم الدين، ولهذا

فإن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في كتابه "الأصول الثلاثة" قال في أول الكتاب: "اعلم -رحمك الله- أنه يجبُ علينا تعلُّم أربع مسائل.. قال الأولى: العلم"، ويقصد "العلم وهو معرفة الله".

من العلماء من يُقسم تقسيما آخر، فيقسم العلم إلى قسمين: علم نافع، وعلم ضار.. ومنهم من يجعلُ الأقسام ثلاثةً: فيقول: هناك علم لا ضار ولا نافع، ومنهم من يجعله قسمين علوم نافعة وعلوم ضارة، وممن قسَّم هذا التقسيمَ الحافظُ ابن رجب -رحمه الله-، حيث ذَكَرَ في كتابه النفيس "شرح حديث أبي الدرداء في طلب العلم"، يقول الحافظ ابن رجب -رحمه الله- في بيان هذا التقسيم يقول: "قد ذكر الله تعالى في كتابه العلم تارةً في مقام الحمد، وهو العلم النافع، وتارة في مقام الذم وهو العلم الذي ينفع".

ففى العلم المحمود كقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [المجادلة: ١١]}

ومثل قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وفي مثل قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وفي مثل قوله -عز وجل-: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، فذكر الله العلْم في هذه المواضع في مقامَ الحمد.

أما في مقام الذم، في مثل قوله تعالى ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ ﴾ [الجمعة: ٥]}.

وأيضًا كما في آيات السحر في قوله -عز وجل-: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٢]، هذا علم ضار، وأيضًا في مثل قوله -عز وجل-: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧]، وفي مثل قوله -عز وجل-: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾ [الأعراف: ١٧٥]، إلى غير ذلك من الأمثلة التي يذم الله -عز وجل- فيها هذا النوع من العلم. فالحافظ ابن رجب يُقسم العلم إلى علم محمود وعلم مذموم.

ثم قال معلقا على هذا التقسيمِ: "ولهذا جاءت السنة بتقسيم العلم إلى نافع وإلى غير نافع، والاستعاذة من العلم الذي لا ينفع، وسؤال الله العلمَ النافع، ثم استدل بما جاء في صحيح مسلم من حديث زيد بن أرقم أنَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع»؛ إذن هناك نوع من العلوم لا ينفعُ؛ مثل علم السحر، علم الكهانة، علم الموسيقى، ونحوها من العلوم الضارة.

وأحيانا هناك علوم لا نفْعَ فيها، فيها ضياع للأوقات، فيدخل ذلك في العلم الذي لا ينفعُ، أيضًا العلم الذي لا يعمل به صاحبه، هل ينفعه؟ لا ينفعه، أصبح هذا العلم حجةً عليه، ولهذا النبي -صلى الله عليه وسلم- مثَّلَ «المنافق الذي يقرأ القرآن كمثلِ الريحانة، ريحها طيب وطعْمها مُر»، وأيضًا بين النبي -عليه الصلاة والسلام- في القرآن أنه «حجة لك أو عليك»، فما يكون حجة لصاحبه، متى يكون القرآن حجة لصاحبه؟

إذن، فهذا ما نفعه، أصبح هذا العلمُ وبالا عليه، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يُستجاب لها»، الشاهد في هذا الحديثِ أن النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- استعاذ بالله من علْم لا ينفعُ، أيضًا استدل بحديث رواه ابن ماجه في سُننه عن جابرِ بن عبد اللهِ -رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «سلوا الله علما نافعًا، وتعوَّذُوا بالله من علم لا ينفعُ»، فهذا الحديث ظاهر في تقسيم العلم إلى علم نافع وعلم لا ينفع، فأنت تسأل الله عز وجل العلم النافع، وتستعيذ به -عز وجل- من العلم الذي لا ينفع.

ثم استدل أيضًا الحافظ ابن رجب -رحمه الله- بأثر عن الحسن البصري -رحمه الله- أنه قال: العلم علمان -وهذا تقسيم آخر- العلم علمان، علم اللسان فذاك حجة على ابن آدم، وعلم في القلب فذاك العلم النافع، ماذا يقصِد الحسن البصري بهذا التقسيم، يقول العلم علمان علم اللسان، وعلم في القلب، يقصد بعلم اللسان؟ أي {ما لا يعمل به}.

فالذي لا يَعمل بعلمه، فعنده علم ولكن لا يعمل به، لا أثرَ لهذا العلم؛ لا في عبادته، ولا في أخلاقه، ولا في سلوكه، ولا في تعاملاته، كحال من عنده علم باللسان، لكن لا أثرَ لهذا العلم في حياته؛ كحال المنافق، هذا يسمى علم اللسان، وهناك علم في القلب، وهو العلم الذي لا أثرَ في حياة المتعلم.

وعلم في القلب، فذاك العلم النافع، ثم قال ابن رجب -رحمه الله- مُعلقا على هذا القول عن الحسن البصري، قال: فالعلم النافع هو ما بَاشَر القلبَ، فأوقر فيه معرفةَ الله، يعني له أثر في حياة المتعلِّم، فأوقر فيه معرفة الله، وعظمته، وخشيته، وإجلاله، وتعظيمه، ومحبته، ومتى سكنت هذه الأشياء في القلب خشع، فخشعت الجوارح تبعا له.

فيُبين - رحمه الله- أن هذا هو العلم النافع الذي يكون له أثر في حياة المتعلم، أثر في قلبه ثم ينعكس

هذا الأثر على الجوارح؛ لأن القلب إذا صلح صلحت الجوارح كما جاء في الحديث المتفق عليه.

إذن: هذا التقسيم من الحافظِ ابن عبد البر، ومن الحافظ ابن رجب -رحمها الله- يُبين طريقةَ العلماء في تقسيم العلوم.

بعد هذا ننتقل إلى العلوم الدينية، وأن العلوم الدينية مراتبُ وأقسامٌ، ولذلك يختلف الحكم فيها بِحَسَبِ مراتبِها، وبِحَسَبِ أقسامها وأنواعها.

ذَكَرَ الحافظ ابن عبد البر في كتابه "جامع بيان العلم" ثلاثة أقسام للعلوم الدينية، فقال -رحمه الله-: "اتفق أهل الإسلام على أن الدين تكون معرفته على ثلاثةِ أقسامٍ"، إذن هو يذكر اتفاق العلماء على أن معرفة الدين تنقسم إلى ثلاثة أقسام.. قال: "أولها: معرفة خاصة الإسلام والإيمان"، لاحظ كلمة "خاصة"؛ يعني بذلك أصولَ وأركانَ وأسسَ الإسلامِ والإيمانِ، فهذا هو القسم الأول من أقسام علوم الدين، معرفة خاصة الإسلام والإيمان، وذلك معرفة التوحيد والإخلاص.

قال: "ولا يُوصِل إلى علْم ذلك إلا بالنبيّ -عليه الصلاة والسلام- فهو المؤدي عن الله -عز وجل-"؛ يعني هذا العلم لا يمكن أن يَحصَّل إلا عن طريق الوحي، لا يمكن أن يحصَّل عن طريق العقول المجردة، ولا عن طريق النظر والتفكير والحس وغير ذلك، هذا العلم توقيفي.

"ولا يوصل إلى علم ذلك إلا بالنبي -صلى الله عليه وسلم-، فهو المؤدي عن الله، والمبين لمراده، وبما في القرآن من الأمر بالاعتبار في خلق الله بالدلائلِ من آثارِ صِبغته في بَرِيَّتِه على توحيده، وأزليته سبحانه والإقرار والتصديق بكل ما في القرآنِ بملائكة الله وكتبه ورسله"، هذا هو القِسم الأول من أقسام العلوم الشرعيَّة والعلوم الدينيَّة.

هذا النوع بين أهميته ابن القيم -رحمه الله- في كثير من كتبه، وذكر أن هذا النوع من العلوم هو أشرف العلوم وهو أفضل العلوم؛ لأن شرفَ العلم بشرفِ المعلومِ، والمعلوم في هذا العلم هو الخالق -عز وجل-، وما يتعلق بأسمائه وصفاته، وما له من الحقوق على عباده، فهو أشرف العلوم على الإطلاق، ولا نقول: من أشرفِ العلوم، بل نقول: هو أشرفُها على الإطلاق، ولا نقول من أشرفها ؛ لأنه يتعلق بالله -سبحانه وتعالى- بالتوحيد والعقيدة.

فيكون هو أشرفَها على الإطلاق، أما لو قلنا: من أشرفها، فـ "من" هنا تبعيضية والأمر ليس كذلك،

بل هذا العلم هو أشرف العلوم على الإطلاق.

بَيَّنَ الحافظ ابن رجب -رحمه الله- في كتابه النفيس "شرح حديث أبي الدرداء" أهمية هذا النوع من العلم، فقال: "فأفضل العلمِ العلمُ باللهِ"، لاحظوا هنا بدون تبعيض، "فأفضل العلمِ العلمُ بالله، وهو العلم بأسمائه وصفاته، وأفعاله التي تُوجب لصاحبها معرفةَ الله وخشيته، ومحبته، وهيبته، وإجلاله، وعظمته، والتبتُّل إليه، والتوكل عليه" قال: "ويتبع ذلك" أي هذا النوع من العلوم "يتبع ذلك العلم بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتفاصيل آخر" أي أصول الإيمان، قال: "والعلم بأوامر الله ونواهيه وشرائعه وأحكامه وما يحبه من عباده من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة -أي أعمال القلوب وأعمال الجوارح- وما يكرهه من عباده من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة" هذا مثَّل لهذا النوع من العلوم الشرعية الذي هو أفضلها على الإطلاق، ثم علق تعليقا جميلا يبين مراتب العلماء في العناية بهذا النوع من العلم، قال: "ومن جمع هذه العلوم - أي أصول الإسلام وأصول الإيمان-، قال: "ومن جمع هذه العلوم من العلماء الربانيين، العلماء بالله والعلماء بأمره" لاحظ هناك علم بالله وعلم بأوامر الله، قال: "وهو أكمل ممن قصر علمه على العلم بالله دون العلم بأمره وبالعكس" لاحظ يمكن نحن نستخلص من كلام ابن رجب -رحمه الله- هذه الأقسام الثلاثة، وأن العلماء ينقسمون إلى ثلاثة أقسام، هناك علماء بالله، يعني أنهم يعنون بأعمال القلوب والرقائق والزهد، وهناك علماء بأمر الله، علماء بماذا بأحكام الجوارح الظاهرة، لكن لا عناية لهم بأعمال القلوب، وهناك علماء بالله وأمره، أي علماء بأعمال القلوب وأعمال الجوارح. وهم العلماء الربانيون، ثم يليهم في الدرجة. علماء بأمر الله.

ولهذا لاحظوا هذه العبارة الجميلة من ابن رجب -رحمه الله-: يقول: "هؤلاء هم العلماء الربانيون وهم أكمل ممن قصر علمه على العلم بالله، دون العلم بأمره وبالعكس" يعني أكمل كذلك من المرتبة الثانية، قال: "وشاهد هذا " ثم يضرب لك مثالا، قال: "وشاهد هذا في حال الحسن -يقصد البصري- وابن المسيب والثوري وأحمد وغيرهم من العلماء الربانيين"، يقصد العلماء الربانيين جمعوا ماذا؟ العلم بالله وأمره، العلم بأعمال القلوب وأعمال الجوارح، قال: "وحال مالك بن دينار، والفضيل بن عياض، ومعروف الكرخي، وبشر الحافي، وغيرهم من العارفين"، وهذا المصطلح يقصِدون بالعارفين أي العُبَّاد الزُّهَّاد، لهم عناية بالزهد والورع لكن لا عناية لهم بالعلم فأيها أكمل، حال هؤلاء أم حال أولئك، قال: "فمن قايس الحالين -أي بين العلماء الربانيين وبين العباد والزهاد- قال: "فمن قايس الحالين عرف فضل العلماء بالله وبأمره، على العلماء بالله فقط، فما الظن بتفضيل العلماء بالله وبأمره على العلماء بأمره فقط،

فإن هذا واضح لا خفاء فيه" فهو تعليق جميل في بيان مراتب العلماء في العناية بهذا العلم، فالمرتبة الأولى هم الربانيون وهم علماء بالله وبأمره، ثم يليهم العلماء بالله..

هذا التقسيم تابع للقسم الأول الذي ذكره الحافظ ابن عبد البر -رحمه الله-، وهو القسم الأول من أقسام العلوم الشرعية، العلم بخاصة الإيمان والإسلام؛ أي: بأصول الإسلام والإيمان، بأركان الإسلام الخمسة، وأركان الإيمان الستة، هذا هو القسم الأول.

قال الحافظ ابن عبد البر: "والقسم الثاني معرفة مخرج خبر الدين وشرائعه"، لاحظوا دقة العبارة، ماذا يقصد بخبر الدين وشرائعه؟ تأملوا في هذا النص، قال: "القسم الثاني معرفة مخرج خبر الدين وشرائعه".

يقصد بخبر الدين أمور العقيدة، وأصول الإيمان، ويقصد بشرائعه أركان الإسلام، يقصد بهذا معرفة مخرج أي مصادر خبر الدين وشرائعه، وطرائق الاستدلال، يعني ما هي مصادر العقيدة؟ وما هي مصادر الشريعة؟ وكيف تستدل على مسائل العقيدة؟ وكيف تستدل على مسائل الشريعة؟ فهذا هو القسم الثاني، معرفة مخرج أي طرق دلائل خبر الدين وشرائعه، الخبر الذي هو مسائل الاعتقاد، وشرائعه التي هي الأحكام الفقهية.

ثم مثَّل لهذا النوع، فقال: "وذلك معرفة النبي -صلى الله عليه وسلم- الذي شرح الله الدين على لسانه ويدِه، ومعرفة أصحابه الذين أدوا ذلك عنه، ومعرفة الرجال الذين حملوا ذلك عنه، وطبقاتهم، ومعرفة الخبر الذي يقطع العذر لتواتره وظهوره"، فهذا هو النوع الثاني أو المرتبة الثانية من مراتب علوم الدين.

القسم الثالث ذكر الحافظ ابن عبد البر قال: "معرفة السنن، وواجبها وأدبها، وعلم الأحكام"، وهي مرتبة كمالٍ، ومثل لهذا القسمِ الثالث، قال: "يدخلُ في هذا خبرُ الخاصة والعدول، ومعرفته ومعرفة الفريضة من النافلةِ، ومخارج الحقوق والتداعي ومعرفة الإجماع والشذوذ" يعني ما زاد على ذلك من المسائل، فهذه هي المرتبة الثالثة من مراتب علوم الدين..

ثم ذكر عن بعض العلماء أنه قال: ولا يوصل إلى الفقه إلا بمعرفة ذلك وبالله التوفيق، فهذا هو تقسيم الحافظ ابن عبد البر -رحمه الله- لمراتب العلوم الشرعية على هذه الأنواع الثلاثة.

كذلك الخطيب البغدادي -رحمه الله- في كثيرٍ من كتبه خاصة كتاب "الفقيه والمتفقه" وفي أيضًا كتبه الأخرى في طلب العلم أشار إلى هذا الترتيب، يقول الخطيب البغدادي وهو أيضًا ممن عُني بهذا الفن في طلب العلم يقول:

"فواجبٌ على كل أحد طلبُ ما تلزمُه معرفته مما فرضه الله عليه، على حَسَبِ ما يقدر عليه من الاجتهادِ نفسه"، فيُبين أنَّ العلوم الشرعية منها ما هو فرض عين، ومنها ما هو فرض كفاية، ومنها ما هو كمال مستحب، فهناك من الأمور الدينية ما لا بد للمرء منه فيكون فرض عين عليه كأصول الإيمان، وكذلك إذا لزمته الواجبات وبلغ سن التكليف فإنه يجب عليه أن يتعلم هذه الأمور.

قال: "فيجبُ على كل مسلمٍ تعلُّم ذلك، وهكذا يجبُ على كل مسلمٍ أن يعرف ما يحل له وما يحرم عليه، من المآكل، والمشارب، والملابس، والفروج، والأموال والدماء، فجميع هذا لا يسع أحدًا جهلُه".

هذا يبين الحكم في هذه المسائل، ثم قال: "وفرض عليهم"؛ أي: على المسلمين "أن يأخذوا في تعلم ذلك حتى يبلغوا الحلم وهم مسلمون، أو حين يسلم بعد بلوغ الحلم ويُجبِر الإمام" يعني المسألة ليست خيارا، بل هي وجوب، قال: "ويجبر الإمام أزواجَ النساء وسادات الإماء على تعليمهنَّ ما ذكرْنا"، فهذه من الحقوق والواجبات؛ أنه واجبٌ على الرجالِ أن يُعلموا من تحت أيديهم من نساء وبنات هذه الأحكام.

وكثير من الناس يفرط في هذا، تجد أنه يُعنى بالمآكل والمشرب والملبس والمسكن، لكنه لا يعنى بالواجبات الدينيّة، بأحكام الطهارة، وأحكام الصلاة، وهذه من الأمور الواجبة عليك، ولهذا نص العلماء على وُجوب ذلك.

قال: "وفرض على الإمام أن يأخذَ الناس بذلك ويرتب أقوامًا لتعليم الجهَّال"؛ يَعني من واجبات وليّ الأمر أن يُعنى بتعليمِ الناسِ أُمور دينهم، قال: "ويفرض لهم الرزق في بيت المال، ويجب على العلماء تعليم الجاهل ليتميز له الحق من الباطل" إلى غير ذلك من الكلام النفيس الذي يبين فيه العلماء أن علوم الدين على مراتب منها ما هو فرض عين ومنها ما هو فرض كفايات، ومنها ما كمال مستحب.

التعريف بالمبادئ العشرة والمقدمات العلمية الأساسية للعلوم :

كان طلب العلم زمن الصحابة رضي الله عنهم اشتغالًا بالقرآن الكريم، والسنة المطهرة حفظا وفهما،

بطريقة موسوعية جامعة، فلا تتجاوز الآية الواحدة حتى يتعلم ما فيها من أنواع العلم والعمل معًا، وذلك من غير تمييز بين أنواع المسائل الشرعية أو تفريق بين ألوانها.

ومع مرور الزمان، كثرت المسائل، وتنوعت النوازل، واتسعت البلدان، واختلط اللسان العربي بالأعجمي، وظهرت عجمة في الأفهام نتيجة لعجمة اللسان، واقتضى حسن التعليم، ويسر التلقين، العدول عن تلك الطريقة الموسوعية الجامعة إلى ما هو أيسر وأقصر، فعمد أهل العلم إلى جمل من المسائل العلمية التي تشترك في وحدة موضوعية جامعة، فأفردوها باسم يخصها، وبلقب يميزها عن غيرها من المسائل، فتمايزت بذلك العلوم، وتباينت الفنون في اسمها ورسمها، وعرفوا تلك العلوم بما يضبط مسائلها بطريقين غالبا، إما بذكر الموضوع والمسائل التي يحتويها العلم، وسموا ذلك حدا أو تعريفا، وإما بذكر الفائدة، والثمرة، والغاية من دراسة ذلك العلم، وسموا ذلك رسما، والذي دعا إلى هذا التنويع هو أن فائدة العلم غير موضوعه ومسائله، فكما أن الثمرة ناشئة عن الشجرة وليست عينها، فالفائدة مترتبة وناشئة عن العلم بتلك المسائل وليست عينها أيضا، فصار العلم المتميز بشخصيته عند علماء التدوين هو جملة المسائل المضبوطة بجهة واحدة، موضوعية كانت أو غائية. ثم إنه جرت عادة المصنفين من المتأخرين أن يدونوا مقدمة عن العلم وفضله وثمراته، وما يتعلق به في صدر مصنفاتهم، وذلك لفوائد منها:

١- أن يحصل طالب العلم بصيرة، وتصورا إجماليا للعلم قبل أن يدخل إلى تفاصيله، فيعرف الوحدة الجامعة لمسائل هذا العلم، فيأمن عندئذ من اشتباه مسائل العلوم عليه، ومن دخوله في مسائل ليس من مسائل العلم الذي عول عليه، وقصد عليه.

٢- أن يتحقق من فائدة العلم ونفعه، لينشط في طلبه وتحصيله، وليستعذب المشاق في سبيله، وليكون عند طلبه هذا العلم النافع المفيد مجتنباً للعبث والجهالة.

ثم إن كثيرا من المتأخرين وضعوا بعد ذلك كتبا في موضوعات العلوم، ومبادئ الفنون، لعل من أجمعها وأشهرها كتاب "مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم"، للشيخ أحمد بن مصطفى المعروف بـ"طاش كبرى زاده"، وكذلك كتاب "ترتيب العلوم" للشيخ محمد بن أبي بكر المرعشي المعروف بـ"ساجقلي زاده"، وغير ذلك من المصنفات.

هذا وقد استقر عمل المصنفين على ذكر مبادئ عشرة لكل علم وفن، تمثل مدخلا تعريفيا لطالب كل علم، وجمع بعضهم هذه المبادئ العشرة في قوله :

إن مبادئ أي علم كانا *** عشر تزيد من درى عرفانا
الحد والواضع ثم الاسم *** والنسبة الموضوع ثم الحكم
وغاية وفضله استمداد *** مسائل بها الهنا يـــــزداد

وقال الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى، أبو العباس، المقّري، التِّلمساني، المالكي، المؤرخ الأديب المتوفى سنة ١٠٤٠ هـ، وهو صاحب الكتاب القيم المشهور "نفح الطِّيب في غصن الأندلس الرطيب"، قال رحمه الله تعالى وعفا عنا وعنه في منظومته في العقيدة "إضاءة الدُّجُنَّة في اعتقاد أهل السنة" :

مَــن رامَ فنـاً فلْيُقدّمَ أولا *** علماً بحده وموضوع تـــلا
وواضـــعٍ ونِسْبةٍ وما استمدّ *** منه وفضلِه وحكمٍ يُعتمـــدْ
واســمٍ وما أفادَ والمسائلْ *** فتلك عشرٌ للمُنى وســائلْ
وبعضُهم منها على البعض اقتصرْ *** ومَــن يكنْ يدري جميعَها انتصرْ

وذكر الشيخ الأثيوبي في شرحه للامية الأفعال :

قال الخَضِري في منظومته:

مَبَادِي أَيِّ عِلمٍ كَانَ حَـــدّ *** وَمَوضُوعٌ و غَايَةٌ مُسْتَمَدُّ
مَسَائِلُ نِسْبَةٌ وَ اسمٌ وَ حُكُمُ *** وفَضْلٌ وَاضِعٌ عَشْرٌ تُعَـدُّ

وقال الشيخ محمد بن علي الصبان، أبو العرفان، المصري، المتوفى في القاهرة سنة ١٢٠٦ هـ وهو صاحب الحاشية على شرح الأشموني في النحو، والحاشية على شرح السعد التفتازاني في المنطق، وله عدة كتب ومنظومات :

إن مبادئ كل علـم عشـــرة *** الحـــد والموضوع ثم الثمـــرة
ونسبة وفضله والواضــــــع *** الاسم الاستمداد حكم الشـارع
مسـائل والبعض بالبعض اكتفى *** ومن درى الجميع حاز الشـــرفا

وهذه المبادئ العشر اسم لمجموعة من المعاني، والمعارف يتوقف عليها شروع الطالب والباحث في

طلب العلم وتحصيله، وبيانها كالتالي:

١- الحد : ويقصد به التعريف الجامع لمسائل العلم ومباحثه، المانع من دخول غيره فيه.

٢- الموضوع : وهو المجال المحدد الذي يبحث فيه العلم، والجهة التي تتوحد فيها مسائله.

٣- الثمرة أو الغاية : الفائدة التي يحصلها دارس العلم ومتعلمه في الدارين.

٤- النسبة: صلة العلم وعلاقته بغيره من العلوم.

٥- الفضل : ما للعلم من منزلة وشرف وأهمية بين العلوم.

٦- الواضع : أول من ابتدأ التدوين والتصنيف في العلم، ووضع أساسه وأرسى قواعده، كما يشمل تطور التأليف في العلم ومراحله.

٧- الاسم : الألقاب التي أطلقها أهل هذا العلم عليه لتمييزه عن غيره، حتى أصبحت أعلاما عليه.

٨- الاستمداد : الروافد والمصادر والأسباب العلمية التي يستقي منها العلم مسائله ومطالبه.

٩- الحكم: ويقصد به الحكم الشرعي لتعلم هذا العلم من بين الأحكام التكليفية الخمسة.

١٠- المسائل: وهي المطالب التي يبحثها، ويقررها العلم والتي تندرج تحت موضوعه.

(١) مبادئ علم العَقِيدَة

١- حده لغة: العقيدة فعيلة بمعنى مفعولة كقتيلة بمعنى مقتولة وعقد واعتقد بمعنى اشتد وصلب وثبت واستحكم، ومدار الكلمة على اللزوم والتأكد والاستيثاق، وأصلها من العقد وهو بمعنى الربط والشد بقوة وإحكام، ثم استعملت في التصميم والاعتقاد الجازم فالعقيدة في معناها اللغوي ترجع إلى التأكد والجزم بالشيء اعتقاداً كان أو قولاً أو عملاً.

تعريفه ينقسم إلى قسمين إلى :

تعريف بالمعنى اللقبي ، وتعريف بالمعنى الإضافي ، فقولنا :

علم العقائد هذا مركب إضافي ، صدره علم ، ومعناه : الفهم والمعرفة ، والمقصود به هنا الفن من الفنون ، والعقائد جمع عقيدة ، وهي ما ينعقد عليه القلب أي يجزم به ، وإدراك القلب أقسام ،

فأقل مراتبه وأدناها الوهم ، وفوقه الشك ، وهو المستوي الطرفين ، وفوق ذلك الظن وهو ثلاثة أرباع العلم ، وفوق ذلك اليقين وهو العلم كله ، لكن اليقين إن كان لا يقبل الشك ولا الامتراء سمي اعتقادا جازما، وإن كان يقبل الشك والامتراء سمي اعتقادا غير جازم. والاعتقاد الجازم هو الذي يطلق عليه اليقين .

٢- موضوعه : فهو أركان الإيمان وما يتعلق بها ، هذا الذي يبحث فيه أصلا ، أركان الإيمان وما يتعلق بها.
أركان الإيمان تشمل أولا : معرفة الإيمان ما هو ؟ والقدر الكافي منه ، لأن الإيمان متفاوت ، ودرجات الناس فيه متفاوتة جدا ، كما ثبت عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأقل ما يطلق عليه الإيمان من ذلك يوم القيامة يوزن بذرة أو بحبة من خردل ، أما في الدنيا فيحتاج إلى معرفته بالمسائل التي يتعلق بها الإيمان ، ولهذا يذكر في هذا العلم ما يتعلق بزيادة الإيمان ونقصه ، ثم المسائل التفصيلية في أركان الإيمان ، فأركان الإيمان مثلا الإيمان بالله ، وهذا يشمل ثلاثة أنواع الإيمان بألوهيته وبربوبيته وبأسمائه وصفاته ، وكل واحد من هذه الأنواع يدخل تحته كثير من المسائل ، و يدخل في ذلك الإيمان بكتبه لأنها من كلامه وهو من صفته فيكون الكلام في هذا الركن داخلا في الركن السابق ، ومثل ذلك الإيمان بالقدر خيره وشره ، فإنه من صفة الله وعلمه ، وعلمه من صفته ، فكان الأصل أن تدخل في الإيمان بالله ، ومثل ذلك الإيمان بملائكته ، وما يشمله هذا الركن من المسائل التفصيلية كالإيمان بأسماء المسمين منهم ، والإيمان بعصمتهم ، وما يتعلق بوظائف المعروف وظائفه منهم ، وكذلك الإيمان بكتب الله المنزلة إيمانا إجماليا ، ثم الإيمان التفصيلي بالأربعة المسماة ، هي القرآن والتوراة والإنجيل والزبور ، وصحف إبراهيم كذلك ، لأنها ذكرت لكنها ذكرت بغير اسم ، ومثل ذلك الإيمان تفصيلا بما أثبته القرآن ، فما جاء في القرآن من الأمور العلمية يجب الإيمان به وتصديقه. ثم الإيمان باليوم الآخر وذلك يشمل الموت ومسائل القبر ، وعذاب القبر ، والبعث بعد الموت وما يتعلق بطي السماء والأرض ، والبعث والحشر ، وكذلك تجلِّي الباري ـ سبحانه وتعالى ـ لفصل الخصام ، والإتيان بجهنم وما يتعلق ببروز حملة العرش ، وكذلك الشفاعة ، ثم ما بعد ذلك من حوض النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونصب الصراط وما يعلق بالإيمان بالجنة والنار تفصيلا ، ووزن الأعمال في الميزان ، والشفاعات الأخرى غير الشفاعة الكبرى ، فكل هذا من الأمور التفصيلية المتعلقة بهذا الركن من أركان الإيمان.

ثم الإيمان برسل الله عموما إجمالا ، وتفصيلا بمن سمي منهم والإيمان بأن رسالة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاتمة لما سبق مهيمنة عليه وأنه لا ينفع أحدا بعد بعثته إيمان إلا بتصديقه واتباعه ، وما يتعلق بتصديق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو مقتضى شهادة أن محمدا رسول الله ، وهو المقتضيات

الثلاثة أن يصدق في كل ما أخبر ، وأن يطاع في كل ما أمر ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع ، هذه مقتضيات شهادة أن محمدا رسول الله.

وكذلك صفات الرسل من الصدق والأمانة والتبليغ ، والعصمة من الوقوع في الخطأ في التبليغ عن الله ، ومن الإقرار على الخطأ في أفعال العباد كلها.

وكذلك الإيمان بالقدر خيره وشره ، وما يدخل تحته من المسائل التفصيلية كمسألة الطيرة والتنجيم والعلاقة بالجن ، والأسباب وأفعال العباد ، ونحو ذلك مثل تسيير الأرزاق والتوكل ، فهذه الأمور داخلة في الإيمان بالقدر وقد يتوسع بعض الناس في ذلك فيدخل أيضا ما يتعلق بالموقف من أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لافتراق الأمة كثيرا حولهم ، فإن من الإيمان به محبته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد شرط في محبته محبة أصحابه ، فقد صح عنه أنه ذكر أن علامة الإيمان حب الأنصار ، وأن علامة النفاق بغض الأنصار .

٣- ثمرته : الفوز بسعادة الدارين.

٤- نسبته : إلى غيره من العلوم فهو بالنسبة لعلم الحديث وكذلك علم التفسير نسبة العموم والخصوص المطلقين ، وبالنسبة لغيرهما من علوم الشريعة نسبة العموم والخصوص الوجهي للاشتراك في بعض المسائل وانفراد كل بمسائل مختصة. فبذلك يتضح أن نسبته إلى بقية العلوم أنه أصلها .

٥- فضله : أشرف العلوم وأفرضها وأفضلها وأنفعها وأجلها لأن شرف العلم بشرف المعلوم والمعلوم في هذا العلم هو الله سبحانه وتعالى. فلا شك أن فضل كل علم بحسب فائدته ونتيجته التي تترتب عليه ، فقد ورد في القرآن وفي السنة الحض على التدبر في آيات الله ، والتفكر في آلائه ونعمه ، والآيات المختصة بذلك والبراهين العقلية في خلق السماوات والأرض وغيرها عظيمة جدا ، وقد أمر الله بالتفكر في خلق الإنسان نفسه ، وفي خلق السماوات والأرض والجبال والإبل وغيرها ، وتحقيق إلوهيته سبحانه ، والإيمان بأسمائه وصفاته .

٦- واضعه : الله سبحانه وتعالى بواسطة الرسل.

فهذا العلم من العلوم التي كانت داخلة في علم الحديث ، فكان المؤلفون في علم الحديث يجعلون له أبوابا مختصة كما عقد مالك ـ رحمه الله ـ في الموطأ أبوابا كثيرة تتعلق بهذا العلم ، كباب صفة الجنة وباب صفة النار ، وكتاب القدر وما جاء فيه ، وكباب أسماء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي

ختم به موطأه ، وكذلك مناقب الصحابة وما ذكر منها ، وفضائل مكة المدينة وما ذكر منها ، ومثل ذلك ما فعل من دونه. فالبخاري افتتح كتابه ببدء الوحي ثم بكتاب الإيمان ، وذكر في آخره أيضا كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، وكتاب التوحيد. ومثل ذلك مسلم أورد بعد المقدمة أيضا كتاب الإيمان وذكر كذلك صفة الجنة والنار ، وصفة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وما يتعلق بأشراط الساعة عقد له كتابا كبيرا ، ذكر فيه نزول عيسى بن مريم وخروج الدجال وغير ذلك من الأشراط التي هي داخلة في موضوع علم العقائد ، والبخاري كذلك أتى في وسط كتابه بأحاديث الأنبياء ، وبالفضائل والمناقب ، وكذلك ببدء الخلق ، وكل ذلك من الأمور العقدية. ومثل هذا أصحاب السنن ، إلا أن أبا داود ـ رحمه الله ـ لم يتوسع في هذا الباب لأن كتابه قد خصصه للأحكام ، ولذلك قال في رسالته لأهل مكة هذا كتاب السنن جمعت لكم فيه أربعة آلاف وثمانمائة حديث كلها في الأحكام ، فلذلك لم يذكر كتاب المناقب ، ولم يتوسع في أحاديث الفتن والأشراط وغيرها ، وإن كان ذكر بعض هذه الأحاديث.

بينما تجد كثيرا من هذه الأبواب توسع فيها الترمذي وبالأخص كتاب المناقب والفضائل وكذلك عند ابن ماجه توسع كبير في أبواب الإيمان ، وكذلك النسائي ـ رحمه الله ـ وبالأخص أن النسائي أفرد كتبا مستقلة لهذا مثل مناقب آل البيت، ومثل فضائل العشرة المبشرين بالجنة وغير ذلك من كتبه فإذا كان المقصود الإفراد بالتأليف فكل هؤلاء لم يفردوا العقائد بتأليف مستقل ، وإن كان الحميدي روى عن سفيان بن عيينة أصول الاعتقاد لكنه لم يفصل فيها ولم يذكر فيها النصوص الشرعية ، وإنما ذكر المبادئ العقدية فقط ، وهي رسالة خفيفة مطبوعة مع مسند الحميدي اسمها أصول السنة.

٧- اسمه : فقد أطلق على هذا العلم عدد كبير من الأسماء ،فيسمى قديما باسم الإيمان ولذلك ألف عدد من المؤلفات بهذا الاسم ، ويسمى كذلك بعلم السنة ، وهذا الاسم الذي اختاره أحمد بن حنبل فقد قال فيه حينما سئل عن سفيان ومالك ، فقال : كان مالك إماما في الحديث إماما في السنة ، وكان سفيان إماما في الحديث وليس إماما في السنة يقصد تفصيلات هذا العلم ليست لديه. ولذلك اشتهر أهله في البداية بأهل السنة ، لأن هذا العلم يسمى بالسنة ، لأن المرجع فيه إلى التسليم للنصوص السابقة ، ولما كان عليه الصدر الأول من هذه الأمة. ثم سمي كذلك بالتوحيد ، وهذا الإطلاق انتهجه البخاري في صحيحه ، وابن خزيمة كذلك في كتابه التوحيد ، وغيرهما من الذين أطلقوا على هذا العلم (التوحيد) كذلك من أسمائه علم الاعتقاد وقد اشتهر هذا الاسم لدى المتأخرين بعلم الاعتقاد أو علم العقيدة ، ومن أسمائه كذلك علم الكلام لأن أكثر مسائله شهرة وخلافا وافتراقا مسألة إثبات التكلم لله تعالى ، وهل كلامه صفة من صفاته أو لا ، وهل تكلمنا بالقرآن مخلوق صفة من صفاتنا أو لا يقال ذلك لأن القرآن كلام الله، هذه المسائل هي التي كثر البحث فيها كثيرا فكانت أغلب مسائل هذا العلم وأشهرها ، ويمكن أن يسمى العلم كله

باسم جزئه كما يسمى العبد رقبة وكما تسمى البهيمة رأسا ، يقال رأس من الإبل أو رأس من البقر أو رأس من الغنم ، باعتبار جزء من أجزائه هو أهمه.

٨- استمداده : النقل الصحيح والعقل السليم ، النقل الصحيح معناه الوحي ، كتابا أو سنة ، أو اجتهاد السلف كاجتهادات التابعين وأتباعهم ، وما روي كذلك من الآثار عن بعض الصحابة ، هذا هو النقل الصحيح ، والعقل السليم ما يتعلق بالتقعيد لذلك وفهمه وجمع نصوصه إذا حصل تعارض بينها ، وحمل المتشابه منه على المحكم مطلقا ، كل ما وقع تشابه أي إشكال وخفاء في الدلالة يحمل على المحكم وهو الواضح الدلالة وهذا يحتاج فيه إلى عقل وتدبر وتفهم ، لكن لا بد أن يكون ذلك العقل سليما معناه مستنيرا بنور الوحي والعبادة.

٩- حكمه : قد اختلف فيه ، فما يجب عينا منه واجب عينا بالإجماع ، كالعلم بأركان الإيمان، وما يشهد به الإنسان أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ويعرف المعلوم من الدين بالضرورة ، هذا واجب بالإجماع على كل مسلم .أما ما عدا ذلك وهو التفصيل والتدليل في المسائل فقد اختلف فيه ، فقالت طائفة يجب عينا ، وهؤلاء قد غلوا في هذا الأمر فالتبس عليهم الواجب العيني من ذلك بالواجب الكفائي ، وهذا الالتباس ما زال موجودا إلى الآن ، فكثير من الناس يرى أن هذا العلم أفضل العلوم وهو مقدم على غيره منها وأنه ينبغي أن يشتغل به طلاب العلم قبل غيره ، لأنه يلتبس عليهم ما يجب على كل مكلف اعتقاده ، والتفصيلات الجزئية التي توجد في هذا العلم ، ولذلك إذا أخطأ الإنسان في مسألة من مسائله أو جهلها جعلوا ذلك أكبر مما لو جهل مسألة من مسائل التفسير أو من مسائل الحديث بفارق عظيم ، والقول الآخر أنه يجب كفاية ، يجب على الأمة أن يكون فيهم من يعلمه.

١٠ – مسائله : وكذلك جزئياته، وهذه يُبْدَأ فيها من أركان الإيمان الستة التي هي الإيمان بالله والإيمان بملائكته والإيمان بكتبه والإيمان برسله والإيمان باليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره، فمنها تتشعب مسائل هذا العلم كلُّها، فالإيمان بالله يقتضي ثلاثة أقسام من أنواع التوحيد هي الإيمان بربوبيته والإيمان بألوهيته والإيمان بأسمائه وصفاته، فالإيمان بربوبيته يقتضي الإيمان بأنه وحده هو خالق هذا الكون ومدبر أمره والمتصرف فيه جميعا، والإيمان بألوهيته يقتضي أنه هو وحده المستحق للعبادة والطاعة، والمحبة الخاصة بالألوهية، وأنه وحده المشرع للعباد، وأنه وحده الذي يستحق أن يتوكل عليه العباد وأن يرفعوا إليه حوائجهم وأن يستغيثوا به، والإيمان بأسمائه وصفاته يقتضي إثبات كل ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم ونفي كل ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم، ويقتضي كذلك الإيمان باتصافه بكل كمال والإيمان بانتفاء كل نقص عنه

على سبيل الإجمال، ويرجع إلى الإيمان بالله قسمان آخران من أركان الإيمان وهما الإيمان بالقدر خيره وشره فهو من الإيمان بالله لأن القدر صفة الله سبحانه وتعالى فهو من الإيمان بالأسماء والصفات، وكذلك الإيمان بكتبه فهو من الإيمان بكلامه وكلامه من صفاته، فهذان القسمان يرجعان إلى القسم الأول الذي هو الإيمان بالله، وهكذا الإيمان بملائكة الله، يقتضي الإيمان بهم إجمالا وبمن سمي منهم تفصيلا، ويقتضي كذلك الإيمان بأنهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وأن الله مَحَّضَهُمْ لطاعته (يسبحون الليل والنهار لا يفترون)

وكذلك الإيمان برسله يقتضي الإيمان بهم إجمالا، ويقتضي الإيمان تفصيلا بمن سمي منهم في الوحي، ويقتضي الإيمان بأنهم مبلغون عن الله سبحانه وتعالى صادقون فيما يبلغون، وبمعجزاتهم الدالة على صدق رسالاتهم وبشرائعهم وبوجوب طاعتهم فيما بلغوه عن الله عز وجل وما أمروا به من الدين، ويقتضي كذلك خَتْمَهُمْ بمحمد صلى الله عليه وسلم ونسخ شرائعهم بشريعته، ويقتضي وجوبَ تصديق النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما أخبر به ووجوبَ طاعته في كل ما أمر به، وأن لا يعبد الله إلا بما بلغ عنه، وأن ما جاء به ناسخ لكل ما قبله، مصدق لما بين يديه من الحق أيضا، كذلك الإيمان باليوم الآخر يقتضي الإيمان بالقيامة، وهي قيامتان قيامة صغرى وهي الموت، إذا مات ابن آدم فقد قامت قيامته، القبر أول منازل الآخرة، والحياة البرزخية داخلة في هذه القيامة الصغرى، كضمة القبر وفتنة القبر التي هي سؤال الملكين، ثم بعدها عذاب القبر أو نعيمه، وأن الأرواح باقية فيه في البرزخ: فأرواح السعداء في حواصل طير خضر تسرح في أشجار الجنة وتقطف من ثمارها، وأرواح الأشقياء معذبة في البرزخ، وعذاب القبر لا يختص بالكفار بل قد يعذب به بعض أهل الإيمان، تكفيرا لسيئاتهم وإذا خرجوا وبعثوا فيكون جزاؤهم قد استوفي في مرحلة البرزخ، ثم بعد ذلك القيامة الكبرى والإيمان بها يشمل الإيمان بأشراط الساعة، كخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها ورفع القرآن وخروج المسيح الدجال، ونزول المسيح بن مريم، والدخان، والنار التي تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر، وخروج يأجوج ومأجوج والملحمة الكبرى التي ستقع قبيل الساعة والخسف الذي يكون بالمشرق وبالمغرب وبجزيرة العرب، فهذه يجب الإيمان بها كالإيمان باليوم الآخر لأنها من أشراطه وعلاماته، ثم بعد هذا مواقف القيامة وأولها النفخة نفخة الفزع إذا أذن الله لإسرافيل بالنفخ في الصور، فينفخ النفخة الأولى فيصعق الناس جميعا، ثم ينفخ النفخة الثانية فإذا هم قيام ينظرون، وحينئذ تُدْحَى الأرض وتشقق وتكون جبالها كالعهن المنفوش، وتخرج كنوزَها وكلَّ ما فيها، وتُشَقَّقُ السماء وتُطْوَى كطي السجل للكتب، وينادى بالناس هلموا إلى ربكم فيخرجون من الأجداث إلى ربهم ينسلون، ويجتمعون جميعا في الساهرة، والموقف فيها يدوم طويلا، {وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون} وفيه يؤتى بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام في كل زمام سبعون ألف ملك فتحيط بالناس من كل جانب، وفي الموقف

كذلك الشفاعة وتجلي الباري سبحانه وتعالى لفصل الخصام، ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية، ووضعه للمنابر من النور للمقسطين، وكذلك محاسبته للخلائق ووضع الموازين التي هي القسط ليوم القيامة، واقتصاصه للمظلوم من الظالم حتى يقتاد للشاة الجماء من الشاة القرناء، وبعد ذلك تطاير الصحف وأخذ الكتب إما باليمين وإما بالشمال، ثم بعد هذا إزلاف الجنة والنار ونصب الصراط على النار وعبور الناس عليه، ثم بعد ذلك دخول الجنة أو دخول النار، فكل ذلك من مشاهد القيامة الداخلة في الإيمان باليوم الآخر، وكذلك الإيمان بالقدر يدخل فيه كثير من المسائل الجزئية كالإيمان بأم الكتاب التي لا محو فيها ولا تغيير، وهي الصحف التي عند الله فوق عرشه، والإيمان باللوح المحفوظ الذي يكتب فيه ما يقع في السنة، والإيمان بليلة القدر التي يفرق فيها كل أمر حكيم، والإيمان كذلك بما يكتب مع الإنسان وهو جنين في بطن أمه من رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، وكذلك ما يكتب من المصائب التي تنزل بالناس، (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها)

ومثل ذلك من مسائل القدر، علم أن لا نافع ولا ضار إلا الله سبحانه وتعالى وأن الأسباب إنما هي من الشرع لا من القدر، فمن عمل بشيء من الأسباب فإنها لا ترفع عنه شيئا كان مقدرا له ، ولا تجلب له شيئا كان مقدرا له كذلك ، وإنما يعمل بها امتثالا للشرع فقط، هذا معنى كونها من الشرع ،وكذلك الإيمان بأن الطيرة منافية للإيمان بالقدر، ومن الإيمان بالقدر كذلك عدم التطلع إلى علم الغيب، بالأخص ما يتعلق بالكهانة والتنجيم وخُلطة الجن ونحو ذلك كل هذا مما ينافي الإيمان بقدر الله سبحانه وتعالى، فهذا راجع إلى هذه المسائل كلها.

من أهم المصنفات في علم العقيدة :

- آل رسول الله وأولياؤه - المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي (المتوفى:١٣٩٢ هـ).
- الآيات البينات في عدم سماع الأموات على مذهب الحنفية السادات - المؤلف: نعمان بن محمود الألوسي (المتوفى: ١٣١٧ هـ).
- أبو بكر الصديق أفضَلُ الصَّحَابة، وَأحقّهم بالخِلافة - المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي (المتوفى: ١٣٩٢ هـ).
- الإبانة الكبرى لابن بطة - المؤلف: أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (المتوفى: ٣٨٧ هـ).

- الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان - المؤلف: بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيي بن غيهب بن محمد (المتوفى: ١٤٢٩ هـ).
- اثبات عذاب القبر - المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨ هـ).
- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية - المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ).
- الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة - المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن خلف بن عبد الله الدوسري (المتوفى:١٣٩٩ هـ).
- أحاديث في الفتن والحوادث - المؤلف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان (المتوفى: ١٢٠٦ هـ).
- الاحتجاج بالقدر - المؤلف: تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ).
- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد - المؤلف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
- الإرشاد شرح لمعة الاعتقاد - المؤلف: عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبرين (المتوفى: ١٤٣٠ هـ).
- أسئلة وأجوبة في مسائل الإيمان والكفر - المؤلف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
- الأسماء والصفات - المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨ هـ).
- أصول الإيمان - المؤلف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان (المتوفى: ١٢٠٦ هـ).
- أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة - المؤلف: محمد بن عبد الرحمن الخميس
- أصول السنة - المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد، الألبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين (المتوفى: ٣٩٩ هـ).
- اعتقاد أئمة الحديث - المؤلف: أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس بن مرداس الإسماعيلي الجرجاني (المتوفى: ٣٧١ هـ).
- اعتقاد الأئمة الأربعة - المؤلف: محمد بن عبد الرحمن الخميس
- اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث - المؤلف: محمد بن عبد الرحمن الخميس

- الاعتقاد - المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨ هـ).
- الاعتقاد - المؤلف: أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (المتوفى: ٥٢٦ هـ).
- الاعتصام - المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠ هـ).
- الإعلام بكفر من ابتغى غير الإسلام - المؤلف: عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبرين (المتوفى: ١٤٣٠ هـ).
- أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة (٢٠٠سؤال وجواب في العقيدة الإسلامية) - المؤلف: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى:١٣٧٧ هـ).
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم - المؤلف: تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ).
- الأمالي الجامية على الأصول الستة - المؤلف: محمد أمان الجامي (المتوفى: ١٤١٦ هـ).
- الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع - المؤلف: عبد الرحمن بن أبو بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ).
- الانتصار للصحابةِ الأخيار - المؤلف: عبد المحسن بن حمد العباد البدر
- الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة - المؤلف: عبد الرحمن بن يحيى بن علي المعلمي اليماني (المتوفى: ١٣٨٦ هـ).
- أهمية التوحيد - المؤلف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
- أولياء الرحمن وأولياء الشيطان - المؤلف: تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ).
- الإيمان - المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥ هـ).
- الإيمان - المؤلف: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤ هـ).
- الإيمان - المؤلف: ابن منده عبد الرحمن بن محمد بن اسحاق (المتوفى: ٤٧٠ هـ).
- الإيمان الأوسط - المؤلف: تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ).

- البدع الحولية - المؤلف: عبد الله بن عبد العزيز بن أحمد التويجري (المتوفى: ١١٩٤ هـ).
- البعث لابن أبي داود السجستاني - المؤلف: أبو بكر عبد الله بن سليمان الاشعث ابن أبي داود السجستاني (المتوفى: ٣١٦ هـ).
- البعث والنشور للبيهقي - المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨ هـ).
- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية - المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (المتوفى: ٧٢٨ هـ).
- التحذير من البدع - المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠ هـ).
- تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد - المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ هـ).
- التحف في مذاهب السلف - تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفى: ١٢٥٥ هـ).
- تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد - المؤلف: محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني (المتوفى: ١١٨٢ هـ).
- التوحيد أولا يا دعاة الإسلام - المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ هـ).
- التوسل أنواعه وأحكامه - المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ هـ).
- ثلاثة أصول - المؤلف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان (المتوفى: ١٢٠٦ هـ).
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - المؤلف: تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ).
- الجواهر المضية - المؤلف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان (المتوفى: ١٢٠٦ هـ).
- الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة - المؤلف: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى: ١٣٧٧ هـ).
- خلق أفعال العباد - المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفي البخاري (المتوفى: ٢٥٦ هـ).
- درء تعارض العقل والنقل - المؤلف: تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ).
- دلائل النبوة - المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨ هـ).

- الرؤية - المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥ هـ).
- الرد على الجهمية - المؤلف: ابن منده عبد الرحمن بن محمد بن اسحاق (المتوفى: ٤٧٠ هـ).
- الرد على الجهمية - المؤلف: أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني (المتوفى: ٢٨٠ هـ).
- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة - المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى:٧٥١ هـ).
- السنّة - المؤلف: أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧ هـ).
- السنّة - المؤلف: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي (المتوفى: ٣١١ هـ).
- السنّة - المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (المتوفى: ٢٩٠ هـ).
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - المؤلف: أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي (المتوفى: ٤١٨ هـ).
- شرح العقيدة الطحاوية - المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢ هـ).
- شرح العقيدة الواسطية - المؤلف: صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل - المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ).
- الشريعة - المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: ٣٦٠ هـ).
- الشيعة والتشيع - فرق وتاريخ المؤلف: إحسان إلهي ظهير الباكستاني (المتوفى: ١٤٠٧ هـ).
- الصارم المسلول على شاتم الرسول - المؤلف: تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ).
- صب العذاب على من سب الأصحاب - المؤلف: أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي (المتوفى: ١٣٤٢ هـ).

- الصفات - المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥ هـ).
- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة - المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ).
- العبودية - المؤلف: تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى:٧٢٨ هـ).
- العرش وما روي فيه - المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥ هـ).
- عقيدة أهل السنة والجماعة - المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١ هـ).
- العقيدة التدمرية - المؤلف: تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ).
- العقيدة الواسطية - المؤلف: تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ).
- العقيدة الطحاوية - المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١ هـ).
- العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم - المؤلف: ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير (المتوفى: ٨٤٠ هـ).
- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - المؤلف: عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (المتوفى: ١٢٨٥ هـ).
- الفتن - المؤلف: أبو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية المروزي (المتوفى: ٢٢٨ هـ).
- الفتوى الحموية الكبرى - المؤلف: تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ).
- القائد إلى تصحيح العقائد - المؤلف: عبد الرحمن بن يحيى بن علي المعلمي اليماني (المتوفى: ١٣٨٦ هـ).
- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة - المؤلف: تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ).

- القدر - المؤلف: أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن الْمُسْتَفاض الفِرْيابِي (المتوفى: ٣٠١ هـ).
- القصيدة النونية - المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ).
- القضاء والقدر - المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨ هـ).
- قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر - المؤلف: محمد صديق حسن خان القنوجي (المتوفى: ١٣٠٧ هـ).
- القواعد الأربعة - المؤلف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان (المتوفى: ١٢٠٦ هـ).
- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى - المؤلف: محمد أمان الجامي (المتوفى: ١٤١٦ هـ).
- القول السديد شرح كتاب التوحيد - المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي (المتوفى: ١٣٧٦ هـ).
- كتاب التوحيد - المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١ هـ).
- كتاب التوحيد - المؤلف: ابن منده عبد الرحمن بن محمد بن اسحاق (المتوفى: ٤٧٠ هـ).
- كلمة الإخلاص وتحقيق معناها - المؤلف: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥ هـ).
- لمعة الاعتقاد - المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠ هـ).
- المفهوم الصحيح للتوسل على ضوء السنة - المؤلف: حماد بن محمد الأنصاري الخزرجي السعدي (المتوفى: ١٤١٨ هـ).
- الملل والنحل - المؤلف: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن ابى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨ هـ).
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية - المؤلف: تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية *الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ).
- النزول - المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥ هـ).

- نواقض الإسلام - المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠ هـ).
- نونية القحطاني - المؤلف: أبو محمد الأندلسي القحطاني (المتوفى: ٣٧٠ هـ).
- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى - المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ).
- وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه - المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠ هـ).
- الولاء والبراء - المؤلف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
- الولاء والبراء بين الغلو والجفاء في ضوء الكتاب والسنة - المؤلف: حاتم بن عارف بن ناصر الشريف العوني

(٢) مبادئ علم الفِقْه

١- حده : الحد هو التعريف أي معرفة حدود الأمر الذي تريد معرفته حتى يتميز لك ما الذي يدخل في هذا الفن وما الذي يخرج منه ! إذن المراد : معرفة حدود الفقه ، متى يطلق على الشيء فقها ومتى لا يطلق . والفقه له تعريف من حيث اللغة و تعريف من حيث الاصطلاح.

ومعنى الفقه في اللُّغة: العلم بالشَّيء والفهم له، وفي الاصطلاح: هو العلم بالأحكام الشرعيَّة العمليَّة المكتسبة من أدلَّتها التَّفصيليَّة، أو هو مجموعة الأحكام الشرعية العملية المستفادة من أدلتها التفصيلية ، فالفقه الإسلامي عمومًا هو العلم الذي يبحث لكل عملٍ عن حكمه الشرعي .
وهناك صلة بين الفقه وأصوله تكمن في أنَّ الفقه يُعنى بالأدلَّة التَّفصيليَّة لاستنباط الأحكام العمليَّة منها، أمَّا أصول الفقه فموضوعه الأدلَّة الإجماليَّة من حيث وجوه دلالتها على الأحكام الشَّرعيَّة.

٢- موضوعه : أي موضوع ذلك العلم ما هو ؟ كل علم لابد له من موضوع يتعلق به فالفقه موضوعه هو العلم بالأحكام الشرعية لأفعال المكلفين أي من وقع عليه التكليف.

الأحكام : جمع حكم وهو مدلول حق الرب ، وهي قسمان :-

١- أحكام التكليف.

٢- أحكام الوضع.

فأحكام التكليف خمسة :

الواجب : وهو ما أثيب فاعله، وعوقب تاركه.

والحرام : وهو ما أثيب تاركه، وعوقب فاعله.

والمكروه : وهو ما أثيب تاركه، ولم يعاقب فاعله.

والمستحب : وهو ما أثيب فاعله، ولم يعاقب تاركه.

والمباح : وهو ما لا ثواب عليه، ولا عقاب.

وأحكام الوضع خمسة :

الشرط : وهو لغة: العلامة واصطلاحًا، ما يلزم من عدمه العدم، ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته.

والمانع : وهو لغة: الحائل، واصطلاحًا: ما يلزم من وجوده العدم، ولا يلزم من عدمه وجود ولا عدم لذاته.

والسبب : وهو لغة: ما يتوصل به إلى غيره ، واصطلاحًا، ما يلزم من وجوده الوجود، ومن عدمه العدم.

والعزيمة : وهي لغة: القصد المؤكد، وشرعًا : حكم ثابت بدليل شرعي خالٍ عن معارض راجح.

والرخصة : وهي لغة السهولة، وشرعًا : ما ثبت على خلاف دليل شرعي لمعارض راجح.

٣- ثمرته : وهي معرفة الحكم المتعلق بفعل المكلف ، وكذلك صحة العبادات والمعاملات ونحوهما.

٤- نسبته : نسبته إلى غيره من العلوم هو نتاج العلم بالأصول فثمرة معرفة علم أصول الفقه هو الفقه ، ولا فقه لمن لا يعرف أصول الفقه.

٥- فضله : العلوم الشرعية كلها فاضلة وشريفة والأحاديث في فضل طالبها لا يجهلها طالب للعلم ؛ لكن يعظم الشرف باختلاف الحال والزمان والحاجة فزمن يكثر فيه وضع الحديث يعظم فيه

ويشرف معرفة مصطلح الحديث وما يتعلق به ، وزمن يكثر فيه التأويل الذي لا يسوغ يحسن فيه علم التفسير وضوابطه ، وهكذا متى ما احتيج إلى فن وعظم الجهل به كان الشرف فيه أرفع من غيره والله تعالى أعلم . ولاشك أن الجميع يدرك ما لأهمية تعلم الفقه من ضرورة لأنها تمس جميع المكلفين وتتعلق بأفعالهم بخلاف الفنون الأخرى والتي قد تكون مقصورة في جانب دون آخر. وفضل الفقه عظيم؛ قال النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم" :مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ .

٦- واضعه : واضعه الأئمة المجتهدون السابقون. وأوَّلهم هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، الذي ولد في الكوفة سنة ٨٠هـ، وتُوُفِّيَ سنة ١٥٠هـ.

فأبو حنيفة يُعَدُّ واضعَ علم الفقه، أو هو مؤسِّس مدرسة الفقه في الإسلام، ومثبِّت أركانها، وواضع منهجها، وقد قال عنه الإمام الشافعي: "الناس عيال على أبي حنيفة في الفقه". وقال عنه أيضًا: "كان أبو حنيفة ممن وُفِّق له الفقه."

وأبو حنيفة -رحمه الله- لم يضع أُسُسَ الفقه من فراغ، وإنما هو عالم بكتاب الله وسنة رسوله، واسع الاطلاع في شئون الدين والدنيا، فقد تتلمذ على كبار أئمة التابعين، فهضم علمهم، واستوعب فقههم، ومن ثَمَّ كانت مصادر فقهه هي المصادر التي لا مناص لمسلم من أن يجعلها مصدره ومعينه، وهو بعد ذلك يُعْمِلُ فكره، ويحكِّم رأيه دون خروج على نصٍّ، أو تصادم مع أَثَرٍ، ومن ثَمَّ اضطلع بتدوين الفقه الإسلامي على منهج وَضَعَه، وسبيل عَبَّدَه، وطريق يَسَّرَه.

وقد حدَّد الإمام أبو حنيفة بنفسه مصادر فقهه ومنهجه في الإفتاء بقوله : "آخذ بكتاب الله، فما لم أجد فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن لم أجد في كتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذت بقول أصحابه، آخذ بقول مَن شئتُ منهم، وأَدَعُ مَن شئتُ منهم، ولا أَخْرُج من قولهم إلى قول غيرهم، فإذا ما انتهى الأمر، أو جاء إلى إبراهيم والشعبي وابن سيرين والحسن وعطاء وسعيد بن المسيب.. فقومٌ اجتهدوا، فأَجْتَهِدُ كما اجتهدوا."
وهذا القدر من أصول التشريع لا يختلف فيه أبو حنيفة عن غيره من الأئمة، فهم يتَّفقون جميعًا على وجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة لاستنباط الأحكام منها، غير أن أبا حنيفة تميَّز بمنهج مستقلٍّ في الاجتهاد، وطريقة خاصة في استنباط الأحكام التي لا تقف عند ظاهر النصوص، بل تغوص إلى المعاني التي تُشير إليها، وتتعمَّق في مقاصدها وغاياتها.

ولا يعني اشتهار أبي حنيفة بالقول بالرأي والإكثار من القياس أنه يُهْمِل الأخذ بالأحاديث والآثار، أو أنه قليل البضاعة فيها، بل كان يشترط في قَبُول الحديث شروطًا متشدِّدة، مُبَالَغَة في التحرّي والضبط، والتأكُّد من صحَّة نسبتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا التشدُّد في قبول الحديث هو ما حمله على التوسُّع في تفسير ما صحَّ عنده منها، والإكثار من القياس عليها، حتى يُوَاجه النوازل والمشكلات المتجدِّدة.

وثاني هؤلاء الأئمة هو مالك بن أنس بن مالك الأصبحي، الذي ولد سنة ٩٣هـ، وتُوُفِّيَ سنة ١٧٩هـ، وعاش في المدينة المنورة، واشتهر بكتابه (المُوَطَّأ)

وإذا ذُكر الموطَّأ]ذُكِرَ به الإمام مالك، وعَظُم به، وإذا ذُكر الإمام مالك ذُكر به الموطأ وعَظُم به، فهما متلازمان كالشيء وظلِّه، وقد يكون الموطأ أوّل كتاب وأشهره في ترتيبه وتركيبه، وفي اجتهاده ونقله، وفي حديثه وفقهه، وهو أعظم مرجع في عصره وأقدمه، ولم يُعتَنَ بكتاب من كتب الحديث والعلم اعتناء الناس بالموطأ، فإن الموافِق والمخالِف اجتمع على تقديره، وتفضيله وروايته، وتقدُّم حديثه وتصحيحه، فأمَّا من اعتنى بالكلام على رجاله وحديثه والتصنيف في ذلك فعدد كثير من المالكيين، وغيرهم من أصحاب الحديث.

وثالث هؤلاء الأئمة هو محمد بن إدريس الشافعي الهاشمي المطَّلبي، الذي وُلِدَ في غزة بفلسطين سنة ١٥٠هـ، وتُوُفِّيَ في مصر سنة ٢٠٤هـ، وقد وضع مذهبه الجديد فيها.

أما رابع هؤلاء الأئمة فهو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني، الذي وُلِدَ في بغداد سنة ١٦٤هـ، وتُوُفِّيَ فيها سنة ٢٤١هـ.

ويُعَدُّ الأَثَرُ أساس اجتهاد الإمام أحمد رحمه الله، ولا يَعْدِل عنه إلى القياس حتى يستنفد النصوص، ثم اجتهاد الصحابة، وإذا كان للصحابة رأيانِ رجَّح بينهما أو أقرَّ الرأيين معًا، ولهذا يُروى عنه في المسألة روايتان، وحينًا ثلاث روايات، قال عبد الوهاب الوراق: ما رأيت مثل أحمد بن حنبل. فقالوا له: وأيُّ شيء بان لك من فضله؟ قال: رجل سُئل ستِّين ألف مسألة، فأجاب فيها: حدَّثنا وأخبرنا". وليس معنى أن يكون جوابه للمسألة بحدَّثنا وأخبرنا أنه كان يُلقي بالأثر من غير فقه، بل كان دقيقًا بما يُفْتِي، عليمًا بما يَأْخُذُ أو ما يَدَعُ، حتى إنه ربما أجاب إجابة فيها من بُعْدِ النظر وشموله ما لا يصل إليه كثير ممن شُهِرَ بالاجتهاد.

وهناك قاعدة يُطَبَّق عليها الفقه الحنبلي، اختصرها ابن تيمية في قوله: "توقيف في العبادات، وعفو في المعاملات". وقد فصَّل هذا القول ابن القيم بقوله: الأصل في العبادات البُطلان، حتى يقوم دليل

على الأمر، والأصل في العقود والمعاملات الصحَّة حتى يقوم دليل على البطلان والتحريم، والفرق بينهما أن الله عز وجل لا يُعْبَد إلا بما شرعه على أَلْسِنَةِ رسله، فإن العبادة حقُّه على عباده، وحقُّه الذي أحقَّه هو، ورضي به وشرعه، وأمَّا العقود والشروط والمعاملات فهي عفو حتى يُحَرِّمَها؛ ولهذا نعى الله على المشركين مخالفة هذين الأصلين: وهو تحريم ما لم يُحَرِّمْه، والتقرُّب إليه بما لم يشرعه. وهذا الأصل يُعطي الفقه الحنبلي صفة الحركة والمرونة، اللَّتين تَحِلانِ أكثر مشاكل العصور والأمم.

عصر المجتهدين

وهكذا كان عصر الأئمة الأربعة الذين تطور الفقه على أيديهم، وانتقل إلى مرحلة عالية، الأمر الذي تفتَّحت فيه عين الفقه بعد ذلك، وكثُر التلاميذ، كما كثُر الدارسون، بل الأئمة أيضًا.

المذاهب الثمانية

هذا وقد انحسرت موجة التاريخ عن ثمانية مذاهب معروفة دُوِّنَت وجُمِعَت، ودُرِسَتْ من التلاميذ في الأماكن التي انتشرت فيها تلك المذاهب، وبعضها كَثُرَ عدد معتنقيه، وبمقدارهم كان الدرس والفحص، وبعضهم تعدَّدت أماكنه، وحيثما حلَّ تأثر بعادات الإقليم وعُرْفِه، وذلك في غير ما ثَبَتَ بالنصِّ كما ترى في المذهب الحنفي، في اختلاف العادات بين فقه أرض الروم، وما وراء النهر، والعراقيين، والاختلاف فيه اختلافُ أعرافٍ لا اختلاف فقه. وتلك المذاهب الثمانية التي سُجِّلَت في التاريخ هي: المذهب الحنفي، والمذهب المالكي، والمذهب الشافعي، والمذهب الحنبلي، وهذه كما يُعَبِّر الفقهاء (مذاهب الأمصار)، أي أنها التي انتشرت في الأمصار الإسلامية، ولا يخلو مصر منها، وقد يخلو من بعضها، ولا يخلو من كلها.

وهناك مذاهب أربعة أخرى هي :

١- مذهب الإمام زيد بن علي زين العابدين المُتَوَفَّى سنة ١٢٢هـ، وهو أقرب مذاهب أهل البيت إلى مذاهب الأئمة الأربعة، بل إن المخرِّجين فيه في خراسان كانوا إذا لم يجدوا نصًّا مأثورًا عن الإمام زيد، أخذوا باجتهاد أبي حنيفة رضي الله عنهما، وهو منتشر في اليمن وخراسان.

٢- المذهب الثاني مذهب الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر، وقد تُوُفِّيَ أبو عبد الله سنة ١٤٨هـ ، وقد أخذ عنه الإمام أبو حنيفة وروى عنه أحاديث، وقال فيه: ما رأيت أحدًا أعلم باختلاف الناس من جعفر بن محمد. وهو منتشر في شيعة العراق وإيران، وبعض إندونيسيا وباكستان والهند.

٣- المذهب الثالث مذهب داود الأصفهاني الظاهري، الذي كان تلميذًا للشافعي رضى الله عنه، وهو الذي قَصَرَ الاستنباط الفقهي على النصوص، وأقامه على القرآن وعلى السنة دون غيرهما، وقد دوَّن المذهب من بعده ابن حزم، وشدَّد في التمسُّك بالنصِّ أشدَّ من داود، وألَّف في ذلك كتابه (المُحَلَّى)، وإنه وإن كان المذهب لا يُعْلَمُ مَن يَعْمَلُ به بعد عصر الموحِّدين في الأندلس، فهو جامع للفقه الإسلامي، وهو ديوان من دواوينه، كما سمَّاه هو.

٤- المذهب الرابع هو مذهب الإباضية، ويُنْسَب إلى عبد الله بن إباض، وهو مذهب يقوم على أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يخالِف مذهب السنة إلا في الفروع، والتاريخ الإسلامي يذكر أن عبد الله بن إباض كان من الخوارج المعتزلة، الذين لا يُكَفِّرون المسلمين لما يزعمونه من أخطائهم، بل إنهم يقولون: إنهم كُفَّار نعمة.

ثم انتقل الفقه بعد عصر الأئمة إلى مرحلة جديدة تمتدُّ من منتصف القرن الرابع إلى عصر النهضة الفقهية الحديثة، وهو عصر التقليد والجمود.

فقد أحاطت بالفقه الإسلامي في بعض أدواره التاريخية عوامل سياسية واجتماعية وعلمية، تضخَّم على إثرها فقه العبادات والمعاملات على حساب فقه السياسة والاقتصاد والعَلاقات الدُّولية، كما تغيَّرت بفعل تلك العوامل تركيبة المنظومة الفقهية، فأصبح التقليد قاعدة، والاجتهاد استثناء، الأمر الذي ترك آثارًا سلبيَّة على العقل الفقهي على مستوى المنهج والإنتاج.

أما المنهج فقد استُبدِلت بنصوص الشريعة (الكتاب والسنة) نصوص الأئمة المجتهدين في الاستنباط والاستدلال الفقهيين، كما اعتنى الفقهاء بتقرير الأحكام المجرَّدة أكثر من عنايتهم بقواعد تنزيلها على الواقع، فضمرت إلى حدٍّ ما صلة الفقه بالحياة العامَّة.

أما على مستوى الإنتاج، فقد اشتغل العقل الفقهي بعد توقُّف حركة الاجتهاد -في الغالب الأعمِّ- بإنتاج تعليمي يتعامل مع المتون، ولا يلتفت إلى قضايا الأمة، وحاجات أبنائها، ومتطلبات وجودها الحضاري.

ابن تيمية .. صاحب مدرسة التجديد

فقد اتَّسمت الدراسات في عهد ابن تيمية بالتحيُّزِ الفكري، فكلٌّ له إمام يتبعه في الفقه وفي العقيدة، وقد ابتدأ ذلك بالخلاف بين المذاهب في القرن الرابع، والتعصّب المذهبي فيه سواء أكان في الفقه أو في الاعتقاد، وتوارثت الأجيال ذلك التحيُّز الفكري، فانتقل إليها مدوَّنًا في الكتب، وإنك لتجد

بعض الكتب الضخام فتقرأ أحدها فتجده كله قائمًا على شرح الخلافات القديمة، وبيان أوجه النظر المختلِفة، والتعصُّب لرأي منها، وقد سرى ذلك إلى المعاصرين لابن تيمية، فكان ذلك محلَّ الخلاف بينه وبينهم، هم يتبعون الرجال على أسمائهم، وهو يتبع الدليل أنَّى يكون، وإذا كانت القرون الثلاثة السادس والسابع والثامن قد امتازت في العلم بشيء، فقد امتازت بكثرة العلم، لا بكثرة الفكر، فقد كانت المعلومات كثيرة جدًّا، وتحصيلها كان بقدر عظيم، ولكنَّ التفكير في وزن الأدلة بالمقاييس السليمة من غير تحيُّز كان قليلاً، ولم يكن متناسبًا مع الثروة التي كانت موجودة في ذلك العصر، وقد استفاد ابن تيمية من هذه المادة العلمية إن ابن تيمية يُعتَبر نقطة تحوُّل كبيرة في تاريخ الفقه الإسلامي، حيث اعتمد في اختياراته الفقهية على النظر في الأدلَّة، والأخذ بالقويّ من آراء الفقهاء السابقين، واستخرج أحكامًا للقضايا الجديدة في عصره.

وإذا كان من علامات المجدِّد البارزة أن يعمَّ علمه ونفعه أهلَ عصره، فإنَّ لابن تيمية قَصَب السبق في ذلك، إذ تكوَّنت في حياته مدرسة كبرى، واتجاه علمي وعملي متميّز، وباستقراء سريع لأبرز مَن تخرَّجوا من هذه المدرسة نُدرِك عظمتها ومكانتها في الفكر الإسلامي؛ فابن القيّم المُتَوَفَّى سنة ٧٤٢هـ، وابن كثير المُتَوَفَّى سنة ٧٧٤هـ، وابن عبد الهادي المُتَوَفَّى سنة ٧٤٤هـ، والبَزَّار المُتَوَفَّى سنة ٧٤٩هـ وغيرهم كثير، تخرَّج في هذه المدرسة العظيمة، وما زالت كتب ابن تيمية وكتب تلامذته حيَّة على مرِّ الدهور، وتتابُع الأيام يَنْهَلُ منها العلماء، ويفيء إلى ظلِّها المهتدون، ويستنير بظلِّها وسناها الحائرون.

الإمام الشوكاني

كما يُعَدُّ الإمام الشوكاني (١١٧٣- ١٢٥٠هـ) كذلك من أبرز مَن انخرط في الواقع السياسي والاجتماعي، كما عاين عن كَثَبٍ الواقع الثقافي والعَقَدِي، وتَعَمَّق في درسه، وأثمر ذلك كله اجتهادًا فقهيًّا ثريًّا ظهر جليًّا في كتبه المختلفة. ولقد جلبت شخصية الشوكاني الكثير من الباحثين، الذين حاولوا التعرُّف على رصيده العلمي، ومدى تجاوزه للمنظومة المعرفيَّة والفقهيَّة التي كانت سائدة في عصره، والمتأمِّل في هذه الدراسات يجدُها تمحورت في مجالات عديدة من فِكْرِه، لكن جانب الفقه والأصول لم يَلْقَ الاهتمام اللازم من قِبَلِ الباحثين.

التجديد والإصلاح في العصر الحديث

هذا وقد بات الفقه في عصوره المتأخِّرة من الأمور الجامدة التي يصعب على كثير من الناس فَهْمَه، لكن مع قدوم القرن العشرين الميلادي، بدأت صيحات كثيرة تنادي بالتجديد والإصلاح في كل المجالات، وكان علم الفقه من العلوم التي لحقها الجمود والخمول؛ بسبب عدم المناداة بالاجتهاد،

والوقوف عند مسائل فقهية قديمة لا تتوافق مع العصر الحديث، فقام كثير من العلماء بتجديد الفقه، وجعله مسايرًا للعصر دون خروج عن الضوابط الشرعية، والقواعد الأصولية العامَّة التي حدَّدها الشارع الكريم.

٧ – اسمه : أسماء هذا العلم يقال عنه الفقه ، وعلم الأحكام ، وعلم الفروع ، والقانون وهي تسمية معاصرة في بعض الأقطار.

٨- استمداده : يستمد هذا العلم أصوله وأحكامه من مصادر متفق عليها وهي : الكتاب والسنة والإجماع والقياس . ويختلفون فيما عدا ذلك من أصول فلكل مذهب أصوله وقواعده.

٩- حكمه : الوجوب العيني، للقدر الذي تتوقف عليه صحة العبادات والمعاملات، والكفائي لما زاد على ذلك حتى يحيط بمعظم الأحكام. والندب فيما عدا ذلك.

١٠- مسائله : مسائل الفقه لا حصر لها ويكون تقسيم المسائل في المذاهب الأربعة كالآتى :

ينقسم الفقه إلى أربعة أقسام :

العبادات، المعاملات، الجنايات والديات، القضاء والدعاوى والبينات.

ربع العبادات: أوله الطهارة، وبدئ بها لأنها تتقدم الصلاة وشرط من شروطها، وذلك أن الإنسان إذا بلغ سن التكليف، طولب بأداء أركان الإسلام الخمسة، فإذا أقر بالشهادتين، فلابد من أداء الصلاة والزكاة والصوم والحج ثم إذا قام بذلك كاملاً وجبت عليه الدعوة إلى الله إما باللسان أو بالسنان فشرع الجهاد في سبيل الله وألحق بالعبادات وإذا أدى هذا كله احتاج إلى مأكل ومشرب وملبس ومسكن ولا بد من الحالة الاجتماعية وهي الاختلاط بالناس - فرادى وجماعات – للتعاون – وتبادل المنافع من البيع والشراء والهبة والإجارة والعارية ونحوها فجاء ربع المعاملات. ثم إنه إذا أكل وشرب ولبس وسكن ... فلابد له من أنيس يؤنسه ويشاركه الحياة خيرها وشرها حلوها ومرها فشرعت الأنكحة وحيث إنها قد لا تدوم، بل قد يطرأ عليها بعض الأشياء الموجبة للفراق شرع الطلاق واللعان والعدد. ومن طبيعة البشر إنه إذا شبع ونكح أشر وبطر فظلم واعتدى فجاء ربع الجنايات والديات. وحيث إن هذه الأشياء كلها قد تؤول إلى الخصام والمنازعات بين الأفراد والجماعات ولا بد للناس من حكام يحكمون بينهم على وفق الشريعة ولئلا تبقى هذه البشرية فوضى جاء ربع القضاء والدعاوى والبينات.

هذا التقسيم اصطلح عليه فقهاء المتأخرين أما المتوسطون والمتقدمون فإنهم يقدمون بعضها على بعض فتجد الجهاد في آخر كتبهم وتجد الأفراد في أولها وتجد البيوع في آخر بعضها والمهم هنا هو معرفة انقسام الفقه من حيث هو.

من أهم المصنفات فى علم الفقه :

أولا : المصنفات فى الأصول والفروع والمسائل الفقهية على المذهب الحنفي :

- حاشية ابن عابدين، موسوعة فقهية شاملة في الفقه الحنفي، تطرق فيه مؤلفه ابن عابدين إلى شرح المفردات لغويا، وجاء بالأدلة الشرعية من الآيات والأحاديث وفصل آراء أصحاب المذهب وأقوالهم، والمعتمد في المذهب والظاهر فيه، كما أنه يأتي في بعض الأحيان على آراء المذاهب الباقية. وتعتبر حاشية ابن عابدين من أفضل ما كتبه المتأخرون في فروع الحنفية.
- البحر الرائق شرح كنز الدقائق - المؤلف: زين الدين بن إبراهيم بن نجيم، المعروف بابن نجيم المصري (المتوفى: ٩٧٠ هـ).
- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع - المؤلف: أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني علاء الدين (المتوفى:٥٨٧ هـ).
- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق - المؤلف: فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي (المتوفى: ٧٤٣ هـ).
- تحفة الفقهاء - المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي أحمد، أبو بكر علاء الدين السمرقندي (المتوفى: نحو ٥٤٠ هـ).
- حاشية رد المحتار على الدر المختار (حاشية ابن عابدين)، ويليه قرة عيون الاخيار - المؤلف: ابن عابدين، محمد أمين بن عمر (المتوفى: ١٢٥٢ هـ). - علاء الدين محمد بن محمد أمين المعروف بابن عابدين (المتوفى: ١٣٠٦ هـ).
- العناية شرح الهداية - المؤلف: محمد بن محمد البابرتي (المتوفى: ٧٨٦ هـ).
- فتح القدير - المؤلف: كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام (المتوفى: ٨٦١ هـ).

- اللباب في شرح الكتاب - المؤلف: عبد الغني الغنيمي الدمشقي الميداني الحنفي (المتوفى: ١٢٩٨ هـ).
- المبسوط - المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣ هـ).
- متن بداية المبتدي في فقه الإمام أبي حنيفة - المؤلف: برهان الدين علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني (المتوفى: ٥٩٣ هـ).

ثانيا : المصنفات فى الأصول والفروع والمسائل الفقهية على المذهب المالكي :

- الرسالة الفقهية، لأبي زيد القيرواني المالكي، أودع المؤلف فيها جميع مذاهب مالك الفقهي في الفرائض والسنن والأدب التي يحتاجها المسلم في أمور الدنيا والآخرة. ورتبة على أبواب الفقه المالكي إلا أنه اعتمد الاختصار الشديد، والابتعاد عن الإسهاب والتطويل، وأراد منه أن يكون مرجعاً جامعاً لكل ما يحتاجه المسلم في أمور العبادات
- إرشاد السالك - المؤلف: عبد الرحمن شهاب الدين البغدادي (المتوفى: ٧٣٢ هـ).
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد - المؤلف: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥ هـ).
- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل - المؤلف: أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (المتوفى: ٤٥٠ هـ).
- التاج والإكليل لمختصر خليل - المؤلف: أبو عبد الله محمد بن يوسف العبدري الشهير بالمواق (المتوفى:٨٩٧ هـ).
- تهذيب مسائل المدونة (المسمى التهذيب في اختصار المدونة) - المؤلف: أبو سعيد خلف بن أبي القاسم القيرواني البراذعي (المتوفى: ٣٧٢ هـ).
- الثمر الدانى في تقريب المعاني شرح رسالة ابن أبى زيد القيرواني - المؤلف: صالح عبد السميع الأزهري (المتوفى: ١٣٣٥ هـ).
- جامع الأمهات - المؤلف: جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر ابن أبي بكر المشهور بابن الحاجب الكردي المالكي (المتوفى: ٦٤٦ هـ).

- خلاصة الجواهر الزكية في فقه المالكية -المؤلف: أحمد بن تُرْكي بن أحمد المنشليلي المالكي (المتوفى:٩٧٩ هـ).
- الخلاصة الفقهية على مذهب السادة المالكية المؤلف: محمد العربى القروى
- رسالة القيرواني - المؤلف: ابن أبي زيد القيرواني، عبد الله بن عبد الرحمن (المتوفى: ٣٨٦ هـ).
- شرح حدود ابن عرفة - المؤلف: محمد بن قاسم الأنصاري، أبو عبد الله، الرصاع (المتوفى: ٨٩٤ هـ).
- شرح مختصر خليل للخرشي - المؤلف: محمد بن عبد الله الخرشي (المتوفى: ١١٠١ هـ).
- الشرح الكبير - المؤلف: أبو البركات أحمد بن محمد العدوي، الشهير بالدردير (المتوفى: ١٢٠١ هـ).
- الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني - المؤلف: أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي (المتوفى: ١١٢٦ هـ).
- الكافي في فقه أهل المدينة - المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي (المتوفى: ٤٦٣ هـ).
- متن الرسالة - المؤلف: ابن أبي زيد القيرواني، عبد الله بن عبد الرحمن (المتوفى: ٣٨٦ هـ).
- متن العشماوية في مذهب الإمام مالك - المؤلف: عبد الباري بن أحمد بن عبد الغني بن عتيق بن الشيخ سعيد بن الشيخ حسن، أبو النجا العشماوي القاهري الأزهري المالكي (المتوفى: حوالي ١٠٠٠ هـ).
- المدونة الكبرى - المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩ هـ).
- مختصر خليل - المؤلف: خليل بن إسحاق الجندي (المتوفى: ٧٧٦ هـ).
- مختصر عبد الرحمن الأخضري في العبادات على مذهب الإمام مالك - المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الصغير الأخضري (المتوفى: ٩٨٣ هـ).
- منح الجليل شرح مختصر خليل - المؤلف: محمد بن أحمد عليش (المتوفى: ١٢٩٩ هـ).

- مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل - المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني (المتوفى: ٩٥٤ هـ).

ثالثا : المصنفات فى الأصول والفروع والمسائل الفقهية على المذهب الشافعي :

- كتاب الأم، لمحمد بن إدريس الشافعي هو موسوعة ضخمة شملت الفروع والأصول واللغة والتفسير والحديث، كَمَا إِنَّهُ حوى بَيْنَ دفتيه عدداً هائلاً من الأحاديث والآثار وفقه السلف الصالح.
- أسنى المطالب في شرح روض الطالب - المؤلف: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦ هـ).
- الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع - المؤلف: محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (المتوفى: ٩٧٧ هـ).
- الأم - المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إدريس القرشي المطلبي، الشافعي المكي، (المتوفى: ٢٠٤ هـ).
- تحفة المحتاج بشرح المنهاج - المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد، ابن حجر الهيتمي (المتوفى: ٩٧٤ هـ).
- المجموع شرح المهذب - المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦ هـ).
- حاشية البجيرمي على الخطيب المسمى الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع - المؤلف: سليمان بن محمد البجيرمي (المتوفى: ١٢٢١ هـ).
- خبايا الزوايا - المؤلف: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي الشافعي (المتوفى: ٧٩٤ هـ).
- الحاوي في فقه الشافعي - المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠ هـ).
- الرسالة - المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إدريس القرشي المطلبي، الشافعي المكي، (المتوفى: ٢٠٤ هـ).

- روضة الطالبين وعمدة المفتين - المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦ هـ).
- زاد المحتاج بشرح المنهاج - المؤلف: عبد الله بن الشيخ حسن الحسن الكوهجي (المتوفى: ١٤٠٨ هـ).
- عمدة السالك وعدة الناسك - المؤلف: أحمد بن لؤلؤ بن عبد الله الرومي، أبو العباس، شهاب الدين ابن النَّقِيب الشافعي (المتوفى: ٧٦٩ هـ).
- الغاية والتقريب متن أبي شجاع - أحمد بن الحسين بن أحمد الأصفهاني أبو شجاع
- فتح العزيز بشرح الوجيز (الشرح الكبير) - المؤلف: عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني (المتوفى: ٦٢٣ هـ).
- فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب - المؤلف: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦ هـ).
- فيض الإله المالك في حل ألفاظ عمدة السالك وعدة الناسك - المؤلف: عمر بركات بن السيد محمد بركات الشامي البقاعي المكي - أحمد بن النقيب شهاب الدين أبو العباس
- كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار - المؤلف: تقي الدين أبو بكر بن محمد الحسيني الحصني الدمشقي الشافعي (المتوفى: ٨٢٩ هـ).
- مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج - المؤلف: محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (المتوفى: ٩٧٧ هـ).
- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج - المؤلف: شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي (المتوفى: ١٠٠٤ هـ).

رابعا : المصنفات فى الأصول والفروع والمسائل الفقهية على المذهب الحنبلي :

- كتاب المغني وهو من أهم المراجع الفقهية للمذهب الحنبلي إن لم يكن أهمها على الإطلاق والمغني ليس كتاب مذهبٍ فقط، وإنما هو موسوعة جامعة في الفقه المقارن. حشد فيه صاحبه الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، وتحرى مسايرة آراء الإمام أحمد بن حنبل فيما ذهب إليه من ترجيحات، لكنه كان يعرض آراء المذاهب الأخرى.

- الاختيارات العلمية من الاختيارات الفقهية لشيخ الإسلام ابن تيمية - المؤلف: تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى:٧٢٨ هـ).
- الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل - المؤلف: شرف الدين موسى بن أحمد بن موسى أبو النجا الحجاوي (المتوفى: ٩٦٠ هـ).
- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف - المؤلف: علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي (المتوفى: ٨٨٥ هـ).
- بداية العابد وكفاية الزاهد (في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل) - المؤلف: عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد البعلي الخلوتي الحنبلي (المتوفى: ١١٩٢ هـ).
- حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع - المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي (المتوفى: ١٣٩٢ هـ).
- الدرر السنية في الأجوبة النجدية - المؤلف: مجموعة من العلماء
- الروض المربع على مختصر المقنع - المؤلف: منصور بن يونس بن صلاح البهوتي
- زاد المستقنع في اختصار المقنع - المؤلف: شرف الدين موسى بن أحمد بن موسى أبو النجا الحجاوي (المتوفى: ٩٦٠ هـ).
- شرح أخصر المختصرات - المؤلف: عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبرين
- شرح منتهى الإرادات - المؤلف: منصور بن يونس بن إدريس البهوتي (المتوفى: ١٠٥١ هـ).
- الشرح الكبير على متن المقنع - المؤلف: ابن قدامة المقدسي، عبد الرحمن بن محمد (المتوفى: ٦٨٢ هـ).
- الشرح الممتع على زاد المستقنع - المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١ هـ).
- العدة شرح العمدة - المؤلف: عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد، أبو محمد بهاء الدين المقدسي (المتوفى:٦٢٤ هـ).

- عمدة الفقه - المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠ هـ).
- الفروع - المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي (المتوفى: ٧٦٣ هـ).
- كتاب الفروع ومعه تصحيح الفروع لعلاء الدين علي بن سليمان المرداوي - المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي (المتوفى: ٧٦٣ هـ).
- الكافي في فقه الإمام أحمد - المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠ هـ).
- كشاف القناع عن متن الإقناع - المؤلف: منصور بن يونس بن إدريس البهوتي (المتوفى: ١٠٥١ هـ).
- متن الخِرَقي على مذهب أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني - المؤلف: أبو القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله الخرقي (المتوفى: ٣٣٤ هـ).
- المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل - المؤلف: عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد، ابن تيمية الحراني، أبو البركات، مجد الدين (المتوفى:٦٥٢ هـ).
- مختصر الإنصاف والشرح الكبير - المؤلف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان (المتوفى: ١٢٠٦ هـ).
- مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهَويه - المؤلف: أبو يعقوب إسحاق بن منصور بن بهرام المروزي المعروف بالكوسج (المتوفى: ٢٥١ هـ).
- مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى - المؤلف: مصطفى بن سعد السيوطي الرحيبانى (المتوفى: ١٢٤٣ هـ).
- المغني - المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠ هـ).
- الملخص الفقهي - المؤلف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
- منار السبيل شرح الدليل - المؤلف: ابن ضويان، إبراهيم بن محمد بن سالم (المتوفى: ١٣٥٣ هـ).

خامسا : المصنفات مسائل الفقه بناء على ترجيح الدليل من الكتاب والسنة من غير انحياز إلى مذهب معين أو التي تتعلق بمذهب غير المذاهب الأربع الكبرى :

- سبل السلام شرح بلوغ المرام هو شرح لكتاب (بلوغ المرام) للإمام ابن حجر العسقلاني الذي جمع في معظم الأحاديث التي استنبط منها الفقهاء الأحكام الفقهية، مبينا عقب كل حديث من أخرجه من أئمة الحديث، وموضحا درجة الحديث، ورتبه على أبواب الفقه، وجاء هذا الكتاب فاختصر هذا الشرح، وبين لغة الحديث وسنده، ثم ذكر ما يدل عليه الحديث من الأحكام الفقهية، ومن قال بها من الصحابة والتابعين ومذاهب الفقهاء الأربعة وأئمة مذاهب الزيدية والشيعة، وبين من خالف هذه الأحكام مع نوع المخالفة، ودليلها، ثم يرجح ما يراه موافقا للكتاب والسنة بدون تحيز لمذهب.
- آداب الفتوى والمفتي والمستفتي - المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦ هـ).
- الإجماع - المؤلف: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى: ٣١٩ هـ).
- الأجوبة النافعة لجنة مسجد الجامعة - المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ هـ).
- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام - المؤلف: تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (المتوفى: ٧٠٢ هـ).
- أحكام أهل الذمة - المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ).
- أحكام الجنائز - المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ هـ).
- اختلاف الفقهاء - المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى:٣١٠ هـ).
- الأدلة الرضية لمتن الدرر البهية في المسائل الفقهية - المؤلف: أبو مصعب محمد صبحي بن حسن حلاق
- إرشاد أولى البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب - المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي (المتوفى: ١٣٧٦ هـ).

- الأسئلة والأجوبة الفقهية - المؤلف: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلمان (المتوفى: ١٤٢٢ هـ).
- بلوغ المرام من أدلة الأحكام - المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ).
- تحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام - المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠ هـ).
- التحقيق في أحاديث الخلاف - المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧ هـ).
- الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب - المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ هـ).
- الدراري المضية شرح الدرر البهية - المؤلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفى: ١٢٥٠ هـ).
- الدرر البهية في المسائل الفقهية - المؤلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفى: ١٢٥٠ هـ).
- الروضة الندية شرح الدرر البهية - المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧ هـ).
- سبل السلام شرح بلوغ المرام - المؤلف: محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني (المتوفى: ١١٨٢ هـ).
- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار - المؤلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفى: ١٢٥٠ هـ).
- صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم من التكبير إلى التسليم كأنك تراها - المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ هـ).
- الصلاة وحكم تاركها - المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ).
- الفتاوى الكبرى - المؤلف: تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ).

- الفقه الإسلامي وأدلته - المؤلف: وهبة بن مصطفى الزحيلي
- فقه السنة - المؤلف: سيد سابق (المتوفى: ١٤٢٠ هـ).
- الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة - المؤلف: مجموعة من المؤلفين
- فقه النوازل - المؤلف: بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (المتوفى: ١٤٢٩ هـ).
- مجموع الفتاوى - المؤلف: تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ).
- المحلى - المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦ هـ).
- مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات - المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦ هـ).
- منظومة السبل السوية لفقه السنن المروية - المؤلف: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى: ١٣٧٧ هـ).
- الموسوعة الفقهية الكويتية - صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت
- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار - المؤلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفى: ١٢٥٠ هـ).

(٣) مبادئ علم الفَرائِض

١- حده: أي تعريفه وهو: "علم يعرف به من يرث ومن لا يرث ومقدار ما لكل وارث.
٢- موضوعه: وهو التركة: وهي ما يتركه الميت بعد وفاته.
٣- ثمرته: فائدة تعلمه هو إيصال ذوي الحقوق حقوقهم.
٤- نسبته : هو من العلوم النقلية كالفقه والحديث...
٥- فضله: ما ورد في الأحاديث من الحث على تعلمه وتعليمه.
٦- واضعه: هو الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أوَّلاً، وما بيّنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنته ثانيا.
٧- اسمه: علم الفرائض وعلم المواريث.

٨- استمداده: مستمد من الكتاب والسنة والإجماع.
٩- حكمه: تعلمه فرض كفاية إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين.
١٠- مسائله: معرفة الوارث ومن لا يرث ومقدار ما لكل وارث ونوع إرثه من فرض وتعصيب، وما يتبع ذلك من حساب الأنصباء، وكيفية عمل المناسخات وقسمة التركات.

مصطلحات علم الفرائض:
يجد القارئ في كتب الفرائض بعض المصطلحات يقف عند كل منها متشوقا لمعرفة معناها فحتى لا تنقطع السبل وحتى لا يقف عن متابعة البحث.
ونذكر منها :
الفرض: لغة معناه التقدير، وجمعه فروض ومنه فروض الميراث أي أنصباء الورثة المقدرة كالنصف والربع والثلث والسدس.
والفرض في الاصطلاح : هو النصيب المقدر شرعا للوارث.
أصحاب الفروض: هم الذين لهم سهام مقدرة في كتاب الله تعالى كالزوجة أو في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كالجدة أو في الإجماع كبنت الابن.
السهم: هو الجزء المعطى لكل وارث من أصل المسألة وقد يطلق على النصيب.
التركة: بفتح التاء وكسر الراء أو بكسر التاء وسكون الراء، تطلق على الشيء المتروك.
وفي الاصطلاح هي: ما يتركه الميت صافيا عن تعلق حق الغير بعين منها.
الميراث: هو ما يتركه الميت، ويأتي مرادفا للإرث والتراث.
واصطلاحا: هو حق قابل للتجزيء يثبت لمستحقه بعد موت من كان له ذلك، لقرابة بينهما أو نحوها كالزوجية والولاء.
وقد ورد لفظ الميراث في القرآن الكريم في نحو خمس وثلاثين آية.
الفرع: إذا أطلق لفظ الفرع في الميراث يراد به ابن الميت وبنته وفروع هؤلاء وإن نزلوا فإذا قيل (الفرع الوارث) يراد به الابن والبنت وابن الابن وإن نزل وبنت الابن وإن نزل أبوهما.
الأصل: بقصد به الأصل الوارث مهما علا، ويشمل الأب والأم والجد من جهة الأب وإن علا والجدات من جهة الأب والأم، فإن قيل الأصل الذكر فهو الأب أو الجد.
الأخ: يعم الأخ من أب وأم أي الشقيق والأخ لأب والأخ لأم، والأولان من العصبات والثالث من أصحاب الفروض إلا إذا كان ابن عم أيضا فإنه يرث بالوصفين (الفرض والتعصيب).
بنو الأعيان: هم الإخوة الأشقاء سموا بذلك لأنهم ولدوا من عين واحدة أي من أب واحد وأم واحدة وهذه الأخوة التي تجمعهم تسمى المعاينة.

بنو العَلَّات: هم الإخوة والأخوات لأب سموا بذلك لأن الزوج قد علَّ من زوجته الثانية، والعلل الشرب الثاني يقال: علَّه إذا سقاه السقية الثانية، أو لأنهم من نسوة علات أي ضرائر.

بنو الأخياف: وهم الإخوة لأم سموا بذلك لأنهم من أخلاط الرجال لا من رجل واحد وقيل تشبيها لهم بالفرس الأخيف، وهو الذي له عين زرقاء وأخرى سوداء.

العصبة: تطلق على الإحاطة والشدة والتقوية في اللغة، وعصب الرجل بنوه وقرابته لأبيه سموا بذلك لإحاطتهم به ، فالابن طرف والأب طرف والأخ جانب والعم جانب.

وفي الاصطلاح هي: من ليس له فرض مسمى.

والعصبة قسمان: وعصبة نسبية وعصبة سببية، والعصبة النسبية ثلاثة أقسام أيضا: عصبة بالنفس، وعصبة بالغير، وعصبة مع الغير.

الحَجْب: في اللغة المنع والستر، وفي الاصطلاح: منع شخص معين عن بعض ميراثه أو كله، وهو قسمان: حجب بالشخص وحجب بالوصف.

والحجب بالشخص: قسمان حجب حرمان وحجب نقصان.

العَوْل: يطلق على الميل والجور والارتفاع والزيادة، ومنه عال في الحكم إذا جار ومال وعال الميزان إذا ارتفع.

وفي الاصطلاح هو: أن تزيد سهام الفريضة عن أصل هذه المسألة فيدخل النقصان على أهل الفرائض.

الرَد: في اللغة الصرف والرجوع.

وفي الاصطلاح: صرف ما فضل عن ذوي الفروض عند عدم العصبات.

الحساب: لغة : مصدر حسَبَ يحسب حسبًا وحسابا وحسابة.

اصطلاحا: علم بأصول يتوصل بها إلى استخراج المجهولات العددية.

التأصيل: المراد به أصل المسألة وهو أقل عدد يمكن أن تؤخذ منه سهام الورثة صحيحة من غير كسر، أو هو المضاعف المشترك البسيط لمقامات فروض المسألة.

التصحيح: هو أن يكون مقدار الذي يستحقه بعض الورثة لا يقبل القسمة عليهم قسمة صحيحة وعندئذ تعدل السهام بأرقام صحيحة.

الفريق: يعبر عنه تارة بالصنف وتارة بالحيز وتارة بالجنس وتارة بالنوع وتارة بالرؤوس وتارة بالفرقة، وتارة بالطائفة والمراد به جماعة اشتركوا في فرض واحد أو فيما بقي بعد الفرض.

الرؤوس: يعبر عن أفراد الفريق بالرؤوس، وإذا كان الفريق عصبة بالغير (ذكورا و إناثا) جعل الذكر رأسين لقوله تعالى: ﴿ للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾[النساء:١١]، مثل البنت مع الابن.

الانكسار: هو أن يكون في المسألة سهم فأكثر لا يقبل القسمة على عدد الرؤوس بدون كسر.

جزء السهم: أصغر عدد يضرب فيه الأصل-ولو عائلا– لمعرفة نصيب الفرد بلا كسر.

الرواجع: هي الأعداد الناتجة بعد النظر بين السهام والرؤوس المتوافقة والمتباينة.

المصح: هو ناتج ضرب أصل المسألة في جزء السهم.

الجامعة: نهاية مصححات المسائل.

المماثلة: اسم نسبة بين عددين متساويين في القيمة مثل (٣- ٣) والحكم فيها الاكتفاء بإحدى المماثلات مهما كثرت.

المداخلة: وتسمى المناسبة، اسم نسبة بين عددين أكبرهما يقبل القسمة على أصغرهما بلا كسر مثل (٦-٣)،

(٨-٤) والحكم فيها الاكتفاء بأكبرهما مهما كثرت.

الموافقة: اسم نسبة بين عددين لا يقبل كل منهما القسمة على الآخر بلا كسر ولكنهما يقبلان معا القسمة بلا كسر على عدد فأكثر غيرهما مثل (٦-٤) والحكم فيها ضرب وفق أحد العددين في كامل العدد الآخر.

المباينة: وتسمى المخالفة وهي اسم نسبة بين عددين لا يقبل كل منهما القسمة على الآخر بلا كسر، ولا يقبلان معا القسمة بلا كسر على عدد غيرهما فليس لهما قاسم مشترك مثل (٣- ٤).

الموقوف: هو نوع من أنواع الموافقة والاختصار، وهو نوعان موقوف طلق وموقوف مقيد.

الصماء: لقب لكل مسألة عمها التباين وسميت بالصماء لتحقق الشدة فيها بواسطة عموم التباين لحصوله بين الأنصباء والأصناف وبين الأصناف بعضها مع بعض.

المحاصة: في اللغة تحاص القوم تحاصا، اقتسموا حصصهم، والمحاصة أن يتقاسموا فيأخذ كل منهم حصته، ويقال حاصصته الشيء أي قاسمته.

الإدلاء: هو الاتصال بالميت إما مباشرة بالنفس، كأبي الميت وأمه وابنه وبنته، أو بواسطة، كإدلاء ابن الابن بالابن، وبنت الابن بالابن.

قسمة التركة: هي الثمرة المقصودة من علم الفرائض والمراد بها إيصال ذوي الحقوق حقوقهم من تركة الميت.

ذوو الأرحام: الرحم في اللغة: القرابة، وذوو الأرحام هم أولوا القرابات ويراد بهم في الميراث أقارب الميت الذين ليسوا من أصحاب الفروض وليسوا عصبة.

الكلالة: هو الميت الذي لم يخلف ولدا ولا والدا أو الوارث الذي ليس بولد ولا والد.

يدل على الأول قوله تعالى: ﴿وإن كان رجل يورث كلالة ﴾[النساء:١٢]، فجعل الميت المورث هو الكلالة.

ويدل عل الثاني قول جابر رضي الله عنه حين مرض مرضا أشرف منه على الموت: (يا رسول الله كيف الميراث إنما يرثني كلالة) فجعل الوارث هو الكلالة.

المناسخة: هي أن يموت من ورثة الميت الأول وارث فأكثر قبل قسمة التركة، وسميت مناسخة لأن المسألة الأولى انتسخت بالثانية، أو لأن المال فيها ينتقل من وارث إلى وارث.

التخارج: هي أن يتصالح الورثة جميعا على أن يخرج بعضهم من الميراث نظير جزء معين من التركة أو مبلغ من المال من غيرها.

المعادة: مأخوذة من العد، وهو لغة: الإحصاء، وصورتها اجتماع الإخوة الأشقاء والإخوة لأب مع الجد في مسألة واحدة، فإذا اجتمعوا جميعا فإن الاخوة الأشقاء يدخلون الاخوة لأب في العد معهم فإذا أخذ الجد نصيبه عاد الأشقاء عل الإخوة لأب وأخذوا ما بأيديهم.

الشواذ: جمع شاذة والشاذ المنفرد، والمراد بالشواذ مسائل خرجت عن القاعدة وانفردت بحكم آخر، فلذلك سميت شواذا.

الملقبات: هي المسائل المشهورة بألقاب معينة، وتعرف بالمسائل المشهورة والمسائل الخاصة والمسائل الشاذة أو الشواذ والمسميات من المسائل وملقبات الفرائض كثيرة العمريتان... المشتركة.

المعاياة: جمع معاية، والمعاياة أن تأتي بكلام لا يهتدى إليه فيكون بذلك معجزا، وهي كالمناظرة، وأعياه الأمر أي أشكل عليه، ومنه عيي بالأمر وعن حجته يعييا من باب تعب عيًّا... تقول: إياك ومسائل المعاياة فإنها صعبة المعاناة.

الميْت: بسكون الياء هو من خرجت روحه من جسده والميّت بتشديد الياء من كانت حالته كحالة الأموات بين الأحياء.

قال: أيا سائلي تفسير ميت ومَيت *** فدونك قد فسرت إن كنت تعقل

فما كان ذا روح فذلك ميّــــــــت *** وما الميْت إلا من إلى القبر يحمل

والأظهر القول بالاتحاد. فكل من المخفف والمشدد حقيقة فيمن مات بالفعل، مجاز فيمن سيموت.

الولاء: هو عصوبة سببها نعمة المعتق على رقيقه بالعتق.

الأصل العادل: هو ما كان مجموع سهام أصحاب الفروض يساويه.

الأصل العائل: هو ما كان مجموع سهام أصحاب الفروض أكثر منه.

الأصل الناقص: هو ما كان مجموع سهام الفروض دون سهام المال وليس هناك عصبة.

من أهم المصنفات فى علم الفرائض :

١- شرح رائض الفرائض ليوسف الأسير الحنفي
٢- أحكام التركات والمواريث لمحمد أبو زهرة
٣- أحكام المواريث في الشريعة الاسلامية لنبيل كمال الدين طاحون
٤- أحكام المواريث لأحمد الشافعي
٥- أحكام الميراث في الشريعة الإسلامية لسرحان العتيبي
٦- أحكام ميراث المرأة في الفقه الإسلامي لورود عادل إبراهيم عورتاني - رسالة ماجستير
٧- أسباب الإرث وموانعه في الفقه الإسلامي لجاسم زاهد قرانفيل - رسالة ماجستير
٨- أين حق هؤلاء النساء من الإرث لمنصور بن حسن الفيفي
٩- إعلام النبلاء بأحكام ميراث النساء لأبي نصر محمد الإمام
١٠- اقتصاديات الميراث في الإسلام د. عمر بن فيحان المرزوقي
١١- الإعجاز التشريعي في المواريث لمازن هنية
١٢- الإعجاز التشريعي لنظام لميراث د. أحمد يوسف سليمان
١٣- البداية فى علم المواريث لوحيد عبد السلام بالي
١٤- التحفة الخيرية على الفوائد الشنشورية للباجوري
١٥- التحقيقات المرضية في المباحث الفرضية لصالح الفوزان
١٦- التلخيص في علم الفرائض للخبري
١٧- التهذيب في علم الفرائض والوصايا ت محمد أحمد الخولي
١٨- الخنثى في ضوء الحقائق العلمية المعاصرة - وتطبيقاتها في المحاكم الشرعية بقطاع غزو لعبد الحميد حسن صباح
١٩- الرد في الفرائض فقها وحسابا د. فهد بن عبد الرحمن اليحيى
٢٠- العول في الفرائض فقها وحسابا د. فهد بن عبد الرحمن اليحيى
٢١- الفرائض لسفيان الثوري
٢٢- الفرائض لعبد الكريم اللاحم (ط١) مكتبة المعارف
٢٣- الفرائض لعبد الكريم اللاحم (كتاب منهجي لطلاب المعهد العلمي
٢٤- المواريث في الشريعة الإسلامية على المذاهب الأربعة والعمل عليه في المحاكم المصرية لمريم الداغستاني
٢٥- شرح منظومة القلائد البرهانية لابن عثيمين
٢٦- خلاصة الكلام لمن يريد معرفة علم الفرائض من الأنام لفضل الحضرمي الشافعي - كتاب إلكتروني
٢٧- حاشية الرحبية لابن قاسم.

٢٨- جدول المواريث لمحمد لبيب
٢٩- امتياز المرأة على الرجل في الميراث والنفقة لصلاح الدين سلطان
٣٠- قواعد وضوابط في فقه وحساب الفرائض والمواريث لأحمد بن عمر بن سالم بازمول
٣١- شرح منظومة القلائد البرهانية فى علم الفرائض للشيخ ابن عثيمين

(٤) مبادئ علم أُصُول الفِقْه

١- حده : يعرَّف أكثر الأصوليين أصول الفقه باعتبارين: باعتباره مركباً تركيباً إضافياً وباعتباره علماً ولقباً يطلق على علم معين.

الاعتبار الأول: تعريف أصول الفقه باعتباره مركباً تركيباً إضافياً :

لو نظرنا في اسم هذا العلم لوجدناه مركباً من كلمتين هما (أصول) و (الفقه) والأولى منهما مضافة للثانية؛ لهذا يسمى هذا الاعتبار بالتعريف الإضافي.

ومعرفة المركب مبنية على معرفة أجزائه، لهذا لا بد من تعريف الأصول لغة واصطلاحاً وكذلك الفقه:

الأصول في اللغة: جمع أصل وهو أسفل الشيء وأساسه، وعلى هذا نصت كثير من كتب اللغة.

وقد ذكر الأصوليون عدة معانٍ للأصل في اللغة، إلا أن المعاني اللغوية التي يذكرها الأصوليون لا تخرج عن المعنى الذي ذكره علماء اللغة، فإن من خصائص الأساس: أنه يتفرع عنه غيره وينشأ منه وينبني عليه ويستند إليه ويحتاج إليه ويفتقر إليه ويكون متأخراً عنه...

الأصول في الاصطلاح: له عدة معانٍ أهمها ثلاثة:

١) الدليل: كقولهم: الأصل في وجوب الحج قوله تعالى (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً). أي دليل وجوبه.

٢) القاعدة: كقولهم: (الأمور بمقاصدها) أصل من أصول الشريعة، أي قاعدة من قواعدها.

٣) الراجح: كقولهم: (عند تعارض الحقيقة والمجاز فالحقيقية هي الأصل) أي الراجح عند السامع

الفقه لغة: العلم بالشيء والفهم له.

والفقه اصطلاحاً: العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية . وهذا تعريف جمهور الأصوليين.

شرح التعريف الاصطلاحي للفقه:

العلم : المراد به مطلق الإدراك الشامل للقطع والظن . وهو جنس في التعريف يشمل كل علم سواء أكان علماً بالذوات أم الصفات أم الأفعال كذات زيد ووصفه بالطول وفعله وهو القيام، أو علماً بالأحكام كالإيجاب والتحريم

الأحكام : (قيد أول خرج به ما ليس بأحكام كالذوات والصفات والأفعال)

الشرعية : قيد ثانٍ في التعريف لإخراج الأحكام غير الشرعية كالأحكام العقلية مثل العلم بأن الواحد نصف الاثنين، والأحكام العادية كالعلم بأن النار محرقة.

العملية : قيد ثالث لإخراج الأحكام الشرعية العلمية الاعتقادية ، كوجوب الإيمان بالله.

المكتسب : قيد رابع ، خرج به علم الله تعالى فإنه ليس علماً مكتسباً بالبحث والنظر، بل هو صفة لازمة له جلّ وعلا.

من أدلتها : قيد خامس، خرج به العلم المكتسب من غير الأدلة وهو علم الملائكة، وعلم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

كما خرج به علم المقلد بالأحكام؛ فإنه ليس مكتسباً من الأدلة؛ بل هو مكتسب من المجتهد.

التفصيلية / أي: الأدلة الجزئية التي تتعلق بالمسائل الجزئية، فيدل كل واحد منها على حكم جزئي...

كقوله تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) الذي يدل على حكم بعينه وهو وجوب إقامة الصلاة...

ولفظ التفصيلية : قيد سادس في التعريف يخرج الأدلة الإجمالية الكلية التي لا تتعلق بمسألة معينة كمطلق الأمر، ومطلق الإجماع، فإن هذه الأدلة الإجمالية يبحثها الأصولي وليس الفقيه.

الاعتبار الثاني: تعريف أصول الفقه باعتباره لقباً للفن المخصوص:

بعد أن عرفنا معنى أصول الفقه باعتباره مركباً إضافياً من الكلمتين (أصول) و(الفقه)؛ وذلك ببيان معنى الكلمتين لغة واصطلاحاً ننتقل إلى تعريفه باعتباره لقباً يطلق على هذا الفن المخصوص.

اختلفت مناهج الأصوليين في تعريفه بهذا الاعتبار (اللقبي)، منهم من نظر في تعريفه إلى معناه الوصفي، فعرفوه تبعاً لذلك، ومنهم من نظر في تعريفه إلى معناه الاسمي، فعرفوه تبعاً لذلك.

١- ومن نظر إلى معناه الوصفي: القاضي البيضاوي الشافعي (ت ٦٨٥هـ)؛ حيث عرفه بأنه "معرفة دلائل الفقه إجمالاً، وكيفية الاستفادة منها وحال المستفيد.

٢- ومن نظر إلى معناه الاسمي ابن مفلح الحنبلي(ت ٧٦٣هـ)، حيث عرفه بأنه : القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية الفرعية.

وتمام التعريف المختار عندهم: القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية من الأدلة.

شرح التعريف المختار وبيان محترزاته :

القواعد: جمع قاعدة وهي في اللغة: الأساس.

واصطلاحاً: قضية كلية تنطبق على جميع جزئياتها.

ومثال هذه القواعد قولهم: الأمر المطلق للإيجاب.

فهذه قضية كلية تفيد أن الإيجاب ثابت لكل أمر مطلق من أوامر الكتاب والسنة. مثل قوله تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ)، وقوله تعالى: (وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً)، وقوله صلى الله عليه وسلم: (صوموا لرؤيته).

قوله: التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية أي: التي يتحقق بها الوصول إلى استخراج الأحكام الشرعية. والمراد بالأحكام الشرعية الفقه.

وهذا قيد في التعريف خرج به القواعد التي لا يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية كقواعد اللغة العربية وقواعد الحساب والهندسة...

قوله (من الأدلة): والأدلة صيغة عموم تشمل الأدلة المتفق عليها والأدلة المختلف فيها.

٢- موضوعه : موضوعه هو الأدلة الشرعية الكلية الإجمالية من حيث إثباتها للأحكام الكلية.

فالأصولي يبحث مثلاً القياس وحجيته، والعام وما يفيده والأمر وما يدل عليه وهكذا.

أما الأحكام الشرعية فهي ثمرة الأدلة، وثمرة الشيء تابعة له.

وهذا رأي كثير من الأصوليين منهم الغزالي والآمدي وابن الهمام وابن السبكي وغيرهم.
ولعل مستند هذا الرأي أن مفهوم أصول الفقه هو القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام.
وللوصول إلى هذا المقصود لابد من معرفة الأدلة من حيث:

١) ذات الأدلة، أي كونها حجة أو غير حجة.
٢) وما يثبت منها من الأحكام كالوجوب والتحريم والإباحة والسبب والشرط والمانع...
٣) وكيفية استنباط هذه الأحكام من تلك الأدلة كالبحث عن دلالة الأمر والنهي والعام والمفهوم...
٤) والمستنبط وهو المجتهد ، والله أعلم.

٣- ثمرته :

١- معرفة طرق وأساليب الفقهاء فى استنباط الأحكام.
٢- التمكن فى فهم الأدلة الشرعية فهما صحيحا.
٣- معرفة الراجح من المرجوح من أقوال العلماء.
٤- بمعرفته يستطيع الإنسان أن يدعو إلى الله تعالى بأسلوب مقنع.
٥- صحة تفسير النصوص الشرعية ، واستنباط الأحكام الفقهية.

٤- نسبته : علم أصول الفقه من العلوم الشرعية التي تعرف بعلوم الآلة، أي أنه آلة لتعلم غيره وهو الفقه، فهو للفقه ومسائله كعلم المصطلح للحديث وعلوم القرآن للتفسير.

٥- فضله : يكفي في فضله أنه داخل في العلم الشرعي الذي وردت في بيان فضله ومكانة أهله نصوص لا تحصى من الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح.

٦- واضعه : هو الإمام الشافعي (ت٢٠٤هـ) في كتابه الذي اشتهر بين الناس بـ (الرسالة).

وفي هذا قال الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ) : "كانوا قبل الشافعي يتكلمون في مسائل أصول الفقه ويستدلون ويعترضون، ولكن ما كان لهم قانون كلّيّ مرجوع إليه في معرفة دلائل الشريعة، وفي كيفية معارضاتها وترجيحاتها، فاستنبط الشافعي علم أصول الفقه، ووضع للخلق قانوناً كلياً يرجع إليه في معرفة مراتب أدلة الشرع.

٧- اسمه : أشهر أسمائه: علم أصول الفقه وبعضهم يسميه أصول الأحكام أو الأصول؛ وجميع هذه التسميات وردة على أغلفة كثير من الكتب الأصولية، ومن ذلك: العدة في أصول الفقه لأبي يعلى (ت٤٥٨هـ)، والمستصفى في علم الأصول للغزالي (ت٥٠٥هـ)، والإحكام في أصول الأحكام للآمِدِي (ت٦٣١هـ).

٨- استمداده : من أصول الدين ، وعلم اللغة العربية ، والأحكام الشرعية وتصورها.

٩- حكمه : حكم تعلمه شرعاً: فرض كفاية، كما أن تعلم الفقه فرض كفاية ، فإذا قام بهما من يكفي سقط الإثم عن الباقين. ومما يدل على أنه ليس من فروض الأعيان أنه لا يجب على جميع الناس استنباط الأحكام من الأدلة، بل يجوز الاستفتاء. ومع أنه فرض كفاية على جميع الناس إلا أنه فرض عين على كل من يتصدر للفتيا والاجتهاد والقضاء؛ لأنه بدون معرفة أصول الفقه يحصل للمجتهد في الأحكام الخلل والزلل. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومعرفة أصول الفقه فرض كفاية. وقيل فرض عين على من أراد الاجتهاد .

١٠- مسائله : بين الغزالي (ت ٥٠٥هـ) أن مسائل أصول الفقه ترجع إلى أربعة مباحث هي (الأحكام والأدلة وطرق الاستنباط والاجتهاد)

الأول : في الأحكام، والبداءة بها أولى؛ لأنها الثمرة المطلوبة.

الثاني : في الأدلة، وهي الكتاب والسنة والإجماع، وبها التثنية؛ إذ بعد الفراغ من معرفة الثمرة لا أهم من معرفة المثمر.

الثالث : في طرق الاستثمار أي طرق الاستنباط .

الرابع : في المستثمر وهو المجتهد.. ويقابله المقلد.. فيجب ذكر شروط المقلد والمجتهد وصفاتهما.

من أهم المصنفات فى علم أصول الفقه :

- كتاب الرسالة، من تأليف الإمام الشافعي، يعد هذا الكتاب أقدم ما دُون في أصول الفقه، أراد الشافعي بتأليفه هذا الكتاب أن يضع الضوابط التي يلتزم بها الفقيه أو المجتهد لبيان الأحكام الشرعية لكل حديث ومستحدث في كل عصر.
- الإحكام في أصول الأحكام - المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦ هـ).
- الاحكام في أصول الاحكام - المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي علي محمد الآمدي (المتوفى: ٦٣١ هـ).
- أربع قواعد تدور الأحكام عليها ويليها نبذة في اتباع النصوص مع احترام العلماء - المؤلف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان (المتوفى: ١٢٠٦ هـ).
- إرشاد الفحول لتحقيق الحق من علم الأصول - تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفى: ١٢٥٠ هـ).
- الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية - المؤلف: عبد الرحمن بن أبو بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ).
- أصول السرخسي - المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣ هـ).
- الأصول من علم الأصول - المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١ هـ).
- إعلام الموقعين عن رب العالمين - المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ).
- البرهان في أصول الفقه - المؤلف: أبو المعالي الجويني (المتوفى: ٤٧٨ هـ).
- رسالة لطيفة في أصول الفقه - المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي (المتوفى: ١٣٧٦ هـ).

- رفع الملام عن الأئمة الأعلام - المؤلف: تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ).
- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل - المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠ هـ).
- شرح الورقات في أصول الفقه - المؤلف: عبد الكريم الخضير
- شرح منظومة القواعد والأصول - المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١ هـ).
- صفة الفتوى والمفتي والمستفتي - المؤلف: أحمد بن حمدان الحراني الحنبلي (المتوفى: ٦٩٥ هـ).
- العدة في أصول الفقه - المؤلف: القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (المتوفى: ٤٥٨ هـ).
- علم أصول الفقه - المؤلف: عبد الوهاب خلاف (المتوفى: ١٣٧٥ هـ).
- غاية الوصول في شرح لب الأصول - المؤلف: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦ هـ).
- اللمع في أصول الفقه - المؤلف: أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦ هـ).
- مبحث الاجتهاد والخلاف - المؤلف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان (المتوفى: ١٢٠٦ هـ).
- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل - المؤلف: عبد القادر بن بدران (المتوفى: ١٣٤٦ هـ).
- مذكرة أصول الفقه - المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣ هـ).
- المستصفى - المؤلف: محمد بن محمد أبو حامد الغزالي (المتوفى: ٥٠٥ هـ).

- المسودة في أصول الفقه - المؤلف: آل تيمية. بدأ بتصنيفها الجدّ: مجد الدين عبد السلام بن تيمية (المتوفى: ٦٥٢ هـ). وأضاف إليها الأب: عبد الحليم بن تيمية (المتوفى: ٦٨٢ هـ). ثم أكملها الابن الحفيد: أحمد بن تيمية (المتوفى: ٧٢٨ هـ).
- من أصول الفقه على منهج أهل الحديث - المؤلف: زكريا بن غلام قادر الباكستاني
- المنثور في القواعد - المؤلف: بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤ هـ).
- الموافقات - المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠ هـ).
- النبذة الكافية في أصول الفقه - المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦ هـ).

(٥) مبادئ علم القَواعِد الفِقْهِيَّة

١- حده :

تعريف القواعد الفقهية :

القواعد الفقهية تعرف باعتبارين هما : المركب الإضافي ، والعَلَمِيَّة .

فباعتبار المركب الإضافي : لفظ مؤلف من جزأين : أحدهما : القواعد ، والآخر : الفقهية .

فالقواعد : جمع قاعدة ، وهي لغة : الأساس.

واصطلاحا : قضية كلية منطبقة على جزيئاتها ، وهي أغلبية .

والفقهية : مصدر صناعي للفقه ، والفقه لغة : الفهم مطلقا .

واصطلاحا : العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية .

وباعتبار العلمية على الفن المخصوص فهو : العلم بالأحكام الكلية الفقهية التي تنطبق على جزئيات تُعرف أحكامها منها .

علاقة القواعد الفقهية بالفقه وأصوله :

الفقه علم بمسائل الفروع بأدلتها التفصيلية ، وأصول الفقه علم بأدلة الفقه الإجمالية ، والقواعد الفقهية علم بالأحكام الكلية للفروع الفقهية . فالقواعد الفقهية أخص من الفقه ، ومن أصوله ، والتباين بينهما في أكثر المبادئ العشرة للعلوم.

٢- موضوعه : القضايا الفقهية الكلية ، من حيث دلالتها على حكم الفروع الفقهية المشابهة المنضبطة بها ، والفروع الداخلة في تلك القضايا ، وما استثنى منها لأسباب خاصة

الفرق بين القواعد الفقهية والضوابط ، والأشباه والنظائر ، والأمثال ، والفروق :

- القواعد الفقهية أحكام فقهية كلية تشمل أكثر من باب فقهي.

- وأما الضابط ـ عند المتأخرين ـ فهو : ما اختص من القواعد الفقهية بباب معين .

- وأما الأشباه والنظائر والأمثال : أوصاف متقاربة لمسائل فرعية ، وقيل : مترادفة .

وضابط الفروع في القواعد الفقهية : ما اتحد صورة وحكما ، وضابط الفروع في الفروق : ما اتحد صورة لا حكما.

٣- ثمرته : تقييد وترتيب شوارد المسائل ، وتقريب كل متباعد ، وتسهيل حفظ الفروع ، تمكن من تخريج المستجدات من المسائل بقواعد منضبطة.

أهمية القواعد الفقهية :

قال القرافي ـ رحمه الله ـ : (وهذه القواعد مهمة في الفقه ، عظيمة النفع ، وبقدر الإحاطة بها يعظم قدر الفقيه ويشرف ، ويظهر رونق الفقه ويعرف ، وتتضح مناهج الفتاوى وتكشف ... ، ومن ضبط الفقه بقواعده استغنى عن حفظ أكثر الجزئيات ، لاندراجها في الكليات ، واتحد عنده ما تناقض عند غيره وتناسب).

وقال السيوطي ـ رحمه الله ـ : (اعلم أن فن الأشباه والنظائر فن عظيم ، به يطلع على حقائق الفقه ومداركه ، ومآخذه ، وأسراره ، ويتمهر في فهمه واستحضاره ، ويقتدر على الإلحاق والتخريج ، ومعرفة أحكام المسائل التي ليست بمسطورة ، والحوادث والوقائع التي لا تنقضي على ممر الزمان ، ولهذا قال بعض أصحابنا : الفقه معرفة النظائر) .

٤- نسبته : هو أحد العلوم الشرعية المتعلقة بالفقه.

٥- فضله : من أشرف وأفضل العلوم لتعلقه بالفقه الذى هو مدار التكليف.

٦- واضعه : وردت طائفة من القواعد الفقهية منثورة في نصوص الشرع نصا أو معنى ، ثم تلقاها الصحابة وعملوا بها قبل تدوينها كعلم مستقل ، فالوجود العملي للعلوم سابق على وجودها التدويني .

وأقدم من جمع القواعد الفقهية الأئمة المجتهدون من الأئمة الأربعة وغيرهم كأبي طاهر الدباس ، فقد رد مذهب أبي حنيفة إلى سبع عشرة قاعدة ، ثم تبعه الكرخي في أصوله الذي هو أول مصنف في القواعد الفقهية ، وضمنه نحوا من أربعين قاعدة .

٧- اسمه : علم القواعد الفقهية أو علم الأصول الفقهية.

٨- استمداده : القواعد الفقهية من فروع الفقه وأدلته التفصيلية ، وتعلقها أفعال المكلفين . وذلك من الكتاب والسنة ، وأقوال الصحابة والتابعي ، والأئمة المجتهدين واللغة العربية.

٩- حكمه : تعلمه وتعليمه فرض كفاية ، إذا قام به من يكفي ندب للباقين ، وإلا أثم الجميع .

١٠ – مسائله : هى الأحوال العارضة للقواعد ، من حيث ضبطها للفروع الفقهية ، وللفروع الفقهية من حيث دخولها تحت نطاق القاعدة أو خروجها عنها.

القواعد الكلية الكبرى خمس ـ على الأشهر وهى :

١- الأمور بمقاصدها .

٢- اليقين لا يزول بالشك .

٣- المشقة تجلب التيسير .

٤- الضرر يزال .

٥- العادة محكمة .

ويتفرع من كل واحدة منها مجموعة من القواعد مناطها فى مظانها من كتب الفقه والأصول.

من أهم المصنفات فى علم القواعد الفقهية :

- أربع قواعد تدور الأحكام عليها ويليها نبذة في اتباع النصوص مع احترام العلماء - المؤلف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان (المتوفى: ١٢٠٦ هـ).

- الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية - المؤلف: عبد الرحمن بن أبو بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ).
- أنوار البروق في أنواع الفروق - المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤ هـ).
- شرح منظومة القواعد الفقهية للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - المؤلف: سعد بن ناصر الشثري
- شرح منظومة القواعد والأصول - المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١ هـ).
- غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر - المؤلف: أحمد بن محمد الحنفي الحموي (المتوفى: ١٠٩٨ هـ).
- الفروق - المؤلف: أسعد بن محمد بن الحسين الكرابيسي النيسابوري الحنفي (المتوفى: ٥٧٠ هـ).
- قواعد الأحكام في مصالح الأنام - المؤلف: عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، عز الدين الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠ هـ).
- القاعدة الذهبية في المعاملات الإسلامية لا ضرر ولا ضرار - المؤلف: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥ هـ).
- القواعد - المؤلف: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥ هـ).
- القواعد النورانية الفقهية - المؤلف: تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ).
- القواعد والفوائد الأصولية وما يتبعها من الأحكام الفرعية - المؤلف: ابن اللحام، علاء الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عباس البعلي الدمشقي الحنبلي (المتوفى: ٨٠٣ هـ).
- المنثور في القواعد - المؤلف: بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤ هـ).
- منظومة القواعد الفقهية - المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي (المتوفى: ١٣٧٦ هـ).

(٦) مبادئ علم مُصْطَلَح الحَدِيث

مبادئ علم مصطلح الحديث:

قِسْمَا علم الحديث الشريف

ينقسم علم الحديث الشريف قِسْمَيْن:

الأول: علم الحديث دراية، وهو المعروف بـ (علم مصطلح الحديث)

الثاني: علم الحديث رواية.

١- حده : علم يعرف به أحوال السند والمتن، وكيفية التحمُّل والأداء، وصفات الرجال، وغير ذلك.

علم: أي: قواعد؛ كقولهم: كل حديث صحيح أو حسن يستدل به.

أحوال السند والمتن؛ أي: سواء أكانت الأحوال عامة لهما؛ كالصِّحة، والحسن، والضعف، أم خاصة بالسند كالعلو والنُّزول، أم خاصة بالمتن؛ كالرفع والوقْف والقطع.

وكيفية التحمل؛ أي: استماع الحديث وروايته عن الشيخ.

والأداء؛ أي: أداء مسموعه وروايته.

صفات الرجال؛ أي: من عدالةٍ وغيرها.

وغير ذلك؛ أي: كرواية الحديث بالمعنى، ورواية الأكابر عن الأصاغر.

فتعريف علم مصطلح الحديث يعرف بأمرَيْن:

الأول: باعتباره لقبًا لفنٍّ معين.

الثاني: باعتبار مفرداته.

أما الأول: فيعرف على أنه: علم بأصول وقواعد يُعرف بها أحوال السند والمتن، من حيث القَبول والرد.

وأما الثاني: فيكون كما يلي:

العلم: وهو إدراك الشيء على ما هو عليه، أو إن شئت فقل: معرفة الشيء على ما هو عليه.

مصطلح: وهو لفظٌ لما يتَّفق عليه أهل كل فن بحسب اللُّغة العرفية.

الحديث: وهو ما أضيف إلى النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - من قولٍ أو فِعْل أو تقرير أو صفة.

٢- موضوعه: السند والمتن من حيث الصِّحَّة والحسن ونحو ذلك.

٣- ثَمرته: معرفة الحديث الصحيح من غيره.

٤- نسبته: إلى غيره من العُلُوم التباين فهو من العلوم الشرعية من أقسام علم الحديث .

٥- فضله: مِن أشرف العلوم؛ إذ به يعرف المقبول والمرْدود من الأحاديث.

٦- واضعه: أول من صنَّف فيه: القاضي أبو محمد الحسن بن خلاد الرَّامَهُرْمُزِي - رحمه الله – المتوفى سنة ٣٦٠ هـ وسمى كتابه: (المُحَدِّث الفاصِل بين الرَّاوي والواعي).

٧- اسمه: علم الحديث دراية، ويُسمى مصطلح الحديث، ويسمى أصول الحديث.

٨- استمداده: من كلام أئمة الحديث واصطلاحاتهم ومِن تتبُّع أحوال رُواة الحديث.

٩- حكمه: فرض كفاية فى تعلمه وتعليمه.

١٠- مسائله: قضاياه كثيرة جدا أوصلها بعض العلماء إلى خمسة وستين نوعا ، كقولنا: كل حديث صحيح يستدل به.

الهدَف من دراسة علم مصطلح الحديث:

إنَّ الهدَف من دراسة علم مصطلح الحديث، وهو من علوم الآلة؛ ذلك لأنَّه من الوسائل التي تخدم هذا العلم العظيم، فالهدف من مصطلح الحديث معرفة المقبول والمردود من السنة، ووسيلة إلى معرفة ما يقبل وما يرد من السنن، لكن كيف نعرف المقبول لنعمل به، والمردود لنجتنبه، إلاَّ بواسطة هذا العلم ؟

فهو من أهم المهمات، يُقاربه قواعد التفسير، أو أصول الفقه كذلك، كلها تخدم وإن كانت من علوم الآلة، ومثلها علوم العربيَّة بفروعها، إلاَّ أنَّها مما يضطر إليه طالب العلم.

نبذة تاريخيَّة عنْ نشأة علمِ المصطلح، والأطوار التي مرَّ بها:

يُلاحظ الباحثُ المتفحِّص أنَّ الأُسسَ والأركان الأساسيَّة لعلمِ الرِّواية ونقل الأخبار موجودة في الكتاب العزيز، والسنة النبوية، فقد جاء في القرآن الكريم قوله - تعالى -: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦]، وجاء في السنة قوله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((نَضَّر الله امرأً سمع منَّا شيئًا فبلَّغه كما سمعه، فرُب مُبلَّغٍ أوعى من سامع) ، وفي رواية: (فرُبَّ حامل فقه إلى مَن هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه).

ففي هذه الآية الكريمة وهذا الحديث الشَّريف مبدأ التثبُّت في أخذ الأخبار، وكيفية ضَبطها بالانتباه لها، ووعيها، والتدقيق في نقلها للآخرين.

وامتثالاً لأمر الله - تعالى - ورسوله - صلَّى الله عليه وسلَّم - فقد كان الصَّحابة - رضي الله عنهم - يتثبَّتون في نقل الأخبار وقَبولها، لا سيما إذا شكُّوا في صدْق الناقل لها، فظهر بناءً على هذا موضوعُ الإسناد وقيمته في قَبول الأخبار أو رَدِّها، فقد جاء في مقدمة صحيح مسلم عن ابن سيرين: قال: لَم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سَمُّوا لنا رجالَكم، فينظر إلى أهل السنة، فيُؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدَع، فلا يؤخذ حديثهم، وبناءً على أنَّ الخبر لا يقبل إلا بعد معرفة سنده، فقد ظهر علمُ الجَرْح والتعديل، والكلام على الرُّواة، ومعرفة المتصل أو المنقطع من الأسانيد، ومعرفة العلل الخفيَّة، وظهر الكلام في بعض الرواة، لكن على قلة؛ لقلة الرواة المجروحين في أول الأمر.

ثم توسَّع العلماء في ذلك، حتى ظهر البَحث في علومٍ كثيرة تتعلَّق بالحديث من ناحية ضبطه، وكيفيَّة تحمُّله وأدائه، ومَعرفة ناسخه من منسوخه وغريبه وغير ذلك، إلاَّ أنَّ ذلك كان يتناقله العلماء شفويًّا.

ثم تطور الأمرُ، وصارتْ هذه العلوم تكتب وتُسجَّل، لكن في أمكنة مُتفرّقة من الكتب، مَمزوجة بغيرها من العلوم الأخرى، كعِلْم الأصول، وعلم الفقه، وعلم الحديث، مثل: كتاب "الرِّسالة"، وكتاب (الأم)؛ للإمام الشافعي.

وأخيرًا، لما نضجت العلوم، واستقرَّ الاصطلاح، واستقلَّ كلُّ فنٍّ عن غيره - وذلك في القرْن الرابع الهجري - أفرد العلماءُ علمَ المصطلح في كتاب مُستَقل، وكان من أول مَن أفرده بالتَّصْنيف القاضي أبو محمد الحسن بن عبدالرحمن بن خلاد الرَّامَهُرْمُزِي - المُتَوَفَّى سنة ٣٦٠ هـ - في كتابه: (المحدِّث الفاصل بين الرَّاوي والواعي)

حتى استقرَّ هذا العلم بوضْع شروط خمسة لقَبول الحديث، وهذه الشروط هي:
١ - اتصال السند (الإسناد).
٢- عدالة الرواة.
٣ - ضبط الرواة.
٤ - عدم الشذوذ.
٥ - عدم العلة.

وعلى هذا، فالحديث الصَّحيح هو: الحديث المسند الذي يتَّصل إسناده بنقل العَدْل الضابط إلى منتهاه، ولا يكون شاذًّا ولا مُعللاً.
فالمتن: نص الحديث.
وأمَّا السند: سلسلة الرجال الموصلة إلى المتن.
فالحديث = متن (نص الحديث) + سند (إسناد) وهو سلسلة الرجال الموصلة إلى المتن.
وأما عدم الشذوذ فمعناه: ألا يكون الحديثُ شاذًّا. والشذوذ : هو مُخالفة الثقة لِمَنْ هو أوثق منه.
وأما العدل الضابط ، فالصحابة كلهم عدول، أما مَن بعدهم يبحث في أحوالهم ومعنى العدالة أن لا يُعرَف الراوى بفسق ولا بِخَوارِم مروءة.
وأما العلة: هي سبب غامض خفي قادح في صحة الحديث.

ومعرفة العلل مِن أجلّ علوم الحديث وأدقها؛ لأنَّه يَحتاج إلى كشف العلل الغامضة الخفية التي لا تظهر إلاَّ للجهابذة النُّقاد في علوم الحديث، وإنَّما يتمكن منه ويقوى على معرفته أهلُ الحفظ والخبرة والفهم الثَّاقب؛ ولهذا لم يَخُض غماره إلاَّ القليل من الأئمة؛ كابن المَدِيني، وأحمد، والبخاري، وأبي حاتم، والدَّارَقُطْني، والباحث في علة الحديث يَتَطَرَّق إلى الحديث الذي ظاهره الصِّحَّة؛ لأنَّ الحديث الضعيف لا يَحتاج إلى البحث عن علله؛ إذ إنَّه مرْدود لا يُعمل به، ويكفيه أنه ضعيف.

من أهم المصنفات فى علم مصطلح الحديث :

- كتاب الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، من أشهر كتب علوم الحديث والمصطلح، وهو حاشية قيمة على متن اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير والذي اختصر به كتاب الحافظ ابن الصلاح والمشهور ب (مقدمة ابن الصلاح).
- أصول الحديث، علومه ومصطلحه - محمد عجاج الخطيب
- ألفية العراقي في علوم الحديث (التبصرة والتذكرة) - المؤلف: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦ هـ).
- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث - المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤ هـ).
- تحقيق الرغبة في توضيح النخبة - عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن الخضير
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي - المؤلف: عبد الرحمن بن أبو بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ).
- التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث - المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيي بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦ هـ).
- تيسير مصطلح الحديث - المؤلف: محمود الطحان
- شرح التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير - المؤلف: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (المتوفى: ٩٠٢ هـ).
- علم مصطلح الحديث - المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١ هـ).
- الكفاية في معرفة أصول علم الرواية - المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣ هـ).

- الموقظة - المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨ هـ).
- معرفة علوم الحديث للحاكم - المؤلف: أبوعبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥ هـ).
- مقدمة ابن الصلاح - المؤلف: أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن موسى الكردي الشهرزوري المشهور بابن الصلاح (المتوفى: ٦٤٣ هـ).
- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر - المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ).
- النكت على كتاب ابن الصلاح - المؤلف: ابن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ).

(٧) مبادئ علم عِلَل الحَدِيث

١- حده : علم علل الحديث : علم يبحث عن الأسباب الخفية الغامضة التي تقدح في صحة الحديث مثل: وصل منقطع أو وقف مرفوع أو إدخال حديث في حديث أو غير ذلك. وقد ألف في هذا العلم الإمام البخاري ومسلم وأحمد بن حنبل وابن المديني والترمذي والدارَقُطْنِي وابن أبي حاتم وغيرهم.

تعريف العلة :

مادة (علّ) تدور في اللغة حول أصول ثلاثة :

الأول: تكرار أو تكرير. ومنه قولهم: "علل بعد نهل". أي الشربة الثانية (علل)، بعد الشربة الأولى (نهل)

الثاني: عائق يعوق. أي ما يشغل صاحبه عن وجهه. تقول: اعتاله كذا، أي اعتاقه عنه، وألهاه وشغله.

الثالث: ضعف الشيء. ومنه عل المريض يعل، فهو عليل.

العلة في الاصطلاح : سبب خفي غامض، الظاهر السلامة منه، يقدح في الخبر، إما سندا وإما متنا وسندا.

- فقول ابن الصلاح: "سبب خفي غامض" قيد ميز العلة بكونها غامضة، ولذلك قد تعسر العبارة على المحدث في التعبير عنها.

- وقوله: "الظاهر السلامة منه" قيد أخرج الأسباب الظاهرة لتضعيف الحديث فلا تسمى علة بحسب ما عليه الجمهور. ومن الأسباب الخفية: التدليس، والمخالفة، والاضطراب.

و فيه بيان أن العلة تكون في الحديث الذي ظاهره القبول.

- وقوله: "يقدح في الخبر" قيد احترز به عن العلل غير القادحة، فلا تسمى علة إلا على قول بعضهم.

- قوله: "إما سندا" قيد لبيان أقسام العلة، وموضعها. فالقسم الأول للعلة ما كان يقدح في السند دون المتن، وذلك لورود المتن من طرق مقبولة غير الطريق الذي فيه علة.

- وقوله: "وإما سندا ومتنا" هذا هو القسم الثاني، من أقسام العلة، وهي العلة القادحة في المتن والسند.

قال ابن الصلاح رحمه الله: قد تقع العلة في إسناد الحديث، وهو الأكثر. وقد تقع في متنه. ثم ما يقع في الإسناد قد يقدح في صحة الإسناد والمتن جميعا، كما في التعليل بالإرسال والوقف، وقد يقدح في صحة الإسناد خاصة، من غير قدح في صحة المتن. اهـ.

تنبيه : قدّم ابن الصلاح رحمه الله تعريف العلة الخفية القادحة، وذكر بعد ذلك ما جرى عليه بعض الأئمة من المتقدمين من ذكر اسم العلة لما كان ظاهراً غير قادح، فقال رحمه الله: "إن بعضهم أطلق اسم العلة على ما ليس بقادح، من وجوه الخلاف، نحو إرسال من أرسل الحديث، الذي أسنده الثقة الضابط، حتى قال: من أقسام الصحيح، ما هو صحيح معلول، كما قال بعضهم من الصحيح ما هو صحيح شاذ" اهـ.

وعليه فإن ابن الصلاح رحمه الله قد ذكر العلة بنوعيها القادح وغير القادح، والظاهر والخفي.

أقسام العلة:

العلة تارة تكون قادحة في السند دون المتن.

وتارة تكون قادحة في المتن والسند.

وعلى ذلك تكون أقسام العلة كما يلي:

١. علة قادحة في السند دون المتن.
٢. علة قادحة في المتن والسند.
٣. علة غير قادحة في السند دون المتن.
٤. علة غير قادحة في المتن دون السند.
٥. علة غير قادحة في السند والمتن.
٦. علة قادحة في المتن دون السند، وهو على مجرى الاصطلاح، قسم عقلي، لا وجود له، إلا بالاعتبار السابق؛ إذ كل علة في المتن تشعر بعلة في السند.

٢- موضوعه : رواية الثقات للأحاديث الصحيحة وتحمل بين طياتها أسبابا خفية على عامة الناس وأكثر المحدثين ولا يعلمها إلا قليل من الحفاظ ، جهابذة العلم ؛ليكشفوا ما يعرض للرواة من خطأ أو وهم يقدح فى صحة الحديث.

٣- ثمرته : تمييز المقبول، من المردود، من الحديث المروي عنه . والحاجة إليه شديدة؛ إذ الحديث هو الأصل مع القرآن العظيم، الذي يعتمد عليه لمعرفة الدين، وشؤون الحياة، لإقامة شرع الله تعالى في الأرض. وأهل العلم والمعرفة والسنة والجماعة يذكرون علل الحديث نصيحة للدين، وحفظا لسنة النبي، وصيانة لها، وتمييزا مما يدخل على رواتها من الغلط، والسهو والوهم.

٤- نسبته : ينسب إلى العلوم الشرعية وهى علوم الحديث.

٥- فضله : من أجل علوم الحديث وأكثرها دقة وأعظمها شرفا.

أهمية علم علل الحديث:

إن معرفة علل الأحاديث من أجل علوم الحديث وأكثرها دقة وأعظمها شرفا، وإنما يتكلم فيه أهل الحفظ والخبرة والفهم الثاقب ،والمعرفة التامة بمراتب الرواة، والملكة القوية بالأسانيد، والمتون؛ ولهذا لم يتكلم فيه إلا القليل من أهل هذا الشأن، كعلي بن المديني، وأحمد بن حنبل، والبخاري،

ويعقوب بن أبي شيبة، وأبي حاتم، وأبي زرعة والدار قطني رحمهم الله جميعا. وإذا كانت الصناعات تشرف بموضوعها وغايتها والحاجة إليها؛ فإن علم علل الحديث اجتمعت فيه هذه الأمور الثلاثة.

٦- واضعه : بدأت جهود الحفاظ من المحدثين في التثبت وفتشوا عن الإسناد فكان أولهم محمد بن سيرين ت : ١١٠ هـ ثم تتابع الأئمة من علماء الحديث وكان أول من وضع علم العلل شعبة بن الحجاج ت : ١٦٠ هـ ثم عبد الرحمن بن مهدى ت : ١٩٨ ويحي بن سعيد القطان ت : ٢٣٨ هـ ومن اشتهروا أيضا بهذا العلم علي بن المديني، وأحمد بن حنبل، والبخاري، ويعقوب بن أبي شيبة، وأبي حاتم، وأبي زرعة والدار قطني رحمهم الله جميعا.

٧- اسمه : علم العلل ، أو علم علل الحديث.

٨- الاستمداد : من تتبع أحوال رواة الأحاديث.

٩- حكمه : فرض كفاية.

١٠- مسائله : قول ابن أبي حاتم : سئل أبو زرعة عن حديث رواه قبيصة، عن الثوري، عن زيد بن أسلم، عن عياض بن عبد الله، عن أبي سعيد قال : كنا نورثه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعني الجد .

فقال أبو زرعة : هذا أخطأ فيه قبيصة؛ إنما هو : كنا نؤدي صدقة الفطر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

من أهم المصنفات في علم عِلَل الحديث :

- كتاب شرح علل الترمذي للإمام ابن رجب الحنبلي، وهو يبحث في أقسام الرواة، وأنواع عمل الحديث وحكم الرواية بها، والاحتجاج بالمرسل، ودرجات الحديث: الصحيح، والحسن، والحسن الصحيح، والغريب، وشرط الترمذي في السنن. ثم أضاف ابن رجب فوائد وقواعد كمعرفة أعيان الثقات الذين تدور غالب الأحاديث الصحيحة عليهم، وكثقات لا يذكرون غالباً في أكثر كتب الجرح والتعديل، ومن عرف بالتدليس، وعبارات التدليس.
- إتحاف ذوي الرسوخ بمن رمي بالتدليس من الشيوخ - المؤلف: حماد بن محمد الأنصاري الخزرجي السعدي (المتوفى: ١٤١٨ هـ).
- أثر علل الحديث في اختلاف الفقهاء - المؤلف: ماهر ياسين الفحل

- أحاديث معلة ظاهرها الصحة - المؤلف: مقبل بن هادى الوادعى (المتوفى: ١٤٢٢ هـ).
- تباين منهج المتقدمين والمتأخرين في التصحيح والتعليل - المؤلف: ماهر ياسين الفحل
- تغليق التَّعْلِيق - المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ).
- التمييز - المؤلف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كرشان القشيري العامري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١ هـ).
- الجامع في العلل والفوائد - المؤلف: ماهر ياسين الفحل
- شرح علل الترمذي - ابن رجب الحنبلي زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن السلامي البغدادي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٥ هـ).
- علل الأخبار ومعرفة رواة الآثار (مستخرج من التقاسيم والأنواع لابن حبان) - المؤلف: يحيى بن عبد الله الشهري
- العلل - المؤلف: علي بن المديني أبو الحسن علي بنُ عبدِ اللهِ بنِ جعفر بنِ نجيح بن بكر بن سعد (المتوفى: ٢٣٤ هـ).
- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية - المؤلف: ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد القرشي التيمي البكري (المتوفى: ٥٩٧ هـ).
- العلل - المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١ هـ).
- علل الحديث - المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧ هـ).
- العلل الواردة في الأحاديث النبوية - المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥ هـ).
- المنتخب من العلل للخلال - المؤلف: موفق الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر المقدسي (المتوفى: ٦٢٠ هـ).
- موسوعة أقوال الدارقطني - المؤلف: أبو المعاطي النوري (المتوفى: ١٤٠١ هـ).

(٨) مبادئ علم غَرِيب الحديث

علم غريب الحديث : وهو علم يبحث عن بيان معاني الكلمات التي تحتاج إلي مزيد توضيح أو تفسير في حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم، لاسيما بعد أن تطرق الفساد إلي اللسان العربي فنشأ جيل تشوب العُجْمَة لسانه فاستغلق عليه فهم كثير من ألفاظ الحديث.

نشأة وتطور علم غريب الحديث :

أول من ألف في هذا الفن، هو أبو عبيدة معمر بن المثني (١١٠-٢٠٩هـ) ، فجمع كتابه (ألفاظ غريب الحديث والأثر) وهو كان كتيباً صغيراً، ولم يكن لقلة أو لجهل مؤلفه بغريب الحديث وإنما كان ذلك لأمرين:

أحدهما : أن كل من بدأ في فن لم يسبق إليه فإنه يكون قليلاً ثم يكبر.

والثاني :أن الناس يومئذ كان عندهم معرفة بلغة العرب، ولم يكن الجهل باللغة قد عم كما حصل في العصور المتأخرة .

- ثم جمع أبو الحسن النضر بن شميل المازني(١٣٢- ٢٠٣هـ) كتاباً أكبر من كتاب أبي عبيدة بسط فيه القول على صغر حجمه.
- ثم جمع عبد الملك بن قريب الأصمعي المشهور(١٢٢-٢١٦هـ) كتاباً أحسن فيه وأجاد، وكان كتابه أكبر حجماً ممن سبقه.
- وكذلك فعل محمد ابن المستنير المعروف بقطرب(ت/٢٠٩هـ) وغيره من الأئمة الذين جمعوا أحاديث وتكلموا على لغتها ومعناها في أوراق ذوات عدد، ولم يكد أحدهم ينفرد عن الآخر بكثير من الأحاديث.
- واستمر الحال إلى زمن أبي عبيد القاسم بن سلام (١٥٧-٢٢٤هـ) وكان من كبار علماء الحديث والأدب والفقه ، فجمع كتابه المشهور في غريب الحديث والآثار، والذي أفني فيه عمره حيث جمعه في أربعين سنة، وهو كتاب حافل بالأحاديث والآثار الكثيرة المعاني، اللطيفة الفوائد، وكان يظن رحمه الله على كثرة تعبه أنه أتى على معظم الغريب.
- ثم جاء أبو محمد عبد الله بن مسلم قتيبة الدينوري (٢١٣-٢٧٦هـ) فصنف كتابه المشهور في غريب الحديث، ولم يودعه شيئاً من كتاب أبي عبيد إلا ما دعت إليه الحاجة من زيادة شرح وبيان، أو استدراك أو اعتراض، فجاء مثل كتاب أبي عبيد أو أكثر منه ، وقال في

مقدمته: أرجو أن لا يكون بقي بعد هذين الكتابين من غريب الحديث ما يكون لأحد فيه مقال.

- وكان في زمان ابن قتيبة الإمام إبراهيم بن إسحاق الحربي الحافظ فجمع كتاباً كبيراً في خمس مجلدات بسط القول فيه، واستقصى الأحاديث عن طريق أسانيدها، وأطاله بذكر متونها، فطال كتابه وتُرِك وهجر، وإن كان كثير الفوائد، وقد توفى ببغداد سنة(٢٨٥هـ)
- ثم أكثرَ الناسُ من التصانيف في هذا الفن كالمبرد اللغوي المشهور، وثعلب ومحمد بن القاسم الأنباري وسلمة بن عاصم النحوي وعبد الملك بن حبيب المالكي ومحمد بن حبيب البغدادي، وغيرهم ممن لا يحصون من أئمة اللغة والنحو والفقه والحديث.
- واستمر الحال إلى عهد الإمام الخطابي البستي المتوفى سنة(٣٧٨هـ) فألف كتابه المشهور في غريب الحديث، وسلك فيه نهج أبي عبيد وابن قتيبة، وصرف عنايته فيه إلى جمع ما لا يوجد في كتابيهما، فاجتمع له من ذلك ما يداني كتاب أبي عبيد وكتاب ابن قتيبة . فكانت هذه الكتب هي أمهات الكتب التي تدور بين أيدي الناس وعليها يعول علماء الأمصار ، غير أن هذه الكتب لم يكن فيها كتاب مرتب ترتيباً يستطيع الإنسان أن يأخذ حاجته منه بسرعة ، بل يجد الباحث فيها كل تعب وعناء حتى يصل إلى الحديث.

(٩) مبادئ علم الجَرْحِ والتَّعْدِيل

تمهيد:

استقر في الأوساط العلمية عند المسلمين مبدأ الإسناد في النقول، واعتمده المحدثون آلية لنقل وحفظ النصوص الشرعية، وانتشرت الرواية بالأسانيد في كل البلاد، وأينما حل المسلمون أو ارتحلوا وفي كل بلد فتحوها وأقاموا البناء العلمي فيه معتمدا على التقليد الذي استقر وهو الإسناد.

ومن جراء ذلك كثرت الأسانيد والطرق المهلة للنصوص، كما كثر في الأوساط العلمية الرواة النقلة الذين قد تضعف ملكتهم في رعاية وحفظ تلك النصوص.

فانتبه الجهابذة المحدثون في وقت مبكر إلى هذا الخلل الذي ابتدأ يظهر في المرويات والأسانيد، فابتكروا آلية أخرى لتنقية هذه الأسانيد مما داخلها من خلل، إذ رأوا أن الخلل إنما هو من الرواة

الذين ضعفت ملكتهم أو قدح في عدالتهم بما لا يؤمن تأديتهم للرواية على الوجه المأمون من الانتحال والتحريف فنشأ منذ ذلك الحين علم الجرح والتعديل.

قال صديق حسن خان: وعلم الجرح والتعديل يبحث فيه جرح الرواة وتعديلهم بألفاظ مخصوصة، وعن مراتب تلك الألفاظ، وهذا العلم من فروع علم رجال الأحاديث ولم يذكره أحد من أصحاب الموضوعات مع أنه فرع عظيم.

وقد أفرده الحاكم علما مستقلا من علوم الحديث وشرح بعض فصوله في كتابي: المدخل إلى معرفة الصحيح والمدخل إلى معرفة كتاب الإكليل. كما صنف فيه على وجه التأصيل إجمالا كل من ألف في مصطلح الحديث، أما على وجه التطبيق فتعتبر كتب الرجال والعلل والتواريخ بأنواعها المختلفة هي كتب الجرح والتعديل على الحقيقة.

تعريف علم الجرح والتعديل :
علمٌ بقواعد جرح الرواة وتعديلهم ، أما علم الرجال فهو معرفة أحوال الرواة، والحكم عليهم في ضوء علم الجرح والتعديل.
ولما أفرد علم الدراية بالتأليف ، كان يشمل فيما يشمل علم الجرح والتعديل ، على أنه نوع منه ، وبعضهم اعتبره نوعين ، قال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري (المتوفي ٤٠٥هـ): هذا النوع من علم الحديث معرفة الجرح والتعديل وهما في الأصل نوعان ، كل نوع منهما علم برأسه . اهـ " معرفة علوم الحديث ص ٥٢. "
فعلم الجرح والتعديـل : هو علم يبحث فيه عن قواعد جرح الرواة وتعديلهم.
هذا هو التعريف بإيجاز ؛ فالمراد بقواعد الجرح : الشروط التي لابد من توفرها في المجرح ، والشروط التي لابد من توافرها في الجرح ليقبل ، وألفاظ الجرح ، ومراتب هذه الألفاظ ، وحكم حديث أهل كل مرتبة من هذه المراتب. ويسمى علم الرجال.

والمراد بقواعد تعديل الرواة :
شروط المعدل ، وشروط التعديل المقبول ، وألفاظ التعديل ، ومراتب هذه الألفاظ ، وحكم حديث أهل كل مرتبة من هذه المراتب.
ويدخل في قواعد الجرح والتعديل أمور أخرى ، مثل : القواعد التي تتبع عند تعارض أقوال الأئمة في الراوي ، أو تعارض قول الإمام الواحد.

منزلة علم الجرح والتعديل :

بيَّن الحاكم أن علم الجرح والتعديل ثمرة علم الدراية ، والمرقاة الكبيرة منه .

وكان العراقي أوضح منه ، إذ قال:

واعْنَ بِعِلْمِ الجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ *** فَإِنَّهُ المِرْقاةُ للتَّفْصِيــــــــــــلِ
بَيْنَ الصَّحِيحِ والسَّقِيمِ واحْذَرْ *** مِنْ غَرَضٍ فالجَرْحُ أَيُّ خَطَرْ

وقال السخاوي شارحًا ذلك : واعن أي اجعل أيها الطالب من عنايتك الاهتمام ، (بعلم الجرح) أي التجريح ، (والتعديل) في الرواة فهو من أهم أنواع الحديث ، وأعلاها وأنفعها.. (فتح المغيث ٣/٣١٤).

ويقول ابن المديني : الفقه في معاني الحديث نصف العلم ، ومعرفة الرجال نصف العلم.

فمنزلة هذا العلم أنه السبيل إلى الحكم على الحديث بالصحة أو الحسن أو الضعف. فإنه لو كان عندك حديث لا تعرف حاله من حيث القبول والرد ، فسبيلك إلى معرفة حاله أن تعرف أحوال رجال الإسناد ، وبعد معرفة أحوالهم يمكنك الحكم على الحديث ، فإذا عرفت أحوال رجال الإسناد ، فإنك لا تستطيع فهم مصطلحات الأئمة في تراجم الرجال إلا إذا كنت دارسًا علم الجرح والتعديل ، كما أنك لا تستطيع التصرف إذا وجدت بعض العلماء قد جرح الراوي وبعضهم عدله إلا إذا كنت قد درست هذا العلم ، فمثلاً لو وجدت في ترجمة راوٍ "منكر الحديث "، أو "فيه مقال" ، فبدون معرفة علم الجرح والتعديل لا تعرف حكم الحديث ، وبمعرفة علم الجرح والتعديل تعرف أن " منكر الحديث " من المرتبة الخامسة من مراتب الجرح ، وأهل هذه المرتبة يكتب حديثهم للاعتبار ، إلا إذا كان قائل هذه العبارة "منكر الحديث" الإمام البخاري ، فإنه يطلق هذه العبارة على من لا تحل الرواية عنه ، كما صرح بذلك ، وكذلك " فيه مقال " بدون معرفة علم الجرح والتعديل لا تعرف حال الحديث الذي قيل في أحد رواته ذلك ، وبمعرفة هذا العلم ـ الجرح والتعديل ـ تعرف أن هذه الكلمة من المرتبة السادسة من مراتب الجرح ، والمتصف بها يكتب حديثه للاعتبار.

ومجمل القول : أن علم الجرح والتعديل هو سبيل معرفة حال الحديث من حيث القبول والرد ، وهذه منزلة سما بها هذا العلم ؛ نظرًا لعظم مكانته من المصدر الثاني للإسلام السنة النبوية.

نشأة علم الجرح والتعديل :

لقد كانت التحديات الكبيرة التي تواجه المحدثين إزاء هذا السيل الدافق من الأسانيد والمرويات تحتم عليهم وقفة أخرى – بعد تقعيد نظرية الإسناد – ليراجعوا البناء الذي قام على مبدأ الإسناد.

ولم تكن كثرة الأسانيد والمرويات لمجردها هي الدافع لتلك الوقفة والمراجعة، بل إن الفتن التي ظهرت في المجتمع المسلم والتقلبات المختلفة التي واجهها المسلمون لسبب الفتوحات الكبرى وما لحقها من تجاور للحضارات المغلوبة.. أو تمازج، وما أغرزه هذا التجاور أو التمازج من تأثيرات سلبية أو إيجابية..كل ذلك أدى إلى تلك المراجعة.

لكن أعظم حدث استدعى حفيظة المحدثين ونقلة الشرع.. تلك الفتن السياسية التي تخفى من أعداء الدين أو أصحاب الأهواء الذين ضعف إيمانهم أو انعدم واختل ولاؤهم للدين أو انصرم. فاستحلت تلك الفئات لنفسها أن تتخذ من الإسناد تكأة لانتحال نصوص نبوية تؤيد مذهبهم واتجاههم، فكان الواحد منهم يعمد إلى إسناد مشهور بنظافته مثل سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أو علقمة عن عبد الله بن مسعود وينسبون من خلالها الأحاديث، أو يخترعون أي إسناد (وإن جهل رجاله) ويذيعون بواسطته الآثار والأخبار، إذ كان الناس يومئذ على أصل الصدق، ولم يكونوا ليظنوا أن أحدا يجرأ على الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم والإسلام بعد في ذروة انتصاراته وفتوحاته.

فلما أحس المحدثون برواج تلك الآثار وخاصة بين الطوائف السياسية المتنازعة ابتدأوا في أخذ الحيطة ورسم السبل لدرء هذه المحاولة الجديدة في تحريف مصادر التلقي عند المسلمين.

الخلاصة :

١. نشأ الجرح والتعديل من حيث المبدأ في عهد الصحابة ، وكان أبوبكر الصديق وعمر بن الخطاب أول من عرفوا بالاحتياط في قبول الأخبار ، ثم كان محمد بن سيرين من أوائل التابعين الذين اهتموا بالتفتيش في الأسانيد ، ويمكن اعتبار فتنة المختار بن عبيد الثقفي هي السبب المباشر في بداية اهتمام ذلك الجيل بالإسناد .
٢. قام المحدثون بالتأصيل الشرعي لمبدأ الجرح والتعديل والتنظير له منذ وقت مبكر ، وقد واجه الجرح والتعديل هجوما من بعض الأوساط لكنه احتل مكانته العلمية التي لم تعد تحتمل الخلاف فيه بعد ذلك
٣. اشترط في الجارح والمعدل آداب تمثل البعد الأخلاقي في منهج النقد عند المحدثين .

٤. حصر المحدثون صفات القبول في الراوي على أمرين : العدالة والضبط .
٥. اشترط المحدثون في الضبط والعدالة شروطا على ضوئها ردوا من فقد شرطا منها .

٦. عدالة الصحابة جميعا أمر يستدعيه الدور التاريخي الذي قاموا به في تبليغ الدين ، ويقتضيه المنهج العلمي في النقد بدون تأثير عقدي ، خلافا للأصوات غير الموضوعية والآراء التي ثبت تأثرها بمؤثرات عقدية في قدحها في عدالة الصحابة .

٧. وجد للمحدثين منهج واضح في معرفة عدالة وضبط الرواة .

٨. عني المحدثون بوضع قواعد عامة في ا لجرح والتعديل تضبط هذا الميدان وتجعل له بعدا منظما واضحا وتنأى به عن الأحكام الشخصية القائمة على الذوق أو الهوى ، بحث يدل دلالة واضحة على علمية منهج النقد عند المحدثين .

٩. اختلفت بعض عبارات التعديل والتجريح عند النقاد ، فعني المحدثون بضبط تلك العبارات وبيان مراتبها وتحرير مراد النقاد منها بحيث بدت ألفاظ الجرح والتعديل كأنها اصطلاح عند كل النقاد وهو ما يؤكد تماسك وتناسق منهج النقد عند المحدثين .

١٠. نظرية الجرح والتعديل نظرية متكاملة ، تمثل ركنا مهما في منهج النقد عند المحدثين ، وقد عني النقاد والمحدثين بإقامة هذه النظرية على أسس علمية رصينة تشمل التأصيل والتقعيد والتطبيق.

من أهم المصنفات فى علم الجَرْحِ والتَّعْدِيل :

أولاً : الكتب المصنفة في الثقات:

- معرفة الثقات للعجلي.
- كتاب الثقات لابن حبان.
- مشاهير علماء الأمصار لابن حبان.
- تاريخ أسماء الثقات لابن شاهين.

ثانياً: الكتب المصنفة في الضعفاء:

-الضعفاء الصغير للبخاري.
- كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي.
- الشجرة في أحوال الرجال للجوزجاني.
- الضعفاء لأبي زرعة الرازي.
- الضعفاء الكبير للعقيلي.
- كتاب المجروحين لابن حبان، وتعليقات الدارقطني عليه.
- الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي.

- تاريخ أسماء الضعفاء والكذابين لابن شاهين.
- كتاب الضعفاء والمتروكين للدارقطني.
- المدخل إلى الصحيح للحاكم النيسابوري.
- الضعفاء لأبي نعيم الأصبهاني.
- المغني في الضعفاء للذهبي.
- ميزان الاعتدال للذهبي، وذيله لأبي الفضل العراقي.
- لسان الميزان لابن حجر العسقلاني.

ثالثاً الكتب الجامعة بين الثقات والضعفاء:
- الطبقات الكبرى لابن سعد.
- التاريخ الكبير للبخاري.
- التاريخ الأوسط للبخاري.
- التاريخ لأبي زرعة الدمشقي.
- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي.
- التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل لابن كثير، طبع حديثاً.

رابعاً : كتب السؤالات:
- سؤالات تلاميذ يحيى بن معين له، ومنها: سؤالات (عباس الدوري ، ابن الجنيد، عثمان الدارمي، ابن طهمان الدقاق، ابن محرز.
- سؤالات ابن أبي شيبة لعلي بن المديني.
- العلل ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل (رواية ابنه عبدالله، ورواية المروذي)
- سؤالات البرذعي لأبي زرعة الرازي.
- سؤالات الآجري لأبي داود السجستاني.
- سؤالات تلاميذ الدارقطني له، ومنها: سؤالات (أبي عبدالله الحاكم النيسابوري، البرقاني، السلمي، حمزة السهمي، أبي عبدالله ابن بكير)
- سؤالات مسعود السجزي للحاكم النيسابوري.

خامساً: الكتب المصنفة في رجال كتب مخصوصة:
- رجال الصحيحين أو أحدهما:
- رجال صحيح البخاري للكلاباذي.

- تسمية من أخرج لهم البخاري ومسلم للحاكم.
- رجال صحيح مسلم لأبي بكر ابن منجويه الأصبهاني.
- التعديل والتجريح لمن أخرج له البخاري في الجامع الصحيح لأبي الوليد الباجي.
- الجمع بين كتابي أبي نصر الكلاباذي وأبي بكر الأصبهاني في رجال البخاري ومسلم لأبي الفضل ابن طاهر المقدسي.

شيوخ الأئمة الستة:
- المعجم المشتمل في ذكر أسماء شيوخ الأئمة النبّل لابن عساكر.

رجال الكتب الستة وملحقاتها:
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي.
- تذهيب تهذيب الكمال للذهبي.
- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة للذهبي، وذيله لأبي زرعة العراقي.
- إكمال تهذيب الكمال لعلاء الدين مغلطاي.
- تهذيب التهذيب لابن حجر.
- تقريب التهذيب لابن حجر.
- نهاية السول في رواة الستة الأصول لسبط ابن العجمي، ولم يطبع كاملاً.

زوائد رجال الأئمة الأربعة:
- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة لابن حجر.

في معرفة المدلسين:
- تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس لابن حجر.
- إتحاف ذوي الرسوخ بمن رمي بالتدليس من الشيوخ لحماد الأنصاري.
- التدليس في الحديث لمسفر الدميني (الفصل المتعلق بالمدلسين).

في معرفة ذوي الإرسال:
- المراسيل لابن أبي حاتم.
- جامع التحصيل في أحكام المراسيل للعلائي.
- تحفة التحصيل لأبي زرعة العراقي.

في معرفة المختلطين:
- كتاب المختلطين للعلائي.
- الاغتباط بمعرفة من رمي بالاختلاط لسبط ابن العجمي.
- الكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات لابن الكيال.

في معرفة الوضاعين:
- الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث لسبط ابن العجمي.

(١٠) مبادئ علم مُخْتَلَف الحديث

مقدِّمات في علم مُخْتَلَف الحَدِيث :

علم مختلف الحديث : هو علم يبحث عن الأحاديث التي ظاهرها التناقض والاختلاف من حيث إمكان الجمع بينها.

أولاً: تعريف مختلف الحديث:
مختلف الحديث لغةً :

المختلِف والمختلَف بكسر اللام وفتحها، فعلى الأول يكون اسم فاعل، وعلى الثاني يكون اسم مفعول، وهو من اختلف الأمران إذا لم يتفقا، وكل ما لم يتساو فقد تخالف واختلف، ومنه قول الله تعالى ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ (النحل: ٦٩) وقوله تعالى: ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ﴾ (الأنعام: ١٤١) أي: في حال اختلاف أُكُلِه. والخاء واللام والفاء تدور معانيها على ثلاثة أصول:

أحدها: (خَلَف): وهو أن يجئ شيء بعد شيء يقوم مقامه .
والثاني: (خَلْف) وهو غير قُدَّام .
والثالث: (خَلَف) وهو التغير.
وأما في الاصطلاح :

فمن ضبط كلمة (مختلف) على وزن اسم فاعل (مُختلِف) بكسر اللام، عرفه بأنه: الحديث الذي عارضه - ظاهراً – مثله

ومن ضبطها بفتح اللام (مُختلَف) على وزن اسم مفعول قال في تعريفه: أَنْ يأْتي حديثان مُتَضادَّان في المعنى ظاهراً

وعليه فيكون المراد بالتعريف على الضبط الأول الحديث نفسه. والمراد بالتعريف على الضبط الثاني نفس التضاد والتعارض والاختلاف.

ثانياً: مشكل الحديث:

المُشكل في اللغة: المُختلط والمُلتبس، يقال: (أشكل الأمر: التبس) و (أشكل عليّ الأمر، إذا أختلط. وأشكلت عليَّ الأخبار وأحلكت: بمعنى واحد)

وأما في اصطلاح أهل الحديث فيمكن تعريفه بأنه: الحديث الذي لم يظهر المراد منه لمعارضته مع دليل آخر صحيح.

ثالثاً: الفرق بين مختلف الحديث ومشكله:

عند التأمل في تعريف مختلف الحديث ومشكله يظهر لنا الفرق بينهما، وأوضح ذلك من خلال ما يلي:

١- الفرق اللغوي :

أ - فالمختلف لغة مشتق من الاختلاف .

ب -بينما المشكل لغة مشتق من الإشكال، وهو الالتباس.

٢- الفرق في السبب :

أ - فالمختلف سببه معارضة حديث لحديث ظاهراً .

ب - بينما مشكل الحديث سبب الإشكال فيه قد يكون التعارض الظاهري بين آية و حديث، وقد يكون سببه التعارض الظاهري بين حديثين أو أكثر، وقد يكون سببه معارضة الحديث للإجماع، وقد يكون سببه معارضة الحديث للقياس، وقد يكون سببه مناقضة الحديث للعقل، وقد يكون سببه غموضاً في دلالة لفظ الحديث على المعنى لسبب في اللفظ، فيكون مفتقر إلى قرينة خارجية تزيل خفاءه كالألفاظ المشتركة.

٣- الفرق في الحكم :

أ - فالمختلف حكمه محاولة المجتهد التوفيق بين الأحاديث المختلفة بإعمال القواعد المقررة عند أهل العلم في ذلك.

ب - وأما المشكل فحكمه النظر والتأمل في المعاني المحتملة للفظ وضبطها، والبحث عن القرائن التي تبين المراد من تلك المعاني.

رابعاً: أهمية علم مختلف الحديث، والمؤلفات فيه:

علم مختلف الحديث له أهمية كبيرة، أُبرزها من خلال الأمور التالية:

١- أنَّ فهم الحديث النبويّ الشريف فهماً سليماً، واستنباط الأحكام الشرعية من السنة النبويّة على- صاحبها أفضل الصلاة و أتم التسليم - استنباطاً صحيحاً لا يتم إلا بمعرفة مختلف الحديث. وما من عالم إلا وهو مضطرٌ إليه ومفتقر لمعرفته. ولذا فقد تنوعت عبارات الأئمة في بيان مكانة مختلف الحديث وعظيم منزلته. ومن ذلك قول ابن حزم الظاهري رحمه الله تعالى: "وهذا من أدق ما يمكن أن يعترض أهل العلم من تأليف النصوص وأغمضه وأصعبه". وقال أبو زكريا النووي رحمه الله تعالى: " هذا فنٌ من أهمِّ الأنواع، ويضطرُّ إلى معرفته جميع العلماء من الطوائف ". وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى: " فإن تعارض دلالات الأقوال وترجيح بعضها على بعض بحر خضم"

٢- أنَّ كثيراً من العلماء اعتنوا بمختلف الحديث عنايةً كبيرةً، من هؤلاء إمام الأئمة ابن خزيمة رحمه الله تعالى فهو من أحسن الناس كلاماً فيه حتى قال عن نفسه: (لا أعرف حديثين متضادين، فمن كان عنده فليأتني به لأؤلف بينهما).

ومن العلماء من صنف به مصنفات كالإمام محمد بن إدريس الشافعي في كتابه "اختلاف الحديث" الذي ذكر فيه طرفاً من الأخبار المتعارضة، ولم يقصد الاستقصاء. قال النووي رحمه الله تعالى: (وصنف فيه الإمام الشافعي ولم يقصد -رحمه الله- استيفاؤه، بل ذكر جملة ينبه بها على طريقه)

ومن صنف فيه كذلك أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَري رحمه الله تعالى في كتابه "تأويل مختلف الحديث" وكان غرضه من هذا الكتاب (الرد على من ادّعى على الحديث التناقض والاختلاف، واستحالة المعنى من المنتسبين إلى المسلمين) ، قال النووي رحمه الله تعالى: (ثم

صنف فيه ابن قتيبة فأتى بأشياء حسنة وأشياء غير حسنة لكون غيرها أقوى وأولى وترك معظم المختلف)

ومنهم أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي رحمه الله تعالى في كتابه "مشكل الآثار" وهو من أعظم ما صنف في هذا الباب وقد بيّن في مطلع كتابه غرضه من تأليف الكتاب فقال: (وَإِنِّي نَظَرْتُ فِي الآثَارِ الْمَرْوِيَّةِ عنه صلى الله عليه وسلم بِالأَسَانِيدِ الْمَقْبُولَةِ التي نَقَلَهَا ذَوُو التَّثَبُّتِ فيها وَالأَمَانَةِ عليها وَحُسْنِ الأَدَاءِ لها فَوَجَدْت فيها أَشْيَاءَ مِمَّا يَسْقُطُ مَعْرِفَتُهَا وَالْعِلْمُ بما فيها عن أَكْثَرِ الناس، فَمَالَ قَلْبِي إلَى تَأَمُّلِهَا وَتِبْيَانِ ما قَدَرْت عليه من مُشْكِلِهَا وَمِنْ اسْتِخْرَاجِ الأَحْكَامِ التي فيها وَمِنْ نَفْيِ الإِحَالاَتِ عنها وَأَنْ أَجْعَلَ ذلك أَبْوَابًا أَذْكُرُ في كل بَابٍ منها ما يَهَبُ اللَّهُ عز وجل لي من ذلك منها حتى أتى فِيمَا قَدَرْت عليه منها كَذَلِكَ مُلْتَمِسًا ثَوَابَ اللهِ عز وجل عليه، وَاَللَّهَ أَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ لِذَلِكَ وَالْمَعُونَةَ عليه، فإنه جَوادٌ كَرِيمٌ، وهو حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)

ومنهم أبو بكر محمد بن الحسن بن فُورَك رحمه الله تعالى في كتابه "مشكل الحديث وبيانه" وهذا الكتاب جمع فيه مؤلفه جملة من أحاديث العقيدة التي رأي ابن فورك أن ظاهرها التشبيه والتجسيم بناءً على مذهبه في الصفات، فيقوم بتأويلها وصرفها عن ظاهرها المراد منها وغيرهم.

ومنهم من لم يفردوه بالتصنيف، لكنهم قد بثوه وفرقوه في كتبهم من هؤلاء حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، وشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، وأبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب ، والحافظ أحمد بن علي العسقلاني، و شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) - رحمهم الله جميعاً- وغيرهم . والأمر كما قال النووي - رحمه الله-: (وإنما يكمل له الأئمة الجامعون بين الحديث والفقه والأصوليون الغواصون على المعاني)

٣- أنَّ النظر في طرق العلماء ومناهجهم في دفع إيهام الاضطراب عن أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم يُنمّي لدى طالب العلم ملكة في التعامل مع النصوص الشرعية وكذلك يربيه على تقديس وتعظيم وإجلال الوحي كتاباً وسنةً فلا يرد منها شيئاً، بل يجتهد في طلب التوفيق و الجمع بينها؛ وذلك لعلمه أن نصوص الوحي لا تتعارض بحال. قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (فصلوات الله وسلامه على من يصدّق كلامه بعضه بعضاً، ويشهد بعضه لبعض، فالاختلاف والإشكال والاشتباه إنما هو في الأفهام، لا فيما خرج من بين شفتيه من الكلام، والواجب على كل مؤمن أن يَكِلَ ما أشكل عليه إلى أصدق قائل، ويعلم أن فوق كل ذي علم عليم)

٤- أنَّ مختلف الحديث يكتسب أهميته من أهمية مُتعلقه وهو فقه الحديث، وقد بلغ من عناية أئمة

الحديث بهذا الشأن مبلغاً عظيماً حيث عدّه بعضهم نصف العلم. قال الإمام علي ابن المديني-رحمه الله-: (التفقه في معاني الحديث نصف العلم، ومعرفة الرجال نصف العلم)

خامساً: بيان حقيقة الاختلاف الحقيقي والظاهري:

أ - الاختلاف الحقيقي: هو التضاد التام بين حجتين متساويتين دلالةً وثبوتاً وعدداً، ومتحدتين زماناً ومحلاً. وهذا لا يمكن وقوعه في الأحاديث النبوية؛ لأنها وحي من الله تعالى قال الله سبحانه: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى) (النجم ٤:٣) والوحي يستحل وقوع الاختلاف والتناقض فيه لقوله تعالى:] وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً[(النساء:٨٢) قال الإمام محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره لهذه الآية: (وأن الذي أتيتهم به من التنزيل من عند ربهم لاتساق معانيه وائتلاف أحكامه وتأييد بعضه بعضاً بالتصديق وشهادة بعضه لبعض بالتحقيق فإن ذلك لو كان من عند غير الله لاختلفت أحكامه وتناقضت معانيه وأبان بعضه عن فساد بعض) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (لا يجوز أن يوجد في الشرع خبران متعارضان من جميع الوجوه، وليس مع أحدهما ترجيح يقدم به) وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: (وأما حديثان صحيحان صريحان متناقضان من كل وجه ليس أحدهما ناسخاً للآخر فهذا لا يوجد أصلاً، ومعاذ الله أن يوجد في كلام الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم الذي لا يخرج من بين شفتيه إلا الحق)

ب - الاختلاف الظاهري: وهو وهم يكون في ذهن الناظر، ولا وجود له في الواقع. قال إبراهيم بن موسى الشاطبي رحمه الله: (كل من تحقق بأصول الشريعة فأدلتها عنده لا تكاد تتعارض كما أن كل من حقق مناط المسائل فلا يكاد يقف في متشابه لأن الشريعة لا تعارض فيها البتة فالمتحقق بها متحقق بما في الأمر فيلزم أن لا يكون عنده تعارض ولذلك لا تجد ألبتة دليلين أجمع المسلمون على تعارضهما بحيث وجب عليهم الوقوف لكن لما كان أفراد المجتهدين غير معصومين من الخطأ أمكن التعارض بين الأدلة عندهم)

وهذا الاختلاف الظاهري له أسباب عديدة قد أوضح ابن القيم رحمه الله تعالى شيئاً منها فقال رحمه الله تعالى: (ونحن نقول لا تعارض بحمد الله بين أحاديثه الصحيحة، فإذا وقع التعارض، فإما أن يكون أحد الحديثين ليس من كلامه صلى الله عليه وسلم، وقد غلط فيه بعض الرواة مع كونه ثقة ثبتاً، فالثقة يغلط، أو يكون أحد الحديثين ناسخاً للآخر، إذا كان مما يقبل النسخ، أو التعارض في فهم السامع لا في نفس كلامه صلى الله عليه وسلم، فلا بد من وجه من هذه الوجوه الثلاثة. وأما حديثان صحيحان صريحان متناقضان من كل وجه ليس أحدهما ناسخاً للآخر فهذا لا يوجد أصلاً، ومعاذ الله أن يُوجد في كلام الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم الذي لا يخرج من بين شفتيه

إلا الحق، والآفة من التقصير في معرفة المنقول، والتميز بين صحيحه و معلوله، أو من القصور في فهم مراده صلى الله عليه وسلم، وحمل كلامه على غير ما عناه به، أو منهما معاً، ومن ههنا وقع من الاختلاف والفساد ما وقع وبالله التوفيق). وقال كذلك (وإن حصل تناقض فلابد من أحد أمرين: إما أن يكون أحد الحديثين ناسخاً للآخر، أو ليس من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم. فإن كان الحديثان من كلامه وليس أحدهما منسوخاً فلا تناقض ولا تضاد هناك البتة، وإنما يُؤتى من يُؤتى هناك من قبل فهمه، وتحكيمه آراء الرجال، وقواعد المذهب على السنة، فيقع الاضطراب والتناقض والاختلاف)

ومن خلال الكلام السابق لابن القيم يظهر أن أسباب التعارض والاختلاف ترجع إلى:

١- إما أن يكون أحد الحديثين ليس من كلامه صلى الله عليه وسلم، وقد غلط فيه بعض الرواة مع كونه ثقة ثبتاً، فالثقة يغلط.

٢- وإما أن يكون أحد الحديثين ناسخاً للآخر، إذا كان مما يقبل النسخ.

٣- وإما أن يكون التعارض في فهم السامع لا في نفس كلامه صلى الله عليه وسلم.

٤- وإما من جهة تقصير الناظر في معرفة المنقول، والتمييز بين صحيحه و معلوله. أو من القصور في فهم مراده صلى الله عليه وسلم، وحمل كلامه على غير ما عناه به، أو منهما معاً.

٥- أو تحكيم آراء الرجال، وقواعد مذهب من المذاهب على السنة النبوية على صاحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

سادساً : مسالك أهل العلم في دفع مختلف الحديث:

القول الذي عليه جماهير أهل العلم في دفع التعارض الظاهري بين مختلف الحديث، هو أن يسلك المجتهد الطرق التالية :

١- الجمع بين الحديثين: لاحتمال أن يكون بينهما عموم وخصوص، أو إطلاق وتقييد، أو مجمل ومبين؛ لأن القاعدة المقررة عند أهل العلم أن إعمال الكلام أولى من إهماله ، قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: (ولا ينسب الحديثان إلى الاختلاف ما كان لهما وجها يمضيان معا إنما المختلف ما لم يمضي إلا بسقوط غيره مثل أن يكون الحديثان في الشيء الواحد هذا يحله وهذا يحرمه) قال الخطابي رحمه الله تعالى: (وسبيل الحديثين إذا اختلفا في الظاهر وأمكن التوفيق بينهما وترتيب أحدهما على الآخر،

أن لا يحملا على المنافاة، ولا يضرب بعضها ببعض، لكن يستعمل كل واحد منهما في موضعه، وبهذا جرت قضية العلماء في كثير من الحديث)

٢- النسخ: إن لم يمكن الجمع بين الحديثين، نُظِر في التاريخ؛ لمعرفة المتأخر من المتقدم، فيكون المتأخر ناسخاً للمتقدم ، قال الشافعي رحمه الله: (فإذا لم يحتمل الحديثان إلا الاختلاف كما اختلفت القبلة نحو بيت المقدس والبيت الحرام كان أحدهما ناسخا والآخر منسوخا)

٣- الترجيح: إن لم يمكن الجمع، ولم يقم دليل على النسخ، وجب المصير إلى الترجيح الذي هو تقوية أحد الحديثين على الآخر بدليل لا بمجرد الهوى. قال الشافعي رحمه الله تعالى: (ومنها ما لا يخلو من أن يكون أحد الحديثين أشبه بمعنى كتاب الله أو أشبه بمعنى سنن النبي صلى الله عليه وسلم مما سوى الحديثين المختلفين أو أشبه بالقياس فأي الأحاديث المختلفة كان هذا فهو أولاهما عندنا أن يصار إليه). وقال الشوكاني رحمه الله في مبحث وجوه الترجيح بين المتعارضين: (إنه متفق عليه، ولم يخالف في ذلك إلا من لا يعتد به، ومن نظر في أحوال الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم وجدهم متفقين على العمل بالراجح وترك المرجوح)

٤- التوقف: إذا تعذر كل ما تقدم من الجمع والنسخ والترجيح فإنه يجب التوقف حينئذ عن العمل بأحد الحديثين حتي يتبين وجه الترجيح. قال الشاطبي رحمه الله تعالى:(...التوقف عن القول بمقتضى أحدهما وهو الواجب إذا لم يقع ترجيح...). قال السّخاوي رحمه الله تعالى: (ثم التوقف عن العمل بأحد الحديثين والتعبير بالتوقف أولى من التعبير بالتساقط لأن خفاء ترجيح أحدهما على الآخر إنما هو بالنسبة للمعتبر في الحالة الراهنة مع احتمال أن يظهر لغيره ما خفى عليه وفوق كل ذي علم عليم)

(١١) مبادئ علم ناسِخ الحديث ومَنْسُوخه

علم الناسخ والمنسوخ : النسخ هو رفع الشارع للحكم المتقدم بحكم متأخر. ويُقبل النسخ عند التعارض التام بين الأحاديث المتكافئة في القوة مع وجود دليل على النسخ من نص عن النبي صلي الله عليه وسلم، أو نص صحابي أو معرفة التاريخ وغير ذلك. فالنسخ هو أحد أساليب إزالة الإشكال بين مختلف الحديث.

اعلم أن النسخ له اشتقاق عند أرباب البيان ، وحد عند أصحاب المعاني ، وشرائط عند العالمين بالأحكام .

أما أصله : فالنسخ في اللغة عبارة عن إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه.

وقال أبو حاتم : الأصل فيه النسخ ، وهو أن يحول ما في الخلية من العسل والنحل في أخرى ، ومنه نسخ الكتاب ، وفي الحديث : ما من نبوة إلا وتناسختها فترة ثم النسخ في اللغة موضوع بإزاء معنيين:

أحدهما : الزوال على جهة الانعدام .

والثاني : على جهة الانتقال.

أما النسخ بمعنى الإزالة فهو أيضا على نوعين :

١- نسخ إلى بدل : نحو قولهم : نَسَخَ الشَّيْبُ الشَّبابَ ، نَسَخَتِ الشَّمْسُ الظِّلَّ ، أي : أذهبته وحلت محله .

٢- نسخ إلى غير بدل : إنما هو رفع الحكم وإبطاله من غير أن يقيم له بدلا ، يقال : نسخت الريح الآثار ، أي : أبطلتها وأزالتها.

وأما النسخ بمعنى النقل فهو نحو قولك : نسخت الكتاب إذا نقلت ما فيه ، وليس المراد به إعدام ما فيه ، ومنه قوله تعالى : إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون يريد نقله إلى الصحف ، ومن الصحف إلى غيرها ، غير أن المعروف من النسخ في القرآن هو إبطال الحكم مع إثبات الخط ، وكذلك هو في السنة .

أما في الكتاب فهو أن تكون الآية الناسخة والمنسوخة ثابتتين في التلاوة ، إلا أن المنسوخة لا يعمل بها مثل : عدة المتوفى عنها زوجها كانت سنة ؛ لقوله - تبارك وتعالى : - متاعا إلى الحول غير إخراج ، ثم نسخت بأربعة أشهر وعشر في قوله تعالى : (يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً) (سورة البقرة)

وأما في السنة فعلى نحو من ذلك أيضا ؛ لأن الغالب أنهم نقلوا المنسوخ كما نقلوا الناسخ .
وأما حده فمنهم من قال : إنه بيان انتهاء مدة العبادة ، وقيل : بيان انقضاء مدة العبادة التي ظاهرها الدوام ، وقال بعضهم : إنه رفع الحكم بعد ثبوته .

وقد أطبق المتأخرون على ما ذكره القاضي : أنه الخطاب الدال على : ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتا به مع تراخيه عنه ، وهذا حد صحيح .

يعتبر المحدثون معرفة ناسخ الحديث ومنسوخه من الفنون المهمة التي خاضها كبار العلماء ، وخدموا بها السنة النبوية الشريفة ، وعن هذا الموضوع جاء في تدريب الراوي ما يلي : " ناسخ الحديث ومنسوخة ، فن مهم صعب ، فقد مر على علي قاص فقال : تعرف الناسخ من المنسوخ ، فقال : لا ، فقال : هلكت وأهلكت . . . وقد روينا عن الزهري قال : أعيا الفقهاء وأعجزهم أن يعرفوا ناسخ الحديث من منسوخه . وكان للشافعي فيه يد طُولَى وسابقة أُولَى ، فقد قال الإمام أحمد بن حنبل لابن وارة وقد قدم من مصر : كتبت كتب الشافعي ؟ قال : لا ، قال : فرطت ، ما علمنا المجمل من المفسر ولا ناسخ الحديث من منسوخه حتى جالسنا الشافعي .

والنسخ في اصطلاح المحدثين هو : رفع الشارع حكما منه متقدما بحكم منه متأخر.

قال السيوطي في شرحه لهذا التعريف : " فالمراد برفع الحكم قطع تعلقه عن المكلفين ، واحترز به عن بيان المجمل ، وبإضافته للشارع عن إخبار بعض من شاهد النسخ من الصحابة ، فإنه لا يكون نسخا ، وإن لم يحصل التكليف به لمن لم يبلغه قبل ذلك إلا بإخباره ، وبالحكم عن رفع الإباحة الأصلية ، فإنه لا يسمى نسخا ، وبالمتقدم عن التخصيص المتصل بالتكليف ، كالاستثناء ونحوه ، وبقولنا بحكم منه متأخر ، عن رفع الحكم بموت المكلف أو زوال تكليفه بجنون ونحوه ، وعن انتهائه بانتهاء الوقت كقوله صلى الله عليه وسلم : إنكم ملاقو العدو غدا ، والفطر أقوى لكم فافطروا ، فالصوم بعد ذلك اليوم ليس نسخا.

أما أنواع الأحاديث المنسوخة فهي كثيرة ومتعددة ، فمنها ما يعرف بتصريح من رسول الله صلى الله عليه وسلم كالحديث الذي أخرجه الإمام أحمد بن حنبل من حديث علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور وعن الأوعية ، وأن تحبس لحوم الأضاحي بعد ثلاث.

ولقد علم بأن هذا الحديث منسوخ بأحاديث أخرى ، منها ما أخرجه مسلم بسنده من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نهيتكم عن زيارة

القبور فزوروها ، ونهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث فامسكوا ما بدا لكم ، ونهيتكم عن النبيذ إلا في سقاء فاشربوا في الأسقية كلها ولا تشربوا مسكرا.

قال النووي عن هذا الحديث الأخير : " هذا الحديث مما صرح فيه بالناسخ والمنسوخ جميعا " ومنها ما يعرف بقول صحابي ، ومن أمثلة ذلك ما أخرجه مسلم بسنده من حديث عبد الله بن إبراهيم بن قارظ أنه وجد أبا هريرة رضي الله عنه يتوضأ في المسجد فقال : إنما أتوضأ من أثوار أقط أكلتها ؛ لأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : توضئوا مما مست النار.

هذا الحديث نسخ بأحاديث أخرى منها ما أخرجه أبو داود بسنده من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما غيرت النار.

ومنها ما عرف بالتاريخ فيكون السابق منسوخا واللاحق ناسخا . ومن أمثلة ذلك ما أخرجه الإمام أبو داود بسنده من حديث شداد بن أوس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى على رجل بالبقيع وهو يحتجم ، وهو آخذ بيدي ، لثمان عشرة خلت من رمضان ، فقال : أفطر الحاجم والمحجوم .

وهذا الحديث نسخ بأحاديث وردت بعده منها الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري بسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو محرم ، واحتجم وهو صائم

قال ابن حزم " : صح حديث أفطر الحاجم والمحجوم بلا ريب ، ولكن وجدنا من حديث أبي سعيد : أرخص النبي صلى الله عليه وسلم في الحجامة للصائم ، وإسناده صحيح فوجب الأخذ به ؛ لأن الرخصة إنما تكون بعد العزيمة ، فدل على نسخ الفطر بالحجامة سواء كان حاجما أو محجوما. "

ومنها ما نُسِخَ بدلالة الإجماع . كقتل شارب الخمر إن كرر شربها أربع مرات ، ويدلنا على ذلك الحديث الآتي الذي أخرجه الإمام أبو داود بسنده من حديث قبيصة بن ذؤيب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من شرب الخمر فاجلدوه ، فإن عاد فاجلدوه ، فإن عاد فاجلدوه فإن عاد في الثالثة أو الرابعة فاقتلوه ، فأتي برجل قد شرب فجلده ، ثم أتي به فجلده ، ثم أتي به فجلده ، ثم أتي به فجلده ، ورفع القتل ، وكانت رخصة.

والإجماع لا يُنْسَخُ ولكن يدل على ناسخ . قال النووي : في شرح مسلم أنه منسوخ بدلالة الإجماع . وقال الصنعاني في تعقب النووي بأنه لا إجماع إذ قال ابن عمر بالعمل به ، وقال به ابن حزم ، وقال الشافعي : القتل منسوخ بهذا الحديث وغيره.

أما كل من الناسخ والمنسوخ إن صحا فحكمها القبول ، إلا أنه يترك العمل بالحديث المنسوخ ويعمل بالحديث الناسخ.

وجمهور الأصوليين على أن الإجماع لا يجوز أن يكون ناسخًا ولا منسوخًا، واستدلوا على أنه لا يجوز أن يكون ناسخًا بأن المنسوخ به إما أن يكون نصًّا أو إجماعًا أو قياسًا، ولا جائز أن يكون نصًّا؛ لأن الإجماع لا بد أن يكون له نص يستند إليه، خصوصًا إذا انعقد على خلاف النص.

وإذًا يكون الناسخ هو ذلك النص الذي استند إليه الإجماع، لا نفس الإجماع، ولا جائز أن يكون المنسوخ بالإجماع إجماعًا؛ لأن الإجماع لا يكون إلا عن مستنَد يُستند إليه مِن نص أو قياس؛ إذ الإجماع بدون مستندٍ قولٌ على الله بغير علم، والقول على الله بغير علم ضلالة، والأمة لا تجتمع على ضلالة، ومستند الإجماع الثاني لا بد أن يكون نصًّا حدث بعد الإجماع الأول؛ لأن ذلك النص لو تحقق قبل الإجماع الأول ما أمكن أن ينعقد الإجماع على خلافه.

من أهم المؤلفات فى علم ناسخ الحديث ومنسوخه :

١- كتاب الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار :لأبي بكر محمد بن موسى الحازمي الهمذاني(ت/ ٥٨٤هـ) ، وكتابه مطبوع ومرتب على أبواب الفقه، وبه مقدمة في الترجيح بين الآثار المتعارضة ذكر فيها خمسين وجهاً للترجيح.

٢- كتاب إخبار أهل الرسوخ في الفقه والتحديث بمقدار المنسوخ من الحديث: لأبي الفرج ابن الجوزي(ت/٥٩٧هـ)، ولم يستوعب فيه ابن الجوزي كل المنسوخ.

٣- الناسخ والمنسوخ من الحديث للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (٢٤١ هـ)

٤- ناسخ الحديث ومنسوخه لأبي بكر أحمد بن محمد بن هانئ الطائي المعروف بالأثرم الإمام الحافظ المتوفى سنة (٢٦١ هـ) أحد أصحاب الإمام أحمد بن حنبل طبع في دار الحرمين مصر ١٤١٩هـ بتحقيق إبراهيم إسماعيل القاضي، وحققه أيضاً عبد الله بن حمد المنصور عام (١٩٩٩هـ (وكلاهما بدون أسانيد على غير عادة المصنفين من المحدثين القدامى، وقيل: هو مختصر الكتاب الأصلي.

٥- الناسخ والمنسوخ من الحديث لأبي داود السجستاني سليمان بن الأشعث الأزدي صاحب السنن (٢٧٥ هـ)

٦- ناسخ الحديث ومنسوخه لأبي بكر محمد بن عثمان بن الجعد الشيباني المتوفى سنة (٣٠١ هـ) وهو أحد أصحاب ابن كيسان النحوي .

٧- ناسخ الحديث ومنسوخه لأحمد بن إسحاق بن بهلول بن حسان بن سنان التنوخي المتوفى سنة (٣١٨ هـ)

٨- الناسخ والمنسوخ لأحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الطحاوي الحنفي المتوفى سنة (٣٢١ هـ)

٩- ناسخ الحديث ومنسوخه لأبي جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري المتوفى سنة (٣٣٨ هـ)

١٠- الناسخ والمنسوخ لأبي محمد قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف الأموي القرطبي المتوفى سنة (٣٤٠ ه)

١١- الناسخ والمنسوخ من الحديث لأبي الشيخ عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني المتوفى سنة (٣٦٩ هـ)

١٢- ناسخ الحديث ومنسوخه لأبي حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين البغدادي المتوفى سنة (٣٨٥ هـ) وسيأتي الحديث عنه.

١٣- الناسخ والمنسوخ لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري الفقيه الأصولي المتكلم المفسر النحوي المتوفى سنة (٤٦٥ هـ)

١٤- إعلام العالم بعد رسوخه بحقائق ناسخ الحديث ومنسوخه لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن الجوزي الحنبلي البغدادي المتوفى سنة (٥٩٧هـ) وقد حققه أحمد عبد الله الزهراني في رسالة ماجستير بجامعة أم القرى.
وله كتاب آخر سماه (إخبار أهل الرسوخ في الفقه والحديث بمقدار المنسوخ من الحديث) ذكر فيه اثنين وعشرين حديثا مما قيل: إنها منسوخة.

١٥- الناسخ والمنسوخ في الحديث لأبي حامد أحمد بن محمد بن مظفر بن المختار الرازي المتوفى بعد سنة (٦٣١هـ) طبع في مكتبة الفاروق الحديثة القاهرة ١٤٢٢هـ بتحقيق أبي يعقوب نشأت بن كمال المصري.

١٦- الناسخ والمنسوخ في الحديث لأبي بكر بن موسى الخوارزمي المتوفى سنة (٧١٠هـ) مخطوط توجد نسخة منه في مكتبة أيا صوفيا- استانبول .

١٧- رسوخ الأحبار في منسوخ الأخبار لبرهان الدين الجعبري إبراهيم بن عمر المتوفى سنة (٧٣٢هـ) طبعته مؤسسة الكتب الثقافية بتحقيق حسن محمد الأهدل.

١٨- عدة المنسوخ في الحديث لبدر الدين حسين بن عبد الرحمن بن محمد بن علي ابن أبي بكر بن الشيخ علي الأهدل المتوفى سنة (٨٥٥ هـ)

(١٢) مبادئ علم شُروح الحَديث

علم شروح الحديث :

هو العلم المتعلق بشرح الأحاديث النبوية وبيان معانيها ومقاصدها وما يتعلق بها من الأحكام، مع بيان أقوال العلماء في ذلك.

١- حده : الشرح في اللغة هو الكشف والتوضيح والفهم والبيان والحديث في اللغة : الحديث، و الخبر قليله وكثيره

وفي الاصطلاح : ما أضيف إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو المرفوع . فشرح الحديث اصطلاحاً : الكشف و التوضيح لمعاني وفقه ما أضيف إلى الرسول صلى الله عليه وسلم . وإذا كان العلم في اصطلاح التدوين : " هو مجموعة المسائل والأصول الكلية المتعلقة بجهة واحدة " ؛ فإن علم شرح الحديث هو : معرفة مجموعة المسائل والأصول الكلية المتعلقة ببيان معاني وفقه ما أضيف إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. فشرح الحديث يقصد به توضيح وبيان معانيه وفقهه، ومتمات ذلك . ويسمى هذا العلم بفقه الحديث، أو علم شرح الحديث، أو علم معاني الحديث، أو علم أصول تفسير الحديث.

٢- موضوعه : موضوع هذا العلم هو حديث الرسول صلى الله عليه وسلم من جهة القواعد الكلية والمسائل المتعلقة ببيان معاني الحديث، والمراد منه.

٣- ثمرته : إن العناية بفقه الحديث ومعانيه من المقاصد الأساسية التي يسعى إليها طالب العلم الشرعي، في طريقه لنيل السعادة في الدارين . وأهمية هذا الأمر تكمن في أمور عدة، منها :

١- إن الاستدلال الصحيح يتوقف على مهمتين، هما : المهمة الأولى: صحة الدليل . المهمة الثانية: صحة الاستدلال، ويشتمل على : سلامة الفهم - .السلامة من المعارض - السلامة من النسخ . والمهمة الأولى بالنسبة للحديث هي الموضوع المحوري لعلم الحديث، وأصول الأثر، إذ هو قواعد يعرف منها حال الراوي والمروي، أعني من جهة معرفة الصحيح من السقيم . والمهمة الثانية هي المقصودة بـ "علم أصول تفسير الحديث"، حيث يهتم فيه بضبط العلوم والأصول في فقه حديث الرسول ، وهي داخلة في علوم الحديث، ولكني أفرد هنا لأهميتها . ولذلك قال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري ت(٤٠٥هـ) في كتابه: "معرفة علوم الحديث": "النوع العشرون من هذا العلم - بعد معرفة ما قدمنا ذكره من صحة الحديث إتقاناً ومعرفة لا تقليداً وظن.

ومعرفة فقه الحديث هو ثمرة هذه العلوم، والاهتمام بفقه الحديث سنة الجلة من العلماء، ولا يستقيم طلب الحديث وتصحيحه وتضعيفه بترك التفقه في معانيه . قال علي بن خشرم ت(٢٥٧هـ أو بعدها) رحمه الله: " كنا في مجلس سفيان بن عيينة، فقال: يا أصحاب الحديث تعلموا فقه الحديث حتى لا يقهركم أصحاب الرأي. قال سفيان الثوري ت(١٦١هـ) رحمه الله : " تفسير الحديث خير من سماعه " وكذا ورد عن أبي أسامة ت(١٦٧هـ) رحمه الله .مثله قال علي بن المديني ت(٢٣٢هـ) رحمه الله: " التفقه في معاني الحديث نصف العلم، ومعرفة الرجال نصف العلم . " قال إسحاق بن راهويه ت (ه ٢٣٨هـ) رحمه الله: " كنت أجالس بالعراق أحمد ابن حنبل ت(٢٤١هـ) ويحي بن معين ت (٢٣٣ ه) ـ ، وأصحابنا، فكنا نتذاكر الحديث، من طريق وطريقين وثلاثة، فيقول يحي بن معين من بينهم: وطريق كذا! فأقول : أليس قد صح هذا بإجماع منا؟ فيقولون: !نعم) (فأقول: ما مراده؟ ما تفسيره؟ ما فقهه؟. فيبقون كلهم إلا أحمد بن حنبل . "وهذا النص فيه تنبيه مهم لكل طالب حديث يشتغل بتخريج الحديث، أن يتنبه إلى أن معرفة مرتبة الحديث ليست هي خاتمة المطاف، وليست هي الغاية المقصودة، بل المقصود معرفة تفسير الحديث ومعناه ومراده، ليتعبد الله عز وجل به، فينال المسلم سعادة الدارين بالقيام بشرع الله تعالى . وهذا العلم يحتاجه المسلمون؛ لتحقيق المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم، والقيام بشرع الله عز وجل . قال ابن تيمية ت(٧٢٨هـ) رحمه الله : "يحتاج المسلمون إلى شيئين :

١- معرفة ما أراد الله ورسوله بألفاظ الكتاب والسنة؛ بأن يعرفوا لغة القرآن التي نزل بها ، وما قاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين، في معاني تلك الألفاظ. وهذا أصل العلم والإيمان والسعادة والنجاة.

٢- معرفة ما قاله الناس في هذا الباب ؛ لينظر المعاني الموافقة للرسول فتقبل، والمخالفة فترد؛ فيجعل كلام الله ورسوله ومعانيها هي الأصل، وما سواهما يرد إليها " اهـ. وهذا هو الفوز الحقيقي، والمقصد الأسمى، والكنز الكبير . نقل عن بعض السلف قوله: "اطلبوا الكنوز تحت كلمات رسول الله صلى الله عليه وسلم . " فطلب معاني الحديث وفقهه من كنوز العلم التي يطلب من كل أحد أن يسعى إلى تحصيلها وطلبها وتحصيل الحديث ومعرفة فقهه وغريبه، والاحتياط في فهم معانيه؛ من المهات بالنسبة للمحدث؛ إذ الإخلال بذلك يوجب اشتباه المُراد بغير المُراد .

٤- نسبته : إلى سائر العلوم الشرعية . هذا العلم هو أصل في العلوم الشرعية كلها تنبني عليه، إذ فهم الحديث ومعرفة المراد منه يتوقف عليه عمل المفسر والفقيه والأصولي والمتكلم في مباحث العقيدة . والكلام في العلوم الشرعية جميعها هو كلام يقوم في أصله وأساسه على معاني القرآن والسنة، فهذا العلم أصل العلوم وباب الفهوم لكتاب الله العظيم وسنة نبيه الكريم .

٥- فضله : من أشرف العلوم ، حيث أنه لا يستقيم طلب الحديث وتصحيحه وتضعيفه بترك التفقه في معانيه.

٦- واضعه : أول من تكلم في هذا العلم هو الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد كان يبين للصحابة معاني بعض الألفاظ والمراد منها، فيلفت الأنظار إلى كنوز الحديث النبوي، ثم سار على سبيله صحابته رضوان الله عليهم والأئمة من بعدهم، رضي الله عنهم أجمعين . والكتب التى وضعها العلماء لشرح الأحاديث والتى تشتمل على كل الفنون من شرح لغريب ألفاظه وإعراب بعضها وتأويل لمختلف الحديث وذكر فوائد الحديث سواء كانت أحكاما فقهية أو غير ذلك. وقد تكون هذه الشروح لكتب السنة الأصلية أو التابعة.

٧- اسمه : علم شروح الحديث.

٨- استمداده : يستمد هذا العلم من الحديث نفسه، فإن الحديث يفسر الحديث، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى، ويستمد أيضاً من كلام الصحابة رضوان عليهم، ويستمد من كلام السلف، فإن لم نجد للفظة تفسيراً في الحديث برواياته وفي موضوعه، و لا في كلام الصحابة، و لا في كلام السلف، نظرنا في اللغة، فإن اللسان الذي كان يتكلم به الرسول صلى الله عليه وسلم . و معرفة ما أراد الله ورسوله بألفاظ الكتاب والسنة؛ بالرجوع إلى لغة القرآن التي نزل بها، وما قاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين، في معاني تلك الألفاظ ؛ ثم معرفة ما قاله الناس في هذا

الباب؛ لينظر المعاني الموافقة للرسول فتقبل، والمخالفة فترد؛ فيجعل كلام الله ورسوله ومعانيهما هي الأصل، وما سواهما يرد إليها ؛هذه المعرفة مما يحتاج إليه المسلمون.

٩- حكمه : أى حكم تعلمه . هو بالنسبة إلى عموم المسلمين فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الآخرين . وبالنسبة إلى من يتكلم في الشرع وأحكامه ومعانيه فرض عين، إذ كيف يتكلم في معاني الشرع وهو لا يعرف معاني الأحاديث وفقهها والمراد منها ؟ ! وقد تقرر أن سوء فهم القرآن العظيم، والحديث الشريف، إحداث في الدين والشرع. بل سوء الفهم عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، أصل كل بدعة وضلالة، نشأت من كلام ابن تيمية بتصرف ، انظر تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى (٣٥٣/١٧ـ٣٥٥) باختصار وتصرف.

١٠- مسائله تحرير هدف الحديث ومقصده، ومعناه على جهة الإجمال، وسلامته من المعارض والناسخ، وتفسير الألفاظ، وبيان معانيها و المراد منها. ويقصد بذلك الألفاظ الواقعة في الحديث النبوي . فشرح الحديث يُعْنَى بثلاثة جوانب وهي :

١- ما يتعلق بالإسناد ، من حيث التخريج وبيان درجة الحديث ، والتعريف بالرواة، وضبط ما يحتاج إلى ضبط من أسماء الرواة، مع بيان المهمل والمبهم في الإسناد، على وجه الاختصار، وبدون تعمق وإمعان؛ لأن لكل جانب من هذه الجوانب المتعلقة بالإسناد علم يختص به .

٢- ما يتعلق ببيان معاني ألفاظ الحديث – تحتاج إلى بيان – وذلك بالرجوع إلى كتب الغريب واللغة .

٣- بيان المراد بالحديث، وهذا هو فقه الحديث، الذي تختلف فيه منازع أنظار أهل العلم واستنباطهم. مع ملاحظة أن الفرق بين بيان معنى اللفظ من جهة اللغة وبين بيان المعنى المراد من الحديث .

التأليف في أصول شرح حديث الرسول صلى الله عليه وسلم:

اعلم أن كلام العلماء رحمهم الله تعالى في أصول تفسير الحديث وبيان معانيه وفقهه، مبثوث في مصنفاتهم سواء منها ما كان متعلقاً بعلم مصطلح الحديث ، أو ما كان متعلقاً بشروح الحديث، أو ما كان متعلقاً بالردود على المخالفين .فمسائل هذا العلم ليست ببدع . بل ذكر ابن حبان ت(٣٥٤هـ) رحمه الله تعالى كتاباً له وسمه بـ "فصول السنن"، يبدو من خلال إشاراته أنه يتعلق بالقواعد التي يحتاج إليها من يتكلم في تفسير الحديث وبيان حديث صحيح . أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، حديث رقم (٦٥٠٧) ، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء ،

باب من أحب الله لقاءه، حديث رقم (٢٦٨٣) هناك أنواع حديثية تتعلق بـ "أصول تفسير الحديث النبوي"، وهي :

١- ناسخ الحديث ومنسوخه ٢- مختلف الحديث ومشكله ٣- غريب

٤- أسباب ورود الحديث ٥- فقه الحديث

وهذه الأنواع مذكورة في كتب مصطلح الحديث . ردود العلماء رحمهم الله تعالى على المخالفين تتضمن التنبيه على كثير من قواعد الاستنباط والفهم للقرآن العظيم والسنة النبوية. وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وخاصة: "منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية"، مليئة ومشحونة بذلك، وكذا كتب تلميذه ابن قيم الجوزية وخاصة: "بدائع الفوائد"، و "زاد المعاد"، مشحونة بذلك .أما كتب شروح الحديث فأفضلها وأكثرها تنبيهاً على أصول تفسير الحديث: " فتح الباري بشرح صحيح البخاري "، لابن حجر العسقلاني رحمه الله . وذكر صديق حسن خان ت(١٣٠٧هـ) رحمه الله في كتابه "الحطة "كتاباً قد يظن أنه في علم شروح الحديث، حيث قال رحمه الله: " أما طريقة الشرح وضوابطه فقد أفرده بالتأليف رفيع الدين الدهلوي، في رسالته المسماة بـ "التكميل ".

من أهم المصنفات في علم شروح الحديث :

- فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني، والذي يعتبر أحد دواوين الإسلام المعتبرة، ومصادره العلمية المهمة، أخذ في جمعه وتأليفه وإملائه وتنقيحه أكثر من خمس وعشرين سنة، فجمع فيه شروح من قبله على صحيح البخاري، باسطاً فيه إيضاح الصحيح وبيان مشكلاته، وحكاية مسائل الإجماع، وبسط الخلاف في الفقه والتصحيح والتضعيف واللغة والقراءات، مع العناية الواضحة بضبط صحيح البخاري ورواياته والتنويه على الفروق فيها، مع فوائد كثيرة وفرائد نادرة واستطرادات نافعة
- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري - المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣ هـ).
- بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخيار - المؤلف: محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (المتوفى: ٣٨٠ هـ).
- بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار - المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي (المتوفى: ١٣٧٦ هـ).

- تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي - المؤلف: أبو العلاء محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: ١٣٥٣ هـ).
- تطريز رياض الصالحين - المؤلف: فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي (المتوفى: ١٣٧٦ هـ).
- التحفة الربانية في شرح الأربعين حديثًا النووية - ومعها: شرح الأحاديث التي زادها ابن رجب الحنبلي - المؤلف: إسماعيل بن محمد بن ماحي السعدي الأنصاري (المتوفى: ١٤١٧ هـ).
- التلخيص المعين على شرح الأربعين - المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١ هـ).
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد - المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣ هـ).
- تنوير الحوالك شرح موطأ مالك - المؤلف: عبد الرحمن بن أبو بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ).
- تيسير العلام شرح عمدة الأحكام - المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد البسام (المتوفى: ١٤٢٣ هـ).
- جامع العلوم والحكم بشرح خمسين حديثا من جوامع الكلم - المؤلف: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥ هـ).
- حاشية ابن القيم على سنن أبي داود - المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ).
- الجوهر النقي - المؤلف: علاء الدين علي بن عثمان، الشهير بابن التركماني (المتوفى: ٧٥٠ هـ).
- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين - المؤلف: محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (المتوفى: ١٠٥٧ هـ).
- الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج - المؤلف: عبد الرحمن بن أبو بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ).
- سنن ابن ماجه بحاشية السندي - المؤلف: ابن ماجه / السندي

- سنن النسائي بحاشيتي السندي والسيوطي - المؤلف: النسائي - السندي - السيوطي
- شرح الأربعين النووية - المؤلف: صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ
- شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية - المؤلف: تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (المتوفى: ٧٠٢ هـ).
- شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية - المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦ هـ).
- شرح البخاري - المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩ هـ).
- شرح رياض الصالحين - المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١ هـ).
- شرح سنن أبي داود - المؤلف: عبد المحسن بن حمد العباد البدر
- شرح سنن أبي داود - المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥ هـ).
- شرح سنن ابن ماجه - الإعلام بسنته - المؤلف: مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي، أبو عبد الله، علاء الدين (المتوفى: ٧٦٢ هـ).
- شرح عمدة الأحكام - المؤلف: عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبرين
- شرح مسند أبي حنيفة - المؤلف: الملا علي القاري، علي بن سلطان محمد (المتوفى: ١٠١٤ هـ).
- العرف الشذي شرح سنن الترمذي - المؤلف: محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي (المتوفى: ١٣٥٣ هـ).
- عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد في إعراب الحديث - المؤلف: عبد الرحمن بن أبو بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ).
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري - المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥ هـ).
- عون المعبود شرح سنن أبي داود - المؤلف: محمد شمس الحق العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩ هـ).

- عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته - المؤلف: محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩ هـ).
- فتح الباري شرح صحيح البخاري - المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ).
- فتح الباري شرح صحيح البخاري - المؤلف: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥ هـ).
- فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب رحمهما الله - المؤلف: عبد المحسن بن حمد العباد البدر
- فيض الباري شرح البخاري - المؤلف: محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي (المتوفى: ١٣٥٣ هـ).
- فيض القدير شرح الجامع الصغير - المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (المتوفى: ١٠٣١ هـ).
- المختصر النصيح في تهذيب كتاب الجامع الصحيح - المؤلف: المُهَلَّبُ بنُ أَحْمَدَ بنِ أَبِي صُفْرَةَ أَسِيْدِ بنِ عَبْدِ اللهِ الأَسَدِيُّ الأَنْدَلُسِيُّ، (المتوفى: ٤٣٥ هـ).
- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح - المؤلف: عبيد الله الرحماني المباركفوري (المتوفى: ١٤١٤ هـ).
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح - المؤلف: الملا علي القاري، علي بن سلطان محمد (المتوفى: ١٠١٤ هـ).
- المنتقى شرح موطأ مالك - المؤلف: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث الباجي الأندلسي (المتوفى: ٤٧٤ هـ).
- مجالس التذكير من حديث البشير النذير - المؤلف: عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: ١٣٥٩ هـ).
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج - المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦ هـ).

- هدي الساري مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري - المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ).

(١٣) مبادئ علم تَخْرِيج الحَدِيث

هو العلم الذي يهتم بحديث رسول الله سندا ومتنا، أي رواية ودراية وعزو هذه الأحاديث – كأحاديث كتاب فقه أو تفسير وغيرها- إلى مصادرها من كتب السنة الأصلية مع بيان طرقها والحكم عليها ببيان درجتها. وقيل: عزو الحديث إلى من أخرجه من أئمة وعلماء الحديث المعتبرين، والكلام عليه بعد التفتيش عن حاله ورجال مخرجه. وقد نشأ هذا العلم بسبب قِصَر باع المتأخرين عن الإلمام بمعرفة مواضع الحديث في دواوين السنة.

من أهم المصنفات في علم التخريج :

- كتاب تمام المنة في التعليق على فقه السنة، قام فيه مؤلفه محمد ناصر الدين الألباني بتخريج بعض أحاديث كتاب فقه السنة للسيد سابق.
- أحاديث القصاص - المؤلف: تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ).
- اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة - المؤلف: شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري (المتوفى: ٨٤٠ هـ).
- الأحاديث القدسية الأربعينية - المؤلف: علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤ هـ).
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل - المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ هـ).
- إطراف المُسْنِد المعتَلِي بأطراف المسنَد الحنبلي - المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ).
- الإيماء إلى زوائد الأمالي والأجزاء - زوائد الأمالي والفوائد والمعاجم والمَشْيَخات على الكتب الستة والموطأ ومسند الإمام أحمد - المؤلف: نبيل سعد الدين سَليم جَرَّار

- بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام - المؤلف: علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي، أبو الحسن ابن القطان (المتوفى: ٦٢٨ هـ).
- تخريج أحاديث الإحياء - المؤلف: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦ هـ).
- تذكرة الموضوعات - المؤلف: محمد طاهر بن علي الفتني (المتوفى: ٩٨٦ هـ).
- تمام المنة في التعليق على فقه السنة - المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ هـ).
- تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق - المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨ هـ).
- التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه - المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ هـ).
- التكميل لما تخريجه من إرواء الغليل - المؤلف: صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ
- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير - المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ).
- جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزَّوائِد - المؤلف: محمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي بن طاهر السوسي الردواني المغربي المالكي (المتوفى: ١٠٩٤ هـ).
- الدراية في تخريج أحاديث الهداية - المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ).
- الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة - المؤلف: عبد الرحمن بن أبو بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ).
- الرد على ابن القطان في كتابه بيان الوهم والإيهام - المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨ هـ).
- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية - المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧ هـ).

- غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام - المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ هـ).
- فتح الغفار الجامع لأحكام سنة نبينا المختار - المؤلف: الحسن بن أحمد بن يوسف بن محمد بن أحمد الرُّباعي الصنعاني (المتوفى: ١٢٧٦ هـ).
- الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي - المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (المتوفى: ١٠٣١ هـ).
- القول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد - المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ).
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس - المؤلف: إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (المتوفى: ١١٦٢ هـ).
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - المؤلف: نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧ هـ).
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية - المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ).
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة - المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢ هـ).
- المنار المنيف في الصحيح والضعيف - المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ).
- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان - المؤلف: نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧ هـ).
- الموضوعات - المؤلف: جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧ هـ).
- نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي - المؤلف: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (المتوفى: ٧٦٢ هـ).
- نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق - المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ هـ).

- نظم المتناثر من الحديث المتواتر - المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي الفيض جعفر الحسني الإدريسي الشهير ب الكتاني (المتوفى: ١٣٤٥ هـ).
- نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول - المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ).

(١٤) مبادئ علم التَّفْسِير

١- حده : تعريف القرآن : هو كلام الله عز و جل المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه و سلم للإعجاز.
تعريف التفسير لغة : الإيضاح و البيان.
اصطلاحا (شرعا) : هو علم يفهم به كتاب الله عز و جل المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه و سلم و بيان معانيه و استخراج أحكامه و حكمه.
فعلم التفسير : بيان معاني القرآن ، و أي شيء ليس فيه بيان معنى من معاني القرآن فلا يعد من علوم التفسير ، بل ينسب إلى غيره من العلوم ، كلٌ حسب موضوعه.
أما وجه إعجاز القرآن : أنه معجز ببلاغته و فصاحته و أسلوبه و نظمه و بيانه ، لأنه إنما أعجز بما هو ذاتي له من أنه كلام ، و ذلك متحقق في جميع آيات القرآن الكريم.

٢- موضوعه : كلام الله سبحانه و تعالى معاني القرآن الكريم الذي هو منبع كل حكمة ومعدن كل فضيلة .
٣- ثمرته : التوصل إلى فهم معاني القرآن واستنباط حكمه ليفاز به إلى السعادة الدنيوية والأخروية ، وعصمة المكلف عن الخطأ في فهم كلام الله تعالى، وغايته معرفة أوامره ونواهيه.
٤- نسبته : ينسب إلى علوم القرآن ، اللغة و القراءة ، العقيدة ، أصول الفقه و غيرها.
٥- فضله : قال السيوطي : صناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاث:
جهة الموضوع : أنه كلام الله الذي هو ينبوع كل حكمة
جهة الغرض : فلأن الغرض منه الاعتصام بالعروة الوثقى
جهة شدة الحاجة : فلأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي مفتقر إلى العلوم الشرعية و المعارف الدينية ، و هي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى
٦- واضعه: أول مفسر لكتاب الله هو النبي صلى الله عليه و سلم ، ثم الصحابة فالتابعون و تابعيهم إلى يومنا هذا.

و أول ما ظهر اصطلاح المفسر و اكتملت فيه مهمة المفسر الناقد المرجح و اتسم بها كتابه من أوله لنهايته هو ابن جرير الطبري.

٧- اسمه : علم التفسير ويسمى علم التأويل، و (ال) هنا للعهد أي أن المعهود هو تفسير القرآن الكريم ، إلى غيرها من المسميات.

٨- استمداده: التفسير النبوي ، أسباب النزول الصريحة ، أصول الفقه ، القراءات ، و علم العربية و هي أغلب ما يدور عليه التفسير. فاستمداده من بعض العلوم الإسلامية، فذلك لقصد تفصيل التفسير فهو أصل لعلوم الإسلام على وجه الإجمال.

قال الشيخ طاهر بن عاشور: "واعلم أن استمداد علم التفسير ، من هذه المواد ، لا ينافي كونه رأس العلوم الإسلامية.

٩- حكمه: فرض كفاية ، إذا قام به البعض سقط عن الباقين.

١٠- مسائله: معاني القرآن ، بيان معنى لفظة ، ناسخ و منسوخ ، تقييد مطلق ، تخصيص عام ، سبب النزول

مسائل مهمة :

التأويل له معنيان :

المعنى الأول : التفسير، التأويل .

والثاني : ما تؤول إليه حقائق الأشياء أي ما تصير إليه المآلات ، وكذلك تأويل الخبر مثل تأويل الرؤى فإذا عبر المؤول رؤيا من الرؤى ثم وقعت في الحقيقة فنقول هذا تأويل الرؤيا أي ما صارت إليه مثل ما قال يوسف عليه السلام{ : هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً) }يوسف: من الآية ١٠٠ .

وقد ذكر العلماء فروقاً كثيرة بين التأويل والتفسير والملاحظ أنها لا تخرج عن أمرين :

أ- إما أن يكون تخصيصاً لمعنى يدخل في أحد هذه الفروق المذكورة.

ب- وإما أن يكون قولاً لا دليل عليه لا من اللغة ولا من غيرها .

ينقسم التفسير إلى ثلاثة أقسام :

أ - صلب التفسير

ب- بعلوم القرآن

ج- علوم أخرى

هل يعتبر علم التفسير من علوم القرآن أم لا ؟
علم التفسير ليس من علوم القرآن لأن كتب التفسير تحتوى على المادة الأهم وهى صلب التفسير.
فمن العلماء من يفسر القرآن في مجلد واحد ومنهم من فسر القرآن في ٢٠ مجلد فهم اتفقوا فى صلب التفسير واختلفوا فى العلوم الأخرى .
هل سبب النزول يدخل فى صلب التفسير ؟

يدخل سبب النزول في صلب التفسير لأن أسباب النزول الأصل فيها أنها تعين على فهم المعنى لأنها أشبه بالسياقات الحالية للكلام، ولأنها تحدد المدلول المراد إذا احتمل النص غيره .

هل الناسخ والمنسوخ من علم التفسير ؟
سواء كان النسخ للأحكام الشرعية أو كان تقييد مطلق أو كان تخصيص عام أو كان بيان مجمل أو كان استثناء فهذه كلها مما يدخل في صلب التفسير لأنه ينبني عليه فهم معنى .

أقسام التفسير :

القسم الأول : باعتبار العناية باللفظ و المعنى.
أ - تفسير لفظي و هو يتعلق بلفظ القرآن.
ب - تفسير معنوي و هو يتعلق بمعاني القرآن الكريم.

القسم الثاني : باعتبار مذاهبه
أ - تفسير بالمأثور
ب - تفسير بالرأي

القسم الثالث : باعتبار جوازه و عدمه
أ- تفسير جائز : ما كان موافقا لقواعد و شروط التفسير
ب- تفسير غير جائز : ما كان وفق الهوى و لا يلتزم فيه صاحبه بالقواعد الصحيحة للتفسير.

القسم الرابع : باعتبار معرفة الناس له (وهو تقسيم عبد الله بن عباس)
أ - قسم تعرفه العرب من كلامها.
ب - قسم لا يعذر أحد بجهالته.

ج - قسم يعلمه العلماء خاصة.
د - قسم لا يعلمه إلا الله.

القسم الخامس : باعتبار طريقة شرح الآيات و جمع معانيها و نحو ذلك

أ- التفسير التحليلي ب- التفسير الإجمالي
ج- التفسير المقارن د- التفسير الموضوعي

أحسن طرق التفسير :

١- تفسير القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر. و تفسيرُ القرآنِ بالقرآنِ على نوعين:

النوعُ الأولُ : ما يكونُ فيه بيانٌ مباشرٌ عن معنًى خفيٍّ في الآيةِ، وهذا هو الذي يَنطبقُ عليه معنى التفسيرِ حقيقةً.

النوعُ الثاني : ما يكونُ فيه توسُّعٌ في مدلولِ تفسيرِ القرآنِ بالقرآنِ فيدخُلُ فيه ربطُ الآيةِ بآيةٍ.

٣- تفسير القرآن بالسنة :

فإن السنة شارحة للقرآن وموضحة له. و قد ذكر الله السنة مبينة للكتاب : (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)

ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه) ، يعنى السنة.

قال الشافعي رضي الله عنه : (كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن)

وأمثلة هذا في القرآن كثيرة ، جمعها صاحب الإتقان مرتبة مع السور في آخر فصل في كتابه كتفسير السبيل بالزاد والراحلة ، وتفسير الظلم بالشرك ، وتفسير الحساب اليسير بالعرض.

٤- تفسير القرآن بأقوال الصحابة:

تفسير الصحابة لأنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن و الأحوال التي اختصوا بها و لما لهم من الفهم التام و العلم الصحيح.

٥- تفسير القرآن بأقوال التابعين :

١. لتلقيهم العلم على يد الصحابة الذين شاهدوا التنزيل.
٢. خلوهم من البدع و الأهواء ، و كانوا متفقين على أصول أهل السنة و الجماعة التي أرساها الصحابة.
٣. ائتلاف أقوالهم ، و قلة الاختلاف في التفسير بالنسبة لمن جاء بعدهم. كالإمام مجاهد بن جبر فإنه عرض القرآن على ابن عباس ثلاث مرات يوقفه عند كل آية ويسأله عنها.

أشهر المفسرين ومدارسهم :

١- من الصحابة :

الخلفاء الأربعة ، ابن مسعود ، ابن عباس ، أُبي بن كعب ، زيد بن ثابت ، أبو موسى الأشعري، و عبد الله بن الزبير.

المكثرون من الصحابة :

كثرت الرواية في التفسير عن عبد الله بن مسعود ، و عبد الله بن عباس ، و أُبي بن كعب.

وما روي عنهم لا يتضمن تفسيراً كاملاً ، و إنما يقتصر على معاني بعض الآيات ، بتفسير غامضها ، و توضيح مجملها.

٢- من التابعين :

١- من تلاميذ ابن عباس في مكة: سعيد بن جبير، و مجاهد ، و عكرمة مولى ابن عباس ، وطاووس بن كَيْسان اليماني ، وعطاء بن رباح.
٢- من تلاميذ أُبي بن كعب في المدينة: زيد بن أسلم ، و أبو العالية ، و محمد بن كعب القُرَظي.
٣- من تلاميذ عبد الله بن مسعود في العراق :علقمة بن قيس ، و مسروق ، والأسود بن يزيد، وعامر الشعبي ، و الحسن البصري ، و قتادة بن دِعامة السدوسي.

من أهم المصنفات في علم التفسير:

- تفسير الطبري، أحد أصول ومن أشهر كتب تفسير القرآن الكريم عند أهل السنة والجماعة.

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣ هـ).
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف (تفسير البيضاوي) - المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥ هـ).
- أيسر التفاسير - المؤلف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري
- التحرير والتنوير - المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣ هـ).
- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (تفسير الفخر الرازي) - المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦ هـ).
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج - المؤلف: وهبة بن مصطفى الزحيلي
- تفسير ابن أبي حاتم - المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧ هـ).
- تفسير ابن باديس (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير) - المؤلف: عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: ١٣٥٩ هـ).
- تفسير البحر المحيط - المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان (المتوفى: ٧٤٥ هـ).
- تفسير الجلالين - المؤلف: جلال الدين المحلي (المتوفى: ٣٢٧ هـ). وجلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ).
- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) - المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤ هـ).
- تفسير القرآن الكريم لإبن القيم - المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ).
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي (المتوفى: ١٣٧٦ هـ).

- جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري) - المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، (المتوفى: ٣١٠ هـ).
- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) - المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ).
- الدر المنثور في التأويل بالمأثور - المؤلف: عبد الرحمن بن أبو بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ).
- زاد المسير في علم التفسير - المؤلف: جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧ هـ).
- صفوة التفاسير - المؤلف: محمد علي الصابوني
- فتح البيان في مقاصد القرآن - المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧ هـ).
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - المؤلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفى: ١٢٥٠ هـ).
- لباب التأويل في معاني التنزيل - المؤلف: الخازن أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي (المتوفى: ٧٤١ هـ).
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل - المؤلف: عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين أبو البركات النسفي. (المتوفى: ٧١٠ هـ).
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ابن تمام بن عطية المحاربي (المتوفى: ٥٤٢ هـ).
- معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) - المؤلف: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠ هـ).
- معاني القرآن - المؤلف: أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (المتوفى: ٢١٥ هـ).
- معاني القرآن - المؤلف: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨ هـ).

- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه - المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧ هـ).
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨ هـ).

(١٥) مبادئ علم القِراءات

١- حده : هو عِلم يُعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية وطرق أدائها اتفاقاً واختلافاً مع عَزْو كل وجه لناقله.
ومن ذلك يتضح لنا أنه من أشرف العلوم على الإطلاق؛ نظراً لاتصاله اتصالاً مباشراً بأشرف كلام وهو كلام الله تعالى.

٢- موضوعه : كلمات وألفاظ القرآن الكريم؛ من حيث النطق بها وكيفية أدائها.

٣- ثمرته : العصمة من الخطأ في النطق بالكلمات القرآنية، وصيانتها من التحريف والتغيير، والعلم بما يقرأ به كل إمام من أئمة القراءة، والتميز بين ما يُقرأ به وما لا يُقرأ به، فلا يعدو ذلك أن يكون ضمن دائرة الحفظ من محتوى أو مضمون قوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر:٩)

٤- نسبته : إلى غيره من العلوم هي التباين؛ فهو يختلف عن غيره من العلوم لأنه مختص في بحث التنوع في أداء الألفاظ القرآنية.

٥- فضله : إنه من أشرف العلوم، أو هو أشرفها على الإطلاق؛ لشدة تعلُّقه بالقرآن الكريم الذي هو أشرف كتاب سماوي منزل.

٦- واضعه : قيل هم أئمة القراءة، وقيل أبو عمرو الدوري، فقد قَيَّضَ اللهُ تعالى لكتابه المجيد الذى (لا يأتيه الباطل مِن بين يديه ولا مِن خلفه تنزيل مِن حكيم حميد) مَن دَوَّنَ وُجُوهَ قراءاته ، وضَبَطَ طُرَقَ رواياته ، فاجتهدوا فى ذلك حق الاجتهاد ، وبذلوا النصح فى ذلك لله ورسوله والعباد

فأخذوا فى جمع ذلك وتدوينه فاستفرَغُوا فيه وُسْعَهُم وبذلوا جُهْدَهم ، فكان أول إمام مُعْتَبَر جَمَعَ القراءات فى كِتاب هو أبو عُبَيْد القاسِم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ حيث أَلَّفَ كِتاب (القراءات) جَمَع فيه قِراءَة خمسة وعشرين قارِئاً . ثُم تلاه كثير مِن العلماء رحمهم اللهُ .

نشأة القِراءات :

لقد بُعِث النبي صلى الله عليه وسلم لجميع الناس باختلاف ألْسِنتهم عكس ما كان عليه الأنبياء السابِقون ، فقد كانوا يُبعَثون إلى أقوامٍ مُعَيَّنين.

وفى الصحيحين عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (أُعْطِيتُ خَمْساً لَم يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِن الأنبياء قَبْلِي ، نُصِرْتُ بالرُّعْب مَسِيرَة شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأرْض مَسْجِداً وَطَهُورا ، فَأَيُّما رَجُلٌ مِن أُمَّتِى أَدْرَكَتْه الصلاةُ فَلْيُصَلِّ ، وأُحِلَّتْ لِيَ الغنائِم ، وَلَم تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي ، وَأُعْطِيَتُ الشَّفَاعَة ، وكان النبى يُبْعثُ إلى قَوْمِه خاصَّة وَبُعِثْتُ إلى الناسِ عامَّة).

كذلك القرآن الكريم ، أُنزِل للناس كافة ، فكان منهم الطفل والعَجوز والشَّيْخ الكبير والرَّجُل الذى لَم يقرأ القرآن قَطّ .

والله سبحانه وتعالى أنزل القرآن مُيَسَّرا لا مُضَيَّقاً ، فأُمِرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يقرأه على سبعة أحرف لكى يسهل على القارِئ قِراءته وفهم معانيه ، ولكن يُشْتَرَط فى القراءة أن تكون نزل بها الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، معنى ذلك أن لا ينفَرِد كُلٌ بِلُغَته ويقرأ ما يريد .

واختلف العلماء رحمهم الله تعالى فى : أين ومتى كان نزول القراءات ؟ هل كان ذلك بمكة قبل الهجرة ؟ أم كان نزولها بالمدينة بعد الهجرة النبوية ودخول القبائل العربية المختلِفَة فى الإسلام ؟

للعلماء فى ذلك رأيان :

الأول : أن القراءات نزلت بمكة المكرمة قبل الهجرة النبوية . ودليلهم أن الأحاديث الوارِدَة فى نشأة القراءات تفيد أنها بمكة منذ بداية نزول القرآن الكريم ، منها قوله صلى الله عليه وسلم (أَقْرَأَنِي جِبْرِيل على حَرْفٍ فراجَعْتُه ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيده حتى انتهَى إلى سَبْعَة أَحْرُف) أخرجه أحمد والبخارى ومسلم .

كما أن سور القرآن الكريم تنقسم إلى : مكية ومدنية ومعظمها مكية ، وفيها من القراءات ما فى السور المدنية ، ولا دليل على نزولها بالمدينة مرة ثانية ، فهذا يدل على أن القِراءات نزلت بمكة

المكرمة ، كما يدل عليه حديث عمر رضى الله عنه مع هشام بن حكيم لأنهما اختلفا فى قراءة سورة الفرقان .

الثانى : أنها نزلت بالمدينة بعد الهجرة النبوية لأنها نزلت للتيسير على الأمة بسبب اختلاف لَهَجات القبائل ولغاتهم ولم تكن الحاجة إليها إلا بعد الهجرة دخول القبائل المتجاوِرَة والمتباعِدَة فى الإسلام ، كما أنَّ اختلاف الصحابة فى القراءات كان بالمدينة ولم يكن ذلك فى مكة ، يدل على ذلك حديث أُبَىّ بن كعب رضى الله عنه الآتى .
وقد حاول البعض الجمع بين القولين ، بأن بداية نزول القراءات كان مع بداية نزول القرآن الكريم بمكة ، حيث توجد القراءات فى السور المكية ، ولكن الحاجة لم تَدْعُ إلى استخدامها لوحدة اللغة واللهجة بمكة وما جاورها ، خِلافاً لِمَا حدث بعد الهجرة حيث دخلت فى الإسلام قبائل مختَلِفَة اللهجات واللغات .

٧- اسمه : علم القراءات. جمع قراءة، والقراءة تعني: الوجه المقروء به، فمن اسمه يُفهم أنه العلم الذي يبحث في الأوجه المأذون بقراءتها ضمن الأحرف السبعة التي أُنزل القرآن عليها تيسيراً للأنام وإعجازاً في مبناه وفي معناه وما تضمن من أحكام وقصص وأخبار لما كان وما سيكون.

٨- استمداده : مستمدٌّ من النقول الصحيحة والمتواترة عن علماء القراءات الموصولة السند إلى قراءة الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وقراءة الصحابة موصولة ومأخوذة من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن اللوح المحفوظ عن رب العزة سبحانه.

٩- حُكم الشارع : الوجوب الكفائي تعلُّماً وتعليماً؛ فإذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين، وإذا لم يقم به أحد أثموا جميعاً.

١٠- مسائله :هي قواعده الكلية كقولهم: كل ألف منقلبة عن ياء يميلها حمزة والكسائي ويقلّلها ورش، وكل راء مفتوحة أو مضمومة وقعت بعد كسرة أصلية موصولة أو ياء ساكنة يرققها ورش، وهكذا.

ثم لا يخفى أن من مسائلة أيضاً مواضع انفرادات القراء ومواضع اختلاف الروايات سواء في مسائل الأصول أو مسائل الفروع والمسمى بـ (فَرْش الحروف) ، وكذلك مواضع الاتفاق بينهم في الأحكام العامة نحو مخارج الحروف وصفاتها، وقواعد الوقف والابتداء، والجائز والواجب من تطبيق أداء

الكليات وتراكيب المدود، وعدم خلط الطرق الذي يعتبره العلماء مكروهاً تنزيهاً أو تحريماً بحسب التعمد وبحسب مقدار ذلك الخلط ونوعه.

الفَرْق بين القِراءات والروايات والطُّرُق والخِلاف الواجب والجائز :

خلاصة ما قاله علماء القراءات فى هذا المقام أنَّ :

كل خلاف نُسِبَ لإمام مِن الأئمة العَشَرَة مما أجمع عليه الرواةُ عنه فهو قراءة .
وكل ما نُسِبَ للراوى عن الإمام فهو رواية .
وكل ما نُسِبَ للآخِذ عن الراوى وإن سفل فهو طريق . نحو :
الفتح فى لفظ (ضَعْف) فى سورة الروم قراءة حمزة ، ورواية شُعْبَة ، وطريق عبيد بن الصباح عن حَفْص وهكذا .
وهذا هو الخِلاف الواجب ، فهو عين القراءات والروايات والطرق ، بمعنى أن القارِئ مُلْزَم بالإتيان بجميعها ، فلو أخَلَّ بشئ منها عُدَّ ذلك نقصاً فى روايته كأوجه البَدَل مع ذات الياء لورش ، فهى طُرُق، وإن شاع التعبير عنها بالأوجه تساهُلاً .

وأما الخِلاف الجائز فهو خِلاف الأوْجُه التى على سبيل التخيير والإباحَة كأوجه البَسْمَلَة ، وأوجه الوقف على عارِض السكون ، فالقارِئ مُخَيَّر فى الإتيان بأى وجه منها غير مُلْزَم بالإتيان بها كلها ، فلو أتى بوجه واحد منها أجزأه ، ولا يعتبر ذلك تقصيراً منه ولا نقصا فى روايته ، وهذه الأوجه الاختيارية لا يقال لها قِراءات ولا روايات ولا طرق بل يقال لها أوْجُه فقط .

القِراءات السَّبْع وَصِلتها بالأحرف السبعة :
ليس المقصود بالأحرف السبعة القِراءات السَّبْع ، لأن القِراءات السبع بل والقراءات العشر جزء مِن الأحرف السبعة التى أُنْزِلَ بها القرآن الكريم كما ورد فى الحديث (إن هذا القرآن أُنْزِلَ على سَبْعَة أَحْرُف فاقرؤوا ما تَيَسَّر منه) أخرجه البخارى ، وباقى الأئمة الستة سِوَى ابن ماجه .

وقال ابن الجَزَرِى رحمه اللهُ تعالى ما نصه : وكان مِن جواب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى (لا نِزاع بين العلماء المُعتبَرين أن الأحرف السبعة التى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم أن القرآن أُنْزِلَ عليها ليست قراءات القراء السبعة المشهورة ، بل أول مَن جَمَع ذلك ابنُ مُجاهِد ، ليكون

ذلك موافِقا لِعدد الحروف التى أنزل عليها القرآن . لا لاعتقاده واعتقاد غيره مِن العلماء أن القراءات السبع هى الحروف السبعة ، أو أن هؤلاء السَّبْعَة المُعَيَّنِين هم الذين لا يجوز أن يقرأ بغير قراءتهم)

هل القرآن الذى كَتَبَه عُثْمَانُ رضى الله عنه اشْتَمل الأَحْرُف السبعة ؟

اختَلَف العلماء على ثلاثة أقوال :
الأول : ما ذهب إليه الطَّبرىُ والطَّحاوىُ وغيرُهما ، أنه على حرف واحد وهو حرف قُرَيْش فقط ، وذلك للنجاة بالأمة مِن الاختلاف فى كتاب ربها اختلاف اليهود والنصارى فى كتبهم واستدلوا على ذلك بقول عثمان رضى الله عنه للرهط القُرَشِيين (إذا اختلفتم أنتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم) .

الثانى : ما ذهب إليه جماعةٌ مِن الفقهاء والقراء إلى اشتمال المصاحِف العثمانية على الأحرف السبعة جميعا ومِن حُجَجِهم : بأنه لا يجوز للأمة إهمال شئ مِن الأحرف لكونها مُنَزَّلَة قرآناً .

الثالث : ما ذهب إليه جماهيرُ العلماء مِن السّلَف والخَلَف إلى أن المصاحِف فى مجموعها تشتمل على ما ثَبَتَ فى العَرْضَة الأخيرة مِن الأحرف السبعة ، فليس كل مُصْحَف بمفرده يشتمل على جميع الأحرف السبعة ، بل الثابت من الأحرف السبعة منتشِر فى المصاحِف العثمانية كلها .

وقال ابن الجَزَرِى رحمه اللهُ تعالى فى نَشْرِه : (وهذا القول هو الذى يظهر صوابه ، لأن الأحاديث الصحيحة والآثار المشهورة المستفيضة تدل عليه وتشهَد له)

الفرق بين القرآن والقراءات والتجويد :
القرآن : هو كلام الله المُعْجِز ، المُنَزَّل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله بن عبد المُطَّلِب صلى الله عليه وسلم . بواسِطَة جِبْرِيل عليه السَّلام ، المكتوب فى المصاحِف ، المَنْقُول إلينا بالتواتر ، المُتَعَبَّد بتلاوته ، المَبْدوء بسورة الفاتِحَة ، المختوم بسورة الناس ، أَنْزَلَه الله تبارَكَ وتعالى مِنْهاجا للأمة ، وهداية للخَلْق ، وليكون آيَة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبرهانا ساطِعا على نُبُوَّته ورسالته ، وحجة قائِمَة إلى يوم الدِّين ، وهو المُعْجِزَة الخالِدَة التى تتحدى الأجيال والأمم على كَرِّ الأزمان ومَرِّ الدُّهور .

القراءات : هو عِلْم يُعْرَفُ به كيفية النطق بالكلمات القرآنيَّة ، وطريق أدائها اتفاقا واختلافا مع عَزْوِ كُلِّ وجهٍ لناقِلِه ، وقيل أيضا : هى اختلاف ألفاظ الوحى المذكورة فى الحروف أو كيفيتها مِن تخفيف وتثقيل وإبدال وتسهيل وغيرها ، وهى توقيفية وليست اختيارية خِلافا لجماعة منهم الزَمَخْشَرِى حيث ظَنُّوا أنها اختيارية تدور مع اختيار الفُصَحاء واجتهاد البُلَغاء (فهما يلتقيان فى أن كلاً منهما مُنَزَّل مِن عند الله)

التَّجْوِيد : هو عِلْم يبحث فى كيفية أداء كلمات القرآن الكريم مِن حيث إخراج كل حرف مِن مَخْرَجِه وإعطاؤه حقه ومُسْتَحَقَّه مِن الصفات اللازِمَة والعارِضَة .

مِن خصائِص القراءات :

١ ـ تعضيدها لِفَن التَّفْسير بحيث لا يستغنى عنها أحدٌ من المُفَسِّرين .

٢ ـ استنباط المسائل الفقهية وما يتفرع منها مِن الخِلاف .

٣ ـ تُبَيِّن حُكْما مُجْمَعا عليه .

٤ ـ يُرَجَّح بها حُكْما اخْتُلِفَ فيه .

٥ ـ تَوْضِيح حكم يقتضى الظاهِر خِلافه .

٦ ـ إن فى اختلاف القراءات مِن دَقيق الإشارات وكمين الأسرار ، ولطيف الحِكَم ما يَكِلُّ عَنه الوصف ، ويقف دونه البيان ، فما مِن قراءة إلا وهى تدل على نهاية البلاغة ، وكمال الإعجاز ، وسهولة الحفظ ، وتيسير الفهم .

٧ ـ إنها وسيلة الضبط لمجاميع الاختلاف مِن التَّشديد والتخفيف وهو أمر لا بد منه لِصَوْن كلام الله ، ولولاه لَتَطَرَّق إلى القرآن التحريف واعْتَرَاهُ التغيير ، فالقراءة كالحِصْن الحصين الذى يدافِع عما لا يليق به .

٨ ـ إنها مِن بدائِع القرآن ، فأما الصُّحُف السَّماوِيَّة الأُخْرَى ، فقد انعَدَم فيها هذا الفن ونحوه مِن فَن القراءة مما كان له دور عظيم فى تحريفها وتغييرها عما كانت عليه مِن قَبْل .

٩ ـ إنها بعثَتْ أرباب الهِمَم العالية على التقديم إلى ضبط القراءة وحفظها فى أكْباد الكُتُب فأكْثَروا مِن التأليف فيها حتى يَرْبُو عددها الآن على المِئَات . ولو ضَمَمْنا إليها ما أُلِّفَ فى التَّجْوِيد وكشف وجوه القراءات وما يتعلق بجميع العلوم القرآنية لقفز عددها إلى ملايين الكتب ، فَقُصارَى الأمر إن القراءة لها اليَدُ الطُّولَى فى ازدِهار اللُّغَة العربية مع جميع أنواعها فهى مِلاك الفنون كلها ومَبْناها .

١٠ ـ إنها تحافظ على لَهَجات القبائل.

مُخَطَّط مُوجَز بِالْقُرَّاءِ العَشَرةِ ورِوَاتِهِم

١ ـ { نافِع المدنى } ________ { ____ (قالُون) / ____ (وَرْش)

٢ ـ { ابن كَثِير المكى } ________ { ____ (البزى) / ____ (قُنْبُل)

٣ ـ { أبو عَمْرو البَصْرِىّ } ________ { ____ (الدُّورِى) / ____ (السُّوسِى)

٤ ـ { ابن عامِر الشَّامِى } ________ { ____ (هِشام) / ____ (ابن ذَكْوَان)

٥ ـ { عاصِم الكُوفِى } ________ { ____ (شُعْبَة) / ____ (حَفْص)

٦ ـ { حَمْزَة الكُوفِى } ________ { ____ (خَلَف) / ____ (خلاد)

____ (أبو الحارِث)

٧ ـ { الكِسائِى } ـــــــــــــــ}
ــــــ (حَفْص الدُّورِى)

ــــــ (ابن وَرْدَان)
٨ ـ { أبو جَعْفَر البَصْرِى } ـــــــــــــــ}
ــــــ (ابن جَمَّاز)

ــــــ (رُوَيْس)
٩ ـ { يعقوب البَصْرِى } ـــــــــــــــ}
ــــــ (رَوْح)

ــــــ (إسحاق)
١٠ ـ { خَلَف } ـــــــــــــــ}
ــــــ (إدْرِيس)

من أهم المصنفات فى علم القراءات :

١- كتاب السبعة في القراءات : ألفه ابن مجاهد التميمي المتوفي ٣٢٤ هـ- ببغداد وجمع فيه أصول وفرش قراءات سبعة قراء اختارهم من بين قراء الأمصار ووضع لاختياره شروطا معينة منها الضبط والإتقان وطول العمر في ملازمة القراءة. وقد اشتهر هذا الكتاب شهرة فائقة وتناقله طلبة العلم، وكان ابن مجاهد قصد التخفيف على طلبة القراءات وتقريب هذا العلم لهم فاقتصر على سبعة قراء واختار راويين عن كل قارئ. وقد عرف ابن مجاهد بعد ذلك بمسبّع السبعة ، وقد فعل ابن مجاهد ذلك رغبة في ضبط قراءات السابقين وحفظها، وفي هذا يقول تلميذه أبو طاهر بن أبي هاشم (ت ٣٤٩ هـ)

٢- التيسير في القراءات السبع : ألفه أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني المتوفى ٤٤٤ هـ بدانية في الأندلس، وقد اشتهر هذا الكتاب في الأندلس والمغرب شهرة عظيمة وصار الطلبة يحفظونه ويروونه ويقرؤون القرآن بمضمنه.

ومما زاد في شهرة التيسير وسهل انتشاره بين الناس أن الشاطبي قد ضمنه في منظومته (حرز الأماني).

٣- الشاطبية حرز الأماني ووجه التهاني وهى منظومة مكونة من (١١٧٣) بيتا نظمها الإمام أبو القاسم الشاطبي المتوفى سنة ٥٩٠ هـ بمصر، وأصله من مدينة شاطبة بالأندلس، وقد ضمّن الشاطبي كتاب التيسير للداني في هذه المنظومة وأضاف إليه بعض الخلافات وهي الكلمات التي عرفت فيما بعد باسم زيادات القصيد أي ما زادته القصيدة ، وفي هذا يقول الشاطبي رحمه الله:

وفي يسرها التيسير رمت اختصاره ... فأجنت بعون الله منه مؤملا
وألفافها زادت بنشر فوائـــــــــد ... فلفّت حياء وجهها أن تفضلا
وسميتها حرز الأماني تيمـــــــــنا ... ووجه التهاني فاهنه متقبـلا

٤- متن الدرة المضيئة في القراءات الثلاث المتممة للعشر : لابن الجزري شمس الدين محمد بن محمد الدمشقي المتوفى ب (شيراز) سنة ٨٣٣ هـ ، وهى منظومة في (٢٤٠) بيتا على بحر الشاطبية ورويّها، ذكر فيها قراءات كل من أبي جعفر المدني ويعقوب البصري وخلف الكوفي، واستخدم رموز الشاطبي في العزو لهؤلاء القراء، فجعل رمز نافع وراوييه لأبي جعفر وراوييه، ورمز أبي عمرو وراوييه ليعقوب وراوييه، ورمز حمزة وراوييه لخلف وراوييه، وكان منهجه أن جعل قراءة نافع أصلا لقراءة أبي جعفر، وقراءة أبي عمرو أصلا لقراءة يعقوب وقراءة حمزة أصلا لقراءة خلف، فإن اتفقا لم يذكر القراءة وإن اختلفا فقرأ كل منهما بوجه ذكر ذلك الخلاف.

٥- تحبير التيسير في القراءات العشر : ألفه ابن الجزري ت ٨٣٣ هـ، وهو كتاب التيسير لأبي عمرو الداني مضافا إليه القراءات الثلاث، وقد بين ابن الجزري أنه نظم الدرة ليكون من حفظها وحفظ الشاطبية قد جمع القراءات العشر نظما، ثم ألف تحبير التيسير ليكون من قرأه قد عرف خلاف القراء العشرة نثرا فقال:

رأيت أن أتحف حفاظ الشاطبية بتعريف قراءات العشرة وأجعلها في متن الحرز منظومة مختصرة، فجاءت في أسلوب من اللطف عجيب ... ولمّا تلقيت بالقبول وحصل بها لأهلها من النفع غاية المأمول رأيت أن أفعل ذلك في كتاب التيسير وأضيف إلى سبعته الثلاثة في أحسن منوال يكون له كالتحبير مع ما أضيف إليه من تصحيح وتهذيب وتوضيح وتقريب من غير أن أغيّر لفظ الكتاب أو

أعدل به إلى غيره من خطأ أو صواب، وحيث كانت الزيادة عليه يسيرة ألحقتها بالحمرة فيه، وإن كانت كثيرة قدمت عليها لفظ (قلت) وختمتها بلفظ: (والله الموفق)

٦- النشر في القراءات العشر : ألفه ابن الجزري، وهو كتاب حافل عظيم، يعدّ عمدة للمشتغلين بعلم القراءات، يقع في مجلدين، قدم له مؤلفه بمقدمة مطولة ذكر فيها فضل حملة القرآن، ثم تحدث عن جمع القرآن وحفظه وأركان القراءة الصحيحة وضوابطها، وأقسام القراءات الشاذة، وتحدث عن معنى الأحرف السبعة واشتمال المصاحف عليها ثم ذكر تعريفا موجزا بالقراء العشرة ورواتهم وطرقهم، كما بيّن مصادره التي استقى منها في تأليفه هذا الكتاب، وتحدث أيضا عن مخارج الحروف وصفاتها ومراتب القراءة والترقيق والتفخيم، والوقف والابتداء والاستعاذة والبسملة، وسائر أصول القراء العشرة، وبيّن ما قام به من جهد في هذا الكتاب فقال:

وجمعتها- أي القراءات- في كتاب يرجع إليه وسفر يعتمد عليه، لم أدع عن هؤلاء الثقات الأثبات حرفا إلا ذكرته، ولا خلفا إلا أثبته، ولا إشكالا إلا بينته وأوضحته، ولا بعيدا إلا قربته، ولا مفرّقا إلا جمعته ورتبته، منبها على ما صح عنهم وشذّ، وما انفرد به منفرد وفذّ، ملتزما التحرير والتصحيح والتضعيف والترجيح، معتبرا للمتابعات والشواهد، رافعا إبهام التركيب بالعزو المحقق إلى كل واحد، جمع طرق بين الشرق والغرب، فروى الوارد والصادر بالغرب، وانفرد بالإتقان والتحرير، واشتمل جزء منه على كل ما في الشاطبية والتيسير، لأن الذي فيهما عن السبعة أربعة عشر طريقا، وأنت ترى كتابنا هذا حوى ثمانين طريقا تحقيقا، غير ما فيه من فوائد لا تحصى ولا تحصر.

٧- تقريب النشر : ألفه ابن الجزري حيث اختصر كتابه النشر في مجلد لطيف ذكر فيه خلاف القراء في الأصول والفرش، قاصدا تقريب النشر للقراء والباحثين حتى لا ينشغلوا بالمقدمات التي جاءت في كتاب النشر، وكذا التعليقات والأسانيد التي يمكن أن يستغني عنها طلبة القراءات.

٨- طيبة النشر في القراءات العشر :منظومة ألفها ابن الجزري عدد أبياتها (١٠١٥) بيتا ضمنها كتابه النشر، وجعلها على بحر الرجز، ولكل بيت رويّ مستقل، واستخدم رموز الشاطبي في منظومته، وزاد عليها رموزا كثيرة، واستكثر من الرموز في عزو القراءات. وللطيبة شروح كثيرة، فقد اعتنى بها العلماء وتناقلوها حفظا بالسند المتصل إلى ناظمها ومن أفضل شروحها شرح ابن الناظم واسمه أحمد، وهو شرح صغير لكنه واضح سهل العبارة، وشرح النويري تلميذ ابن الجزري وهو شرح مطوّل فيه فوائد كثيرة وغير ذلك.

٩- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة - المؤلف: عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (المتوفى: ١٤٠٣ هـ).

(١٦) مبادئ علم التَّجْوِيد

١- حدُّه : التجويد في اللغة: مصدر جوَّد؛ أي: حسَّن؛ فالتجويد إذًا معناه: التَّحسين.
التجويد اصطلاحًا: هو إخراجُ كلِّ حرف من مخرَجِه، مع إعطائه حقَّه ومستحقَّه؛ فحق الحرفِ هو: مخرَجه، وصفاتُه التي لا تفارقُه؛ كالهمسِ والجهر.
ومستحقُّه هو: الصفاتُ التي يوصف الحرفُ بها أحيانًا، وتفارِقُه أحيانًا؛ كالتفخيمِ والترقيق بالنسبة للراءِ، فهي صفاتٌ عارضةٌ تأتي على الحرف وتزولُ عنه.

٢- موضوعُه : الموضوع الذي يبحَثُ فيه علمُ التَّجويد هو: الكلماتُ القرآنية، من حيث إعطاءُ الحروف حقَّها ومستحقَّها، دون تكلُّفٍ في النطقِ أو تعسُّفٍ.

٣- ثمرتُه : الثمرة المرجوَّةُ من علم التَّجويد هي: صونُ اللسانِ عن اللحن؛ وهو الميل عن الصواب عند قراءة كتاب الله - تعالى؛ فصون القارئِ لسانَه عن الخطأ واللحنِ في كتاب الله يضمَنُ له كمالَ الأجر والثوابِ، ونيل رضا ربه، وتحصُلُ له السعادةُ في الدارينِ.

وصون اللسانِ عن اللحنِ في كتاب الله يأتي بأربعةِ أمورٍ، هي:
١- رياضةُ اللسانِ، وكثرةُ التكرار.
٢- معرفة مخارج الحروف.
٣- معرفة صفاتِها.
٤- معرفة أحكامِ الكلماتِ القرآنية.

٤- نسبتُه : علمُ التَّجويد أحدُ العلوم الشرعيَّة المتعلقة بالقرآنِ الكريم؛ وذلك لأنَّ الشرعَ الحنيف هو الذي أتى بأحكامِه.

٥- فضلُه : يُعَدُّ علم التَّجويد من أشرف العلوم وأعلاها منزلةً على الإطلاق، وذلك من جهةِ تعلُّقه بكتاب الله.

٦- واضعُه : إن الذي وضَع هذا العلم - مِن الناحية العملية - هو سيدنا رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- عن طريق تلقِّيه عن جبريلَ - عليه السلام -، عن رب العزة - عزَّ وجلَّ - ثم أخذه الصحابةُ عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتلقاه التابعون عن الصحابة، وهكذا إلى أن وصَل إلينا مجوَّدًا متواترًا في كل فترة نُقل فيها.

أما الذي وضَعه من الناحية العِلمية أو النظرية؛ أي: وضَع قواعدَه، وأصَّل أصوله، ووضَع أحكامه ومسائله، فهذا أمرٌ فيه خلاف :

فقيل: إن واضعَه من هذه الجهة هو الخليلُ بن أحمد الفَراهيديُّ، وقيل: أبو الأسود الدُّؤَلي، وقيل: وضَعه حفصُ بن عمر الدُّوريُّ، وقيل: بل وضعه أئمَّةُ القراءة.

٧- اسمُه : علم التَّجويد.

٨- استمداده : استمدَّ أهل الأداء وعلماءُ القراءة هذا العلم من الكيفية التي أقرأ بها جبريلُ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- وقرأ بها النبيُّ، وهذه الكيفية وصَلت إلينا عن طريقِ الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - ثم التابعين، ثم أهل التلاوة والأداء المتصلِ سندُهم بسيدنا رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم.

٩- حكمُه : لقد أوجب الشرعُ الحنيف على كلِّ مَن يريد أن يقرأ القرآن أن يتلوه تلاوة مجودة، وجعَل ذلك مناط كمال الأجر والثواب على التلاوة؛ فقد فرَّق رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- بين مَن يقرأُ القرآن وهو ماهر به؛ (أي: يتلوه تلاوة مجودة)، ومن يتلوه وهو غير ماهر به؛ (أي: على غير علْمٍ بأحكام القراءة)، فقال -صلى الله عليه وسلم ((الماهرُ بالقرآن مع السَّفَرة الكرام البَرَرة، والذي يقرأ القرآن، ويتتعتع فيه، وهو عليه شاقٌّ، له أجران)) لذلك، كان تعلم تجويد القرآن وأحكام التلاوة فرض كفاية، إذا قام به البعض من خاصة الناس سقَط عن الآخرين، أمَّا العمل به في تلاوة كتابِ الله، فهو فرضُ عينٍ على كل مَن يريد أن يقرأ شيئًا من القرآن.

الدليلُ على وجوبه:

الدليل على وجوبِ العلم بأحكام التَّجويد قد جاء في الكتاب والسنَّةِ وإجماع الأمة.

أما الدليلُ من الكتاب، فقوله -تعالى-: ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل: ٤]، والأمرُ هنا للوجوب؛ حيث لم يرِدْ ما يصرف هذا الوجوبَ إلى الاستحباب، أو الندب، أو الإباحة.

والدليل من السنة المطهرة: قوله -صلى الله عليه وسلم- فيما يرويه عنه سيدنا أبو هريرة - رضي الله عنه -: ((ما أذِن اللهُ لشيء ما أذِن لنبيٍّ حسنِ الصوتِ، يتغنَّى بالقرآن يجهَرُ به))؛ [رواه مسلم في صحيحه/١٨٨٣].

كما ثبت عن يعلى بن مَمْلَكٍ أنه سأل أمَّ سلمة - زوجَ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- عن قراءةِ النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- وصلاته؟ فقالت: ما لكم وصلاته، كان يصلِّي، ثمَّ ينام قَدْر ما صلَّى، ثمَّ يُصلِّي قَدْر ما نام، ثمَّ ينام قَدْر ما صلَّى، حتَّى يُصبح، ونَعَتَت له قراءته، فإذا هي تَنْعَت قراءة مُفسَّرةً حرفًا حرفًا؛ [رواه النسائي في سننه/١٦٢٩]. وهذا الحديث يدلُّ على أن تحسين القراءة وتجويدَها من سنن النبيِّ - صلى الله عليه وسلم.

ومنها: ما ثبت من حديث موسى بن يزيد الكنديّ - رضي الله عنه - قال: كان ابن مسعود - رضي الله عنه - يُقرئ رجلاً، فقرأ الرجل: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ﴾ [التوبة: ٦٠] مرسلةً، فقال ابن مسعود: ما هكذا أقرأنيها رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- فقال الرجل: وكيف أقرأكها يا أبا عبدالرحمن؟ قال: أقرأنيها هكذا: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ﴾ [التوبة: ٦٠] ومدَّها.

ويدلُّ هذا على أن ابنَ مسعود أنكَر على الرجل قراءته كلمة (الفقراء) بالقصر؛ [أورده الألباني في "السلسلة الصحيحة" ٥ / ٢٧٩]؛ وذلك لأن رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- أقرأه إياها بالمد، وفي ذلك دلالةٌ واضحة على وجوبِ تلاوة القرآن تلاوةً صحيحة مجودة، موافقة لأحكام علم التَّجويد.
أما دليلُه من الإجماع: فقد انعقد إجماع الأمة من عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى يومنا هذا على: وجوبِ قراءة القرآن وتلاوته بالكيفية التي قرأ بها النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- وأقرأ بها الصحابة، وتلقَّاها عنهم التابعون، وأئمة القراءة، وأهل الأداء، إلى يومنا هذا، ولم يشذَّ عن هذا الإجماع أحدٌ؛ ولذلك لا يجوز لأي قارئ أن يتلوَ القرآن بغير تجويد؛ حتى لا يشمله الوعيد الشديدُ لِمَن يخالف هديَ النبي -صلى الله عليه وسلم- كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

يقول الإمامُ ابن الجزريّ في طَيِّبَةِ النَّشْر:

وَالأَخْذُ بِالتَّجْوِيدِ حَتْمٌ لازِمُ **** مَــنْ لَـمْ يُجَوِّدِ الْقُرَآنَ آثِمُ

لأَنَّـهُ بِـهِ الإلَـهُ أَنْـــــــــزَلاَ **** وَهَـكَـذَا مِـنْهُ إلَـيْـنَا وَصَــــلاَ
وَهُـوَ أَيْـضًا حِـلْـيةُ التِّـلاَوَة **** وَزِيْـنَـةُ الأَدَاءِ وَالْـقِــــــرَاءَةِ
وَهُـوَ إعْـطَاءُ الْحُـرُوفِ حَقَّهَا **** مِـنْ صِـفَـةٍ لَـهَا وَمُستَحَـقَّهَا
وَرَدُّ كُـلِّ وَاحِـدٍ لأَصْلِـــــهِ **** وَاللَّـفْظُ فِـي نَظِيْرِهِ كَمِثْلِه
مُكَمِّلاً مِـنْ غَيْرِ مَـا تَكَـلُّـفِ **** بِاللُّطْفِ فِي النُّطْقِ بِلا تَعَسُّفِ
وَلَـيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ تَــرْكِهِ **** إلاَّ رِيَاضَـةُ امْـــرِئٍ بِفَكِّــــهِ

فقد جعَله ابن الجزريّ واجبًا شرعيًّا، يأثم الإنسان بتركِه، وبه قال أكثرُ العلماء والفقهاء؛ وذلك لأن القرآنَ نزَل مجوَّدًا، وقرأه الرسولُ على جبريل كذلك، وأقرأه الصحابة، فهو سنَّة نبويَّة.

١٠- مسائلُه :
يبحث علم التَّجويد في مجموعةٍ من القضايا والقواعد الكلية، التي يتعرَّف بها على جزئياتِ هذا العلم، التي وضعها أهلُ الأداء وعلماء القراءة، نحو: (أحكام المدِّ والقصر، والنون الساكنة، والتَّنوين).
من أهم المصنفات في علم التجويد :

1ـ منظومة تحفة الأطفال والغلمان في تجويد القرآن للشيخ سليمان بن حسين بن محمد الجَمْزُورِيّ الشافعي المتوفي بعد سنة (١١٩٨هـ) رحمه الله تعالى ، تقع هذه المنظومة في واحد وستين بيتاً.
وقد طبعت عدة مرات وشرحها جماعة من العلماء منهم :
أ ـ ناظمها في كتابه فتح الأقفال بشرح متن تحفة الأطفال ، طبع عدة مرات منها :
1ـ في القاهرة نشر دار إحياء الكتب العربية دون تاريخ في (١٦) صفحة.
2ـ طبعة دار الجنان في بيروت سنة (١٤٠٧هـ) باعتناء الشيخ سمير القاضي.
3ـ ضمن مجموع في المطبعة الأميرية بمكة المكرمة سنة (١٣٠٤هـ)
ب ـ الشيخ علي بن محمد بن حسن بن إبراهيم الملقب بالضباع المصري المتوفي سنة (١٣٧٦هـ) رحمه الله تعالى طبع في مطبعة دار التأليف في القاهرة دون تاريخ ثم نشرته مكتبة أضواء السلف في الرياض سنة (١٤١٨هـ) باعتناء الشيخ أشرف بن عبد المقصود.

جـ ـ الشيخ أسامة عبد الوهاب في كتابه :" بغية الكمال شرح تحفة الأطفال " نشر دار الإيمان بالإسكندرية سنة (١٤١٨هـ)

د ـ الشيخ محمد الميهي الأحمدي المصري من علماء القرن الثالث عشر الهجري في كتابه " فتح الملك المتعال بشرح متن تحفة الأطفال " مخطوط منه نسخة في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم (٦٣٢)

2ـ التجويد الميسر للشيخ عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ - طبع في مطبعة زيد بن ثابت نشر المكتبة العلمية في المدينة المنورة سنة (١٣٩٢هـ).

3ـ البرهان في تجويد القرآن للشيخ محمد الصادق القمحاوي طبع عدة مرات منها الطبعة الثالثة عشرة سنة (١٣٩٩هـ).

4ـ قواعد التجويد على رواية حفص عن عاصم بن أبي النجود، للشيخ عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ - طبع في مطبعة شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر في جدة سنة (١٣٩١هـ) ،وهو في الدرجة الثانية بعد كتاب التجويد الميسر سابق الذكر.

5ـ مجموعة التجويد للشيخ عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ وهي في المرتبة الثالثة بعد كتابه السابق الذكر جمع فيها أحسن المنظومات لقراءة حفص وحققها وشرحها ، وهي نافعة للمتخصصين في هذا الفن.

واشتمل القسم الأول منها على :

أ ـ قصيدة أبي مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان الخاقاني المتوفي سنة (٣٢٥هـ) رحمه الله تعالى ، وهي أول قصيدة في علم التجويد ، وعدد أبياتها واحد وخمسون بيتا ، وهي رائية القافية .

ب ـ قصيدة أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني السخاوي المتوفي سنة (٦٤٣هـ) رحمه الله تعالى واسمها " عمدة المفيد وعدة المجيد في معرفة التجويد " واشتهرت بـ" نونية السخاوي " وعدد أبياتها أربعة وستون بيتاً من بحر الرجز.

6ـ نهاية القول المفيد في علم التجويد للشيخ محمد مكي نصر الجريسي الشافعي المتوفي بعد سنة

(١٣٠٥هـ) رحمه الله تعالى ، طبع في مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة (١٣٤٩هـ) وصور بعد ذلك.

7ـ أحكام قراءة القرآن الكريم تأليف شيخ المقارئ المصرية في وقته الشيخ محمود بن خليل الحصري المتوفي سنة (١٤٠١هـ) رحمه الله تعالى.
وقد طبع عدة مرات منها :ـ
أ ـ في مطابع الشمرلي في القاهرة سنة (١٣٨٩هـ).

ب ـ ضمن سلسلة دراسات في الإسلام يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة بإشراف محمد توفيق عويضة عدد (١١٤) السنة العاشرة بتاريخ ١٣٩٠/٩/١٥هـ.

جـ ـ طبعة دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع في بيروت نشر المكتبة المكية في مكة المكرمة سنة (١٤١٦هـ) باعتناء محمد طلحة بلال منيار في مجلد بلغت صفحاته (٣٥٧) صفحة.

8ـ المقدمة في فن التجويد أو المقدمة الجزرية أو المقدمة فيما على قارئ القرآن أن يعلمه ، في التجويد لشيخ القراء في زمانه الشيخ العلامة محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري الدمشقي المتوفي سنة (٨٣٣هـ) رحمه الله تعالى ،وهي مقدمة منظومة حوت مع صغر حجمها وحسن اختصارها ما لم يحوه كثير من الكتب الكبار في هذا العلم. وعدد أبياتها مائة وسبعة على ما في أقلها ، ويؤيده قول الناظم في آخرها على ما في بعض النسخ.

أبياتها قاف وزاي في العدد *** من يحسن التجويد يظفر بالرشد
لأن حرف الزاي يقابل العدد سبعة ، والقاف يقابل العدد مائة في حساب الجُمَّل.
وفي بعض النسخ أبياتها مائة وتسعة عشر بيتاً.
طبعاتها:
طبعت هذه المقدمة عدة مرات منها :ـ
1ـ طبعة دار الهدى في الرياض سنة (١٤١٢هـ).
2ـ طبعة دار نور للمكتبات بجدة سنة (١٤١٨هـ) بتحقيق الشيخ أيمن رشدي سويد.
3ـ طبعة مكتبة السوادي في جدة سنة (١٤١٥هـ) ومعها المنظومة البيقونية في المصطلح.

4. ضمن مجموع " إتحاف البررة بالمتون العشرة في القراءات والرسم والآي والتجويد " ، اشتمل على عشرة كتب في الفنون المذكورة طبع في مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة (١٣٥٤هـ) ، باعتناء الشيخ علي بن محمد الضباع رحمه الله تعالى.
5. وضمن مجموع مهمات المتون ص(٢٠٥).
6. وضمن جامع المتون (٧٥١/٢).
7. وضمن مجموع المتون لطالب علم الفنون ص (٣٦٩).
8. وضمن أمهات متون علوم التجويد ص (٣) إلى غير ذلك.

(١٧) مبادئ علم النَاسِخ والمَنْسُوخ

تعريفه : النّسخ لغةً : بمعنى الإزالة ، التّبديل ، التّحويل ، ومنه قوله تعالى (فينسخُ اللّهُ ما يلقي الشّيطان) ويأتي بمعنى تبديل، (وإذا بدّلنا أية مكان آيةٍ) ، ويأتي بمعنى النّقل من موضع إلى موضعٍ مثلاً نقول نسختُ الكتابَ. وفي التعريف الاصطلاحي : رفعُ الحُكم الشّرعي بدليل شرعي . سواء نسخ القرآن للقرآن، أو نسخُ القرآن للسنة ما ننسخ من آية أو نُنسها نأتِ بخير منها أو مثلها.

تعريف آخَر للنسخ هو رفع الشارع للحكم المتقدم بحكم متأخر. ويُقبل النسخ عند التعارض التام بين الأحاديث المتكافئة في القوة مع وجود دليل على النسخ من نص عن النبي صلي الله عليه وسلم، أو نص صحابي أو معرفة التاريخ وغير ذلك. فالنسخ هو أحد أساليب إزالة الإشكال بين مختلف الحديث.

طريق معرفة النسخ :

لمعرفة الناسخ طرق؛ منها: أن يكون في اللفظ ما يدل عليه، ومنها: أن يذكر الراوي التاريخ، مثل أن يقول: سمعت عام الخندق، وكان المنسوخ معلوما قبله. أو يقول: نُسخ حكم كذا بكذا. ومنها: أن تجمع الأمة على حكم أنه منسوخ، وأن ناسخه متقدم.

ويمكن تلخيص معرفة النسخ بالطرق التالية:

١- أن يأتي في لفظ النص ما يفيده صراحة :

ومثاله في لفظ الآية: (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون). (الأنفال/ ٦٥) فقد نسخت بقوله تعالى: {الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين}. (الأنفال/ ٦٦)

٢- أن يأتي في سياق النص قرينة تدل عليه:

كالذي ورد به قوله صلى الله عليه وسلم: "خذوا عني خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلا: البكر بالبكر جلدُ مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم" فأشار صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث إلى نسخ حكم حبس الزواني في البيوت الوارد في قوله تعالى: {واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأسكنوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا}. (النساء/ ١٥)

٣- أن يعرف تاريخ المتقدم والمتأخر:
فالمتأخر في تشريعه ناسخ للمتقدم، كما هو الشأن في نسخ القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة.
ومما يفيد في هذا: تمييز المتقدم في نزوله بمعرفة المكي والمدني.

كما مما ينبغي أن يُستفاد مما يتصل بالنسخ في السنة: أن ما وجدناه من الأحكام غير معلوم التاريخ معارضا لأحكام جاءت في حجة الوداع أو بعدها إلى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، فما جاء من تلك الأحكام في الحجة أو بعدها ناسخ لما لم يُعلم لنا تاريخه، لأننا نعلم أن تلك الشرائع بها قد خُتم الدين.

ومثال ذلك: حكم الشرب قائما؛ صح نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الشرب قائما من وجوه؛ منها: حديث أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم: زجر عن الشرب قائما. وجاء الفعل على خلافه في حجة الوداع؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "سقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من زمزم، فشرب وهو قائم".

٤- الإجماع :

وذلك بأن يجمع المسلمون على نسخ النص، وله شروط وتفصيل. قال القرطبي: "إذا وجدنا إجماعا يخالف نصا، فيُعلم أن الإجماع استند إلى نص ناسخ لا نعلمه نحن، وأن ذلك النص المخالف متروك العمل به، وأن مقتضاه نُسخ وبقي سنة يقرأ ويروى، كما أن آية عِدَّة السَّنَة في القرآن تتلى – يعني آية: {والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج}. [البقرة/ ٢٤٠] – فتأمل هذا فإنه نفيس. ويكون من باب: نسخ الحكم دون التلاوة، ومثله: صدقة النجوى". يعني آية: {يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة}. [المجادلة/ ١٢]

الحكمة من النسخ :

النسخ جارٍ مع مقاصد الشرع لتحقيق مصلحة المكلف :

١- فتارة ينزل الوحي بالحكم الشاق على المكلّفين لأجل اختبارهم وامتحان صدق إيمانهم. كما مضى في آية: {لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله}. ونسخها بآية: { لا يكلف الله نفسا إلا وسعها }...الآية. فخفف الله تعالى عن الأمة ولم يؤاخذهم بما لا طاقة لهم به.

٢- وتارة لتدرج الناس بالتشريع، لحداثة الناس بالجاهلية، ولا يخفى ما فيه من تأليف قلوبهم بالإسلام، وتهيئتهم لما أريدوا له من نصر دين الله.

ومثاله: التدرج في تحريم الخمر، وكذا التدرج في عدد الصلوات المشهور في حديث الإسراء والمعراج. وقد مضى ذلك.

٣- كما أنه من حكم النسخ: إظهار نعمة الله عز وجل بما يرفع به من الحرج والضيق بنوع سابق من أنواع التكليف، ومن مثال ذلك زيادة على ما مضى: عدة المرأة، فقد كان بداية عاما كاملا، كما في الآية: { والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج }. (البقرة/ ٢٤٠). فنسخ الله تعالى ذلك بقوله: {والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا}.(البقرة/ ٢٣٤)

٤- كما يقع بالنسخ تطييب نفس النبي صلى الله عليه وسلم ونفوس أصحابه بتمييز هذه الأمة على الأمم وإظهار فضلها. ومثاله تغيير القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة كما مضى بيانه.

وبالجملة ؛ فقد قال الإمام الشافعي: "إن الله خلق الخلق لما سبق في علمه مما أراد بخلقهم وبهم، لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب، وأنزل عليهم الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة، وفرض فيه فرائض أثبتها وأخرى نسخها، رحمة لخلقه بالتخفيف عنهم، وبالتوسعة عليهم، زيادة فيما ابتدأهم به من نعمه، وأثابهم على الانتهاء إلى ما أثبت عليهم جنته والنجاة من عذابه، فعمتهم رحمته فيما أثبت ونسخ، فله الحمد على نعمه"

ضوابط النسخ :
وضع العلماء بعض الضوابط والقواعد لمعرفة الناسخ والمنسوخ، يرجعون إليها لضبطها، نذكر منها التالي:

١- أن يكون النسخ شرعيًّا لا عقليًّا؛ لأننا قلنا: "رفع حكم شرعي بدليل شرعي لا عقلي."

٢- أن يكون الناسخ متأخِّرًا عن المنسوخ منفصلاً عنه، فإن كان متصلاً به كالصفة، أو الاستثناء، أو الشرط، فلا يعتبر نسخًا، بل تخصيصًا أو تقييدًا.
٣- ورود تعارض فيما تعنيه نصوص الناسخ والمنسوخ.
٤- تعذر الجمع بين معنيينِ وردا في الناسخ والمنسوخ.
٥- أن يكون النسخ في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبموته صلى الله عليه وسلم انقطع الوحي.
٦- أن يكون النسخ مما يجوز نسخه؛ كجزئيات العبادات (في الأمر والنهي، ولو كانا بلفظ الخبر الذي على سبيل الطلب)
٧- لا يجوز النسخ في التوحيد والعقائد، والكليات والمقاصد، وأصول العبادات والأخلاق العامة والأخبار.

أنواع النسخ في القرآن :
والمراد أنواع النسخ من حيث الحكم، أو التلاوة، أو رفعهما معًا، وهم على ثلاثة أنواع :

النوع الأول :نسخ الخط والحكم؛ أيِ: ما رفع حكمه ونظمه.
مثاله: قالت عائشة رضي الله عنها : "كان فيما أُنْزِل من القرآن عَشْرُ رَضَعات يُحَرِّمْنَ"، ومحل الشاهد أن عشر رضعات يحرمن، رُفِع خطُّها وحكمها من المصحف.

النوع الثاني :نسخ الخط دون الحكم؛ أي: ما رُفِع نظمه وبقي حكمه.
مثاله: ما رواه الشيخان وغيرهما عن عمر بن الخطاب وأبي بن كعب رضي الله عنهما أنهما قالا: كان فيما أنزل من القرآن [الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم]، والمقصود بالشيخ والشيخة الثيّب من الرجال والنساء، وهذا الحكم معمول به حكمًا، منسوخ خطًّا.

النوع الثالث : نسخ الحكم دون الخط؛ أي: يبطل العمل بالحكم وتصح العبادة بالتلاوة.
مثاله :نسخ العدة حولاً كاملاً بالعدة أربعة أشهر وعشرة أيام؛ قال عز وجل :﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾]البقرة: ٢٤٠[،ثم نسخ هذا الحكم إلى :قال عز وجل :﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ (]البقرة: ٢٣٤)،مع بقاء الرسم في المصحف.

فوائد معرفة النسخ في القرآن:

١. الاستعانة به في تفسير القرآن الكريم.
٢. معرفة تاريخ التشريع، وتدرج الحكم.
٣. إفادة الداعية في دعواه إلى الله، ومراعاة أحوال الناس؛ لأن النسخ راعى فيه الشارع مراحل الدعوة الإسلامية.
٤. ضبط الفتوى ؛ عن ابن عباس أنه قال في قوله :﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾]البقرة: ٢٦٩[،قال: (ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدّمه ومؤخره، وحرامه وحلاله.
٥. بيان حكمة الشرع في مراعاة مصالح العباد.
٦. في النسخ إظهار نعمة الله عز وجل برفعه تكليفًا أضيق إلى ما هو أخف، كنقل عدة المتوفَّى عنها زوجها من عام في أول الأمر إلى أربعة أشهر وعشر.

الآراء في النسخ :
الناس في موقفهم من النسخ يختلفون بين مقصّر ومقتصد وغالٍ، وهم في ذلك طوائف :

١. اليهود : فهم ينكرونه زعمًا منهم أنه بداء، وهو ظهور فائدة الحكم لله بعد خفائه، وقد أفسدوا حيث أرادوا الإصلاح جهلاً منهم بحقيقة النسخ والحكمة الإلهية المتعلقة به.

٢. الروافض : وهؤلاء غالوا في إثباته، وأجازوا البداء على الله تعالى، مستدلين بأقوال باطلة، نُسِبت زورًا وبهتانًا لعلي رضي الله عنه.
٣. أبو مسلم الأصفهاني : وهو يجيز النسخ عقلاً لا شرعًا، ودليله على ذلك قوله تعالى :﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢]، وهو بذلك يحمل النسخ على التخصيص.
٤. جمهور العلماء : وهم على جواز النسخ عقلاً وشرعًا، مستدلين على ذلك بنصوص من القرآن والسنة على وقوعه؛ نذكر منها:

قوله عز وجل :﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ (البقرة: ١٠٦)
وقوله :﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾ (النحل: ١٠١).
وقوله :﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ (الرعد: ٣٩)

سور القرآن باعتبار الناسخ والمنسوخ :

انقسمت سور القرآن من حيث وجود الناسخ والمنسوخ إلى أربعة أقسام :

الأول : قسم ليس فيه ناسخ ولا منسوخ؛ وهو ثلاث وأربعون سورة : الفاتحة، ويوسف، ويس، والحجرات، والرحمن، والحديد، والصف، والجمعة، والتحريم، والملك، والحاقة، ونوح، والجن، والمرسلات، وعمَّ، والنازعات، والانفطار، وثلاث بعدها، والفجر وما بعدها إلى آخر القرآن، إلا التين والعصر والكافرون.
الثاني : قسم فيه الناسخ والمنسوخ، وهي خمس وعشرون : البقرة، وثلاث بعدها، والحج، والنور وتالياها، والأحزاب، وسبأ، والمؤمن، والشورى، والذاريات، والطور، والواقعة، والمجادلة، والمزمل، والمدَّثر، وكُوِّرت، والعصر.
الثالث :قسم فيه الناسخ فقط، وهو ستٌّ: الفتح، والحشر، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، والأعلى.
الرابع : قسم فيه المنسوخ فقط، وهو الأربعون الباقية.

آيات قرآنية على النّاسخ والمنسوخ منها :

1ـ آية الصّلاة مع السّكر: (لا تقربوا الصّلاة وأنتم سُكارى) نسخ بآية (إنّما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشّيطان فاجتنبوه لعلّكم تُفلحون) .

2ـ آية تغير القبلة: (سيقول السّفهاء من النّاس ما ولاّهم عن قِبلتهم الّتي كانوا عليها قُل لله المشرقُ والمغرب يهدي من يشاء إلى صراطٍ مُستقيم) .(قد نرى تقلّب وجهك في السّماء فلنوليّنك قبلة ترضاها فوّل وجهك شطر المسجد الحرام.

3ـ آية أمر بثبات الواحد للعشرة (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ثم نسخ بقوله (الآن خفف الله عنكم وعلِم أنّ فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين).

هل ينسخ القرآن بالسّنة ؟
اتفق العلماء على جواز نسخ الخبر المتواتر بمثلِهِ ماعدا الشّافعي لا يقبل ذلك . وهنا معنى النّسخ تأويل أو تحديد الآيات لا نسخها كما في القرآن للقرآن.

1ـ آية الوصية : (كُتب عليكم إذا حضر أحدكم الموتُ إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين) ، فقد نسخت هذه الآية بالحديث المستفيض (ألا لا وصية لوارث) رواه الدّارمي.

2ـ آية نسخُ الجلد على الثّيب المحصن في قوله تعالى (الزّانية والزّاني فأجلدوا كُلَّ واحد منهما مائة جلدة) .ولا مسقط لذلك حيث أمر بالرّجم فقط، فقد طبّقه بنفسه على ماعز بن مالك الأسلمي، الغُلام اليتيم، وعلى المرأة الغامدية.

3ـ آية نسخ الصّيام يوم عاشوراء، وفرضه في صوم شهر رمضان.

4ـ (والسّارق والسّارقة فاقطعوا أيديهما) وفى الحديث (يُقطع يد السّارق في ربع دينار فصاعداً) رواه البخاري والتّرمذي وغيرهم.

الخلاصة :

تبين لنا مما سبق أن علم "الناسخ والمنسوخ" من العلوم الشرعية الأساسية التي تقوم عليها علوم القرآن والسنة، وأن مشروعيته ثبتت بالقرآن والحديث الشريف، وإجماع من يعتد بإجماعهم من الأمة، خلا غلاة الرافضة.

وأن النسخ كما يتعلق بالقرآن الكريم فهو متعلق بالسنة النبوية، وأن القرآن ينسخ القرآن كما ينسخ السنة، وأنه على الصحيح كما أن السنة تنسخ القرآن الكريم. وأن للنسخ دلالات وعلامات تشترط لوقوعه، وأنه لا يقع إلا في الأحكام العملية بخلاف الاعتقاد والأخبار المجردة.

كما أنه اتضح لنا أن الله انتهج النسخ في شريعة نبينا تخفيفا عنا، وامتحانا لإيماننا، وتدرجا في الدعوة والإرشاد للطريق السوي، مراعاة لقوم انتقلوا من الجاهلية للإسلام، وأن هذا النسخ معلوم النص والحكم، ومنه ما ليس معلوما لا نصا ولا حكما إنما وردت الإشارة إلى وجوده ثم نسخه، كما سبق حول سورة الأحزاب.

ومن هنا تتضح أهمية "الناسخ والمنسوخ" في علوم الشريعة، وأنه علم أساس لمعرفة تفسير القرآن الكريم، وشرح السنة النبوية، واستنباط الأحكام الشرعية، وفك التعارض بين النصوص.

من أهم المصنفات فى علم الناسخ والمنسوخ :

١- كتاب الناسخ والمنسوخ، للإمام أبي جعفر أحمد بن إسماعيل النحاس المرادي النحوي المتوفى سنة (٣٣٨هـ) هذا الكتاب يعتبر من أفضل ما وصل إلينا من الكتب المتقدمة في علم النسخ. وقد أجاد مؤلفه،، في عرض الآيات الناسخة والمنسوخة حيث أثبت ما ادعى فيه النسخ وعكسه بذكر الأسانيد غالبا، ويقوم بترجيح دعوى النسخ أو الإحكام حينا، وهو كثير ويقف موقف المحايد حينا آخر. وذلك إذا وجد ما يرجح إحدى الطرفين أو يؤيد كليهما. ويورد ابن الجوزي في هذا الكتاب نقولا كثيرة من كلام النحاس يعضد بها رأيه ويؤكد بها إحكام الآية، طبع هذا الكتاب بمصر سنة ١٣٢٣هـ ، ثم له أكثر من طبعة محققة وغير محققة.

٢- الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، للإمام أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، المتوفى سنة (٤٣٧هـ) وكتابه المذكور جليل القدر لا ينقص في الفضل عن كتاب النحاس، إلا أنه مع قيامه بمعالجة وقائع النسخ معالجة جدية، لا يتعرض إلى ذكر الأسانيد بل يكتفي بعزو الآراء إلى القائلين بها، ويرجح حينا ما يرتضيه من الآراء مؤيدا وجهة نظره. وقد حقق هذا الكتاب

فضيلة الدكتور أحمد حسن فرحات، وطبع بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٣٩٦هـ .

٣- الناسخ والمنسوخ لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦ هـ).

وللعلامة ابن الجوزي كتابان في ذلك :

١- المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ

٢- نواسخ القران لابن الجوزي، حققه أخي العلامة المحقق الثبت حسين الداراني ، دمشق ؛ بيروت / دار الثقافة العربية ، ١٩٩٠ م .

(١٨) مبادئ علم المكي والمدني من سور القرآن الكريم

اعتني المسلمون بالقرآن الكريم عناية فائقة ، ولا يعرف كتاب على وجه الأرض نال من الدراسة والشرح والبيان ما ناله القرآن ، حتى أنشأ العلماء مئات العلوم المستقلة المتعلقة به ، كان من أهمها علم : " المكي والمدنى."

ويمكن أن نوجز ببيان هذا العلم من علوم القرآن الكريم في المسائل الآتية:

أولا : بيان معنى مصطلح : " المكي والمدني."

هو اصطلاح أطلقه العلماء ليميزوا بين الآيات والسور التي نزلت في المرحلة المكية للدعوة الإسلامية ، وبين ما نزل في المرحلة المدنية ، فاشتهر بين أكثر أهل العلم هذا التقسيم ، وجعلوا مناطه ومداره على الزمان ، وليس على المكان .

فالمكي من الآيات والسور : ما نزل قبل الهجرة النبوية ، سواء كان في مكة أو ضواحيها. والمدني من الآيات والسور : ما نزل بعد الهجرة النبوية ، سواء كان مكان نزوله المدينة ، أو مكة بعد فتحها ، أو أي مكان في الجزيرة ذهب إليه النبي صلى الله عليه وسلم. ولقد عُنِيَ العلماءُ بتحقيق المكي والمدني عنايةً كبيرة، فتتبعوا القرآنَ سورةً سورةً، وآيةً آيةً؛ ليميزوا المكي والمدني؛ لترتيب القرآن

وَفْقَ نزولِه مُراعين في ذلك الزمانَ والمكان والخطاب، ومن هذا الجهد الكبير في تتبع نزول القرآن تَكَوَّن علمُ المكي والمدني في القرآن، وفي إطار هذا الجهد قسموا القرآن إلى قسمين كبيرين هما المكي والمدني.

وأضافوا إلى ذلك تفريعات عدة فصار تقسيمهم على النحو التالي:
١- ما نزل بمكة
٢- ما نزل بالمدينة
٣- ما اختلف فيه
٤- ما نزل بمكة وحكمه مدني
٥- ما نزل بالمدينة وحكمه مكي
٦- الآيات المكية في السور المدنية
٧- الآيات المدنية في السور المكية

إلى غير ذلك من الأقسام والتفريعات في علم المكي والمدني.

ونحن ندعو القارئَ إلى تتبُّع هذا العلم في بحوث علوم القرآن على التفصيل المطلوب، ولكننا نشير هنا إشاراتٍ إلى بعض الأمور المتعلقة بالمكي والمدني مما يُحتاج إليه في استنباط الأحكام.

الفرق بين المكي والمدني:
اعتمد العلماء في معرفة المكي والمدني على منهجين:
المنهج الأول: هو المنهجُ السَّماعي النَّقْلي، وهو يستند إلى علم الرواية وما نُقل عن أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- أو ما نُقل عن التابعين الذين أخذوا ذلك عن الصحابة رضي الله عنهم.

المنهج الثاني: هو المنهج القياسي الاجتهادي، وهو يعتمد على استقراء خصائصِ كلٍّ مِن القرآن المكي والمدني، وتمييزِ السور المكية من السور المدنية؛ بناءً على استقراء هذه الخصائص والسمات في السور والآيات.

وللعلماء في التفريق بين المكي والمدني ثلاثة آراء:

الرأي الأول: اعتبار المخاطَب بالقرآن؛ فالقرآن المكي ما كان خطابًا لأهل مكة، والقرآن المدني ما كان خطابًا لأهل المدينة، فما كان خطابًا لأهل مكة يكون الخطاب فيه مرتكزًا على قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ [فاطر: ٥].

وما كان الخطاب فيه مرتكزًا على قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فيكون لأهل المدينة كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾[الحج: ٧٧، ٧٨].

الرأي الثاني: اعتبار زمن النزول؛ فالمكي ما نزل قبل الهجرة وإن كان بغير مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن نزل بغير المدينة.

الرأي الثالث: اعتبار مكان النزول؛ فالمكي ما نزل بمكة وما جاورها كمنى وعرفات والحديبية، والمدني ما نزل بالمدينة وما جاورها كأحد وقباء وسلع، وما كان خارجًا عن ذلك لا يقال له مكي أو مدني

ثانيا : أهمية هذا العلم وفوائده

١- معرفة الناسخ من المنسوخ : وهذه فائدة عظيمة مفيدة في فهم القرآن وبيانه ، فالنسخ – وهو إزالة حكم الآية بحكم جديد – واقع في القرآن ، ولتحديد الآية الناسخة لا بد من معرفة زمان نزولها ، هل هو قديم في بداية الإسلام ، أو متأخر ، فتكون الآية المدنية ناسخة للمكية ، إذا ثبت وقوع النسخ في حكمها.

٢- معرفة تاريخ التشريع ومراحله ، وتلمس الحكمة في تدرج أحكامه وآياته ، حتى بلغت الكمال في آخر العهد النبوي ، ولا شك أن معرفة مراحل التشريع مفيدة جدا في فهم الشريعة ومقاصد القرآن وحكمته .

٣- الوصول إلى الفهم الصحيح لآيات القرآن وسوره ، لأن معرفة تاريخ النزول وظرف الآيات

يساعد كثيرا على فهمها واستجلاء مقاصدها ، فمن قطع النصوص عن سياقها الزماني أو المكاني فقد قطع على نفسه سبيل الحقيقة والفهم السليم .

٤- ومن فوائده بيان عظيم عناية المسلمين بالقرآن الكريم ، حيث لم يحفظوا نصوصه فقط ، بل حفظوا ونقلوا الزمن الذي نزلت فيه ، ليكون ذلك شاهدا على الثقة المطلقة التي يمنحها المؤمنون لهذا الكتاب العظيم .

٥- التذوق اللغوي لأساليب البيان العالية في القرآن الكريم ، فقد تميزت سور كل مرحلة مكية أو مدنية بأساليب بيانية تناسب ما تضمنته من معاني ومقاصد ، وكل هذه الأساليب لها من الرونق والبريق ما يأخذ الألباب ويدهش الأسماع ، ومعرفة المكي والمدني يساعد على هذا التذوق ويقربه للأذهان.

٦- معرفة السيرة النبوية ، فقد استغرق تنزل القرآن الكريم ثلاثة وعشرين عاما ، رافق فيها جميع الأحداث التي مر بها النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان فهم " المكي والمدني " رافدا من روافد علم السيرة النبوية ، ومكملا لدراساته.

ثالثا : الفرق بين المكي والمدني.

تبين للعلماء – بعد تأمل السور المكية والسور المدنية – أن ثمة فرقا في الغالب بينهما من جهتين اثنتين : المضمون ، والأسلوب.

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : يتميز القسم المكي عن المدني من حيث الأسلوب والموضوع :

أ- أما من حيث الأسلوب فهو:

١- الغالب في المكي قوة الأسلوب ، وشدة الخطاب ؛ لأن غالب المخاطبين معرضون مستكبرون ، ولا يليق بهم إلا ذلك ، اقرأ سورتي المدثر ، والقمر.

أما المدني : فالغالب في أسلوبه اللين ، وسهولة الخطاب ؛ لأن غالب المخاطبين مقبلون منقادون ، اقرأ سورة المائدة.

٢- الغالب في المكي قِصَر الآيات ، وقوة المحاجة ؛ لأن غالب المخاطبين معاندون مشاقّون ، فخوطبوا بما تقتضيه حالهم ، اقرأ سورة الطور.

أما المدني : فالغالب فيه طول الآيات ، وذكر الأحكام مرسلة بدون محاجة ؛ لأن حالهم تقتضي ذلك ، اقرأ آية الدَّيْن في سورة البقرة.

ب- وأما من حيث الموضوع فهو:

١-الغالب في المكي تقرير التوحيد والعقيدة السليمة ، خصوصا ما يتعلق بتوحيد الألوهية والإيمان بالبعث ؛ لأن غالب المخاطبين ينكرون ذلك. أما المدني : فالغالب فيه تفصيل العبادات والمعاملات ؛ لأن المخاطبين قد تقرر في نفوسهم التوحيد والعقيدة السليمة ، فهم في حاجة لتفصيل العبادات والمعاملات.

٢- الإفاضة في ذكر الجهاد وأحكامه والمنافقين وأحوالهم في القسم المدني لاقتضاء الحال ، ذلك حيث شرع الجهاد وظهر النفاق ، بخلاف القسم المكي " انتهى" .أصول التفسير ص: ١٣

ويقول الدكتور مناع القطان رحمه الله :

استقرأ العلماء السور المكية والسور المدنية ، واستنبطوا ضوابط قياسية لكل من المكي والمدني ، تبين خصائص الأسلوب والموضوعات التي يتناولها ، وخرجوا من ذلك بقواعد ومميزات :

ضوابط المكي ومميزاته الموضوعية:

١- كل سورة فيها سجدة فهي مكية في الأغلب إلا في سورة الحج.

٢- كل سورة فيها لفظ "كلا " فهي مكية ، ولم ترد إلا في النصف الأخير من القرآن . وذُكِرت ثلاثًا وثلاثين مرة في خمس عشرة سورة.

٣- كل سورة فيها : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) ، وليس فيها : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ) فهي مكية ، إلا سورة الحج ، ففي أواخرها : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا) ، ومع هذا فإن كثيرًا من العلماء يرى أن هذه الآية مكية كذلك .

٤- كل سورة فيها ذكر الأمم الغابرة وقصص السابقين من الأنبياء فهي مكية، ما عدا سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة.

٥- كل سورة فيها آدم وإبليس فهي مكية ، سوى البقرة كذلك.

٦- كل سورة تفتتح بالحروف المقطعة فهي مكية، ما عدا الزهراوين: البقرة وآل عمران.

٧- القرآن المكي يتحدث عن توحيد الله وتنزيهه وإثبات الرسالة، والحديث عن القيامة ومشاهدها والجنة والنار.

٨- يقوم القرآن المكي على وضع أسس التشريع العامة وبيان الأخلاق والفضائل وليس فيه بيان الشرائع مفصلة.

٩- الفواصل في السور المكية قصيرة موجزة العبارة قوية الجرس.

ضوابط المدني ومميزاته الموضوعية:

١- كل سورة فيها فريضة أو حد فهي مدنية.
٢- كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية ، سوى العنكبوت ، فإنها مكية.
٣- كل سورة فيها مجادلة أهل الكتاب فهي مدنية
٤- في السور المدنية بيان العبادات والمعاملات والمواريث وتشريعات الأسرة والجهاد وقواعد الحكم
٥- طول فواصل الآيات وطول المقاطع بيانًا لتفصيلات التشريعات.

هذا من ناحية الضوابط ، أما من ناحية المميزات الموضوعية ، وخصائص الأسلوب ، فيمكن إجمالها فيما يأتي:

١- بيان العبادات ، والمعاملات ، والحدود ، ونظام الأسرة ، والمواريث ، وفضيلة الجهاد ، والصِّلات الاجتماعية ، والعلاقات الدولية في السلم والحرب ، وقواعد الحكم ، ومسائل التشريع.
٢- مخاطبة أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، ودعوتهم إلى الإسلام ، وبيان تحريفهم لكتب الله ، وتجنيهم على الحق ، واختلافهم من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم.

٣- الكشف عن سلوك المنافقين ، وتحليل نفسيتهم ، وإزاحة الستار عن خباياهم ، وبيان خطرهم على الدين.

٤- طول المقاطع والآيات في أسلوب يقرر الشريعة ويوضح أهدافها ومراميها " (مباحث في علوم القرآن)

من أهم المصنفات فى علم المكى والمدنى :

- " الإتقان في علوم القرآن " - لعبد الرحمن بن أبو بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ).
- " البرهان في علوم القرآن " لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤ هـ).
- " نزول القرآن" للضحاك بن مزاحم الهلالي (ت /١٠٤ هـ)
- " نزول القرآن" لعكرمة أبي عبد الله القرشي البربري (ت /١٠٥ هـ)
- " نزول القرآن" للحسن بن أبي الحسن البصري (ت /١١٠ هـ)
- " تنزيل القرآن" لمحمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت /١٢٤ هـ)، مطبوع.
- " التنزيل في القرآن " لعلي بن الحسن بن فضال الكوفي (ت /٢٢٤ هـ)
- " فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة " لأبي عبد الله محمد بن أيوب بن الضريس البجلي (ت /٢٩٤ هـ)، مطبوع.
- " بيان عدد سور القرآن وآياته وكلماته ومكيه ومدنيه" لأبي القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافي (ت /٤٠٠هـ تقريبًا)، وهو من الكتب التي اعتمدت عليها اللجنة التي أشرفت على طباعة "مصحف المدينة النبوية."
- " تنزيل القرآن" لأبي زرعة عبد الرحمن بن زنجلة المقرئ (ت /٤٠٣ هـ تقريبًا)، مخطوط.
- " التنزيل وترتيبه" لأبي القاسم الحسن بن محمد النيسابوري (ت /٤٠٦ هـ)، مخطوط، وهو جزء من كتابه الكبير "التنبيه على فضل علوم القرآن."
- "كتاب المكي والمدني" لمكي بن أبي طالب القيسي (ت /٤٣٧هـ)
- " المكي والمدني في القرآن واختلاف المكي والمدني في آيه" لأبي عبد الله محمد بن شريح الرعيني المقرئ (ت/٤٧٦ هـ)

- " يتيمة الدرر في النزول وآيات السور" لأبي عبد الله محمد بن أحمد الحنبلي المقرئ (ت/٦٥٦ هـ)، مخطوط.
- "كتاب المكي والمدني في القرآن" لعبد العزيز بن أحمد الديريني (ت/٦٩٤ هـ)
- " الأرجوزة المتضمنة معرفة المكي والمدني من سور القرآن الكريم" لبدر الدين محمد بن أيوب التاذفي الحنفي (ت /٧٠٥ هـ). مخطوط.
- " تقريب المأمول في ترتيب النزول" لبرهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري المقرئ (ت/٧٣٢ هـ)، مخطوط.
- " الكلام على أماكن من التنزيل" لابن أبي شريف برهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الشافعي (ت/٩٢٣ هـ)، مخطوط.
- " رسالة العوفي في المكي والمدني والناسخ والمنسوخ وعدد الآي" لمحمد بن أحمد العوفي (ت /١٠٥٠ هـ)، مخطوط.
- " أرجوزة في القرآن المكي والمدني وما في تعداده من الخلاف" لمحمد بن أحمد بوزان الخزاني .

(١٩) مبادئ علم أَسْباب النُّزُول

أُنزِل القرآنُ على النبي - صلى الله عليه وسلم- لهداية البشرية، وكان نزولُه أولَ ما نزل في ليلة القدر، وقيل: إنه نزل مِنَ اللوح المحفوظ إلى بيت العِزَّة في السماءِ الدنيا في هذه الليلة، ثم صار يَنزل مُفرّقًا على مَدار ثلاثٍ وعشرين سنة، فكان منه المكيُّ والمدنيُّ، وكان يتنزَّل على حسَب الوقائع والأسباب، وكان الصحابةُ يَعلَمون أسبابَ النزول ويحفظونها وينقلونها تراثًا ثَرًّا للأجيال، يُعينهم على فهم القرآن وتفسيره واستنباط الأحكام منه، فكان نزولُ القرآن منجَّمًا تثبيتًا لقلب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقلوبِ صحابته، كما كان تنجيمُ القرآن لتحدِّي المشركين ولإعجازهم، كما كان تيسيرًا لفهمه وعونًا على تفسيره. على أنَّ مِن أعظم الحِكَم وراءَ تنجيم القرآن التدرجَ في التشريع في حركة المسلمين بدينهم خطوةً خطوةً، ومرحلة مرحلة، حتى يتكامل بُنيانُ التشريع من خلال نزول القرآن مع كل حدثٍ وكل مناسبةٍ نزل فيها مُعلّمًا ومُرشدًا ومشرّعًا للأحكام.

ولقد اعتنى العلماء في علوم القرآن بعلم أسباب النزول، وذلك للاستعانة به على تفسير القرآن الكريم، وألف فيه جماعة من العلماء ، ويعتمد العلماء في معرفة أسباب النزول على صحة الرواية عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- أو عن الصحابة، ويرون أنه لا يحل القولُ في أسباب النزول إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب.

ويرى أهل العلم أن القرآن نزل على قسمين:

١- قسم نزل ابتداء.

٢- قسم نزل عقب واقعة أو سؤال.

ويُعرَّف سببُ النزول بأنه: ما نزل قرآنٌ بشأنه وقتَ وقوعِه؛ كحادثةٍ أو سؤال، وفي هذا المطلب نتحدث في فرعين حول موضوعين يتعلقان بأسباب النزول وهما:

- فوائد معرفة أسباب النزول.
- العمل إذا تعددت الروايات في سبب النزول.

وكلا الموضوعين له تعلق واتصال باستنباط الأحكام من الآيات

الفرع الأول : فوائد معرفة سبب النزول:

لمعرفة أسباب النزول فوائد منها:

أولا: بيان الحكمة التي كانت وراء تشريع حكم من الأحكام، وإدراك مراعاة الشرع للمصالح العامة في علاج الحوادث رحمة بالأمة.

وتظهر الحكمة جلية مثلا في آيات المواريث من سورة النساء.

عن جابر قال: جاءت امرأةُ سعد بن الربيع إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بابنتيها من سعد، فقالت: يا رسول الله، هاتان ابنتا سعد بن الربيع، قُتل أبوهما معك في أُحد شهيدًا، وإنَّ عمَّهما أخذ مالَهما فلم يدع لهما مالاً، ولا ينكحان إلا بمال، فقال: يقضي الله في ذلك، فنزلت آيةُ المواريث. فأرسل

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى عمها فقال: "أعط ابنتي سعد الثلثين وأمها الثمن، وما بقي فهو لك"، رواه الخمسة إلا النسائي.

فسببُ نزول هذه الآيات في الميراث يُبيّن الحكمةَ في تشريع الميراث، والحكمةَ من جعل نصيب للبنت، وهو ما لم يكن معهودًا في الجاهلية، فلم تكن العربُ تعطي للنساء شيئًا من الميراث، فجاء الإسلامُ فأصلح هذا الوضع المعوجَّ الذي تُظلم المرأة فيه، وتَبيَّنتِ الحكمةُ من أن النساء لهن نصيب مما ترك الوالدان والأقربون كالرجال تمامًا وإن اختلفت الأنصبة.

ثانيا: تخصيص حكم ما نزل إن كان بصيغة العموم بالسبب عند من يرى العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ، وقد مُثّل لهذا بقوله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٨٨].

روى البخاري ومسلم أن مروان بن الحكم قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس، فقل: لئن كان كلُّ امرئ فَرِحَ بما أتى وأحب أن يُحمد بما لم يفعل معذبًا لنُعذَّبنَّ أجمعون، قال ابن عباس: وما لكم ولهذه؟ إنما دعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يهود، فسألهم عن شيء، فأخبروه بغيره، فأروه أنهم قد استحمدوا إليه بما أخبروه، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم. متفق عليه.

وفيها سبب آخر ذكره السيوطي في لباب النقول؛ قال: أخرج عبدُ بن حميد في تفسيره عن زيد بن أسلم أن رافعَ ابن خَدِيج وزيدَ بن ثابت كانا عند مروان، فقال مروان: يا رافع في أي شيء نزلت الآية: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا ﴾، قال رافع: أنزلت في أناس من المنافقين كانوا إذا خرج النبي -صلى الله عليه وسلم- اعتذروا، وقالوا: ما حبسنا معكم إلا شغل، فلوَدِدْنا أنا كنا معكم، فأنزل الله فيهم هذه الآية.

وكأن مروان أنكر ذلك، فجزع رافع من ذلك، فقال لزيد بن ثابت: أنشدك الله،هل تعلم ما أقول به؟ قال: نعم. [لباب النقول: ٦٢- ٦٣].

ففي هذا المثال يتضح أن سبب النزول قد يُخصص معنى الآية.

ثالثا: معرفة سبب النزول خير سبيل لفهم معاني القرآن، وكشف الغموض الذي يكتنف معاني بعض الآيات في تفسيرها.

وبعضُ الآيات لا يمكن الكشفُ الجلي عن معناها وتفسيرها ما لم يراجع سببُ النزول؛ ذلك أن العلم بالسبب يُورث العلم بالمسبب، ومن أمثلة ذلك ما ورد في الفقرة الماضية من تفسير قوله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾، فقد كشف ابنُ عباس ببيان سبب النزول عن معنى الآية.

ومن أمثلة ذلك أيضًا قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٥٨].

قال أهل العلم: ظاهر الآية لا يقتضي أن السعي فرض في الحج والعمرة؛ لأن رفع الجناح يفيد الإباحة لا الوجوب ومن هنا تمسك الإمام أبو حنيفة بذلك، فهو يرى أن السعي بين الصفا والمروة واجبٌ وليس بركن، وعلى تاركه دم.

ولكن مراجعة سبب النزول يبين معنى الآية، ويبين أن السعي بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج والعمرة.

روى البخاري ومسلم عن عروة: سألت عائشة، قلت: أرأيت قول الله تعالى: "إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما"، قلتُ: فو الله ما على أحدٍ جناحٌ أن لا يطوف بهما؟ فقالت عائشةُ: بِئسَما قلتَ يا ابن أختي، إنها لو كانت على ما أولتها عليه، كانت: ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾، ولكنها إنما أنزلت أن الأنصار كانوا قبل أن يسلموا كانوا يُهلون لِمَنَاة الطاغيةِ التي كانوا يعبدونها في الجاهلية، وكان من أهلَّ لها يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة، فسألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا رسول الله، إنا كنا نتحرج أن نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية. فأنزل الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾، قالت عائشة: ثم قد سن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الطوافَ بهما، فليس لأحد أن يدع الطواف بهما. متفق عليه.

رابعا: يوضح سببُ النزول مَن نزلت فيه الآية، حتى لا تحمل على غيره بدافع الجدل والخصومة؛ فعن محمد بن زياد قال: لما بايع معاوية لابنه، قال مروان: سنة أبي بكر وعمر. فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: سنة هرقل وقيصر. فقال مروان: هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا ﴾

الآية [الأحقاف: ١٧]، فبلغ ذلك عائشة فقالت: كذب مروان! والله ما هو به، ولو شئت أن أسمي الذي أنزلت فيه لسميته. رواه النسائي.

الفرع الثاني: تعدد الروايات في سبب النزول:

سبب النزول إما أن تكون صيغته صريحةً في السببية، وإما أن تكون صيغته محتملة:

- فتكون نصًّا في السببية إذا قال الراوي: سبب نزول هذه الآية كذا.
- وتكون نصًّا في السببية إذا أتى بفاء دالة على التعقيب داخلة على مادة النزول بعد ذكر الحادثة أو السؤال. كما إذا قال: حدث كذا، أو سئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن كذا، فأنزل أو فنزلت آية كذا وكذا.
- وتكون الصيغة محتملة للسببية ولما تضمنته الآية من الأحكام إذا قال الراوي: نزلت هذه الآية في كذا وكذا، فهنا يراد به سبب النزول ويراد غيره، كأن يكون مرادًا به معنى الآية.
- وكذلك إذا قال: أحسب هذه الآية نزلت في كذا وكذا.
- أو إذا قال: ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في كذا؛ فإن الرواية بهذه الصيغة لا تقطع بالسببية، وإنما تحتملها وتحتمل غيرها كبيان الحكم من الآية.

مثال ذلك قول ابن عمر في قوله تعالى: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، قال ابن عمر: "أنزلت في إتيان النساء في أدبارهن". رواه البخاري.

فهي بيان للحكم وليس من ذكر سبب النزول في شيء، وفي هذه الحالة يكون قول الصحابي: أنزلت في كذا محتملا للسببية وغيرها.

والعبرة في هذا وذاك إنما يكون بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وإن كان بيان السبب يساعد على فهم الحكم.

وقد تتعدد الروايات في سبب نزول آية واحدة. فما موقف المجتهد من ذلك؟

ذكر أهل العلم أن سبب النزول إذا تعدد فهناك احتمالات ثلاثة:

١- إما أن يكون الجميعُ غيرَ صريح في السببية.

٢- وإما أن يكون الجميعُ صريحًا في السببية.

٣- وإما أن يكون البعض صريحًا في السببية والبعض غير صريح.

فإذا كان الجميع غير صريح في السببية فلا ضرر؛ إذ يحمل الجميع على أنه تفسير للآية أو بيان للحكم المأخوذ منها.

وإذا كان بعضُه صريحًا وبعضُه غيرَ صريح، فالمعتمد عند المجتهد هو الصريح دون غيره.

وإذا كان الجميع صريحًا، فلا يخلو الأمرُ من أن يكون البعضُ صحيحًا والبعضُ غير صحيح من جهة السند، فالصحيح الصريح هو المعتمد.

فإذا كان الجميعُ صحيحًا صريحًا فيُرجّح الراجح بقرائن، أو يصار إلى الجمع إن أمكن، أو يحمل على تكرار النزول.

أمثلة على ذلك :

أولا: إذا لم تكن الصيغُ الواردة في سبب النزول صريحةً فلا منافاة بينها؛ إذ المراد التفسير أو بيان الحكم، وليس المراد سبب النزول إلا إذا قامت القرينةُ على واحدة منها بأن المراد بها السببية.

ثانيًا: إذا كانت إحدى الصيغ غيرَ صريحة وصرح أحدُها بذكر سبب مخالف، فالمعتمد هو ما نص فيه على السببية، وتُحمل الأخرى على دخولها في أحكام الآية.

مثال ذلك:

قول جابر: كانت اليهود تقول: إذا أتى الرجلُ امرأتَه من دُبُرها في قُبُلها كان الولدُ أحولَ، فنزلت ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾، رواه البخاري ومسلم.

فهذه الرواية هي المعتمدة أما كلام ابن عمر: أنزلت في إتيان النساء في أدبارهن [رواه البخاري]، فليس بنص في سبب النزول، فيحمل كلامه على أنه استنباط وتفسير.

ثالثا: إذا تعددت الرواياتُ وكانت جميعُها نصًّا في السببية، وكان إسنادُ أحدها صحيحًا دون غيره فالمعتمد الرواية الصحيحة.

مثال ذلك روايتان في سبب نزول سورة الضحى:

إحداهما: ما رواه الشيخان عن جُندَب البَجَلي قال: اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثا، فأتته امرأةٌ فقالت: يا محمد، ما أرى شيطانك إلا قد تركك لم يقربك ليلتين أو ثلاثا، فأنزل الله ﴿ وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ [الضحى: ١-٣]. رواه الشيخان.

والثانية: رواها الطبراني: عن حفص بن ميسرة القرشي قال: حدثتني أمي عن أمها -وكانت خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم- : أن جروًا دخل البيت ودخل تحت السرير ومات، فمكث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أيامًا لا ينزل عليه الوحي،. فقال: "يا خولة ما حدث في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ جبريل لا يأتيني، فهل حدث في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حدث؟!"، فقلت: ما أتى علينا يوم خيرٌ من يومنا، فأخذ برده فلبسه وخرج، فقلت: لو هيأت البيت وكنسته، فأهويتُ بالمكنسة إلى السرير، فإذا شيء ثقيل فلم أزل حتى أخرجته، فإذا جرو ميت، فأخذته بيدي فألقيته خلف الدار، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ترعد لحيته، وكان إذا أتى الوحي أخذته الرعدة، فقال: "يا خولة دثريني"، فأنزل الله عز وجل ﴿ وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ [الضحى: ١-٣].

فالرواية الأولى هي المعتمدة لصحة السند إذ هي في الصحيحين، وأما رواية الطبراني فضعيفة.

رابعا: إذا تساوت الروايات في الصحة، ووُجد وجهٌ من وجوه الترجيح؛ مثلُ حضور القصة مثلا، أو كونِ أحدهما أصحَّ وإن الأخرى صحيحة، قُدمت الرواية الأصح.

مثال ذلك روايتان ذكرتا في سبب نزول: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ [الإسراء: ٨٥].

الرواية الأولى: عن عبد الله بن مسعود قال: بينا أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في خرب المدينة، وهو يتوكأ على عسيب معه، فمر بنفر من اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه؛ لا يجيء فيه بشيء تكرهونه، فقال بعضهم: لنسألنه، فقام رجل منهم فقال:

يا أبا القاسم ما الروح؟ فسكت، فقلت: إنه يوحى إليه، فقمت، فلما انجلى عنه قال: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء: ٨٥]. رواه البخاري.

الرواية الثانية: عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئًا نسأل عنه هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، فنزلت ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾. رواه الترمذي وصححه.

فهذه الرواية تقتضي أن الآية نزلت في مكة.

وقد رجح العلماء ذلك بقرينة وجود ابن مسعود مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وشهوده القصة في الرواية الأولى.

ومع هذا فقد رجح بعضُ أهل العلمِ الجمع بين الروايتين بأن الآية نزلت مرتين مرة في مكة ومرة في المدينة.

خامسا: إذا تساوت الرواياتُ عند الترجيح جُمع بينهما إن أمكن، فتكون الآية نزلت بعد السببين أو الأسباب لتقارب الزمن بينهما.

مثال ذلك : آيات اللعان في سورة النور، وهي قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ * وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور: ٤-١٠].

هذه الآيات ورد في سبب نزولها روايتان:

الأولى: ما ثبت في الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن عُوَيمرًا العجلاني قال لعاصم بن عدي: أرأيتَ لو أن رجلاً وَجَد مع امرأته رجلا أيقتُله فتقتلونه، أم كيف يفعل؟ فسل لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

المسائلَ وعابها، حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم إن عويمرًا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال: " قد نزل فيك وفي صاحبتك، فاذهب فأتِ بها"، فتلاعنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم. متفق عليه.

الثانية: ما رواه البخاري: أن هلال بن أمية قذف امرأته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحماء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "البينة أو حدٌّ في ظهرك"، فقال: يا رسول الله إذا رأى أحدُنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقول: "البينةُ وإلا حَدٌّ في ظهرك"، فقال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد، فنزل جبريل عليه السلام وأنزل عليه: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ... ﴾. الآيات. رواه البخاري.

وقد جمع العلماءُ بينهما بأن حادثة هلال وقعت أولا، وصادفها مجيء عويمر كذلك، فنزلت الآيات في شأنهما معًا بعد حادثتيهما.

سادسا: إن لم يمكن الجمعُ لتباعد الزمن، فإنه يحمل على تعدد النزول وتكرره.

ومن الآيات التي ورد فيها أكثرُ من رواية حول سبب النزول وهي روايات صحيحة: قول الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣].

وقد ورد في سبب نزولها روايات منها:

الأولى: لما حضرت أبا طالب الوفاةُ جاءه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: يا عم قل لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغبُ عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخرَ ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما والله لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك"، فأنزل الله ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ... ﴾ الآية. متفق عليه.

الثانية: عن علي قال: سمعت رجلا يستغفر لأبويه وهما مشركان، فقلت له: أتستغفر لأبويك وهما مشركان؟ فقال: أوليس استغفر إبراهيمُ لأبيه وهو مشرك؟ فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ... ﴾ الآية. رواه الترمذي وحسنه.

الثالثة: عن ابن مسعود قال: خرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يومًا إلى المقابر، فاتبعناه فجاء حتى جلس إلى قبر منها، فناجاه طويلا، ثم بكى فبكينا، فقال: "إن القبر الذي جلست عنده قبر أمي، وإني استأذنتُ ربي في الدعاء لها، فلم يأذن لي، فأنزل علي: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ... ﴾ الآية. أخرجه الحاكم.

وقد جمع بين الروايات الثلاث بتعدد نزول الآية في أكثر من موطن. ومع ذلك يرى بعضُ أهل العلم أن الترجيح بين الروايات أولى من القول بتعدد نزول الآية.

ويُقصد بعلم أسباب النزول ذِكْرُ كل ما يتصل بنزول الآيات القرآنية من القضايا والحوادث، سواء في ذلك قضايا المكان أو حوادث الزمان، التي صاحبت نزول القرآن الكريم.

وقد تحدث العلماء عن الطرق التي تثبت بها أسباب النزول، وحصروها في أخبار وروايات الصحابة، الذين شاهدوا الوحي وعاصروا نزوله، وعاشوا الوقائع والحوادث وظروفها. وأيضاً فإن الأخبار التي نقلها التابعون، الذين تلقوا العلم عن الصحابة، تعتبر مرجعاً مهماً في معرفة أسباب النزول.

وكان من هدي السلف الصالح رضي الله عنهم التحرز عن القول في أسباب النزول من غير خبر صريح أو علم صحيح.

أما عن فوائد هذا العلم -كما ذكرها العلماء- فهي كثيرة، منها أن معرفة أسباب النزول تُعين القارئ لكتاب الله على فهمه فهماً صحيحاً سليماً، وذلك أن العلم بالسبب يُورث العلم بالمسبَّب. ومنها أنها تُيسِّرُ حفظ كتاب الله وتُثَبِّتُ معناه، لأن ربط الأحكام بالحوادث والأشخاص والأزمنة والأمكنة يساعد على استقرار المعلومة وتركيزها. وقالوا أيضا في فوائد هذا العلم إنه يمكّن من معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، ومن المعلوم أن هناك من الآيات ما يصعب فهم المراد منها، ويقع الخطأ في تفسيرها في حال الجهل بأسباب نزولها.

من هنا كان من الأهمية بمكان -لقارئ كتاب الله عامة وللمفسر خاصة- أن يكون على علم ودراية بأسباب النزول؛ ليكون على بصيرة من كتاب ربه، فيفهمه فهماً صحيحاً سليماً، أما إذا لم يكن على معرفة وبينة من تلك الأسباب فربما فهمه على غير ما قُصِد منه، فيكون قد أخطأ من حيث أراد الصواب.

ولنمثل لذلك بمثال، وهو قوله تعالى: {وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها} (البقرة:١٨٩) فهذه الآية لا يستقيم فهمها فهماً صحيحاً إلا في ضوء معرفة سبب نزولها، وقد جاء في سبب نزولها، ما رواه البخاري في "صحيحه" من حديث البراء رضي الله عنه أنه قال: (كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره، فأنزل الله: {وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها} فالمراد من الآية على ضوء سبب نزولها ليس مجرد الأمر بالدخول من الأبواب على حقيقته، بل المراد منها الأمر بالتزام أوامر الله ونواهيه، وطاعته على وفق ما أمر وشرع. وأمثلة هذا كثير في القرآن.

وكما ذكرنا بداية، فإن أسباب النزول قد أفرد لها أهل العلم مؤلفات خاصة، لعل من أهمها كتاب "أسباب النزول" للواحدي ، وكتاب "أسباب النزول" للسيوطي، وللحافظ ابن حجر تأليف فيها أيضاً، إضافة إلى أن كل من كتب في علوم القرآن أفرد بحثاً خاصاً بأسباب النزول.

ومن المفيد هنا الإشارة إلى أن العلماء قرروا قاعدة متعلقة بأسباب النزول، مفادها أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وتعني هذه القاعدة باختصار، أن النص الشرعي إذا ورد بسبب واقعة معينة حصلت في عصر التنزيل، فإن الحكم لا يكون مقتصراً على تلك الواقعة فحسب، وإنما يكون حكماً عاماً في كل ما شابهها من وقائع ونوازل، وذلك أن أحكام القرآن -من حيث الأصل- هي أحكام عامة لكل زمان ومكان، وليست أحكاماً خاصة بأفراد معينين.

ولتوضيح هذه المسألة نذكر مثالاً يكشف المقصود منها. فقد أخرج البخاري في "صحيحه" عن ابن عباس رضي الله عنه، أن هلال بن أمية قذف امرأته بـ شريك بن سحماء ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (البينة أو حدٌّ في ظهرك) فقال: يا رسول الله! إذا رأى أحدنا مع امرأته رجلاً، ينطلق يلتمس البينة، فأنزل الله تعالى: {والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين} (النور:٦) فهذه الآية سبب نزولها خاص، وهو

هذه الحادثة، إلا أن حكم اللعان الذي جاءت به حكم عام، خُوطب به جميع المسلمين، ومن هنا قال أهل العلم: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وقد توسع العلماء في بحث أسباب النزول، وفيما ذكرناه قليل من كثير، نحيل من أحب التوسع في هذه المسألة إلى مظانها.

من أشهر المصنفات في علم أسباب النزول :

١- أسباب نزول القرآن للإمام علي بن أحمد الواحدي (ت٤٦٨هـ)

هذا الكتاب هو أشهر الكتب المصنفة في أسباب النزول ، وقد عرف مؤلفه به ، وأجود تحقيقاته هو تحقيق الأخ الكريم ماهر ياسين الفحل وفقه الله ، وقد نشرته دار الميمان مؤخراً . وقد وفق الله الدكتور ماهر ياسين الفحل للعناية بهذا الكتاب ، وخرج في مجلد فاخر الطباعة عن دار الميمان في ٨٤٨ صفحة من القطع العادي . وقد حكم المحقق على كثير من أسانيده ، واكتفى بعزو بعضها دون حكم ، ووفق للعثور على نسخة جيدة جعلها أصلاً هي رواية بدر الدين محمد بن عبدالله الأرغياني ، وهذه الرواية هي التي اعتمد عليها ابن حجر في تصنيفه كتابه (العجاب في بيان الأسباب)

٢- العُجابُ في بيان الأسباب للحافظ المحدث أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)

وهذا الكتاب لابن حجر العسقلاني المحدث الحافظ المشهور ، وهو من أجود وأفضل كتب أسباب النزول ، ولكنه للأسف غير مكتمل ، فلم ينته منه المؤلف ، وقد قدم للكتاب بمقدمة رائعة في طرق التفسير عند أهل التفسير جدير بكل طالب علم أن يقرأها ويدرسها، ثم تتبع الطرق والأسانيد التي وردت بها روايات أسباب النزول ، واستدرك على الواحدي ومن قبله . وقد بذل المحقق الدكتور عبدالحكيم الأنيس جهداً رائعاً في تحقيقه الذي نشرته دار ابن الجوزي عام ١٤١٨هـ في مجلدين . وأنصح طلاب العلم بقراءة هذا الكتاب والإفادة منه ، وهو مناسب لطلاب العلم والمتخصصين .

٣- لباب النقول في أسباب النزول لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)

وهذا الكتاب سهل مختصر بذل فيه السيوطي جهداً مشكوراً ، وقد استوعب ما كره الواحدي في كتابه وزاد عليه شيئا قليلاً . وهو مناسب للجميع لمعرفة أسباب النزول المروية .

٤- تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول ، لخالد عبدالرحمن العك.

وقد جمع فيه مؤلفه روايات سبب النزول من تفسير الطبري وكتاب الواحدي النيسابوري في أسباب النزول وكتاب ابن الجوزي في أسباب نزلو القرآن وتفسير القرطبي وابن كثير وكتاب لباب النقول للسيوطي . وقد رتبه على ترتيب سور القرآن.

٥- الصحيح المسند من أسباب النزول للشيخ مقبل بن هادي الوادعي.

وقد اقتصر فيه مؤلفه على الصحيح المسند برأيه ، ورتبه على ترتيب سور القرآن ، وقدم بين يديه بمقدمة ذكر فيها بعض القواعد الأصولية المتعلقة بأسباب النزول ، وهو سهل صالح للجميع .

٦- الاستيعاب في بيان الأسباب ، تأليف سليم الهلالي ومحمد موسى آل نصر.

وقد حاول المؤلفان استيعاب كل المرويات التي وردت في أسباب النزول ما صح منها وما لم يصح ، ورتبوها على ترتيب سور المصحف ، ودرسوا أسانيد كل رواية وحكموا عليها حديثياً . وهي موسوعة علمية قيمة مفيدة لكل راغب في معرفة درجة أي سبب من أسباب النزول. وقد نشرته دار ابن الجوزي عام ١٤٢٥هـ في ثلاثة مجلدات.

٧- المحرر في أسباب نزول القرآن في الكتب التسعة للدكتور خالد المزيني.

وأصل هذا الكتاب رسالة علمية للدكتوراه ، وقد درس فيها المؤلف أسباب النزول التي وردت في كتب الحديث التسعة ، وتتبعها حديثياً . والكتب التسعة : موطأ مالك ومسند احمد وسنن الدارمي وصحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود وسنن الترمذي وسنن النسائي وسنن ابن ماجه .

مقدمة وتمهيد وقسمين وخاتمة

والمقدمة تتناول أهمية الموضوع وأسباب اختياره والدراسات السابقة وخطة البحث ومنهجه في إعداده. ثم بعد ذلك تمهيد وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: مكانة أسباب النزول وأهميتها

المبحث الثاني: فوائد معرفة أسباب النزول

المبحث الثالث: نشأة علم أسباب النزول

المبحث الرابع: مصادر أسباب النزول

المبحث الخامس: بواعث الخطأ في أسباب النزول

القسم الأول : قواعد في أسباب النزول و ضوابط الترجيح فيها ، وفيه فصلان:

الفصل الأول: قواعد في أسباب النزول ، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: تعريف أسباب النزول ومفهومه لدى العلماء.

المبحث الثاني: أسباب النزول من حيث صياغتها

المبحث الثالث : تعدد النازل والسبب واحد

المبحث الرابع : تعدد السبب والنازل واحد

المبحث الخامس : عموم اللفظ و خصوص السبب

المبحث السادس: تكرر النزول

الفصل الثاني : ضوابط الترجيح في أسباب النزول ، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: الترجيح بتقديم الصحيح على الضعيف.

المبحث الثاني: الترجيح بتقديم السبب الموافق للفظ للآية على غيره.

المبحث الثالث : الترجيح بتقديم صاحب القصة على غيره

المبحث الرابع : الترجيح بتقديم قول الشاهد للسبب على الغائب عنه.

المبحث الخامس : الترجيح بدلالة السياق القرآني.

المبحث السادس : الترجيح بدلالة الوقائع التاريخية.

القسم الثاني : دراسة أسباب النزول دراسة تفسيرية حديثية وترتيب الدراسة على النحو التالي:

- ذكر الآية أو الآيات النازلة.

- ذكر السبب أو الأسباب التي نزلت بشأنها الآيات

- دراسة السبب أو الأسباب دراسة تفسيرية حديثية . وهو مهم لطالب العلم . وقد استكمل طالب الدكتوراه جلول الجزائري أسباب النزول في بقية كتب الحديث في رسالته للدكتوراه ولكنها لم تطبع بعد.

٨- صحيح أسباب النزول لإبراهيم محمد العلي.

حاول المؤلف في هذا الكتاب القيام بما قام به مقبل الوادعي من قبل من إفراد صحيح أسباب النزول فقط ، ورتبه حسب السور ، وهو كتاب مختصر سهل يفيد القارئ.

٩- الصحيح من أسباب النزول ، للدكتور عصام بن عبدالمحسن الحميدان

وهو كتاب قيم تحرى فيه مؤلفه توثيق الروايات المقبولة في أسباب النزول على وجه الإيجاز والاختصار ، ورتبها على ترتيب السور.

١٠- الجامع في أسباب النزول ، جمعه ورتبه حسن عبدالمنعم شلبي.

هذا الكتاب جمع فيه مؤلفه أسباب النزول التي أوردها كل من:

١- الواحدي في كتابه أسباب النزول السابق ذكره.

٢- كتاب العجاب لابن حجر العسقلاني.

٣- كتاب لباب النقول للسيوطي.

٤- كتاب تسهيل الوصول للشيخ خالد العك.

٥- كتاب الصحيح المسند من أسباب النزول للشيخ مقبل الوادعي.

٦- كتاب صحيح أسباب النزول لإبراهيم العلي.

وقد رتبه مؤلفه على ترتيب السور ، وخرج في مجلد بخط دقيق ، وقد يكون كافياً للراغب في اقتناء كتاب واحد في أسباب النزول.

(٢٠) مبادئ علم الرَّسْم العُثْمانِي

تعريف علم الرَّسْم:

الرسم لغة: الأثر، والجمع: أرْسُم وَرُسُوم

فعلم الرسم العثمانى هو : محاولة جمع المخالف والموافق في الرسم العثماني عن الرسم الإملائي وتوجيهه.

وإن أئمة الرسم العثماني ينبهون على بعض المواضع الموافقة للرسم احترازا عن الوهم في كتابتها، مع اتفاقهما في كتابتها.

فإنك تجد بعضهم يذكر كلمات لا يذكرها غيره، وينقص كلمات ذكرها غيره، وأسباب ذلك - في نظري- تعود إلى:

١- تطور الرسم الإملائي، فمن المعلوم أن الخط العربي كان على طريقة واحدة، يكتبون به المصاحف، ويكتبون به شؤونهم وأحوالهم، وما يعنُّ لهم، وكان هذا الخط في بدايات وضعه، ولم تكن هناك قواعد وضوابط لكيفيات الكتابة، ثم إنه في عهد التابعين بدؤوا بوضع قواعد العلوم، فبدأ النحويون والصرفيون في وضع القواعد الموافقة للنحو والصرف في الكتابة، فلما حدث ذلك واستحدثوا للكلمات رسماً جديداً، وابتعدت كتابة الكلمات شيئاً فشيئاً عن رسمها في المصحف، - ولم يمنع من استحداث هذه القواعد شيء، إلا العمل العظيم الذي قام به الصحابة -رضوان الله عليهم- من كتابة المصحف، فإن صورة الكلمات ستتغير عما عليه في المصاحف- فزع) النَّاس إلى الأئمة يسألونهم عن حكم كتابة المصحف بالمستحدث من الكتابة، فسألوا: (هل يكتب المصحف على ما استحدث الناس من الهجاء، فأجاب العلماء بأن لا يخالف، وأن يلزموا في كتابة المصحف الكتبة الأولى.

٢- المخالفات بين الرسمين في أوَّل استحداث كتابة الإملاء، كانت قليلة، ثم مع تطور الضوابط والقواعد في الكتابة زادت الشقة بينهما، وإلى العصر الحاضر لا تزال هناك كلمات في الرسم الإملائي يختلف الناس في كتابتها، فكان العلماء يهتمون بذكر المخالفات بين الكتابتين، فكان التأليف فيه أولاً مجرد إشارات في كتاب، مثل ما فعل الفرَّاء ت: ٢٠٧هـ في (معاني القرآن) لقلة ما يذكر من الكلمات المخالفة، ثم أبو عبيد ت:٢٢٤هـ في كتابه (القراءات)

ثم تطور الأمر إلى أبواب خاصة للرسم في كتب تتعلَّق بالقرآن الكريم، كما فعل ابن الأنباري ت:٣٢٨هـ في كتابه (الوقف والابتداء)، والأندرابي ت: ٤٧١هـ في (الإيضاح في القراءات)، ثم أُلِّفت كتب منفردة في علم رسم المصاحف، من مثل صنيع: المهدوي ت: ٤٣٠هـ في كتابه (هجاء مصاحف الأمصار)، والجهني ت: ٤٤٢هـ في (البديع)، وهي

متوسطة الحجم، ثم الداني في (المقنع)، وهو كبير ، ثم (مختصر التنزيل) لأبي داود ت: ٤٩٦هـ، وهو أكبر الجميع، وقد تتداخل هذه الفترات.

٣- إنَّ علماء هذا الفن المتأخرون كانوا يقيسون بعض الكلمات التي لم يذكر حكمها في الرسم، بكلمات ذكر لها حكم، ومثل هذا فعله الإمام أبو داود سليمان بن نجاح في كتابه، ويشيرون في بعض الكلمات إلى أنه لا نصَّ عندهم على هذه الكلمات، وإنما هو القياس، ولذلك تجد أنَّ من بعدهم إذا جاءت كلمة لم يذكرها من سبقه من العلماء، فإنه يحاول رؤية المصاحف القديمة ليستنتج الحكم، وهذا فعله الداني في كتابه (المقنع) كثيراً، ونبَّه إليه الجعبري حين قال: (وليس في باقي الباب نص على: ياءٍ ولا: ألف، فيمتنع الآخر، فيتبع فيه الكشف ، وقوله (فيمتنع الآخر) معناه: أنه لا يؤخذ بمفهوم المخالفة فيما لم يذكروه رسماً أو حذفاً، بل ينظر إلى النصوص الأخرى، فإن لم يوجد نص فينظر في المصاحف القديمة لمعرفة حكم رسم الكلمة.
إلا أنَّ المتأخرين خالفوا ذلك وعكسوا الأمر، فإذا جاءت كلمة لم يجدوا من نبَّه عليها من الأئمة كتبوها على الرسم الإملائي، وادَّعوا أن هذا هو المراد، ولم يتعبوا أنفسهم في البحث في كتب الرسم المختلفة، فإن لم يجدوا لها ذكرا طالعوا المصاحف القديمة المتيسرة للنظر في هذه الكلمات التي أغفلها من تقدَّمهم من الأئمة.

٤- أنهم كانوا - في الغالب- حين يذكرون رسم المصحف يروونه رواية عن رؤية الأئمة، فأصبحت الكلمات في كتب الرسم مقتصرة في الأكثر على الرواية، وإن كان الداني قد اعتمد أيضاً رؤية المصاحف وتتبعها، فذكر أحكاماً لكلمات لم يتكلم عليها من سبقه ، لأنه رجع إلى المصاحف فنظر فيها، وفي الرواية تجد أن بعضهم يستدرك على بعض ما فاته فلم يذكره، فإن ابن أبي داود لما ذكر ما قرأه محمَّد بن عيسى: على نصير بن يوسف في ما اجتمعت عليه المصاحف، قال: إن لم يذكر حروفاً من خطوط المصاحف كتبت على غير الخط ، ثم ذكر كلمات كثيرة.

ولو أنَّ العلماء بعده ساروا على طريقته في التأليف، لوجد المتأخرون كلمات جديدة، اختلف في كتبها في الرسم الإملائي عن الرسم العثماني، ولضمَّت كتب الرسم أكثر كلمات القرآن، وليس مقداراً بسيطاً منها كما هو فيها الآن، ولكنهم للأسف جمدوا عند الرواية دون الرؤية، كما فعل أبو داوود سليمان بن نجاح في (مختصر التبيين)، وبعكسهم السخاوي في (الوسيلة)، فإنه يرجع إلى المصاحف القديمة وخاصة المصحف الشامي، وينبِّه: على تقييد

بعض الروايات لكلمات معينة برسم خاص بها باستثناءات يجدها في المصاحف القديمة التي رجع إليها، أو: إطلاق الحكم في مسألة بأنها كذلك في جميع المصاحف، فيردُّ على هذا الإطلاق لأنه مخالف لما رآه في المصاحف القديمة.

ثمَّ توقَّف الأمر بعده في النظر إلى المصاحف القديمة، فمع أنَّ الجعبري يعدُّ الكشف في المصاحف القديمة أصلاً، إلا أنه لم يفعل ذلك في الرجوع إليها، والكشف عنها، وتقدَّم نص كلامه، وتوجد بعض الإشارات الخافتة التي نجدها عند ابن الجزري في كتابه (النشر)

ونلحظ من تلك الأعمال للأئمة في اعتمادهم على المصاحف إلى جانب الروايات، أنه لم يوجد اختيار في الرسم يمنع الأخذ بغيره، كما هو حاصل في القراءات من الاعتماد على روايات، ثم تشذيذ ما عداها، وكذا من مثل الاعتماد على الأعداد الستة أو السبعة في (علم العدد) وتشذيذ ما سواها، إلا (علم الرسم) فإنه الوحيد من بين أقرانه الذي ليس فيه اختيار يجب اتباعه وترك ما عداه، فإنَّ قول السخاوي، وردُّه على من سبقه من الأئمة، دليل على ذلك، إذ لو كان فيه اختيار لردَّ عليه أي واحد، واعتبر كلامه غير سائغ، من مثل الجعبري الذي شرح أيضاً العقيلة، بل كانوا يعدُّون النظر إلى المصاحف القديمة هي الركن الأقوى، ولذلك اعتمدوه في ذلك، ويؤخذ من هذا أنه لا يسوغ لأحد أن يشذذ وجها إلا برد الأصل المعتمد على القول من التشكيك في نسبة المصاحف وقدمها، أو ضعف القول عن الإمام، ولا يرد وجه من وجوه الرسم لأنه مخالف أوجهاً أخرى، وهذا أمر قلَّ من تفطَّن له. وفي العصر الحاضر حين أرادوا أن يطبعوا المصحف اعتمدوا على هذه الكتب فقط –مع أنها لم تستقصِ جميع المواضع- فكتبوا جميع الكلمات التي لم يذكرها الأئمة –في كتب الرسم المعتمدة لديهم موافقة للرسم الإملائي، وليتهم – إذ فعلوا ذلك- اعتمدوا على مصادر كثيرة، بل اعتمد أفضلهم على كتابين في الرسم، هما: (المقنع) و(مختصر التبيين)

وكان الأصل والأولى أن يرجعوا إلى المصاحف القديمة، أو ما بقي منها فإنها حجة في الرسم، وأولى مما فعلوه، فقد كان الإمام الداني يرجع إلى المصحف الذي كتبه: الغازي بن قيس ت: ١٩٩هـ، وهو نقله عن مصحف الإمام نافع، ورجع الداني في النقط إلى مصحف: حكم بن عمران الناقط ت: ٢٢٧هـ ، فعدَّهما مصدرين في الرسم والضبط.

فلو رجع المتأخرون إلى المصاحف القديمة لاستفادوا علماً كثيراً، بل قد صرَّح الأندرابي بأن اختلاف المصاحف كثير جداً فقال: (واعلم أن هجاءات المصاحف واختلاف كتابتها أكثر

من أن يؤتى عليها كلها، ومصداق قوله هذا أني تتبعتُ المصحف المحفوظ في المشهد الحسيني لسورة البقرة فقط، فوجدتُ فيه كلمات مرسومة بخلاف الرسم الإملائي ولم ينص عليها الأئمة في كتبهم من مثل: الفراء وأبي عبيد وابن أبي داوود وابن الأنباري والجهني والمهدوي والداني –لا في المقنع ولا في المحكم- والأندرابي والشاطبي والسخاوي والخراز والمارغني، فإني استخرجتُ من هذه الكتب كلمات الرسم في كتابي (معجم الرسم العثماني) الذي وضعته، ثم قارنته بالمصحف المحفوظ بالمشهد الحسيني فوجدت في هذا المصحف ما يزيد على (٤٠) كلمة رسمت بطريقة مخالفة للرسم الإملائي لم يتكلَّم عنها الأئمة في كتبهم، وهذا في سورة البقرة فقط.

من أهم المصنفات في علم الرسم العثمانى

- موازنة بين رسم المصحف والنقوش العربية القديمة ـ غانم قدوري الحمد
- تلوين كلمات القرءان بين المنهج العلمي والحكم الشرعي ـ أبو عبد التواب
- أبو الأسود الدؤلي وجهوده في نقط المصحف
- الطراز في شرح ضبط الخراز
- توجيهات الداني لظواهر الرسم القرآني
- التوجيه السديد في رسم وضبط بلاغة القرآن المجيد د. أحمد بن أحمد شرشال
- البرهان على سلامة القرآن من الزيادة والنقصان
- مرشد الخلان
- تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما أشكل منه عن بوادر التصحيف والوهم
- رسم المصحف : دراسة لغوية تاريخية لغانم قدوري الحمد
- عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل
- رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات
- تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه
- رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات
- إرشاد الطالبين إلى ضبط الكتاب المبين

- المحكم في نقط المصاحف
- عقيلة أتراب القصائد في علوم الرسم
- شرح منظومة تحفة الفتيان في رسم القرآن، للشيخ محمد المامي اليعقوبي
- الإيضاح الساطع على المحتوى الجامع رسم الصحابة وضبط التابع ، لعبد الله بن الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي.
- مخطوط إرشاد القراء و الكاتبين إلى معرفة رسم كتاب الله المبين للمخللاتي
- عنوان الدليل في الرسم لابن البنا
- تتعين كتابة المصحف على الرسم العثماني لفضيلة الشيخ عبد الفتاح القاضي
- المصاحف لابن أبي داود
- بحث في رسم القرآن الكريم بلال سيف
- التبيان في شرح مورد الظمان لمولفه أبي محمد عبدالله الصنهاجي (ابن آجطا) من أول (باب حكم رسم الهمز) إلى نهاية الكتاب .
- ما يجب على كاتب المصحف وناشره للعلامة عبد الفتاح القاضي
- نظم تحفة الفتيان في رسم القرآن للشيخ محمد المامي اليعقوبي حفظه الله
- دراسات نقدية حول مصاحف ورش المطبوعة - دراسة نقدية حول مصاحف ورش المطبوعة
- القراءات المتواترة والرسم العثماني د/ التهامي الراجي الهاشمي

(٢١) مبادئ علم النَّحْو

١- حده : علم النحو لغة :
فيطلق ويراد به عدة معان ، منها : الجهة- الظرف - اتجهت نحو البيت.
القصد : نحو : نحوت معروفه . ونحوت نحوك .
المثل : زيد نحو عمرو.
القدر : عندي نحو ألف ريال.

النوع : هذا الشيء على خمسة أنحاء.
الأصل : محمد نحوه من مكة.
القسم : نحوت مالي بين أولادي ، و هو على أربعة أنحاء.
بعض : أكلت نحو الطعام.

ويأتي أيضًا بمعنى : النوع ، وعند ، والقرب ، واسم قبيلة تسمى : بنو نحو، وهم قوم من الأزد ، والإمالة : نحوت جسمي . لكن المشهور الستة الأُوَل . وأكثرهن الثلاثة الأُوَل.

وقيل : النحو في اللغة يأتي على أربعة عشر معنًى أشهرها ستةُ معانٍ مجموعة في قول الناظم:
قصدٌ ومثلٌ جهةٌ مقدارُ *** قِسمٌ وبعضٌ قالَه الأخيارُ .
وقال الداودي:
للنحو سبع معانٍ قد أتت لغة *** جمعتها ضمن بيت مفردٍ كمُلا
قصد ومثل ومقدار وناحية *** نوع وبعض وحرف فاحفظ المثلا

ويحتمل أن يكون مصدرًا : نحوت نحوًا قصدته . قال أبو الفتح : وأصله المصدر.
واصطلاحًا : له عدة تعاريف فمن ذلك :

- العلم الذي يدرس الجملة .
- علم بأصول يعرف بها أحوال أواخر الكلم إعرابًا وبناءً . (وهو أحسنها)
- علم بالأحوال والأشكال التي بها تدل ألفاظ العرب على المعاني، والأحوال : وضع الألفاظ في تركيبها للدلالة على المعاني المركبة.
- العلم بالقواعد التي يعرف بها أحكام أواخر الكلمات العربية في حال تركيبها من الإعراب والبناء وما يتبع .

تعريفات أخرى
فالنحو: (علم بأصول) هذه الأصول (الفاعل مرفوع ، والمفعول منصوب ...) يعرف بها أي : - بهذه القواعد العامة - أحوال (صفات) أواخر الكلم.

أواخر الكلم .. يَخرج بهذا بعضُ الصرف ؛ لأن الصرف يتعلق بأول الكلمة ووسطها وبآخرها ، فأخرج أواسطه وأوائله ؛ لأن هذا يسمى صرفاً لا نحوًا ، لكن يدخل الصرف المتعلق بآخر الكلمة

كالتقاء الساكنين (قمِ الليل) قمْ : فعل أمر ، كما قال الحريري في الملحة :

والأَمْرُ مَبْنِي عَلَى السُّكُونِ *** مِثالُهُ احْذَرْ صَفْقَةَ الْمَغْبُونِ

فالسكون مقدر لالتقاء الساكنين ، التقى ساكنان فحركنا الأول بالكسر على الأصل ، فهو متعلق بآخر الكلمة ،، لكن هذا من باب التقاء الساكنين ، وباب التقاء الساكنين ليس من باب الإعراب ولا البناء فاحتجنا إلى إخراج التقاء الساكنين ونحوه كالإدغام والقلب فأخرجنا الصرف المتعلق بآخر الكلمة بقولنا : إعرابًا وبناءً : إذاً الحالة التي بآخر الكلمة هي من حيث كون الكلمة معربة أو مبنيّة لكن هذا بقيد وهو (أن الإعراب والبناء لا توصف به الكلمات إلا بعد التركيب.

فكلمة (زيد) مثلا : هل هي معربة أو مبنية ؟

اختلف النحاة على ثلاثة أقوال:

قيل : موقوفة لا معربة ولا مبنية . وقيل : مبنية . وقيل : معربة.

فالنحو له معنيان معنًى لغوي، ومعنًى اصطلاحي، وهو من جهة اللفظ مصدرٌ على وزن فَعْلٍ بمعنى اسم المفعول أي الْمَنْحُوٌ، من إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول، وهذا مجازٌ مرسلٌ عندهم، والأصل في إطلاق النحو في لغة العرب بمعنى القصد، فسمي هذا العلم نحوًا لأنه مقصود، لأن النحو بمعنى القصد، ويأتي على ستِّ معاني وهي أشهرها:

قَصْدٌ وَمِثْلٌ جِهَةٌ مِقْدَارُ ... قَسْمٌ وَبَعْضٌ قَالَهُ الأَخْيَارُ

أما في الاصطلاح: فهو علم بأصول يعرف بها أحوال أواخر الكلم إعرابًا وبناءً.

٢- موضوعه : الكلمات العربية من حيث عروض الأحوال لها حال تركيبها كالإعراب والبناء . أي أن النحو يبحث في أحوال أواخر الكلمات العربية في الجملة ، وليس في حال الإفراد الذي يختص به علم الصرف.

٣- ثمرته : فهم الكتاب والسنة ، وأنعِم بهما ثمرة ،، وقد قيل إن من ثمار تعلم النحو : صون اللسان عن خطأ النطق ، والبنان عن خطأ الخطِّ ، والجنان عن خطأ الفهم ، والأركان عن خطأ العمل.

٤- نسبته : نسبته لبقية الفنون التباين والتخالف أي ليس متداخلا مع بقية الفنون .

٥- فضله : هو دعامة العربية وقانونها الأعلى ، روي عن عمر بن الخطاب : " تعلموا اللحن والفرائض فإنه من دينكم "

ومن كلام مالك بن أنس " ١٧٩ هـ " : الإعراب حُلِيّ اللسان فلا تمنعوا ألسنتكم حُلِيَّها . وقال الشعبي : النحو كالملح للطعام.
وذكر السيوطي أن النحو يُفتضح فاقده بكثرة الزلل ، ولا يصلح الحديث للحّان . وقال الجاحظ : كان أيوب السختياني يقول : تعلموا النحو فإنه جمال للوضيع وتركه هجنة للشريف.

وقال بعضهم:
النحو زَيْنٌ للفتى يُكْرِمُهُ حيثُ أَتَى *** من لم يَعْرِفِ النحو فَحَقُّهُ أن يَسْكُتَا

وقالوا أيضًا:
النحـــو قنطرة إلى العلوم فهل *** يُجاز بحر على غير القناطير
إن النحـــاة أناس بان مجدُهـــمُ *** فوق العباد جميعا بالمقادير
أصل الفصاحة لا يخشون من أحد *** عند القراءة في أعلى المنابير
لو يعلم الطير ما في النحو من شرف *** غنت ورنت إليه بالمناقير

٦- واضعه : واضع هذا العلم : لم يختلف المؤرخون في أن واضع أساس هذا العلم هو التابعي أبو الأسود الدؤلي ٦٧ هـ.
وقيل إن هذا كان بإشارة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؛ ثم كتب الناس في هذا العلم بعد أبي الأسود إلى أن أكمل أبوابه الخليل بن أحمد ١٦٥هـ. وذلك في زمن هارون الرشيد ، وأخذ عن الخليل تلميذه سيبويه (أبو بِشر عمرو بن عثمان بن قنبر) ١٨٠ هـ الذي أكثر من التفاريع ووضع الأدلة والشواهد من كلام العرب لقواعد هذا العلم.

وأصبح (كتاب سيبويه) أساسًا لكل ما كُتب بعده في علم النحو ، ودوّن العلماء علم الصرف مع علم النحو ، وإذا كان النحو مختصًا بالنظر في تغيّر شكل آخر الكلمة بتغير موقعها في الجملة ، فإن الصرف مختص بالنظر في بنية الكلمة ومشتقاتها وما يطرأ عليها من الزيادة أو النقص.

٧- الاسم : اسمه علم النحو من إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول يعني المنحوَّ أي المقصود ، ثم بغلبة الاستعمال أطلق على النحو الخاص ، و إلا فكل علم منحوٌّ يعني مقصود كما سُمّي الفقه فقهًا.

وقيل : إن سبب تسميته بذلك أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما أمر أبا الأسود الدؤلي أن

يضعه وعلّمه الاسم والفعل والحرف وشيئا من الإعراب قال له :" انح هذا النحو. "

٨- الاستمداد : مستمد من الكتاب والسنة وكلام فصيح العرب ،، أما الكتاب : فمتفق عليه أنه يحتج به في إثبات القواعد النحويّة.

وأما السنة: فقد نازع بعض النحاة في مسألة الاحتجاج بالحديث ما بين مانع ومبيح ،، والأصحُّ الاحتجاج ، إذ أنه لو جاز الرواية بالمعنى من الصحابة والتابعين جاز الاحتجاج ، ولذلك ينصر كثير من النحويين كابن مالك وابن هشام رحمهما الله هذا القول ويكثرون من الاستشهاد بالقرآن والسنة في كتبهما.

٩- حكم الشارع : هو من فروض الكفايات ، وهناك من يرى أنه واجب ؛ إذ ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، والوسائل لها أحكام المقاصد. كما أنّه يجب إذا لم تتحقق الكفاية بواحد معين.

١٠- مسائله : أي قواعده التي يبحث فيها نحو : الفاعل مرفوع ، والمضاف : بحسب ما قبله ، والمضاف إليه دائما يكون مجرورًا ، الحال دائما منصوبة ، التمييز تارة يكون منصوبً وتارة يكون مجرورًا ..إلخ.

فهذه القواعد وصل إليها النحاة بتتبع الجزئيات أي : ما يسمونه الاستقراء الكلي التام أو الجزئي.

قال الأخضرى صاحب السلّم المرونق .

وإنْ بِجُزْئي عَلَى كُلِيٍّ أُستدِلْ *** فَذا بِالاسْتِقْراء عندهم عُقِلْ

من أهم المصنفات في علمي النحو والصرف - بعد كتاب سيبويه – هي :

١-كتابات أبي عمرو بن الحاجب (عثمان بن عمر) ٦٤٦ هـ صاحب المختصرات ، المشهورة في الفقه والأصول ، وله (الكافية) في النحو ، و (الشافية) في الصرف ، وكلتاهما من المنثور ، وعليهما شروح كثيرة خاصة (الكافية)

٢-كتابات ابن مالك (أبو عبدالله محمد جمال الدين ابن مالك الطائي الأندلسي) ٦٧٢ هـ ، وله القصيدة الألفية المشهورة ، والتي تناولها كثير من العلماء بالشرح منهم:

أ- ابن هشام الأنصاري ٧٦١ هـ ، وله شرح (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك).
ب- القاضي عبدالله بهاء الدين بن عقيل المصري ٧٦٩ هـ ، وله (شرح ابن عقيل على الألفية).
ولابن مالك صاحب الألفية (لامية الأفعال) ، وهى منظومة في الصرف ، وله أيضًا المنظومة الهائية فيما ورد من الأفعال بالواو والياء.

٣- كتابات ابن هشام الأنصاري (جمال الدين عبدالله بن يوسف) ٧٦١ هـ ، وله (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك) ، وله (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) ، وله (شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب) ، وله (قطر الندى وبَلّ الصَّدَى) .

٤- كتابات الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد من علماء الأزهر وله شروح وتحقيقات على الكتب السابقة وهى شروح الألفية وكتابات ابن هشام وله (التحفة السنية شرح متن الأجرومية) وهو كتاب مختصر شرح فيه متن محمد بن آجرّوم الصنهاجي ٧٢٣ هـ.

كتب للمعاصرين منها :
١- ملخص قواعد اللغة العربية لفؤاد نعمة
٢- الموجز في قواعد اللغة العربية وشواهدها لسعيد الأفغاني
٣- النحو الواضح لعلي الجارم ومصطفى أمين
٤- جامع الدروس العربية لمصطفى الغلاييني
٥- النحو الوافي لعباس حسن ، وغيرها كثير.
وتمتاز كتب المعاصرين بحُسن التقسيم وسهولة الأسلوب في حين تمتاز كتابات الأقدمين بدسامة المادة وكثرة الشواهد وقوتها ، خاصة كتابات ابن هشام الأنصاري التي اهتم فيها بالشواهد القرآنية ، هذا ما يتعلق بعلم النحو ، وهو أول علوم اللغة العربية تدويناً.

(٢٢) مبادئ علم الصَّرْف

١- حده : الصرف والتصريف في الأصل مصدران لصرف وصرّف ،ولهما معنيان : أحدهما لغوي ، والآخر اصطلاحي.

١- عند المتقدمين :

الصرف : هو هذا الفن.

التصريف : أن تبني من الكلمة بناءً لم تبنه العرب على وزن ما بنته ، ثم تعمل في البناء الذي بنته ما يقتضيه قياس كلامهم ، مثاله أن تأخذ من الضرب على مثال سفرجل ، فتقول ضربرب ، وهذا النوع من التحويل هو نوع من التمرين الذي وضعه الصرفيون لاختبار الملكات وتثبيت القواعد ، فالتصريف على هذا جزء من الصرف.

٢- عند المتأخرين:

لفظان لهما نفس المعنى.

الصرف والتصريف:

في اللغة : التغيير والتحويل والانتقال.

صرفت الأجير والصبي : خليت سبيله ، وصرفت المال : أنفقته ، وصرفت الذهب بالدراهم : بعته ، وصرفت الكلام : زينته ، وصرّفته بالتثقيل : مبالغة ، والصرف : التوبة " لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا " ، الصِّرف : الشراب الذي لم يمزج ، ويقال لكل خالص من شوائب القدر : صِرف ، لأنه صرف عن الخلط ، وصرْف الحديث : أن يزاد فيه ويحسّن من الصرف في الدراهم وهو فضل بعضه على بعض في القيمة .

وتصريف الآيات تبيينها ، وفي الدراهم والبياعات إنفاقها ، وفي الكلام اشتقاق بعضه من بعض ، وفي الرياح تحويلها من وجه إلى وجه ، وصرّفته في الأمر تصريفًا : قلبته فتقلب ، واصطرف : تصرّف في طلب الكسب واستصرفت الله المكاره : طلبته صرفها عني ، وانصرف : انكفّ.

وقد وردت أصول هذه الكلمة في القرآن الكريم أكثر من ثلاثين مرة تفيد كلها معنى التحويل والتغيير ، كقوله تعالى : " وتصريف الرياح " ، و " فصرف عنه كيدهن " و " ويصرفه عن من يشاء " و " فلا تستطيعون" صرفًا ولا نصرًا .

اصطلاحًا:

فقد كان المتقدمين يرون أن التصريف قسم من النحو ، ولهذا عرّفوا النحو بأنه : علم يعرف به أحكام الكلمة العربية إفرادًا وتركيبًا.

إفرادًا : الصرف.

تركيبًا : النحو .

ومن هنا قيل بتقديم دراسة علم الصرف على علم النحو ، لأنه يختص بالمفردات ، والعلم بالمفردات مقدم على العلم بالمركبات ، والنحو مختص بالمركبات.

أما المتأخرون :

النحو : علم بأصول تعرف بها أحوال أواخر الكلم إعرابًا وبناءً (في أواخر الكلمات المفردة بعد التركيب).

الصرف : علم بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب ولا بناء.

شرح التعريف :

العلم : قصد به أحد ثلاثة :

١- الإدراك :

إدراك المعاني مطلقًا ، سواء كان المعنى المدرك من جهة المعنى أو التراكيب . ونقول وصول النفس إلى المعنى.

٢- المسائل : نفس المسائل المتعلقة بالفن من إعلال وإبدال وقلب وحذف وغيرها.

٣- الملكة : التي يحصّلها الصرفي أو النحوي من ممارسة العلم.

.

أبنية الكلم :

عدد حروف الكلمة وترتيبها وحركاته المعينة وسكونها وما فيها من حروف زائدة وأصلية . أي ما يعتريها من جهة الصيغة.

الكلم : اسم جنس ، واحده الكلمة ، والكلمة تشمل الاسم والفعل والحرف ، وسنعرف ما الذي يناقشه علم الصرف منها التي ليست بإعراب أو بناء :

حيث أنه يبحث في النحو ما يتعلق بآخر الكلمة .

والتعريف بصورة أدق كما يلي:

لغة : سبق ذكره ، حيث يقال لغة يعنى بها : الألفاظ الموضوعة للمعاني.

اصطلاحًا : ما يختص به كل أهل فن بفنونه أو اتفاق طائفة مخصوصة على أمر بينهم.

ويتناول التعريف الاصطلاحي بالنظر من جهتين:

أ - عِلْمِيَّة : كما عند المتأخرين (علم بأصول تعرف بها أحوال الكلم التي ليست بإعراب ولا بناء)

ب - عَمَلِيَّة : تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعانٍ مقصودة لا تحصل إلا بها.

التعليق على التعريف العملي:

الأصل الواحد : المصدر والفعل الماضي.

الأصل : ما يبنى عليه غيره.

فهو عند الكوفيين : الماضي ، عند البصريين : المصدر . ولنا أن نعمم (المصدر وغيره) ونقصد به الماضي .

إلى أمثلة مختلفة : أي تحويل المصدر أو الفعل الماضي إلى صيغ عربية مختلفة.

ضرْب ، ضَرَب : يضرِب ، اضرِب ، ضارِب ، مَضْرُوب ، ضارِبان ، ضَرّاب ، ضارِبُون....

ويراد بها هيئتها (عدد حروفها ، ترتيبها ، حركاتها ، سكونها ، حروفها الزائدة والأصلية) لمعانٍ مقصودة : المعنى : ما يراد ويقصد من اللفظ ، فلم نشتق ألفاظا من المصدر إلا لمعانٍ.

فلو أردنا فعل يدل على الطلب من (ضرب) لقلنا بـ (اضرب) ، ولو أردنا اسما يدل على الحدث والذات لقلنا : ضارب ، وهكذا....

لا يحصل إلا بها :

فكل صيغة تدل على معنى معين لا يحصل بغيرها.

٢- موضوعه : الألفاظ العربية الفصحى كالأفعال المنصرفة والأسماء المتمكنة، وكذلك المسائل الصرفية وما يتعلق بها من أحكام كقولهم: إذا كان الأول من المتجانسين متحركاً والثاني ساكناً بسكون أصلي امتنع الإدغام نحو: مَدَدْتُ، وكقولهم: إذا وقعت الواو طرفاً بعد كسرة فأصل الآخر منه واو نحو رَضِيَ أصله رَضَوَ لوجود الواو متطرفة بعد كسر ونحو ذلك من مسائل وقضايا هذا الفن.

كما أن موضوعه يكون في المفردات العربية من حيث البحث عن كيفية صياغتها لإفادة المعاني ، مثل : كيف نصوغ الفعل المضارع من الفعل الماضي ، ومن حيث البحث عن أحوالها العارضة لها من صحة وإعلال ونحوهما.

والمراد بالمفردات العربية :

جمع مفردة وهي الكلمة التي هي : الاسم والفعل والحرف.

والصرف يدخل في اثنين منهما :

الاسم المتمكن والفعل المتصرف.

ويخرج من ذلك ثلاثة أقسام:

الاسم المبني (غير المتمكن) ، الفعل الجامد ، والحرف.

سؤال : ذا ، تا من أسماء الإشارة ، الذي والتي من الأسماء الموصولة ، وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة من المبنيات ، وقد لوحظ أن العرب قد ثنتها (ذان ، تان ، اللذان ، اللتان) ، وصغرتهما (ذيّا ، وتيّا) وعرف أن التثنية والتصغير ضربان من تصريف الأسماء ، فكيف يصح قول : إن الأسماء المبنية لا يجري البحث عنها في علم الصرف ؟؟

جواب : الجواب على ذلك من وجهين:

١- لا نسلم أن التثنية والتصغير على الحقيقة ، لأن أمر هذه الألفاظ مخالف للسنن التي يجري عليه كلام العرب في التثنية والتصغير فهي صيغ وضعت من أول الأمر للدلالة على الاثنين أو على المصغر ، فلو كانت (ذان) : (ذين) لكان مثنى على الحقيقة لصح قول : (توان) و(تoين) ، ولو كان (ذيّا) : (تيّا) تصغيرًا حقيقة لانضم أولها كما انضم أول كل اسم يراد تصغيره.

٢- لو سلمنا بذلك فإنها ألفاظ شاذة من حيث صورتها ، ونحن نبحث في علم الصرف بحثًا قياسيًا جاريًا على الطريق المعروف والنن المطردة في عامة كلام العرب.

٣- ثمرته : كثيرة منها :

١- استقامة اللسان العربي:

تهيئ أداة البيان سليمة من الخطأ ، بريئة من اللحن.

فإن من أراد أن يكون له منيحة من الكتاب الإلهي ، وفيه عبقة من الكلام النبوي ، فليصرف عنان همّته إلى نحو علم الصرف ، ولكن لا يعرّج عليه فيجعله نُصْب الطرف – مشمرًا عن ساق الجد ليغوص في تيار بحار الكتاب الإلهي وفرائده ، ويتفحص عن لطائف الكلام النبوي وفوائده فإن من اتقى الله في تنزيله ، وأجال النظر في تعاطي تأويله ، وطلب أن تكمل له ديانته ، ويصح له صلاته وقراءته وهو غير عالم بهذا العلم فقد ركب عمياء وخبط خبط عشواء ، إذ به تنحّل العويصات الأبيّة ، وتعرف سعة اللغات العربية ، إذ القياسية منها أكثر من السمعية ، ومنه أخذت الأولى وبه يتصرف في الأخرى.

يقول الزركشي:

أما اعتبار اللغة العربية لأن شرعنا عربي ولا يتم فهمه إلا بلغة العرب ، وما لا يتم الواجب فهو واجب .

٢- تحقق القدرة على صياغة مفردات اللغة.

يقول ابن عصفور :

التصريف أشرف شطري العربية وأغمضهما ، فالذي يبين شرفه احتياج جميع المشتغلين باللغة من نحوي ولغوي إليه أيما حاجة ، لأنه ميزان العربية ، ألا ترى أنه قد يؤخذ جزء كبير من اللغة بالقياس ؟ ولا يوصل إلى ذلك إلا من طريق التصريف ، نحو قولهم : كل اسم في أوله ميم زائدة مما يعمل به وينقل فهو مكسور الأول ، نحو : مطرقة ، مروحة إلا ما استثني من ذلك ، فهذا لا يعرفه إلا من يعلم أن الميم زائدة ، ولا يعلم ذلك إلا من جهة التصريف.

ومما يبين شرفه أيضًا أنه لا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلا به ، ألا ترى أن جماعة من المتكلمين امتنعوا من وصف الله بـ (حنّان) لأنه من الحنين ، و(الحنّة) من صفات البشر الخاصة بهم تعالى الله عن ذلك ، وكذلك امتنعوا من وصفه بـ (سخي) لأن أصله من الأرض (السخاوية) وهي الرخوة ، بل وصفوه بـ (جواد) لأنه أوسع في معنى العطاء ، وأدخل في صفة العلاء.

كيف يستطيع عالم أو أديب أن يفهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الولد مجبنة مبخلة " إذا لم يدر أن (مَفْعَلة) صيغة تدل على سبب الفعل المشتق منه والحامل عليه والداعي إليه فـ (الولد مجبنة مبخلة) أي سبب يجعله والدًا جبانًا لم يشهد الحروب ليربيه ، ويجعله بخيلًا يجمع المال ويتركه لولده من بعده.

كذلك قول عنترة :

والكفر مخبثة لنفس المنعم : أي من أنعمت عليه نعمة فلم ينشرها ولم يشكرها فإن ذلك سبب لتغير نفس المنعم من الإنعام على كل أحد.

٤- نسبته : علم لغوي وهو قسيم النحو لا قسم منه كما كان عند المتقدمين. فهذا الفن ينسب إلى علوم العربية، وعددها اثنا عشر فناً وهي: علم اللغة والصرف والنحو والبيان والمعاني والبديع والعروض والقوافي والإملاء والإنشاء والخطب والمحاضرة. ولكل فن من هذه الفنون مبادئه وقواعده التي يختص بها.

٥- فضله : يتمخض فضله في الحفاظ على حقائق لفظ وكتابة المفردات اللغوية، والتي بمعرفتها على أسس صحيحة نتوصل إلى فهم الشريعة وشؤونها المختلفة وكما يقال : شرف العلم بشرف المعلوم.

٦- واضعه: اختلف في أول من أَسَّسَ البنية الأولى لهذا الفن، والأظهر أن واضعه معاذ بن مسلم الهراء أحد علماء الكوفة، وقد توفي ببغداد سنة سبع وثمانين للهجرة. (ت ١٨٧هـ) ، وهو أول من أفرد مسائل الصرف بالبحث أو التأليف وتكلم فيه مستقلًا عن فروع اللغة العربية ، والعلماء بعده اقتفوا أثره ، وإن كانت درست مسائل قبله بوجه عام ومسائل في النحو بوجه خاص ، فقد تناول ذلك سيبويه المتوفى عام ١٨٠هـ.

ومما يجدر الإشارة إليه : أن هناك ظروف خاصة جعلت من النحاة يقبلون على الصرف ويتفرّعون له ، فقد روي أن أبا علي الفارسي اجتاز بالموصل فمر بالجامع وأبو الفتح أبو جني في حلقة يقرئ النحو ، وهو شاب ، فسأله أبو علي عن مسألة في التصريف فقصّر فيها ، فقال له أبو علي : تزبّبت وأنت حصرِم " أول العنب " ، فأقبل على التصريف فلم يكن شيء من علومه أكمل منه في التصريف.

٧- اسمه : الصرف والتصريف.

٨- استمداده : الكلام العربي. من كلام الله ورسوله وكلام العرب الفصحاء.

٩- حكمه : فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين.

يقول ابن حزم : " فمن لم يعلم اللغة والنحو لم يعلم اللسان الذي يبين الله به ديننا الذي خاطبنا به ..."

وقال : " لو سقط علم النحو لسقط علم القرآن وفهم حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن طلب علم النحو واللغة على نية إقامة الشريعة في الفهم وليفهم كلام الله وكلام نبيه ليفهمه غيره ، فهذا له أجر عظيم ومرتبة عالية لا يجب التقصير عنها لأحد ، وأما من وسم اسمه باسم العلم والفقه وهو جاهل للنحو واللغة فحرام عليه أن يفتي في دين الله بكلمة ، وحرام على المسلمين أن يستفتوه ، لأنه ما إن له باللسان الذي خاطبنا الله به إذا لم يصلحه فحرام عليه أن يفتي بما لا يعلم.

"ولا تقف ما ليس لك به علم" ، " وتقولوا بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينًا وهو عند الله عظيم. "

س : وكيف يفتي في الطهارة من لا يعلم معنى (الصعيد) في لغة العرب ؟!

س : وكيف يفتي في الذبائح من لا يعرف معنى (الذكاة) في لغة العرب ؟!

س : وكيف يفتي في (الدين) من لا يعرف خفض واللام من رفعها في لغة العرب ، في قوله " إن الله بريء من المشركين ورسوله " ؟!

١٠- المسائل : المسائل التي يناقشها علم الصرف :

قضاياه الجزئية :الصحة ، الإعلال ، الإبدال ، القلب ، الحذف ، الزيادة والنقصان ، الاشتقاق ، التثنية ، الجمع ، النسب ، التصغير ، الإمالة ، الإدغام ، التقاء الساكنين.

من أهم المصنفات فى علم الصَّرْف :

1- " نزهة الطرف في علم الصرف " تأليف أبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد الميداني " صاحب مجمع الأمثال " المتوفي سنة (٥١٨هـ) رحمه الله تعالى، وهو مختصر مشهور مرتب في عشرة أبواب امتاز بذكر الأمثلة التطبيقية في آخره وذكر الأشياء المشكلة في الباب العاشر منه.

طبعاته:

طبع عدة مرات منها :ـ

١- طبع في مطبعة الجوائب بالقسطنطينية سنة (١٢٩٨هـ) ، ومعه الأنموذج في النحو للزمخشري ، والإعراب في قواعد الإعراب لابن هشام.

٢- في دار الآفاق الجديدة ببيروت سنة ١٤٠١هـ.

٣- في دار الطباعة الحديثة في مصر سنة (١٤٠٢هـ) ، بتحقيق وتعليق الدكتور السيد محمد عبد المقصود درويش.

2ـ " الشافية في علم التصريف " لجمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر النحوي ـ المعروف بابن الحاجب ـ المتوفي سنة (٦٤٦هـ) رحمه الله تعالى

طبعاته:

وقد طبع مرات كثيرة من أحسنها الطبعة التي بتحقيق الشيخ حسن بن أحمد العثمان ، في المطبعة المكية بمكة المكرمة سنة ١٤١٥هـ .

وقد اعتنى بهذا المتن جماعة من العلماء منهم :-

1ـ مؤلفه ، فقد شرحه بشرح قام بتحقيقه الشيخ حسن بن أحمد العثمان .

2ـ الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي المتوفي سنة (٦٨٦هـ) رحمه الله تعالى ، وقد طبع عدة مرات أحسنها الطبعة التي بتحقيق المشايخ : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ومحمد الزفزاف ، ومحمد نور الحسن سنة (1356 هـ) ، وقامت بنشره ثانية دار الكتب العلمية في بيروت دون تاريخ في أربع مجلدات ، وقد طبع مع الشرح المذكور شرح شواهده للشيخ عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب المتوفي سنة (١٠٩٣هـ) رحمه الله تعالى.

3ـ الشيخ الحسن بن أحمد الجارَبَردي المتوفي سنة (٧٤٦هـ) رحمه الله تعالى.

طبع عدة مرات منها :ـ

ـ مع مجموعة من شروح الشافية في مطبعة دار الطباعة العامرة في استانبول سنة ١٣١٠هـ وعلى هذا الشرح عدة حواش منها :ـ

أ ـ حاشية لعز الدين بن جماعة.

ب ـ حاشية الشيخ حسين الكمالاتي الرومي ، طبعتا مع مجموعة الشروح سابقة الذكر.

4ـ الشيخ سيد عبد الله بن محمد الحسيني المعروف بنقرة كاد المتوفي سنة ٧٧٦هـ رحمه الله تعالى ، طبع في استانبول سنة ١٢٧٣هـ في مجلد لطيف ، كما طبع في مطبعة محمود بك سنة ١٣٢٠هـ.

5ـ الشيخ يوسف بن عبد الملك الشهير بـ "قرة سنان "المتوفي سنة (٨٥٢هـ) رحمه الله تعالى ، في كتابه " الصافية شرح الشافية " قامت بدراسته وتحقيقه تهاني بنت محمد سليم الصفدي ، في رسالتها الماجستير المقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ كلية اللغة العربية بالرياض ـ سنة (1413 هـ) في مجلدين.

6ـ شيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصاري المتوفي سنة ٩٢٦هـ رحمه الله تعالى ، واسمه " المناهج الكافية في شرح الشافية " طبع مع مجموعة من شروح الشافية في مطبعة دار الطباعة العامرة في استانبول سنة ١٣١٠هـ.

7ـ الشيخ إبراهيم بن محمد بن عرب شاه الإسفراييني عصام الدين المتوفي سنة (٩٤٥هـ) رحمه الله تعالى ، طبع على هامش الشرح السابق الطبعة التي في مطبعة محمود بك سنة ١٣٢٠هـ.

وقد ذكر الشيخ حسن العثمان في مقدمة تحقيقه للشافية تسعة وأربعين شرحاً بالعربية للمقدمة المذكورة ، وخمسة بالفارسية ، وشرحاً بالتركية ، وأنها ترجمت إلى اللغة التركية.

كما نظمها جماعة من أهل العلم ، ذكر المحقق المذكور منهم عشرة ، منهم النيسابوري واسم منظومته "الوافية نظم الشافية " فرغ منها سنة (١١٣٣هـ) وبلغت أبياتها (١١٦٢) بيتاً طبعت مع الشافية الطبعة التي بتحقيق الشيخ حسن العثمان ، ولم يقف للناظم المذكور على ترجمة.

3ـ " التصريف العِزّيَ " للشيخ عز الدين أبي المعالي عبد الوهاب بن إبراهيم بن عبد الوهاب الزنجاني المتوفي سنة (٦٥٥هـ) رحمه الله تعالى ، وهو مختصر ذائع الصيت في فن التصريف ، قال في كشف الظنون ": وهو مختصر متداول نافع " .. ثم ذكر بعض شروحه وحواشيها.

طبعاته:

طبع عدة مرات منها :ـ

1ـ في مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٤٤هـ.

2ـ في مطبعة مصطفى محمد بمصر سنة (١٣٥٤هـ) ، مع متن البناء والأساس.

3ـ ضمن مجموع رسائل علم الصرف ، طبع في المطبعة الخيرية بالقاهرة سنة (١٣٢١هـ) من ص (٣٢) إلى ص (٣٨)

شروحه:

شرحه جماعة من العلماء منهم :ـ

1ـ الشيخ السيد الشريف الجرجاني المتوفي سنة (٨١٦هـ) رحمه الله تعالى ، طبع بتحقيق الشيخ محمد الزفزاف في مصر دون تاريخ.

2ـ الشيخ سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني المتوفي سنة ٨٩١ هـ رحمه الله تعالى.

طبع عدة مرات منها :ـ

أ ـ في الأستانة سنة (١٢٨٦هـ)

ب ـ في القاهرة سنة (١٢٩٣هـ)

جـ ـ في الأستانة أيضاً سنة (١٣١٠هـ)

د ـ في المطبعة الحميدية في القاهرة سنة (١٣١٥هـ)

هـ ـ في المطبعة العلمية في القاهرة سنة (١٣١٩هـ)

و ـ في المطبعة الميمنية في القاهرة سنة (١٣٢٤هـ)

ح ـ في المطبعة الوهبية في القاهرة سنة (١٣٩٣هـ)

ط ـ في الكويت ، بشرح وتحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم ، نشر ذات السلاسل سنة (١٩٨٣م).

3ـ الشيخ أبو الحسن علي بن هشام الكيلاني ، طبع في بولاق سنة ١٢٩٨ هـ كما طبع في مطبعة دار إحياء الكتب العربية بمصر في (٣٦) صفحة دون تاريخ.

نظمه:

نظم هذا المتن غير واحد منهم :ـ

1ـ الشيخ عبد العزيز بن صالح العلجي الإحسائي المتوفي سنة ١٣٦٢ هـ رحمه الله تعالى ، وسمى نظمه " مباسم الغواني في نظم عزية الزنجاني في علم الصرف " يقع في (٤٥٠) بيتاً ، وقد شرح هذا النظم الشيخ أحمد بن حجر بن محمد آل بوطامي النعلي في كتاب سماه " : نيل الأماني شرح منظومة العلامة الشيخ عبد العزيز بن صالح العلجي الأحسائي المسماة : مباسم الغواني في نظم عزية الزنجاني في علم الصرف " طبعته مؤسسة دار العلوم للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الأولى سنة (١٣٩٠هـ)

4ـ " المراح : مراح الأرواح " للشيخ أحمد بن علي بن مسعود أحد علماء القرن الثامن أو التاسع رحمه الله تعالى ، قال السيوطي في بغية الوعاة ـ في ترجمة المؤلف " : أحمد بن علي بن مسعود مصنف المراح في التصريف ، مختصر وجيز مشهور بأيدي الناس ، لم أقف على ترجمته.

وقد شرحه جماعة من العلماء منهم :ـ

1ـ العلامة الشيخ بدر الدين محمود بن أحمد العيني المتوفي سنة ٨٥٥ هـ) رحمه الله تعالى ، واسم شرحه " ملاح الألواح في شرح مراح الأرواح " طبع بتحقيق وتعليق الدكتور عبد الستار جواد في مطبعة الرشيد في بغداد دون تاريخ.

2ـ الشيخ شمس الدين أحمد المعروف بديكنقوز المتوفي سنة (٨٥٥هـ رحمه الله تعالى ، طبع عدة

مرات منها:ـ

أ ـ طبعة المطبعة العامة في تركيا سنة (١٣٠٢هـ)

ب ـ طبعة شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده في مصر سنة (١٣٧٩هـ).

3ـ الشيخ شمس الدين أحمد بن سليمان المشهور بابن كمال باشا المتوفي سنة (٩٤٠هـ) رحمه الله تعالى ، طبع على هامش شرح الشيخ شمس الدين أحمد المعروف بديكنقوز ـ سابق الذكر ـ المطبوع في مصر في مطبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٧٩هـ.

4ـ الشيخ حسن بن علاء الدين الأسود المتوفي سنة (١٠٢٥هـ) رحمه الله تعالى في كتابه " المفراح في شرح مراح الأرواح " يوجد في مكتبة المتحف العراقي نسخة منه.

5ـ " البناء والأساس"

تأليف الشيخ أحمد رشدي بن محمد القره أغاجي المتوفي سنة (١٢٥١هـ) رحمه الله تعالى.

طبعاته:

طبع عدة طبعات منها :ـ

1ـ ضمن مجموع رسائل في علم الصرف ، طبع في المطبعة الخيرية في القاهرة سنة (١٣٢١هـ)

2ـ كما أعيد طباعة المجموع المذكور في مطبعة عيسى البابي الحلبي سنة (١٣٤٤هـ)

3ـ ضمن مجموع أمهات متون علوم النحو والصرف ،نشر دار المطبوعات الحديثة في جدة دون تاريخ

شروحه:

شرحه جماعة من العلماء منهم :ـ

1ـ الشيخ محمد بن الحاج حميد الكفوي.

طبع في المطبعة الوهبية في مصر سنة (١٢٩٣هـ) ، كما طبع في مطبعة الشركة الصحافية العثمانية في تركيا سنة (١٣١٢هـ)

نظمه:

نظمه الشيخ عبد الله بن حسن الفارسي وسماه " نيل المنى في نظم قواعد البناء " وشرحه بشرح سماه " مزيل العنا عن قارئي نيل المنى في نظم قواعد البناء " طبع في مطبعة دار إحياء الكتب العربية في مصر سنة (١٣٤١هـ).

وقد أكثر المتأخرون من التأليف في هذا الفن ، ومن ذلك :ـ

1ـ " شذا العَرْف في فن الصرف " للشيخ أحمد بن محمد الحملاوي المتوفى سنة (١٣٥١هـ) رحمه الله تعالى.

وهو أشهر كتب الصرف المتداولة بين الطلبة الآن ولذا كثرت طبعاته ، طبع الطبعة العشرون سنة (١٣٩٦هـ) وكانت الطبعة الأولى منه سنة (١٣١٢هـ).

2ـ " دروس التصريف " للشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد المتوفي سنة (١٣٩٣هـ) رحمه الله تعالى.

صنفه لطلاب كلية اللغة العربية في الجامع الأزهر ، طبع عدة مرات من آخرها سنة (١٤١١هـ) نشر المكتبة العصرية في بيروت. كما أنه ألحق في تعليقه على شرح ابن عقيل على الألفية بحثاً عن تصريف الأفعال وما يتعلق بها.

ومن الكتب المطولة في التصريف:

1ـ" المنصف " للإمام أبي الفتح عثمان بن جني النحوي المتوفي سنة (٣٩٢هـ) رحمه الله تعالى شرح فيه كتاب التصريف للإمام أبي عثمان بكر بن محمد بن بقية المازني المتوفي سنة (٢٤٩هـ) رحمه الله تعالى ، وكتاب المازني من أنفس كتب التصريف وأسدها وأرصنها ، عريقاً في الإيجاز والاختصار ، عارياً من الحشو والإكثار.

طبع في مطبعة مصطفى البابي الحلبي في مصر سنة (١٣٧٣هـ) بتحقيق الشيخين : إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، في ثلاث مجلدات

2ـ " الممتع في التصريف " تأليف أبي الحسن علي بن مؤمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي المشهور بابن عصفور المتوفي سنة (٦٦٩هـ) رحمه الله تعالى. بسط فيه مسائل التصريف بسطاً مسهباً مدعوماً بالتعليل والتفسير والحجج والأدلة والشواهد ، وهو من أمثل كتب الصرف المطولة ، وكان

أبو حيان النحوي رحمه الله تعالى شديد الإعجاب به حتى قال عنه في مختصره الذي سماه المبدع في التصريف ": أحسن ما وضع في هذا الفن ترتيباً وألخصه تهذيباً وأجمعه تقسيماً وأقربه تفهيماً)"

طبع بتحقيق الدكتور فخر الدين قباوة سنة (١٣٩٠هـ) و (١٣٩٣هـ) و (١٣٩٨هـ) في جزئين ، الطبعة الثالثة من منشورات دار الآفاق الجديدة في بيروت.

(٢٣) مبادئ علم العَرُوض

تمهيد

إن علميّ العروض والقوافي اللذَين وضعهما الخليل بن أحمد، من علوم العربية الجليلة والجميلة، اللذين يتناولان الشعر العربي ضبطا لوزنه وتحقيقا لقافيته .. وضعهما واخترعهما على غير مثال سابق، بتتبع واستقراء أشعار العرب، فوضعها في خمسة عشر وزنا، وتسمى ببحور الشعر .. وعدَّ البحر السادس عشر مهملاً .. ولكن تدارك تلميذه الأخفش هذا البحر، ليكون البحر السادس عشر، لما رأى أنه كان مستعملاً، وعده من البحور المستعملة.

الخليل بن أحمد

هو العالم العابد المتقشف أحد عباقرة الإسلام أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الأزدي الفراهيدي البصري، اللغوي صاحب العروض والنحو وكتاب العين، كان من الزهاد في الدنيا المنقطعين في العلم، وكان شاعراً مقلاً .. ولد سنة ١٠٠هـ في عمان، وتوفي سنة ١٧٣هـ عن عمرٍ سُخر في العلم والتعليم .. وكان رحمه من حسن سيرته أنه إذا أفاد إنساناً شيئاً لم يُره أنه أفاده، وإن استفاد من أحد شيئاً أراه بأنه استفاد منه، فرحمه الله رحمة واسعة.

سبب وضع هذا العلم

لما رآه الخليل من جرأة بعض الشعراء المحدثين على أوزان لم تُسمع عن العرب، هاله الأمر، فجمع عزيمته وشحذ خاطره واعتزل الناس في حجرة له، فجعل يقضي فيها الساعات والأيام يوقع بأصابعه ويحركها على النغم، فما زال على تلك الحالة والصبر والذكاء يواتيانه حتى حصر أوزان الشعر العربي وضبط أحوال قافيته، ثم أخرج لنا هذين العلمين الجليلين.

قصة طريفة أثناء بحثه في أوزان الشعر

يقال : عندما عكف الخليل على اكتشاف الأوزان كان يوقعها على أصابعه على النغم، وكان يقول تن تن تن، فسمعه ابنه الصغير ففزع إلى أمه يقول: جُنَّ أبي، فقال الخليل:

لو كُنْتَ تَدْرِي ما أَقُولُ عَذَرْتَنِي *** أَوْ كُنْتَ تَدْرِي ما تَقُولُ عَذَلْتُكا
لَكِنْ جَهِلْتَ مَقالَتِي فَعَذَلْتَنِــي *** وَعَلِمْتُ أَنَّكَ جاهِلٌ فَعَذَرْتُـــكا

عِلْمَا العروض والقوافي :
هذا فإن علمي العروض القوافي من أسهل علوم العربية، لأنهما علمان كاملان منذ نشأتهما، مضبوطان مجهزان بالمصطلحات حتى قال العلماء عن هذا العلم : علم أسبوع .. أي يستطيع أن يحصله الإنسان في أسبوع واحد فقط .. وإنما استصعبه من استصعبه بسبب كثرة التعريفات والمسميات في هذا العلم، وإلا فهو علم سهل بسيط يسير، من تمكن من حفظ وفهم مفاتيحه، لم يُغلق عليه شيءٌ بعد ذلك.

المبادئ العشرة لهذا الفن :

١- حَدُّه : العلمُ بالقواعد التي يتميز بها صحيح أوزانِ الشعر العربي من فاسدها " فنتعرف فيه على قواعد، ومن ذلك معرفة اصطلاحاتِ هذا الفنّ.

العَرُوض :لفظة مؤنّثة، قال بعضهم : هي من أسماءِ مكّة، لأن الخليل وضع هذا العلمَ بها. وقيل: بمعنى الناحية لأنها ناحية من العلوم العربية وآدابها. وقال الجوهري: سمي به لأنه به يظهر المتزن من المنكسر عند المعارضة. وهو أرجح الأقوال. وقيل: لأنه علم صعب كالعروض والعروض الناقة شديدة المراس التي تذلل .

فخرج بقولنا "الشعر" النثر، ولو كان مسجوعاً.
وخرج بقولنا "العربي" الشعر غير العربي، فليس من موضوعه .
وقولنا "صحيح الأوزان" خرج بذلك الشعر العربي من غير هذه الحيثية وهي (الوزن) فلو تكلمنا عنه من (جهة نقدِه) أو من جهة (بلاغته كالاستعارة) فلا يتعرّض له علم العروض .

٢- موضوعه : الشعر العربي من حيث صحّة وزنه وسقمه .
ما الفرقُ بين الشعرِ والنظم والنثر ؟

الشعر :قال ابن خلدون في مقدمته: الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والوصف، المفصّل بأجزاء متسقة في الوزن والرَّوِي، مستقل كل جزءٍ منها في غرضِه ومقصده عما قبله وبعده، الجاري على أساليب العربية المخصوصةِ به. وهذا وأحسنُ وأجمعُ ما قيلَ في تعريفِ الشعر.

مثاله –قول الشاعر في رثاءِ ولده: -

جاورتُ أعدائي وجاوَرَ رَبَّهُ *** شَتَّان بَيْنَ جِوارِه وَجِوارِي

فهذا موزون على قافية، تجد فيهِ ألما وعاطفة قالها القلب من خالصِ فؤادِه، يتبيّن لك حقيقةَ الشعر .

النظم :ما تحقق فيه شرط الوزن والقافيةِ فقط، لكن ليس فيه عاطفة جيّاش ولا خيال جامع ولا استعارة ولا وصف.

مثاله – ما هو نظم العلوم الإسلامية :-

قالونُ بَيْنَ السُّورَتَيْنِ بَسْمَلَة *** وَوَرْش الوَجْهان عَنْهُ نقلا

فهذا تجده منظوم موزون بقافية، ليس فيه عاطفةٌ ولا أيّ شيء من ذلك، بل هو علم محض، وقد تكونُ متمكّنا للنظم غير مستطيعاً للشعرِ، وهو كثيرٌ عند الفقهاء، وعلى هذا الباب يقولون: يروي الشعرَ على طريقةِ الفقهاءِ.

ذكر ابن خلدون في "مقدمته" قصّةً لطيفةً بين بن رضوان والعباس في شعر ابن النحوي :
أخبرني صاحبنا الفاضل أبو القاسم بن رضوان كاتب العلامة بالدولة المرينية قال: ذاكرت يوماً صاحبنا أبا العباس بن شعيب كاتب السلطان أبي الحسن، وكان المقدم في البصرة باللسان لعهده، فأنشدته مطلع قصيدة ابن النحوي ولم أنسبها له وهو هذا:

لم أدر حين وقفت بالأطلال ... ما الفرق بين جديدها والبالي

فقال لي على البديهة: هذا شعر فقيه، فقلت له ومن أين لك ذلك؟ قال من قوله: ما الفرق؟ إذ هي من عبارات الفقهاء، وليست من أساليب كلام العرب، فقلت له: لله أبوك، إنه ابن النحوي.
فالمتمرس بصناعةِ الشعر، الذي يطّلع على دواوين الشعر، فإنه يمتلك دربة بتلك الألفاظ، فيميّز ما هو شعر من قبيل النظم وما هو من قبيل الشعر الحقيقي .

النثر : ما ليس بموزونٍ ولا على قافيةٍ أصلا، وإن اتّزنَ بالسجع. كقولِ الحريري: وهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرعُ الأسماع بزواجر وعظه .

وقد اتفق أهل الفن على أن حفظ النظم أيسر من حفظ النثر - إلا ما يسر الله حفظه في الصدور، وهو كلام اللطيف الخبير - ، ومن المعلوم أن من لا معرفة له بقواعد الوزن، فالنظم عنده والنثر سيان.

٣- ثمرته : التعرّف على أوزانِ الشعر، فيتميّز الصحيح من المبتور، وكذلك في استحضارِ أبياتِ الشعر، -وقد عرف من جرّب- فالوزنُ يعينُ على معرفةِ ما نسيتَه من البيتِ، وحمايةِ دواوين الشعر من التحريف والتصفيح، فإنّه فيه شواهد النحوِ والصرفِ، وبذلك يتمّ فهمُ كتابِ الله وسنَّة رسوله، لأن الدين جاء بلغةِ العرب الأصيلة .

والتمييز الشعر من غير الشعر، كأنْ تعلمَ أنَّ القرآن ليسَ بشعرٍ. ونظمُ متونِ العلم –وهذا فنّ محدَث استخدمه المتأخرون- فنظموا في الفقهِ كنظم الزبد والحديثِ كألفيةِ السيوطي واللغةِ كألفية ابن مالك والقراءات كالشاطبية.

والتمييز في مفرداتِ الكلمات، وتحقيق الأسماء، مثاله: ما ذكره الزركلي في أعلامه في ترجمة "المَقّري" قال في مطلع منظومةِ المقري "إضاءة الدجنة في العقيدة الأشعرية : "

يقول أحمد الفقير المَقري................. ***

قال الزركلي: وهذا حجة في ضبط المقري لأنَّ الوزنَ لا يتم إلا بـ "المَقّري" لا المُقري .

٤- نسبته : إلى علم اللغة العربية، وبعضهم يذكر أنَّه اثنا عشرَ علماً، والمشهور منها (النحو، الصرف، البديع والمعاني، والإنشاء، وقرض الشعر، والمحاضرات، والعروض والقوافي...إلى آخر ما يذكرونه.

٥- فضله : فيما يتعلّق بِه، وهو "اللغة العربية" فلو أردتَ أن تنظرَ إلى بعض فضله، فانظر إلى المنظومات العلمية، فإنما أوتي هذا بمعرفةِ هذا العلمِ. إلى غير ذلك من الفضائل التي سبق ذكرها.

٦- واضعه : هو الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي البصري (١٠٠هـ-١٧٥هـ) أحد عباقرةِ الدنيا، وكانَ ذا آيةٍ في الذكاء، وصاحبُ علمٍ في الكتابِ والسنة، واشتُهرَ بزهدِه, واجتمع فيه أشياءٌ لم تجتمع في غيره :

١- وضعُه علماً كاملاً لم يستدركْ عليه فيهِ أحدٌ إلاّ ما جاءَ متأخراً من الأخفشِ، فوضع (١٥ بحراً) على حسبِ ما استقرأه من كلامِ الشعراءِ، فوجد لأشعارهم تفعيلات متعددة لا تخرجُ عما ذكرها .
٢- أول من ألف معجما عربيا وهو "معجم العين" وإن لم يكن قد اتمّه ولم يهذّبه، إلاّ أنه مرجعاً أساسياً.
٣- أول من وضع "النقطَ والشكل" على ما قيل.
٤- عليه اعتماد سِيبويهِ في كتابه، فإنّ سيبويه قد جمع زبدةَ كلامه من كلام شيخه العلامة الفراهيدي ولا يخفى على أحد عظمَ وأهميّةَ كتاب "سيبويه . "

ومن لطيفِ ما ذُكر عن الخليل بن أحمد الفراهيدي ما رواه ابن خلكان في "وفيات الأعيان: " أنَّ الخليل كان له ولد مختلف، فدخل على أبيه يوماً فوجده يقطع بيت شعر بأوزان العروض، فخرج إلى الناس وقال: إن أبي قد جن، فدخلوا عليه وأخبروه بما قال ابنه، فقال مخاطباً له:

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني *** أو كنت تعلم ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتي فعذلتني *** وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

جاءَ الأخفش وهو أحد مَن يلقب "بالأخفش" وهذا الأوسط، فزاد بحراً وهو "المتدارك . "

٧- اسمه : يسمى "علم العَرُوض" أو "علم أَوْزان الشِّعْر . "

٨- استمداده : من أشعارِ العربِ والبحثُ فيها، وكان العربُ يَنْظِمُونَ على السَّلِيقَةِ، فلا يعرف امرئ القيسِ مثلا ميزان قوله:

قِفا نَبْكِي مِن ذِكْرى حَبيبَةٍ وَمَنْزِلِ *** بِسَقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخولِ فَحَوْمَلِ

ولذلك : ولمّا نظم أبو العتاهية شعراً. قالَ له البعض: لقد خرجت عن عروض الخليل. فقال: لقد سبقت عروض الخليل بشعري .

ولا شكّ أن الخليل قد استفاد من الإيقاعِ الموسيقيّ ،وقيل: إن الذي أوحى له هذا الفن أمر عجيب، وهو دق مطارق أصحاب الطسوت، فإنه مر يوما على الحدادين فسمع دق المطارق فأوحى

ذلك له بعلم العروض . وهذا يلاحظ في البحور السهلةِ كـ "المتدارك" (فعلن فعلن فعلن فعلن) والرجز (مفاعلين مفاعلين مفاعيل) لكن ما

يقع فيه بعض الناس من ظنهم استطاعتهم التخلي عن هذا العلم، بمجرّد الإيقاعِ الموسيقي، غير صحيح، وغير شرعي، من جهتين :

١- لِما في سماعِ الموسيقى من ذريعةٍ إلى سماعِ الموسيقى والدخول إلى المحاذير الشرعية.
٢- أنه لا يناسب المبتدي البتةَ بدايةً، فيصبحُ أنّ هذا العلمَ دندنةٌ صوتية، لكن من كان ذا شاعريّة قويّة، فإن هذا الفعلَ له لا يؤثّر عليه.

٩- حُكْمُه : فرض كفاية، لأنّ به تعرف منظوماتِ العلمِ، وهو ناشئ من الكتاب والسنّة في أنه من علم العربية.

١٠- مسائله : من التقطيع العروضي والتفاعيل ومن اصطلاحاتهم في البيت الشرعي وأجزاء التفعيلة ومن العلل التي تدخل على البيت الشعري. وبحور الشعور وأضربه والبحور المحدثة. والضروريات الشعرية وغيرها.

بحور الشعر العربى :

وقد جُمعت في بيتين:

طَويلٌ يَمُدُّ البُسطَ بِالوَفرِ كَامِلٌ *** وَيَهزُجُ فِي رَجزٍ وَيَرمُلُ مُسرِعـــا
فَسَرِّحْ خَفيفاً ضَارِعاً تَقتَضِبْ لنا *** مَن اجْتَثَّ فِي قُربٍ لِتُدرِكَ مَطمَعا

(الطويل ـ المديد ـ البسيط ـ الوافر ـ الكامل ـ الهزج ـ الرجز ـ الرمل ـ السريع ـ المنسرح ـ الخفيف ـ المضارع ـ المقتضب ـ المجتث ـ المتقارب ـ المتدارك أو "المحدَث)

الكتب التي تتعلّق بهذا الفنّ :

كثير من العلماءِ يذكر فوائد ودرر تتعلق بهذا العلمِ في غير مظنّتها، فتجده في كتبِ الأدبِ والصرفِ

والنحوِ والمعاجم كـ"لسان العرب" لابن المنظور، وكتاب "مفتاح العلوم" المشهور بـ"التلخيصِ" للسكاكي –وهو كتابٌ فذٌ يغفلُ عنه طلبةُ العلمِ وقد نظمَه السيوطي في كتابه "عقد الجمان"- .

وبعضهم أفردَ القولَ والتأليف في العروض:

١- كتاب "القسطاس " للزمخشري –وهو مختصر إلا أنه مفيد-
٢- كتاب "الوافي في العروض والقوافي" للخطيب التبريزي. ثم تبع العلماء بعد ذلك بنظمِه، أشهرها كنظم "الكافي" لأبي العباس الخوّاص، وعليه شروح منها "الإرشاد الشافي على متن الكافي" للدمنهوري. ومتن "الخزرجية" للخزرجى، وهي من البحر الطويل، وأشهر شروحها "العيون الغامزة" للدماميني. ومتن "الكافية الشافية في العروض والقافية" للصبان لمحمد بن علي وهو من القرن الثالث عشر، وهي لامية على البحرِ الطويل.
ثم تتابع المعاصرون في تأليف هذا العلمِ، وأكثره تكرار وأفضل ما ألّف :
١- "ميزان الذهب في صناعة الشعر العرب" للسيد هاشمي –رحمه الله- فهو قيّم مفيد، .
٢- كتاب "أهدى السبيل إلى علمي الخليل" للأستاذ محمود مصطفى، وهو قيّم جيّد. ومن أراد ضبطه فكتب المعاصرين له مفيدٌ جداً. فيقتصرُ إلى كتابي "ميزان الذهب" و"أهدى السبيل" إلاَّ من أرادَ التبحّر في هذا العلم.

(٢٤) مبادئ علم القافِيَة

تعريفها لغة :

القافية لغة على وزن فاعلة، من القَفْو وهو الاتباع؛ وإنما قلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها، وسُمي المعنى المراد هنا بذلك؛ لأن الشاعر يقفوه أي يتبعه، فالقافية على هذا بمعنى مقفوة مثل قوله تعالى: {فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ} أي مرضية، وقيل: لأنه يقفو ما سبق من الأبيات، أو لأنه يقفو آخر كل بيت.

تعريفها اصطلاحا:

القافية في اصطلاح العَرُوضِيّين عِلمٌ بأصول يُعرف به أحوال أواخر الأبيات الشعرية من حركة وسكون، ولزوم وجواز، وفصيح وقبيح، وهي مع هذا اسم لعدد من الحروف ينتهي بها كل بيت.

أهمية القافية:

القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى الكلام شعرًا حتى يكون له وزن وقافية؛ فهما أساسان في الشعر حسب نظرية عمود الشعر عند المرزوقي. فالقافية تعطي الشعر نغمة موسيقية رائعة، فبقدر ما يكون فيها من حروف ملتزمة بقدر ما يكون لها من إيقاع موسيقي متميز، كما أنها تضبط المعنى وتحدده، وتشد البيت شدا قويا بكيان القصيدة العام ولولاها لكانت محلولة مفككة.

فائدة دراسة هذا الفن :

(١) الوقوف على مواطن حسن الشعر وجودته وكيفية تأليفه.

(٢) يُجَنِّبُ المرءَ العيوبَ المخلة بالشعر فلا يقع فيها من يريد إنشاء قول منظوم.

(٣) لا غنى للناقد عنه؛ حتى يبني أحكامه على أسس صحيحة.

حدها : وأما حدها فقد تعددت الآراء في ذلك، ولعل أقربها إلى الصواب رأي الخليل بن أحمد الذي يقول: «القافية عبارة عن الساكنين اللذين في آخر البيت مع ما بينهما من المتحرك حرفا كان أو أكثر، ومع الحركة التي قبل الساكن الأول». مثال ذلك قول الشاعر:

نَعيبُ زمانَنا وَالْعَيْبُ فينا *** وَما لِزَمانِنا عَيْبٌ سِوانا

فالقافية عند الخليل في هذا البيت هي قول الشاعر: (وَانَا) = /o/o .

وهي باختصار من أول متحرك قبل آخر ساكنين.

صورها:

بناءً على رأي الخليل فإن القافية ليست محددة بعدد من الكلمات.

فقد تكون القافية بعض كلمة، كقول كعب:

بانَتْ سُعادُ فَقَلْبي الْيَوْمَ مَتبُولُ *** مُتَيَّم إثْرها لَمْ يُفْدَ مَكْبُوْلُ

فالقافية في هذا البيت هي قول الشاعر: (بُوْلُوْ = /o/o) من (مَكْبُوْلُ) وهي جزءٌ من كلمة.

وقد تكون كلمة تامة، كقول المتنبي:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص *** فهي الشهادة لِيْ بأنِيَ كَاْمِلُ

فالقافية في هذا البيت هي قول الشاعر: (كَاْمِلُوْ = /0//0) وهي كلمة تامة.

وقد تكون القافية كلمة وبعض كلمة، كقول المتنبي:

إن كان سَرَّكُمُ ما قال حاسِدُنا *** فما لجرح إذا أَرْضاكُمُ أَلَمُ

فالقافية في هذا البيت هي قول الشاعر: (مُوْ أَلَمُوْ = /0///0) وهي كلمة وجزء من كلمة.

وقد تكون القافية كلمتين، كقول ابن الوردي:

لا تقل أصلي وفصلي أبدًا *** إنما أصل الفتى ما قَدْ حَصَلْ

فالقافية في هذا البيت هي قول الشاعر: (قَدْ حَصَلْ = /0//0) وهما كلمتان.

وقد تكون القافية كلمتين وبعض كلمة، كقول الحميري:

لما رأوا أنَّ يومَهُمْ أشبٌ *** شدُّوا حيازيمهم عَلَىْ أَلَمِهْ

فالقافية في هذا البيت هي قول الشاعر: (لا أَلَمِهْ = /0///0) فـ لا) بعض كلمة، (أَلَمِ) كلمة، (ـهْ) ضمير وهو كلمة.

وقد تكون القافية ثلاث كلمات، كقول أبي العتاهية:

حلْمُ الفَتَى مما يُزَيّنُه *** وَتَمامُ حِلْيَةِ فَضْلِهِ أَدَبُهْ

فالقافية في هذا البيت هي قول الشاعر: (هِيْ أَدَبُهْ = /0///0)، وهي ثلاث كلمات: الضمير (ـهِ) من قوله: (فضله)، وكلمة (أدبُ)، والضمير (ـهْ) من قوله: (أدبُهْ).

(٢٥) مبادئ علم اللُّغَة

وهو ثاني علوم العربية تدوينا بعد وضع علم النحو.

١- موضوعه : إذا كان علم النحو قد وضع لتقويم اللحن في الكلام الذي يُغيّر المعاني ، فإن هناك فسادًا آخر قد دخل على لغة العرب غير فساد اللحن ألا وهو الجهل بمعاني الألفاظ العربية ، وقد أدى هذا الجهل إلى أمرين:

الأول : استخدام الناس للألفاظ العربية في غير موضوعها في لغة العرب.

والأمر الثاني : هو استخدام الناس لألفاظ غير مناسبة ، أو استحداث ألفاظ جديدة للتعبير عن معاني مرادة لجهلهم باللفظ المناسب الذي يستخدمه العرب.

أي أن الجهل بمعاني الألفاظ قد أدى إلى استخدام الألفاظ في غير موضوعها وإلى العجز عن التعبير عن المعاني بالألفاظ المناسبة.

ومن هنا ظهرت الحاجة إلى تدوين الألفاظ العربية ومعانيها ، وهذا هو موضوع علم اللغة : وهو " ضبط دلالة الألفاظ على المعاني. "

٢- ثمرته : وهو أيضًا في تحمل اللغة وأدائها من جهة علاقة اللفظ بالمعنى.

والمقصود بالتحمل : فهم المعاني الصحيحة لكلام الغير ، ويدخل في هذا : الفهم الصحيح لمعاني الكتاب والسنة وفق ما يفهمه العرب من ألفاظها.

والمقصود بالأداء : قدرة المتكلم على التعبير عن المعاني المرادة بالألفاظ المناسبة في لغة العرب ، أي التعبير عن المعاني بالكلمات الفصيحة.

٣- تدوين علم اللغة : قام العلماء بتدوين هذا العلم من ثلاث جهات:

الجهة الأولى : تدوين أصول علم اللغة وأصواتها وضوابط دلالة الألفاظ على المعاني ، وسمي هذا (بفقه اللغة) وأقدم كتبه المعروفة لنا كتاب (الخصائص) لابن جني (أبو الفتح عثمان بن عمرو) ٣٩٢ هـ ، ومن أفضلها (المزهر في علوم العربية) للسيوطي ٩١١ هـ ، ومن كتب المعاصرين (دراسات في فقه اللغة) للدكتور صبحي الصالح ، و(فقه اللغة) للدكتور علي عبد الواحد وافي.

الجهة الثانية : تدوين ألفاظ اللغة العربية (مفرداتها) مع بيان معنى ، أو معاني كل كلمة منها ، وسميت الكتب المشتملة على هذا (معاجم ألفاظ اللغة) ، وأقدمها كتاب (العَيْن) للخليل بن أحمد الفراهيدي ١٦٥ هـ ؛ ثم كثرت هذه المعاجم وتنوّعت طرائق مؤلفيها في الترتيب والاستيعاب وفي البسط والاختصار.

فمن جهة الترتيب:

منهم من رتب الكلمات على ترتيب مخارج الحروف ، كما فعل الخليل بن أحمد في كتاب (العين) ، فبدأ بحروف الحلق ثم حروف الحَنَك فالأضراس فالشفة فالحروف الهوائية ، ولما كان أقصى حروف الحلق هو حرف العَيْن ، فبدأ كتابه بالكلمات التي تبدأ بحرف العين وسّمى كتابه بأول مابدأ به (العين) كما كانت عادة كثير من السلف في تسمية كتبهم.

ومنهم من رتب الكلمات على حروف المعجم المعروفة مراعيًا أواخر الكلمات ؛ فبدأ بالكلمات التي آخرها همزة ، وهذه طريقة معظم الأقدمين كما فعل الجوهري (إسماعيل بن حماد) ٣٩٣ هـ في كتابه (تاج اللغة وصحاح العربية) ، وابن منظور الأفريقي ٧١١هـ في (لسان العرب) ، و مجد الدين الفيروز أبادي ٨١٧ هـ في (القاموس المحيط) الذي شرحه السيد محمد مرتضى الزبيدي ١٢٠٥ هـ في (تاج العروس)

ومنهم من رتب الكلمات على حروف المعجم مراعيا أوائل الكلمات، فبدأ بالكلمات التي أولها همزة وهكذا ، وهذه طريقة الرازي في (مختار الصحاح) والذي اختار كلماته من كتاب (الصحاح)

للجوهري ، والفيومي في (المصباح المنير) ، و (المعجم الوسيط) لمجمع اللغة العربية وغيرها ، هذا من جهة الترتيب.

أما من جهة الاستيعاب :

فمن المؤلفين من ألّف كتابه على الاستيعاب لمعظم مفردات اللغة : كالخليل في (العين) ، وأبي منصور الأزهري ٣٧٠هـ في (تهذيب اللغة) ، والجوهري في (الصحاح) ، وابن منظور في (لسان العرب) ، والفيروزأبادي في (القاموس المحيط).

ومع استيعابهم فقد بينوا ما هو شائع الاستعمال وما هو مهمل مهجور من الألفاظ ، وأكبر هذه المعاجم هو (لسان العرب) لابن منظور.

ومن المؤلفين من اقتصر على المفردات الشائعة الاستعمال دون المهجورة ، ومن هذا كتاب (الألفاظ) لابن السِّكِّيت ، وكتاب (الفصيح) لثعلب٢٩١ هـ ، و(مختار الصحاح) للرازي ، و(المصباح المنير) للفيومي

ومن المؤلفين من اقتصر على مفردات علوم معينة ، ومنها كتب مفردات القرآن (كالمفردات في غريب القرآن) للراغب الأصفهاني ٥٠٢ هـ ، أو مفردات الحديث (كالنهاية) لابن الاثير ٦٠٦ هـ ، أو المفردات التي يتداولها الفقهاء (كالزاهر في غريب ألفاظ الشافعي) لأبي منصور الأزهري ٣٧٠ هـ ، و(تهذيب الأسماء واللغات) للنووي ٦٧٦هـ ، ومنهم من صنف في المفردات ذات القيمة البلاغية (كأساس البلاغة) لمحمود بن عمر الزمخشري ٥٣٨ هـ صاحب تفسير (الكشاف) فإنه اقتصر على ذكر الألفاظ التي تدور معانيها بين الحقيقة والمجاز ، وإن كان ورود المجاز في اللغة هو محل خلاف ورفضه ابن تيمية وابن القيم ؛فهذه أهم معاجم الألفاظ المعروفة وطرائقها في الترتيب والاستيعاب.

الجهة الثالثة من جهات تدوين علم اللغة : هى تدوين المعاني المختلفة مع بيان اللفظ المناسب لكل معنى منها ، وهذه هى (معاجم المعاني)

فمعاجم الألفاظ تبدأ بذكر اللفظ ثم تبين معناه ، أما معاجم المعاني فإنها تبدأ بذكر المعنى ثم تبين اللفظ المناسب له ، ويتم ترتيب المعاني فيها على أبواب ، فتذكر الكَثْرة مثلاً ثم تذكر الألفاظ الدالة على الكثرة في مختلف المناسبات والأحوال .

وفائدة معاجم المعاني : اختيار اللفظ المناسب للتعبير عن المعنى المراد بأفصح ما تستعمله العرب. وأهم معاجم المعاني : كتاب (المخصّص) لابن سِيدَه (أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي) ٤٥٨ هـ ، وهو كتاب مبسوط ضخم ، وهناك كتاب مختصر في مجلد وهو (فقه اللغة وسر العربية) لأبي منصور الثعالبي ٤٢٩ هـ ، وقريب منه كتاب (الألفاظ الكتابية) للهمذاني (عبدالرحمن بن عيسى)٣٢٠ هـ

وعلى هذا فكتب علم اللغة ثلاثة أنواع : "كتب فقه اللغة ، ومعاجم الألفاظ ، ومعاجم المعاني "

(٢٦) مبادئ علم قَرْض الشِّعْر

علم قرض الشعر: إن علم قرض الشعر علم يعرف به كيفية إنشاء الموزون المقفى السالم من العيوب وما الأمور التي على الشاعر أن يبدأ بها ويختم بها من موضوعات والأمور التي يجب أن يراعيها أو يتجنبها والفرق بين العروض وقرض الشعر .. أن العروض يتميز به الموزون من غيره ... وقرض الشعر يعرف به كيفية انشاء الموزون المقفى السالم من العيوب فهو علم باحث عن أحوال الكلمات الشعرية لا من حيث الوزن والقافية بل من حيث حسنها وقبحها من حيث أنها شعر. وإليك بعض أبيات من هذا العلم :

علم به يعرف نقد الشعر *** وقدره في قيمة وسعر

وسبكه في قالب النضار *** سبكا يروق لذوي الأنظار

سطر تجاه وجهك القوافي *** لنظمك لأجل أن تختار منها الوافي

ولتأخذ القافية المناسبة لنظمك الذي تؤدي واجبه ،واستحسنوا التشبيب والتغزل صدر القصيد في مديح يجلي . فَعِلْم قرض الشعر : علم باحث عن أحوال الكلمات الشعرية لا من حيث الوزن

والقافية بل من حيث حسنها وقبحها من حيث أنها شعر. وحاصله تتبع أحوال خاصة بالشعر من حيث الحسن والقبح والجواز ، والامتناع وأمثالها . قال ابن الصدر في الفوائد: هو معرفة محاسن الشعر ومعائبه كما عاب الصاحب أبا تمام في قوله:

كريم متى أمدحه أمدحه والورى *** معي إذا ما لمته لمته وحدي

حيث قابل المدح باللوم والصواب مقابلته بالذم والهجاء وأيضاً عيب على أبي تمام التكرير في أمدحه مع الجمع بين الحاء الهاء وهما من حروف الحلق، انتهى. وغرضه تحصيل ملكة إيراد الشعر على تلك الأحوال الخاصة. وغايته الاحتراز عن الخطأ في ذلك الإيراد. ومباديه مقدمات حاصلة من تتبع أشعار الغرب واستحسانات تقبلها الطباع السليم. قال الأرنيقي في المدينة: رأيت كتابا منظوما في هذا العلم، وأنا في عنفوان الشباب في زمن اشتغالي بالعلوم الأدبية.

والكتب المتعلقة بهذا الموضوع كثيرة ، وخاصة التي تتكلم عن صناعة الشعر ونقده وكتب الضرائر وغيرها. وإليك بعضها:

1- " نقد الشعر" لأبي الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب البغدادي المتوفي سنة (٣٣٧هـ)

2- "كتاب الصناعتين في النظم والنثر " لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري المتوفي سنة (٣٩٥هـ)

3- " العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده " للإمام أبي علي الحسن بن علي بن رشيق القيرواني المتوفي سنة (٤٥٦هـ)

4- " قراضة الذهب في نقد أشعار العرب " لابن رشيق القيرواني سابق الذكر.

(٢٧) مبادئ علم الإنْشاء

علم الإنشاء : أي إنشاء النثر، وهو: علم يبحث فيه عن المنثور، من حيث أنه بليغ، وفصيح، ومشتمل على الآداب المعتبرة عندهم في العبارات المستحسنة، واللائقة بالمقام.

وموضوعه، وغرضه، وغايته: ظاهرة مما ذكر.

ومباديه: مأخوذة من تتبع الخطب، والرسائل، بل له استمداد من جميع العلوم سيما الحكمة العملية، والعلوم الشرعية، وسير الكمل، وحكايات الأمم ووصايا الحكماء العقلاء، وغير ذلك من الأمور الغير المتناهية، هذا ما ذكره الأرنيقي، وأبو الخير.

وأما ابن صدر الدين، فإنه لم يذكر سوى معرفة المحاسن، والمعائب، ونبذة من آداب المنشئ، وزبدة كلامه: أن للنثر من حيث أنه نثر محاسن، ومعائب، يجب على المنشئ، أن يفرق بينهما، فيتحرز عن المعائب، ولا بد أن يكون أعلى كعباً في العربية، محترزا عن استعمال الألفاظ الغريبة، وما يخل بفهم المراد، ويوجب صعوبته، وأن يتحرز من التكرار، وأن يجعل الألفاظ تابعة للمعاني، دون العكس، إذ المعاني إذا تركت في سجيتها طلب لأنفسها ألفاظاً تليق فيها، فيحسن اللفظ، والمعنى جميعاً.

وأما جعل الألفاظ متكلفة، والمعاني تابعة لها، فهو كلباس مليح على منظر قبيح. فيجب أن يجتنب عما يفعله بعض من لهم شغف بإيراد شيء من المحسنات اللفظية، فيصرفون العناية إلى المحسنات، ويجعلون الكلام كأنه غير مسوق لإفادة المعنى، فلا يبالون بخفاء الدلالات، وركاكة المعنى.

ومن أعظم ما يليق لمن يتعاطى صناعة الإنشاء أن يكتب ما يراد لا ما يريد. كما قيل في الصاحب والصابي: إن الصابي يكتب ما يراد، والصاحب يكتب ما يريد. ولا بد أن يلاحظ في كتاب النثر، حال المرسل، والمرسل إليه، ويعنون الكتاب بما يناسب المقام. انتهى.

والكتب المصنفة فيه كثيرة جداً منها:

١- ((أبكار الأفكار)) للوطواط جمال الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى الكتبي، المتوفى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة.

٢- كتاب: ((المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر)) لأبي الفتح ابن الأثير الجزري، وهو في مجلدين.

٣- كتاب: ((المعاني المخترعة في صناعة الإنشاء)) لموفق الدين وله كتاب: ((الوشي المرقوم في حل المنظوم)) و: ((ديوان الترسل)) في عدة مجلدات.

قال الأرنيقي: ومن العجب العجاب في علم الإنشاء: ((المقامات)) للحريري، وقد عمل على أسلوبها كثير من الناس، رأيت منها ثلاثة، و: ((تواريخ العتبي)) ، وهذا يمكن عدهما من المحاضرات أيضاً.

٤- ((قهوة الإنشاء)) لأبي بكر بن حجة أيضاً. والعتبي: هو ابن النصر محمد بن عبد الجبار، ذكر فيه أحوال محمود ابن سبكتكين، وحروبه مع الأعداء، وهذا الكتاب علم في الفصاحة، والبلاغة، واللطافة. انتهى.

ومن هذا الباب أيضا كتاب: ((عجائب المقدور في أحوال تيمور)) و: ((مقامات البديع الهمذاني)) ، و: ((مقامات السيوطي)) و: ((ريحانة الألباء))، و: ((نفحة الريحانة)) ، وما يليها من كتب الأدب العربية، فإنها في علم الإنشاء. وقد طبع في هذا الزمن بمصر القاهرة كتب كثيرة، لها تعلق بهذا الفن، وبقي شيء كثير لم يطبع.

وبالجملة فهذا العلم طويل الذيل، عظيم السيل، كثير النفع، لكن قصرت عنه همم العلماء، حتى اندرس، وطمس، - ولله الأمر من قبل ومن بعد -، وعندنا ذخائر من صحف هذا الفن، قد من الله - تعالى - لها علينا –

(٢٨) مبادئ علم الخَطّ

تعريفُه : هو علمٌ تُعرف بهِ أصولُ رسمِ الحروفِ العربيةِ من حيثُ تصويرُها للمنطوقِ.

أسماؤه : يسمَّى قديمًا (الكِتَاب) ، و (الكِتابَة) ، و (الخطّ) ، و (الهِجاءَ) ، و (الرَّسمَ) ، و (تقويمَ اليدِ) . واصطلحَ المتأخِّرونَ على تسميتِهِ بـ (الإملاءِ) ، لأنَّ الإملاءَ من قِبَلِ المعلِّمِ ممَّا يُمتحَنُ بِهِ المرءُ في أماكِنِ التعليمِ ، ليُعرفَ مبلغُ إتقانِهِ لهذا العلمِ.

واضعُه: لا يُعرفُ على وجهِ القَطْعِ واضعُ الحروفِ العربيةِ . وكانتِ الحروفُ العربيةُ قبلَ الإسلامِ خاليةً من النَّقْطِ ، معَ تشابهِ صُوَرِها . وذلكَ لقلةِ الكتابةِ يومَئذٍ ، وقلَّةِ أهلِها . وكانوا يستعينونَ على التفريقِ بينَهَا بزيادةِ بعضِ الأحرفِ ،ككتابتِهم (مئة) هكذا (مائه) ، وكتابتِهم (ألئك) هكذا (أولئك) (بدون همز).

فلما جاءَ الإسلامُ ، وانتشرتِ الكتابةُ ، وخِيفَ اللَّبسُ ، ابتدعَ أبو الأسودِ الدُّؤَلِيُّ (٦٩ هـ) صورَ الشَّكْلِ (الفتحة ، والضمة ، والكسرةَ) ، وصورةَ التنوينِ ، غيرَ أنها كانت جميعًا على هيئةِ نُقَطٍ معيَّنةٍ. (.) فلمَّا جاءَ نصرُ بنُ عاصمٍ الليثيُّ (٩٠ هـ) ، ويحيى بنُ يعمَرَ العَدوانيُّ (129 هـ) ابتدعا بأمرٍ من الحجَّاجِ بنِ يُوسفَ نَقْطَ الحروفِ ؛ فبدَلَ أن كانتِ الباء ، والتاء ، والثاء لها صورةٌ واحدةٌ ، أضحَى لها ثلاثُ صُوَرٍ ، وهكذا سائرُ الحروفِ . وبذلكَ أصبحتِ الحروفُ نوعينِ :

حروفًا منقوطةً ، وتسمَّى (مُعْجَمَةً) ، وحروفًا غيرَ منقوطةٍ ، وتسمَّى (مُهمَلةً) ثمَّ خلفَهم الخليلُ بنُ أحمدَ (١٧٠ هـ) ، فابتدعَ الهمزةَ (ء) ، والشدَّةَ (ّ) ، والمدَّةَ (~) ، وغيَّرَ صُوَرَ الحركاتِ (أي : الشكلِ) ، والتنوينَ إلى الصورِ المعروفةِ الآنَ (َ ُ ِ) و (ً ٌ ٍ) ، حتى لا تلتبسَ بالنُّقَطِ .وكانُ المصحفُ الشريفُ مرسومًا بغيرِ شَكلٍ ، ولا نَقطٍ . فلما تمَّت صورةُ الرسمِ بنُقطهِ ، وشَكلِهِ ، أُجريَ هذا على المصاحفِ من بعدُ ، وانتشرَ في الكتابةِ عامّةً.

أهمّ الكتب فى علم الخط :

أولَها (أدبُ الكاتب) لابنِ قتيبةَ ؛ فقد أفردَ للإملاءِ فصلاً سمَّاه (تقويمَ اليدِ) ، ثمَّ (الجمل في النحو) للزجَّاجيّ ؛ ففيه بابٌ سمَّاه (باب أحكام الهمزة في الخط) ، و (كتاب الخطّ) له أيضًا ، و (باب الهِجاء) لابن الدهَّانِ . هذا غيرُ كتبِ رسْمِ المصاحفِ ككتابي النَّقط ، والمقنع ؛ كلاهما لأبي عمرو الداني . وغيرُ كتبِ النحوِ ، والتصريفِ التي عرَضتْ له كشافيةِ ابن الحاجب ، وتسهيل ابنِ مالكٍ ، وهَمْعِ الهَوامِعِ للسيوطيّ. أما العصرُ الحديثُ ، فمن أهمّها كتابُ (المطالع النصرية) لنصر الهوريني ، و (كتاب الإملاء) لحسين والي.

فضلُه : ليس من العلومِ علمٌ النَّاسُ إليهِ أشدُّ حاجةً من الإملاءِ ؛ فإنه ممَّا لا يستغني عنهُ كاتبٌ ، خلافًا لسائرِ العلومِ ؛ فربَّما جهِلَها المرءُ طولَ حياتِهِ ، ثمَّ لا تجِدُ ذلكَ يغضُّ من قدرِهِ ، أو يضَع من شأنِهِ . أمَّا الإملاءُ ، فالخطأ فيهِ عيبٌ لصاحبِهِ ، ودلالةٌ على نَقصٍ فيهِ . لذلكَ كانَ حقًّا على كلِّ مَن يعرفُ الكتابةَ أن يضبطَ أصولَهُ ، ويتحفَّظَ من الزللِ فيهِ.

أنواعُ الخط :

للإملاءِ أنواعٌ ثلاثةٌ :

١- رسمُ المصحفِ . ولا يُقاسُ عليهِ ، وإن كانَ أصلَ الإملاءِ الذي عليهِ الناسُ . وذلكَ لخروجِه عن القياسِ مراعاةً لأمورٍ:

الأول : بناء الكلمة على وجهٍ يمكن معَهُ تعدّدُ القراءةِ . وذلك كثيرٌ في ما حُذفت ألفُه ؛ نحو ملك يوم الدين.

الثاني : أنّه كان قبل ظهور الشكل والنقط ؛ فربما زُيدَ فيه بعض الأحرفِ دلالةً على حركةٍ ما قبلها ؛ نحو لأذبحنّه ، حتى لا يُتوهم أنها بالتشديدِ ، كـ لأعذبنّه التي قبلَها.

الثالث : أنّ الصحابة لما رسموا المصحفَ ، كانوا في بداءته ؛ فلا جرم أن تظهرَ بعض الشواذّ ، والآراء غيرِ المحكَمَة ؛ إذ الرسمُ اجتهادٌ من الصحابة رضيَ الله عنهم ، وليس وحيًا من الله. وذلكَ نحوُ رسمِهم (سعَوا) في سورة سبأ بدون ألف سَعَوْ مع أنهم رسموها في سورة الحج بألِفٍ . وليس لهذا علةٌ صحيحةٌ.

٢- رسمُ العَروضِ . وهو خاصٌّ بتقطيعِ الشِّعْرِ.
مِثالٌ:
لولا الحياء لهاجني استعبارُ
تكتبُها عَروضيًّا هكذا: لولَ لْحياء لهاجنِ سْتعبارو
وضابطُه : كلُّ ما يُنطقُ يكتبُ . وكلُّ ما لا ينطق لا يُكتب.
وفائدته : التوصُّلُ إلى معرفةِ بحرِ البيتِ.

٣- الرسمُ القياسيُّ . وهو وحدَه الذي يَعنينا . وفرقُ ما بينه وبينَ رسم العروض أنَّ هذا الرسمَ تدخلُه الزيادةُ ، والحذف ، ومراعاةُ الأصلِ ، وأشياءُ أُخَرُ.

(٢٩) مبادئ علم المَعاني

هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال أي إنه علم يختص بتركيب الكلام كيف يكون هذا التركيب مطابقاً لمقتضى الحال.

ذكر أبواب علم المعاني بإيجاز:

لما كان علم المعاني يختص بأحوال اللفظ العربي نظر علماء البلاغة إلى تلك الأحوال من جهات عدة وبناءً عليه قسموه إلى ثمانية أبواب :

١- فنظروا إلى الكلام وقالوا : إما خبر أو إنشاء فجعلوه بابا.
٢- ونظروا إلى الجملة من حيث تكونها من المسند إليه والمسند والمتعلقات من ثلاث زوايا:
الأولى من حيث الذكر والحذف.
الثانية من حيث التعريف والتنكير وهو في الأسماء دون الأفعال .
الثالثة من حيث التقديم والتأخير، فجعلوا لكل واحد بابا.
٣- ونظروا إلى الجملة من حيث المعنى: هل هي مقيدة في هذا المعنى أم مطلقة فيكون المعنى أوسع مما ذكر فجعلوه بابا وسموه باب القصر.
٤- ونظروا إلى علاقة الجمل فيما بينها: هل بينهما وصل أم هما مفصولتان ؟ فجعلوا له بابا هو باب الفصل والوصل
٥- ونظروا إلى علاقة اللفظ بالمعنى : هل تكون الألفاظ أقل من المعاني أو أكثر أو بينهما مساواة ؟ فبحثوه تحت باب الإيجاز والإطناب والمساواة.

من أهم المصنفات في علم المعانى :

- الإيضاح للقَزْويني.
- المثَل السائِر؛ لابن الأَثِير.
- العُمْدة لابن رشيق القَيْرَواني.
- مُعجَم المُصْطَلَحات البلاغيَّة للدكتور / أحمد مطلوب.

(٣٠) مبادئ علم البَيان

علم البيان هو ثالث علوم العربية تدوينًا بعد عِلمَىْ النحو واللغة.
موضوعه :

اعلم أن علوم النحو ، والصرف ، واللغة تتناول الكلمة المفردة ، أما علم البيان فموضوعه الكلام المركب ، فعلم النحو ينظر في إعراب الكلمة ، وعلم الصرف ينظر في بنية الكلمة ، وعلم اللغة ينظر في معنى الكلمة ، أما علم البيان فينظر في معنى الكلام المركب من أكثر من كلمة ، من حيث موافقته لأساليب العرب في تركيب الكلام ليؤدي المعنى المطلوب بحسب حال السامع والمتكلم وظروف الكلام.

فجملة (زيدٌ أخي) مركبة من كلمتين ، والعرب يغيّرون تركيبها باختلاف الأحوال ، فقولي : (أخي زيدٌ) ، يختلف عن قولي : (زيدٌ أخي) ، ويختلف عن قولي : أن زيدًا أخي ، ويختلف عن قولي : (إن زيدًا لأخي)

فالقول الأول خطاب لمن يعلم أن لي أخًا ويريد تعيينه .
والقول الثاني خطاب لمن يعرف زيدًا ويجهل أنه أخي .
والقول الثالث خطاب لمن يتردد ، أو يشك في أن زيدًا أخي .
والقول الرابع خطاب لمن ينكر أن زيدًا أخي.

والخطاب في الأحوال الأربعة مركب من نفس الكلمتين ، ولكنه اختلف في التقديم والتأخير واستخدام المؤكدات ليوافق مقتضى الحال وهو اختلاف أحوال المخاطب هنا ، وهذا هو معنى قول القائل (لكل مقامٍ مقال)
ومثاله في التنزيل قوله تعالى : (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ * قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ * قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ) (يّس:١٣-١٦) . فقال في المرة الأولى (إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ) وفيها مؤكد واحد (إنّ)، وقال في الثانية (إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ)، وفيها مؤكدان (إنّ واللام) لما أصروا على الانكار .

وقد يُنزَّل غير المنكر منزلة المنكر باعتبار معين ، كما في قوله تعالى (ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ) (المؤمنون:١٥) ؛ فهذا خطاب مؤكد بمؤكدين (إن واللام) وهو خطاب لمن ينكر وقوع الموت ، ولا يخفى أن أحدًا لا ينكر ذلك ، ولكن لما كان الناس في غفلةٍ وإعراضٍ عن العمل لما بعد الموت كانوا بمنزلة المنكرين لوقوعه.

فَعِلْم البيان موضوعه النظر في الكلام المركب من حيث اللفظ والمعنى جميعًا ، في حين أن علوم

النحو والصرف واللغة تنظر إلى الكلمة المفردة إعرابًا وبنية ومعنى على الترتيب ، وإذا وافق تركيب الكلام أساليب العرب في إفادة المعنى سُمّي الكلام بليغًا ، وإلا فهو ركيك.

وتُعرَّف البلاغة بأنها " : مطابقة الكلام للمعنى من جميع وجوهه بخواص تقع للتراكيب في إفادة ذلك " ، أو البلاغة هى : " تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التأليف الذي يطبِّق الكلام على مقتضى الحال."

وسَمَّـى علماء اللغة المتقدمون هذا العلم (بعلم البيان) كالجاحظ ٢٥٥ هـ في كتابه (البيان والتبيين).

في حين سماه العلماء بعد ذلك (بعلم البلاغة) كالزمخشري ٥٣٨ هـ في كتابه (أساس البلاغة) ، وصار علم البلاغة مشتملاً على ثلاثة علوم وهى:

المعاني والبيان والبديع"

والأَوْلى تسمية هذه العلوم بعلم البيان كما سمّاه الأقدمون - لا البلاغة - لأن البيان هو اللفظ الذي وصف الله تعالى به كلامه وهو أبلغ الكلام ، قال تعالى (الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ) (يوسف:١) ، و(تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ) (الشعراء:٢) ، و(تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ) (القصص:٢) . فقال سبحانه (الْكِتَابِ الْمُبِينِ) ولم يقل الكتاب البليغ ، واطرد هذا في بقية الآيات كقوله تعالى (الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ) (الحجر:١) ، وقوله تعالى (وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)(النحل: من الآية١٠٣) ، ولم يقل لسان عربي بليغ ، هذا والله تعالى أعلم.

ثمـرته :

من جهة تحمُّل اللغة بفهم معاني الكلام البليغ كنصوص الكتاب والسنة على أكمل وجه ، ومن جهة أداء اللغة : بأن يركِّب المتكلم كلامه بما يؤدي المعنى المراد على أكمل وجه.

وقال ابن خلدون – رحمه الله تعالى – في " المقدمة " ص ٥٥٢ - ٥٥٣:

"إن ثمرة هذا الفن - أي علم البيان - إنما هى في فهم الإعجاز من القرآن ، لأن إعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقه ومفهومه وهى أعلى مراتب الكلام مع الكمال فيما يختص بالألفاظ في انتقائها وجودة رصفها وتركيبها، وهذا هو الإعجاز الذي تقصر الأفهام عن إدراكه ، وإنما يدركُ بعض الشئ منه من كان له ذوق بمخالطة اللسان العربي وحصول ملكته فيدرك من إعجازه

على قدر ذوقه- إلى قوله - وأحوج ما يكون إلى هذا الفن المفسرون ، وأكثر تفاسير المتقدمين غُفُلٌ عنه - حتى - ظهر جار الله الزمخشري ووضع كتابه في التفسير وتتبع آي القرآن بأحكام هذا الفن بما يُبدي البعض من إعجازه ، فانفرد بهذا الفصل على جميع التفاسير لولا أنه يؤيد عقائد أهل البدع " اهـ.

والبدع التي نصرها الزمخشري في تفسيره (الكشّاف) هى آراء المعتزلة ، وقال الشيخ سراج الدين البلقيني ٨٠٥ هـ - وهو من شيوخ الحافظ ابن حجر – قال : إنه استخرج الاعتزال من الكشاف بالمناقيش.

تدوين علم البيان :

تميزت علـوم البلاغة إلى ثلاثة ، وهى المعاني والبيان والبديع ، ولكل علم موضوعه ومسائله.
فعلم المعاني موضوعه الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى الذي يريد المتكلم إيصاله إلى ذهن السامع ، وعلم البيان موضوعه الاحتراز عن التعقيد المعنوي أي عن أن يكون الكلام غير واضح الدلالة على المعنى المراد ، وعلم البديع المراد به تحسين الكلام بالمحسنات المعنوية واللفظية ، وهو تابع للعلمين السابقين إذ بهما يُعرف التحسين الذاتي ، وبه يعرف التحسين العرضِي.

وقد بدأت الكتابة في هذه العلوم دون تمييز بينها ودون تحرير لمسائلها ومن أقدم ما بلغنا من هذه الكتابات : كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) ٢٥٥ هـ ، وكتاب (الصناعتين) لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري ٣٩٥ هـ.

وأول من ميّز مسـائل هذه العلوم هو عبد القاهر الجرجاني ٤٧١ هـ ، وله في ذلك (كتاب دلائل الإعجاز) في علم المعاني ، وكتاب (أسرار البلاغة) في علم البيان ، إلا أنه لم يستوف مسائل هذه العلوم.
حتى جـاء أبو يعقـوب يوسـف السَّكَّاكي ٦٢٦ هـ ، فاستكمل مسـائل هذا الفن وهذّبها ورتب أبوابه ، وذلك في كتابه (مفتاح العلوم) وهو يشتمل على ثلاثة أقسام للصرف والنحو والبلاغة.

وصار (المفتاح) أساسًا لكل ما كتب بعده في علم البلاغة ، وقد لخص جلال الدين القزويني ٧٣٩هـ القسم الثالث من المفتاح الخاص بالبلاغة في كتابه (تلخيص المفتاح) ثم شرحه في كتابه (الإيضاح شرح التلخيص)، واعتمد القزويني في شرحه (الإيضاح) على كلام السكاكي في (مفتاح

العلوم) وانتقده واستدرك عليه كما اعتمد على كلام عبد القاهر الجرجاني في كتابيه (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة) ، وكل هذه الكتب مطبوعة.

وتعتبر كتب عبد القاهر الجرجاني والسكاكي والقزويني أمهات كتب هذا العلم .

ومن كتب المعاصرين :

١- (شرح التلخيص في علوم البلاغة) لمحمد هاشم دويدري .

٢- شرح (تلخيص المفتاح) للقزويني.

٣- (بغية الايضاح لتلخيص المفتاح) لعبد المتعال الصعيدي .

٤- شرح (الإيضاح) للقزويني .

٥- (جواهر البلاغة) للسيد أحمد الهاشمي .

٦- وسار فيه على نمط (الإيضاح) في الترتيب مع مزيد من التفصيل وضرب الأمثلة .

٧- (البلاغة الواضحة) لعلي الجارم ومصطفى أمين ، وجميع الكتب المذكورة في علم البيان مطبوعة.

(٣١) مبادئ علم البَدِيع

علم البديع :

هو فرع من علوم البلاغة يختص بتحسين أوجه الكلام اللفظية والمعنوية. أول من وضع قواعد هذا العلم الخليفة العباسي الأديب المعتز بالله، في كتابه الذي يحمل عنوان البديع، ثم تلاه قدامة بن جعفر الذي تحدث عن محسنات أخرى في كتابه نقد الشعر، ثم تتابعت التأليفات في هذا العلم وأصبح الأدباء يتنافسون في اختراع المحسنات البديعية، وزيادة أقسامها، ونظمها في قصائد حتى بلغ عددها عند المتأخرين مائة وستين نوعا. ويقسم علماء البلاغة المحسنات البديعية إلى قسمين :

١- محسنات لفظية مثل (الجِناس والسَّجْع)

٢- محسنات معنوية مثل (الطِّباق والْمُقابَلَة)

١- المحسنات اللفظية :

هي التي يكون التحسين بها راجعاً إلى اللفظ أصالة، وإن حسنت المعنى تبعاً لتحسين اللفظ، ومن المحسنات اللفظية :

١- الجناس : هو أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفا في المعنى. وهو نوعان :

أ- تام : وهو ما اتفق فيه اللفظان في أمور أربعة هي: نوع الحروف، وشكلها، وعددها، وترتيبها ، قال الله ﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة﴾

ب- ناقص : وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة المتقدمة. كقوله تعالى(فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ(٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ(١٠) سورة الضحى

٢- السجع : هو توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد في الآخر، وأفضله ما تساوت فِقَرُه. ومثاله قول النبي صلى الله عليه وسلم: " اللهم أعط منفقا خلفا، وأعط ممسكا تلفا "

٣- الاقتباس : هو : تضمين النثر أو الشعر شيئا من القرآن الكريم أو الحديث الشريف من غير دلالة على أنه منهما، ويجوز أن يغير في الأثر المقتبس قليلا. كقول بعضهم: "لا تَغُرَّنَّك من الظلمة كثرة الجيوش والأنصار "إنما نؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار."

وقول الشاعر: رحلوا فلست مسائلا عن دراهم أنا "باخع نفسي على آثارهم."

٢- المحسنات المعنوية :

هي التي يكون التحسين بها راجعا إلى المعنى، وإن كان بعضها قد يفيد تحسين اللفظ أيضا والمحسنات المعنوية كثيرة، من بينها :

١- الطباق : وهو اما طباق سلبي واما ايجابي الجمع بين الشيء وضده في الكلام ، مثل قوله تعالى ﴿ وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ﴾ الكهف: ١٨. وينقسم إلى نوعين :

أ- طباق الإيجاب : وهو ما لم يختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا، كقوله تعالى (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ.)

ب- طباق السلب : وهو ما اختلف فيه الضدان إيجابا أو سلبا، كقوله تعالى (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الناس)

٢- المقابلة : هي أن يؤتى بمعنيين غير متقابلين أو أكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب، مثل قوله تعالى: ﴿ فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ﴾ التوبة : ٨٢

وكقول القائل : "إنكم لتكثرون عند الفزع، وتقلون عند الطمع."

٣- التورية : هي أن يذكر لفظ له معنيان؛ أحدهما قريب ظاهر غير مراد، والثاني بعيد خفي هو المراد كقول الشاعر:

أبيات شعرك كالقصور ولا قصور بها يعوق ... ومن العجائب لفظها حر ومعناها رقيق

وكقول القائل :

أصون أديم وجهي عن أناس *** لقاء الموت عندهم الأديب
ورب الشعر عندهم بغيض *** ولو وافى به لهم "حبيب"

٤- حسن التعليل : هو أن ينكر القائل صراحة أو ضمنا علة الشيء المعروفة ويأتي بعلة أدبية طريفة تناسب الغرض الذي يقصد إليه. نحو:

وما كلفة البدر المنير قديمة *** ولكنها في وجهه أثر اللطم

٥- المشاكلة : هي أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبة ذلك الشيء.

٦- التوجيه أو الإيهام : هو أن يؤتى بكلام يحتمل، على السواء، معنيين متباينين، أو متضادين كهجاء ومديح ليصل القائل إلى غرضه بما لا يؤخذ عليه.

٧- المبالغة : وهو وصف الشيء وصفا مستبعدا أو مستحيلا.

٨- التبليغ : وهو وصف الشيء بما هو ممكن عقلا وعادة.

٩- الإغراق : وهو وصف الشيء بما هو ممكن عقلا لا عادة.

١٠- الغلو : وهو وصف الشيء بما هو مستحيل عقلا وعادة.

١١- تأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه :
تأكيد المدح بما يشبه الذم ضربان:
أ- أن يستثنى من صفة ذم منفية صفة مدح، نحو:

ليس به عيب سوى أنه لا تقع العين على شبهه

ب- أن يثبت لشيء صفة مدح ويؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى، نحو:

ولا عيب في معروفهم غير أنه يبين عجز الشاكرين عن الشكر

وتأكيد الذم بما يشبه المدح ضربان:

أ- أن يستثني من صفة مدح منفية صفة ذم، نحو: " لا جمال في الخطبة إلا أنها طويلة في غير فائدة."

ب- أن يثبت لشيء صفة ذم ثم يؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى، نحو: " القوم شحاح إلا أنهم جبناء."

١٢- أسلوب الحكيم :

هو تلقي الخطاب بغير ما يرتقبه، إما بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله، وإما بحمل كلامه على غير ما كان يقصد إشارة إلى أنه كان ينبغي له أن يسأل هذا السؤال أو يقصد هذا المعنى.

كقوله تعالى (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ)

وقوله تعالى (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ)

من أهم المصنفات في علم البديع :

- علم البديع ، المؤلف: عبد العزيز عتيق
- علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني) المؤلف : محمد أحمد قاسم - محيي الدين ديب
- أنوار الربيع في أنواع البديع المؤلف : علي صدر الدين ابن معصوم المدني ، المحقق: شاكر هادي شكر
- شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع ، المؤلف : صفي الدين الحلي المحقق: نسيب عبد الحميد نشاوي

- المصباح في المعاني والبيان والبديع ، المؤلف : بدر الدين بن مالك الشهير بابن الناظم ، المحقق: حسني عبد الجليل يوسف
- كتاب البديع (البديع في البديع) المؤلف : عبد الله بن المعتز ، المحقق: عرفان مطرجي
- دروس البلاغة شرح ابن عثيمين ، المؤلف: حفني ناصف - محمد دياب - سلطان محمد - مصطفى طموم - ابن عثيمين المحقق: محمد بن فلاح المطيري
- أسرار البلاغة ، المؤلف: عبد القاهر الجرجاني ، المحقق: محمود شاكر أبو فهر

(٣٢) مبادئ علم الاشْتِقاق

علم الاشتقاق من العلوم التي تكاد تكون مهجورة في هذا الزمان، فلا نكاد نسمع عن طالب يدرُسُه، ولا نكاد نرى شيخا يُدَرِّسه، ولا يوجد له إلا القليل من الكتب ما يؤسِّسُه.
مع أنك كثيرا ما تسمع المشايخ في الدروس والمحاضرات يقولون: إن علوم العربية اثنا عشر علما، جمعها الناظم في قوله:

نحو وصرف عروض ثم قافية .... وبعدها لغة قرض وإنشـــــاء
خط بيانٌ معانٍ مع محاضـــرة .... والاشتقاق لها الآداب أسماء

ونظمها آخر فقال:

خُذْ نَظْمَ آدابٍ تَضَوَّعَ نَشْرُها .... فطوى شذا المنثور حين تَضُوعُ
لُغَةٌ وصَرْفٌ واشتقاقٌ نَحْوُها .... عِلْمُ الْمَعَاني بِالْبَيَانِ بَدِيــــــعُ
وعَرُوضُ قَافِيَةٌ وإِنْشَا نَظْمُها .... وكتابةُ التاريخِ ليسَ يَضِيــــــعُ

١- حـده : علم بدلالات كلام العرب التي يعرف بها الأصل الذي ترجع إليه الألفاظ. وهذا حد أقرب إلى الرسم.
٢- موضوعه : معرفة دلالات الألفاظ وارتباطها ببعض، وذلك بالرجوع إلى أصول معانيها المستنبطة

من قياس دلالات الألفاظ المتماثلة المادة.

٣- ثمرته : التعمق في فهم كلام العرب، ومن ثَمَّ في فهم كلام الشارع، وكثيرا ما تجد المفسرين يشيرون إشارات عابرة إلى أمثلة من هذا العلم، وكثير من المصنفين في العلوم يشيرون أيضا إليه إشارات عابرة عند شرح بعض الاصطلاحات وبيان وجه الاشتقاق فيها.

٤- نسبته : من علوم اللغة العربية مع الإعمال العقلي، ويمكن عده جزءا من علم (فقه اللغة)، وفيه اشتراك مع (علم التصريف) في بعض المباحث من وجه، والفرق بينهما أن علم التصريف يبحث في الأوزان الظاهرة ودلالة كل وزن، أما الاشتقاق فيبحث في الدلالة الباطنة وارتباط المعاني في المادة الواحدة.

٥- فضله : ما ساعد على فهم النصوص الشرعية فلا شك أنه علم فاضل، ولذلك يكثر دورانه في كتب التفسير، والاستنباطات في الخلافات الفقهية.

٦- واضعه : يعد ابن دريد أول من أفرده بتصنيف يشتمل على كثير من أصوله، وابن فارس هو باري قوسه بكتابه مقاييس اللغة، وكذلك بعض المحاولات والمنثورات قبلهما خاصة من قبل الخليل بن أحمد.

٧- اسمه : علم الاشتقاق أو مقاييس اللغة، والأول هو المشهور في كتب المصنفين، ولكن الثاني أقرب إلى المراد، وبذلك سمى ابن فارس كتابه.

٨- استمداده :كلام العرب وأحوالهم وإشاراتهم التي يستفاد منها القرائن التي تدل على اتفاق ألفاظ المادة في اللغة.

٩- حُكْمُه :فرض كفاية ؛ كما قرر أهل العلم أن علوم الآلة جميعا فروض كفاية.

١٠- مسائله : الأسماء (أعلاماً كانت أو غيرها) والكلمات والمواد العربية والبحث في الأصول المعنوية التي ترجع إليها.

من أهم المصنفات في علم الاشتقاق

- عنوان الكتاب: العلم الخفاق من علم الاشتقاق ، المؤلف: محمد صديق حسن خان ، المحقق: أحمد عبد الفتاح تمام

- عنوان الكتاب: المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، المؤلف: جلال الدين السيوطى ، المحقق: محمد جاد المولى - محمد أبو الفضل إبراهيم - علي محمد البجاوي
- الاشتقاق ، المؤلف : د / حسن الشيرازى
- نزهة الأحداق في علم الاشتقاق ،المؤلف : محمد بن على الشوكانى ، المحقق : شريف عبد الكريم النجار
- مفهوم الاشتقاق الصرفى ، المؤلف : عبد المقصود محمد عيد
- علم الاشتقاق نظريا وتطبيقيا ، المؤلف : محمد حسن جبل

(٣٣) مبادئ عِلْمِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ

لما كان محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم آخر رسل الله إلى البشرية جمعاء، لزم أن تكون سيرته واضحة للجميع، يستطيع كل أحدٍ الوصول إليها، والنظر فيها، والاستفادة منها . وقد قيض الله رجالاً من الصحابة ومن جاء بعدهم، نقلوا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، حتى صارت في متناول كل راغب ومحب.

أهمية و أسباب دراسة السيرة النبوية :

١- تخبط الناس والبعد عن الهدي النبوي .

٢- البعد عن الخُلُق القويم.

٣- الثبات على المنهج ،كما فى صلح الحديبية أن عمر رضي الله عنه لما جاء سهل وأراد أن يوقع على الوثيقة التي بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين مشرك قريش وكان من أبرزها : أنه من جاء مسلما من كفار قريش يرده النبي صلى الله عليه وسلم إليهم، ومن خرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم مرتدا ما يرجع.

فعمر رضي الله عنه نظر إلى هذه القضية كأنما هي مهانة، فقال : يا رسول الله لم نعطي الدنية في ديننا وقد أعزنا الله؟ فسكت النبي صلى الله عليه وسلم. فجاء عمر إلى أبي بكر فقال: يا أبا بكر لم نعطي الدنية في ديننا و...؟ فقال أبا بكر: يا عمر أليس هو رسول الله؟ قال: بلى، قال :فالزم

غرزه.إذن نحن نؤيد جميع إلى من يدعو إلى نصرة الإسلام في أي بقاع من بقاع الأرض لكن على المنهج القويم.(فشعارنا : فالزم غرزه)

٤- الوصول إلى الجنة: يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى- (كل الطرق إلى الجنة مسدودة إلا الطريق الذي شرعه النبي صلى الله عليه وسلم)

٥- التحاكم إلى سيرته عند الاختلاف: يعني في الأول أنا أستطيع أن أميّز بين المناهج بالرد إلى السيرة، لكن عند الاختلاف التحاكم إلى السيرة وهذا هو الفرق بين الاثنين: الأول التمييز والثاني التحاكم، يقول الله عز وجل(فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيما)[النساء:٦٥]، قالوا : (التحاكم بعد موته صلى الله عليه وسلم بالرد إلى سنته عليه الصلاة والسلام)

٦- الهجمات الشرسة على شخص النبي صلى الله عليه وسلم، وشدة البرد في عاطفة كثير من المسلمين حتى أصبحت الغيرة عندهم ميتة على شخص نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام.

مبادئ هذا الفن :

١- حده : هو علم يُعرف به أحوال المصطفى صلى الله عليه وسلم تفصيلاً منذ ولادته ونشأته إلى أن لحق بالرفيق الأعلى.

٢- موضوعه : هو حياة النبي صلى الله عليه وسلم، ومواقفه مع أصحابه وأعدائه.

٣- ثمرته : هو الاطلاع على هديه صلى الله عليه وسلم والاقتداء به في ذلك.

٤- نسبته : نسبته إلى غيره من العلوم الشرعية كنسبة الفرع إلى الأصل، فأصل علم السيرة النبوية هو الكتاب والسنة.

٥- فضله : هو من أَجَلّ العلوم وأفضلها، وشرف العلم من شرف المعلوم. فشرف السيرة النبوية

لأنها متعلقة بحياة النبي صلى الله عليه وسلم.

٦- واضعه : سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين مثل أبان بن عثمان وعروة بن الزبير.

٧- اسمه : السيرة النبوية.وعلم القصص والأخبار النبوية .

٨- استمداد : أي مصادره وهى الكتاب والسنة ومرويات الصحابة والتابعين.

٩- حكمه : فرض كفاية تَعَلُّماً وَتَعْلِيماً ، إذا قام به البعض سقط الإثم على الباقين.

١٠- مسائله: فصول وأبواب : منها : ولادته ، وبعثته ، وهجرته ، وغزواته كغزوة بدر وأُحُد وبني المصطلق... وأسفاره صلى الله عليه وسلم وأيامه ولياليه.

من أهم المصنفات فى علم السيرة النبوية :

- ألفية العراقي في السيرة - المؤلف: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦ هـ).
- الدرر في اختصار المغازي والسير - المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣ هـ).
- الرحيق المختوم - المؤلف: صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٤٢٧ هـ).
- الروض الأنف - المؤلف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١ هـ).
- السيرة النبوية - المؤلف: محمد بن إسحاق (المتوفى: ١٥٢ هـ).
- السيرة النبوية - المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤ هـ).
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى - مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء - المؤلف: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: ٥٤٤ هـ).

- الشمائل المحمدية - المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩ هـ).
- القول المبين في سيرة سيد المرسلين - المؤلف: محمد الطيب النجار (المتوفى: ١٤١١ هـ).
- مغازي الواقدي - المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي (المتوفى: ٢٠٧ هـ).
- الوفا بتعريف فضائل المصطفى - المؤلف: جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى:٥٩٧ هـ).
- بداية السول في تفضيل الرسول صلى الله عليه وسلم - المؤلف: عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، عز الدين الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠ هـ).
- بعض فوائد صلح الحديبية - المؤلف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان (المتوفى: ١٢٠٦ هـ).
- تهذيب سيرة ابن هشام - المؤلف: عبد السلام محمد هارون (المتوفى: ١٤٠٨ هـ).
- جمع الوسائل في شرح الشمائل - المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤ هـ).
- جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم - المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦ هـ).
- حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار - المؤلف: محمد بن عمر بحرق الحضرمي الشافعي (المتوفى: ٩٣٠ هـ).
- دروس الهجرة - المؤلف: عطية محمد سالم (المتوفى: ١٤٢٠ هـ).
- دفاع عن الحديث النبوي والسيرة - المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ هـ).
- ذخائر العقبى - المؤلف: محب الدين أحمد بن عبد الله، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٦٩٤ هـ).
- روضة الأنوار في سيرة النبي المختار - المؤلف: صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: ٢٠٠٦م).

- سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد - المؤلف: محمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: ٩٤٢ هـ).
- سيرة ابن هشام - المؤلف: جمال الدين بن هشام، عبد الله بن يوسف (المتوفى: ٧٦١ هـ). ويعتبر كتاب السيرة النبوية لابن هشام من أهم المصادر التي تتناول سيرة النبي بدءًا من ميلاده وحتى لحوقه صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى، وقد اعتمد مؤلفه على سير ابن إسحاق، غير أنه هذبها وزاد فيها ونقص منها وحرر أماكن واستدرك أشياء. وتعتبر سيرة ابن هشام من أجمع وأتقن وأقدم ما دون في السيرة النبوية.
- عيون الأثر - المؤلف: محمد بن عبد الله بن يحي بن سيد الناس (المتوفى: ٧٣٤ هـ).
- غزوات الرسول وسراياه - المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠ هـ).
- فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم - المؤلف: القاضي أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد الأزدي البصري ثم البغدادي المالكي الجهضمي (المتوفى: ٢٨٢ هـ).
- فقه السيرة - المؤلف: محمد الغزالي (المتوفى: ١٤١٦ هـ).
- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين - المؤلف: محمد الخضري (المتوفى: ١٣٤٥ هـ).
- نيل السول من تاريخ الأمم وسيرة الرسول - المؤلف: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى: ١٣٧٧ هـ).
- منية السول في تفضيل الرسول (صلى الله عليه وسلم) - المؤلف: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠ هـ).
- السيرة النبوية - دروس وعبر - المؤلف: مصطفى بن حسني السباعي (المتوفى: ١٣٨٤ هـ).
- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية - المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣ هـ).

(٣٤) مبادئ علم أُصول الدَّعْوَة

كان طلب العلم فى زمن الصحابة رضى الله عنهم اشتغالاً بالقرآن الكريم والسنة المطهرة حفظا وفهما بطريقة موسوعية جامعة فلا تتجاوز الآية الواحدة حتى يتعلم ما فيها من أنواع العلم والعمل معا وذلك من غير تمييز بين أنواع المسائل الشرعية أو تفريق بين ألوانها.
فلما تطاول الزمان كثرت المسائل وتنوعت النوازل واتسعت البلدان واختلط اللسان العربى بالأعجمى وظهرت عجمة فى الأفهام نتيجة لعجمة اللسان واقتضى حسن التعليم ويسر التلقين العدول عن تلك الطريقة الجامعة إلى ما هو أيسر وأقصر فعمد أهل العلم إلى جُمَل من المسائل العلمية التى تشترك فى وحدة موضوعية جامعة فأفردوها باسم يخصها وبلقب يميزها عن غيرها من المسائل فتمايزت بذلك العلوم وتباينت الفنون فى اسمها و رسمها وعرفوا تلك العلوم بما يضبط مسائلها بطريقين غالباً أما بذكر الموضوع والمسائل التى يحتويها العلم وسموا ذلك حدا أو تعريفا . وأما بذكر الفائدة والثمرة و الغاية من دراسة ذلك العلم وسموا ذلك رسما والذى دعا إلى هذا التنويع هو أن فائدة العلم غير موضوعه ومسائله ، فكما أن الثمرة ناشئة عن الشجرة وليست عينها ، فالفائدة مترتبة و ناشئة عن العلم بتلك المسائل فصار العلم الذى يتميز بشخصيته عند علماء التدوين هو جملة المسائل المضبوطة بجهة واحدة موضوعية كانت أو غائية . ثم إنه جرت عادة المصنفين من المتأخرين أن يدونوا مقدمة عن العلم ومسائله وثمراته و ما يتعلق به فى صدر مصنفاتهم.

وهذه المبادىء العشرة :

١- حده : ويقصد به التعريف الجامع لمسائل العلم وبحوثه والمانع من دخول مسائل من علوم أخرى فيه.

٢- موضوعه : وهو المجال المحدد الذى يبحث فيه العلم والجهة التى تتوحد فيها مطالبه ومسائله.

٣- ثمرته : وهى الفائدة التى يحصلها دارس العلم ومتعلمه فى الدارين.

٤- نسبته : ويقصد بها صلة العلم وعلاقته بغيره من العلوم.

٥- فضله : ما للعلم من منزلة وشرف وأهمية بين العلوم.

٦- واضعه : ويعنى به أول من ابتدأ التدوين والتصنيف فى العلم و وضع أساسه وأرسى قواعده كما يشمل تطور التأليف فى العلم و مراحله.

٧- اسمه : و يعنى الالقاب التى أطلقها اهل هذا العلم عليه لتمييزه عن غيره حتى أصبح أعلاما عليه.

٨- استمداده : وهو الروافد والمصادر والأسباب العلمية التى يستمد منها العلم.

٩- حكمه : ويقصد به الحكم الشرعى لتعلم هذا العلم من بين الأحكام التكليفية الخمسة.

١٠- مسائله : وهى المطالب التى يبحثها العلم ويقررها والتى تندرج تحت موضوعه.

١- حده : أى تعريف علم أصول الدعوة

إن التعرف على حقيقة علم ما إنما يكون بالتعرف على مفرداته حال الإفراد ثم التعرف على معناها عند التركيب والإضافة ثم بمعرفة المعنى المصطلحى اللقبى عند الاستعمال والإطلاق وهذا يتأتى بمعرفة معنى كلمتى " أصول " و " الدعوة " و ذلك على النحو الآتى :

تعريف أصول الدعوة باعتبار مفرداته :

تعريف كلمة " أصول: "

لغة : الأصول جمع أصل و يطلق على معان منها :

ما يبنى عليه و ما يتفرع عنه غيره وما يستند تحقيق الشيء عليه و غير ذلك.

اصطلاحا : يطلق الأصل اصطلاحا على الدليل كقولهم : " الأصل فى وجوب الدعوة بالكتاب والسنة " ويطلق على الراجح كقولهم: " الأصل فى حكم الدعوة أنها فرض كفاية " ويطلق الاصل أيضا على القاعدة الثابتة كقولهم : يجوز ترك الإنكار – فى أحوال معينة –على خلاف الاصل. وغير ذلك.

والمختار من هذه الاصطلاحات – مما يناسب موضوع البحث – هو المصطلح الأخير و هو معنى القواعد الثابتة.

تعريف الدعوة :

لغة : تدور مادة كلمة " الدعو " على معنى الطلب والنداء إلى أمر والحث عليه والحض عليه.

ومن دعا بالشيء فقد طلب إحضاره ومن دعا إلى الشيء فقد حث على قصده و سأل غيره أن يجيبه اليه ، قال تعالى : (والله يدعوا إلى دار السلام) - يونس : ٢٥ -. والتعبير بالدعوة يتناول

الدعوة إلى الحق والخير وإلى الباطل و الشر، فمن استعمالها إلى الحق قوله تعالى : (له دعوة الحق) الرعد : ١٤. وقوله تعالى : (وادع إلى ربك) الحج : ٦٧ وقوله صلى الله عليه و سلم لِهِرَقْل فى كتابه : " أدعوك بدعاية الإسلام" أى دعوته .

ومن استعمالها فى الدعوة إلى الباطل ما جاء فى قوله تعالى : (قال رب السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه) يوسف : ٣٣ و قوله تعالى : (أولئك يدعون الى النار) البقرة :٢٢١ و قوله صلى الله عليه و سلم : " ما بال دعوى الجاهلية ؟"

وفى الجمع بين الاستعمالين قوله صلى الله عليه و سلم : " من دعا إلى الهدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا و من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا " أخرجه مسلم . وقوله صلى الله عليه و سلم : " ويح عمار تقتله الفئة الباغية، عمار يدعوهم إلى الله و يدعونه إلى النار " أخرجه البخارى.

اصطلاحا : تطلق كلمة الدعوة فى اصطلاحها الشرعى و عند أهلها من الدعاة و العاملين حيث يعرف معناها بتقدير مضاف إليه محذوف لاشتهاره فهى دعوة الله أو دعوة الإسلام أى أنها دعوة إلى دين الإسلام قال تعالى : (قل هذه سبيلى أدعوا الى الله) يوسف : ١٠٨

والدعوة إلى الإسلام هى دعوة إلى الخير فى أكمل صورها قال تعالى : (و لتكن منكم أمة يَدْعُون إلى الخير ويأمرون بالمعروف و ينهون عن النكر و أولئك هم المفلحون) – آل عمران : ١٠٤

فالدعوة اصطلاحا : نداء الناس إلى الله تعالى إيمانا به و تصديقا و إلى دين الإسلام إجابة و تحقيقا. قال الإمام الطبرى عنها : " هى دعوة الناس إلى الإسلام بالقول و العمل"

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : " الدعوة إلى الله هى الدعوة إلى الإيمان به و بما جاءت به رسله بتصديقهن فيما أخبروا به و طاعتهم فيما أُمروا به "

المعنى الإضافى لكلمتى أصول الدعوة

إن إضافة كلمة " أصول " إلى " الدعوة " يعطى معنى القواعد و الأسس التى يقوم عليها بنيان الدعوة إلى الله تعالى و دين الإسلام .

معنى أصول " الدعوة " بالإطلاق العلمى اللقبى :

إن علم " أصول الدعوة " باعتباره اللقبى يعد عِلْماً جديداً يوشك أن تميز مفاهيمه و تتحجج مبادئه و مقدماته و تحرر حدوده و ضوبطه بعد مرحلة من المد و التعميم و التداخل قد يمثلها التعبير عن هذا الفن بأنه " الضوابط الكاملة للسلوك الإنسانى و تقرير الحقوق و الواجبات" أو بعد مرحلة من الجزر و الانحسار فى جوانب محدودة قد يمثلها تعريفه بأنه " حث الناس على الخير و الهدى و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ليفوزوا بسعادة العاجل و الآجل "

وفى الحق أن علم أصول الدعوة إلى الله ليس قاصرا على دعوة إلى قضايا التوحيد و كلياته و ليس قالصا عن مسائل الفقه و جزيئاته و ليس منحصرا فى جانب البلاغ العام دون حمل الناس على التطبيق و الالتزام و كما أنه يعنى بآداب و لطائف مستحبة فإنه يجمع – أيضا – قواعد وأصولاً واجبة و مع عناية هذا العلم بأركان الدعوة وموضوعها فإنه لا يهمل دراسة تاريخها ووسائلها وحالتها الراهنة وكل ذلك إلا لتتحقق البصيرة فى دعوة ورثة الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه ، قال تعالى : (قل هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى) يوسف : ١٠٨

وقد حاول بعض الدعاة الفضلاء وضع تعريف يطلق مفهوم الدعوة من قيد الحد الاصطلاحى واحترازاته فقال : " هى نقل أمة من محيط إلى محيط " و يعنى بالأمة أمة الدعوة تارة وأمة الاستجابة أخرى فتنقل الأولى من محيط الكفر إلى محيط الإيمان و تنقل الثانية من محيط المعصية إلى محيط الطاعة.

وَبناءً على ما تقدم فإن التعريف المقترح لعلم أصول الدعوة باعتباره اللقبى هو : " علم بقواعد وأحكام وأسباب و آداب يتوصل بها إلى تمام تبليغ الإسلام للبشر عامة و تعليم و تربية المستجيبين كافة وتحقيق التمكين لهذا الدين "

ومما تجدر ملاحظته أن " العلم بالقواعد و الأحكام و الأسباب و الآداب " لا يغفل نوازل الدعوة المعاصرة من حيث القضايا و الأدوات و الإمكانيات و الملكات كما يستوعب تاريخ الدعوات و منهجية العلماء و طريقة المجددين المصلحين فى الدعوة والإصلاح.

كما يلحظ التشابه بين الدعوة و الفتوى فى حاجة كل إلى العلم بالدليل و معرفة الواقع مع نسبة هذا العلم و تفاوته فى كل منهما و لذا يجدر التنبيه إلى أهمية علم الداعى بقضايا المجتمع الكلية و الجزئيات التى تتعلق بالمدعو فى آن واحد.

كما تجدر العناية بأن الدعوة إلى الله تعنى بِأُمَّتَىّ الإجابة والدعوة معا فالدعوة تتجه إلى أهل الإسلام وأهل الكتاب كما تتجه إلى من لا يتدين بدين أصلا فنطاق الدعوة هو البشر كافة.

والدعوة تعنى بالتربية والإعداد والتكوين وتزكية المقبلين وبناء الكوادر الدعوية والعلمية والعملية. والتربية تقوم على دعائم من الربانية والوسطية والإيجابية . وإذا كان التمكين لهذا الدين من الجوانب العملية فى الدعوة فإنه يقتضى بذل كل سبب مشروع لتحقيق هذا الهدف فتأتى الأسباب المعنوية أولا من الإخلاص والتجرد وسلامة المعتقد وصدق الاتباع وصحة العلم ثم الأسباب المادية من العناية بالتربية والأمر والنهى والبصيرة بالواقع والتفاعل الصحيح مع قضايا الأمة و الحرص على الوحدة والاجتماع والتآلف والشمول والتكامل . وعندها يتحقق وعد الله ، وصدق الله تعالى إذ يقول : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا) النور : ٥٥ وقال سبحانه : (و الله غالب على أمره و لكن أكثر الناس لا يعلمون) يوسف : ٢١

٢- موضوعه :

إن موضوع علم أصول الدعوة هو الإسلام من حيث كيفية تبليغ رسالته و قواعد و أحكام السعى لتكون كلمة الله هى العليا فالإسلام يَعْلُو وَ لا يُعْلَى عليه.

قال تعالى : (و من يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه و هو فى الآخرة من الخاسرين) آل عمران : ٨٥، فالإسلام هو طريق الله الذى نصبه لعباده على ألسن رسله و جعله موصلا لعباده إليه ولا طريق لهم إليه سواه بل الطرق كلها مسدودة إلا هذا الطريق و هو إفراده بالعبودية و إفراد رسوله بالطاعة.

وعلم أصول الدعوة حين يدرس تبليغ الرسالة الخاتمة ووراثة النبى صلى الله عليه و سلم فى دعوة أمته و القيام بمهمته يعنى ما يلى :

أ- الدعوة : وذلك من حيث الجوانب التالية :

أولا : المضمون و المقصود و هو بيان الإسلام بمراتبه وأركانه وشرائعه وأخلاقه وأنظمته وخصائصه ومقاصده و محاسنه.

ثانيا : من حيث ما يجب فى بلاغ الدعوة من قواعد حاكمة و ضوابط لازمة وأولويات مرتبة و مآلات مرعية.

ثالثا : من حيث ما يعرض للدعوة من مشكلات ومعوقات و ما يتعلق بها من أحكام و آداب وما يستجد بساحتها من النوازل واستنباط أحكامها الشرعية.

رابعا : من حيث ما يتوصل به لتحقيق أهداف الدعوة من الوسائل والأساليب المشروعة.

ب- الداعى :

كما يعنى علم أصول الدعوة بما يجب على الداعى من واجبات فى نفسه وفى غيره و ما يليق أن يتحلى به من الصفات وما يلزمه أن يتخلى عنه من الآفات وما يتعين عليه التزامه والانضباط به فى جميع ما يتعلق بالدعوة من أعمال وممارسات.

٣- ثمرته :

إن الثمرة الإجمالية من تعلم هذا العلم هى تحقيق غايات الدعوة والدعاة وأهدافهم فى الدنيا من استفاضة البلاغ والهداية وتحقيق النصر والتمكين وفى الآخرة من الفوز بالجنة والنعيم المقيم ومن وراء ذلك كله مرضاة رب العالمين. ويمكن عرض هذه الثمرات بناء على الحيثيات التالية :

أولا : بالنسبة للدين :

• إقامة الدين وذلك بالعمل على تطبيق الشريعة الإسلامية وبسط سلطانها واستئناف الحكم بها والتحاكم إليها والموازنة بين مختلف المصالح فى هذا السبيل.

• اتخاذ المواقف المناسبة من المنكرات القائمة دفعا أو تقليلا مع النظر الى العواقب والمآلات.

• تقويم الفكر المنحرف ودحض العقائد والأفكار الزائفة ومحاربة الزيغ عن الصراط المستقيم فى شتى صوره.

ثانيا : بالنسبة للمجتمع المسلم :

• العمل على استفاضة البلاغ فى الأمة والمجتمعات الإسلامية ونشر العلم بين أبنائها وإظهار السنة وقمع البدعة.

• ويترتب على ما سبق إقامة الحجة على الناس أجمعين والتميز بين الجاهلين والمعاندين حتى تستبين سبيل المجرمين ويعامل كل بما يلق .

• ترشيد السعى لتحرير المقدسات الإسلامية وإشعال روح الجهاد وبعث الأمة فى مواجهة أعدائها

• الأخذ بأسباب القوة المادية و المعنوية ومن ثم حصول النصر المبين وتحقيق العزة والتمكين لمجتمعات المسلمين.

ثالثا: بالنسبة إلى الدعوة ذاتها :

• حماية الدعوة من إلحاق الضرر بها من داخلها أو خارجها واستبانة سبيل المجرمين ورد كيد الكائدين.

• اتخاذ القرارات الملائمة بشأن أولويات الدعوة فى حدود الزمان والمكان مما يعين على تحقيق الأهداف.

• العمل على تكامل الأعمال الدعوية و التنسيق بينها والجمع بين مجهوداتها و الإصلاح بين أربابها.

رابعا : بالنسبة إلى الدعاة :

• تعلم أصول العمل التربوى الفردى والجماعى وممارسة التربية والتزكية بمراحلها وخصائصها وضوابطها مما يحقق وجود الإنسان الصالح.

• تحصيل البصيرة فى حال المدعوين على اختلاف أصنافهم وأحوالهم ومعاملة كل بما يليق.
• تحقيق البصيرة فى كيفية الدعوة بعرض الإسلام بشموله عقيدة وشريعة ديناً ودولة وانضباط الدعاة بالحركة الطموحة فى حدود الممكن بدون إفراط أو تفريط. وإذا كان هدف الأهداف وغاية الغايات من سعى الدعاة هو مرضاة رب الأرض والسموات فإن الإحاطة بعلم أصول الدعوة وفقهها وآدابها وأحكامها وما يحل من وسائلها وأساليبها لجدير بأن يسدد خُطَى العاملين ويحقق ركنى الصواب والاتباع فى العمل ليتحقق القبول مِن ثَمَّ يأتى وعد الله تعالى لعباده المؤمنين بالنصر والتمكين قال عز وجل : (و كان حقا علينا نصر المؤمنين) الروم : ٤٧

٤- نسبته :

إن نسبة وعلاقة " أصول الدعوة " بغيره من العلوم وارتباطه بغيره من الفنون لنسبة دقيقة من حيث أن عناصر هذا العلم مشتقة من أصول علوم اسلامية مختلفة فالداعى إلى الله الدارس لهذا العلم ينبغى له أن يتمكن من معرفة صحيحة بالمسائل الاعتقادية وأن يكون له إلمام وافٍ بالأحكام الشرعية العملية وطرائق استباطها وأصول الاجتهاد والفقه الدعوى إضافة إلى دراسة تاريخ الدعوة ومناهجها وأساليبها ووسائلها وعقباتها ومعمقاتها وما يرتبط بالواقع من دراسات تمس هذا التخصص .فلا غنى عن اجتماع العقيدة والشريعة والمنهج والسيرة والتاريخ والأسلوب العلمى الأمثل لتتحقق البصيرة وبذلك كله يكتمل بنيان هذا العلم.

وبهذه الهيئة الاجتماعية المركبة من عناصر علوم مختلفة يغاير هذا العلم ما عداه من العلوم و الفنون وتظهر شخصيته المتميزة فلا يغنى عنها فى تخصصها الدقيق ولا تغنى عنه فى مجاله لشموله واتساع نطاقه وتميزه بهذه الهيئة المركبة الجامعة إذ ليس هذا العلم علم شريعة أو عقيدة أو مجرد طريقة وأسلوب فى الدعوة أو دراسة فى تاريخ وواقع و بيئة الدعوة زماناً أو مكاناً أو معرفة بمهارات الإدارة و فنون الاتصال وإنما هو ما يجتمع ويتألف من ذلك كله فهو علم ذو شخصية متميزة وعلى ذلك فإن علاقته بغيره من العلوم هى العموم و الخصوص الوجهى فهو أعم من جهة كثرة موارده و روافده وعلاقاته و أخص من جهة ميدانه إلا وهو الدعوة والتربية.

وتأسيساً على ما سبق فإن العلاقة بين العالم المتخصص والداعية المربى حين يمارس كل منهما التعليم والدعوة هى العموم والخصوص الوجهى فدائرة العالم أعم وأوسع من جهة درايته واشتغاله بعلوم الوسائل والآلات كأصول الحديث وأصول الفقه و علوم اللغة و نحو ذلك . ودائرة الداعية أعم وأوسع من جهة درايته واشتغاله بتاريخ وواقع الدعوات و أساليب التربية ووسائل التأثير والتعبير وطرائق الإدارة وفنون الاتصال ونحو ذلك . ولا يمنع هذا التأصيل من القول بأن العلماء عنوا بالدعوة وقضاياها وعلومها وأسبابها كانوا أولى الناس بالدعوة وأقدر الخلق على الهداية و كانت الدعوة بهم أسعد ومسالك الإصلاح و التغيير بهم أرشد إذ العلماء الفقهاء – على التحقيق – هم الدعاة فهم فى الأرض بمنزلة النجوم فى السماء بهم يهتدى الحيران فى الظلماء وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام و الشراب و طاعتهم أفرض من طاعة الأُمهات و الآباء.

٥- فضله :

إن فضائل علم أصول الدعوة يجل عن الحصر ويفوق على العد فإن له ما للقيام بالدعوة من فضائل لأنه بتعلم علمه يحصل عميم الأجر وجزيل الفضل فأجور الدعاة مضاعفة أبدا و الدعاة الفقهاء بأصول الدعوة يترقون فى مقامات الأنبياء تعلماً وتعليماً قائمين على حدود الله يحفظون الدين من الوهن ويجددون أركانه ويرعون سفينة المجتمع أن تغرق فى بحار الشهوات أو الشبهات .

وبتعلم أصول الدعوة يتوصل إلى تحقيق الحكمة الدعوية المأمور بها قرآناً وسنة وتتحقق البصيرة بسبيل الدعوة و أساليبها ووسائلها ويتوصل إلى أحكام الله تعالى فى النوازل الملمة و مناهج التغيير ووسائله ومسائله المستجدة.

فإذا كان الدعاة ورثة الأنبياء فى التزكية والبلاغ فإن الدعاة العلماء فى الذروة من هذه المنزلة. وفى الحديث : " مَن يُرِدِ اللهُ به خَيْراً يُفَقِّهْهُ فى الدِّين " رواه البخارى و مسلم و غيرهما.

قال ابن القيم : " إن افضل منازل الخلق عند الله منزلة الرسالة فالله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس وكيف لا يكون أفضل الخلق عند الله من جعلهم وسائط بينه وبين عباده فى تبليغ رسالاته وتعريف أسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه .... وجعل أشرف مراتب الناس بعدهم مرتبة خلافتهم ونيابتهم فى أممهم بأنهم يخلفونهم على مناهجهم وطريقهم من نصيحتهم للأمة وإرشادهم الضال وتعليمهم الجاهل ونصرهم المظلوم وأخذهم على يد الظالم وأمرهم بالمعروف وفعله ونهيهم عن المنكر

وتركه والدعوة الى الله بالحكمة للمستجيبين والموعظة الحسنة للمؤمنين الغافلين والجدال بالتى هى أحسن للمعاندين المعرضين.

وإذا كان طلب العلم محموداً ومعدوداً فى سبيل الله فإن طلب العلم الذى يتوقف عليه تبليغ الدين وإقامته من أعظم الجهاد ، قال صلى الله عليه و سلم : " أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر " أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى.

وإذا كان دعاء النبي صلى الله عليه و سلم وأهل السموات والأرض للدعاة عموماً فإن الدعاة الذين نفروا ليتفقهوا فى أصول الدعوة هم فى الطليعة من هذا الخير فهم أحسن الدعاة قولاً وأصلحهم فى المسلمين عملا.

وإذا كان جهاد الدعوة بالكلمة له فضل كبير فإنه لا يدرك أمانة الكلمة ولا فقهها مثل الدعاة العلماء بهذا العلم النفيس ، قال عز و جل (ومن أحسن قولاً ممن دَعا إلى الله وعمل صالحًا وقال إننى من المسلمين) فصلت : ٣٣ أولئك والله الأقلون عدداً والأعظمون عند الله قدراً يحفظ الله بهم حججه وبيناته حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها فى قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة و باشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون وصحبوا الدنيا بأبدان متعلقة بالمحل الأعلى أولئك خلفاء الله فى أرضه والدعاة إلى دينه .

وإذا كانت الدعوة إلى الله من أشرف الأعمال وأنفعها عند الله فإنَّ علم أصولها من أشرف العلوم وأنفعها للداعى وللمدعو على حد سواء وكل فضل ثبت للدعاة عموما فأرباب العلم والبصيرة بأصول الدعوة وفقهها به أولى وأحرى . قال تعالى : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) المجادلة : ١١

ولا يفوت فى هذا المقام التأكيد على أن تعلم هذا العلم من أعظم سبل الوحدة والائتلاف ونبذ الفُرْقة والاختلاف وإصلاح ذات البين وما قد يوجد من مظاهر الفرقة والتخالف بين الدعاة مرده إلى أمور كثيرة من أهمها :

غياب أو ضعف العلم الشرعى الأصيل وكذا علم أصول الدعوة وفقه ممارستها وخفوت نور الربانية فى الصدور وضعف التحقق بالأخلاق النبوية والشمائل السلفية. فلا غنى عن غلبة روح التأصيل

العلمى والتفريق بين المقبول والمردود من الخلاف والمحكم والمتشابه من النصوص والقطعى والظنى من الدلالات.

٦- واضعه :

نشأة علم أصول الدعوة و تطوره :

إن مفردات هذا العلم قديمة قدم الدعوة لم ينفك علم الدعوة عن عملها فى منهج الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وما زال علم الدعوة وعملها عبادة يتقرب بها الدعاة إلى الله جيلا فجيل ولما قام عبد الله ورسوله صلى الله عليه و سلم يدعو إلى الله تاليا آياته ومعلماً احكامه ومزكيا اتباعه تخرج أصحابه فى مدرسته وتفقهوا بعلمه وتأدبوا بأدبه وأنجز الله لهم وعده فأظهر دينه وأعلى كلمته وأعز أهله واقتفى التابعون آثار الأسلاف فنشروا الإسلام وبلغوا فيه كل مبلغ فكانت جل الجهود مصروفة إلى حفظ العلم وإتقان العمل.

وعندما بسط الإسلام نوره على الدنيا ودانت له الأرض اتجهت العلوم وجهة التأصيل والتقعيد وكان علم الدعوة أبوابا منثورة فى كتب السنة ودواوينها حينا وفى كتب التفسير وشروحاتها حينا وكتب السير والتاريخ والتراجم أحيانا أخرى ولم يجتمع من ذلك علم بالمعنى الاصطلاحى للعلم لأن مبعث تأصيل العلوم وإفرادها بالتصنيف هو الحاجة إليها ولم تكن الدعوة إذ ذاك عملاً مهجورا ولا أمرا مستورا إذ كان المجتمع الإسلامى كله ناشطا بالدعوة إلى الله تسرى روحها فى أوصاله وتتنفس رحيقها جنباته.

وكانت الدولة الإسلامية آنذاك ترى الدعوة إلى الله أولى وظائفها فى الداخل و محور علاقاتها فى الخارج بل كانت ترى الدعوة سر وجودها و نظام حياتها و بقائها تخاطب بإرسال الدعاة وتدعو باستقبال الوفود وتدعو بالحسبة والتغيير و تزيل العقبات أمام الدعوة بالجهاد .

فكان المجتمع أفرادا و جماعات حكاماً ومحكومين متحققين فى الجملة بقوله تعالى : (الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف و نهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) الحج :٤١

وبقى الأمر مقاربا حتى خلف من بعدهم خلف أضاعوا الواجبات واتبعوا الشهوات وأهملوا العلم والعمل على مختلف المستويات فما استفاقوا إلا على استلاب دولتهم وزوال خلافتهم وتفرق شملهم

وتغير حالهم واستبدالهم بالقوة ضعفا وبالعزة ذلا وبالغنى فقراً . إلا إن السُّبات و إن طال فلابد – بإذن الله – من يقظة والغفلة وإن استمرت فلابد من صحوة و تنادى المصلحون من كل جانب ليعود المسلمون إلى سابق عهدهم و سالف مجدهم وعادت الدعوة لتبعث الأمة من جديد فكتب الدعاة العلماء يشخصون الداء ويصفون الدواء وبرزت الحاجة إلى هذا العلم بإلحاح نظرا لما اكتنف الأمة من جهالة وما أحاط بالعمل الدعوى من غموض فى بعض مفاهيمه وخلل فى بعض أصوله واضطراب فى مناهجه وقصور فى أساليبه وجمود فى وسائله وخطورة فى نوازله وعقبات عملية فى طريقه تهدف إلى وَأْدِهِ تارة وتشويهه وتعويقه تارة اخرى.

وقامت فى العصر الحديث نهضة دعوية وتيارات اسلامية وعرفت المؤسسات الدعوية و الإعلامية وتأسست الكليات الدعوية والأقسام العلمية فى الجامعات الشرعية كل ذلك خدمة لقضية الدعوة ولا جرم أن كان تدوين هذا العلم فى أوله قاصرا محدوداً ثم تكامل واجتمعت أجزاؤه وأركانه فاستوى وقام على سوقه وبلا شك فقد كان أوله – فى العصر الحديث – عاطفة وحماساً وإن لم يخل من تأصيل وتقعيد ثم إن آخره كان فقها وتقعيدا وإن لم يخل من عاطفة و تحميس . فلا عجب أن يستفيد اللاحق من السابق فيؤصل للدعوة مناهجها ويضبط وسائلها وأهدافها ويبصرها بمواضع الزلل ومكامن الخلل ومواطن الرشد وأسباب العلاج وقديما قيل : كم ترك الأول للآخر ؟

ومما تجدر ملاحظته أن التصنيف الخاص فى الدعوة إلى الله أخذ فى بادىء الأمر سمة الوعظ والتذكير والمخاطبة بما يرقق القلوب ويزهد فى الدنيا ويرغب فى الآخرة حيث عرفت أبواب الرقائق فى عامة كتب الحديث كالصحاح والسنن وأفردت أبواب الزهد بكتب مستقلة كالزهد للإمام ابن المبارك والزهد للإمام أحمد ونحو ذلك مما يشتمل على دعوة النفس ومحاسبتها.

ثم جاء ابن الجوزى بكتابه الوعظى " التبصرة " وقد جمعت خطبه ومجالس وعظه فى أسفار عديدة مثل " اللطف فى الوعظ " و " الشفاء فى موعظة الحكام و الخلفاء " ثم أَلَّفَ كتاباً بعنوان " القُصَّاص والمُذَكِّرِين " ضمنه طائفة من القواعد الأساسية فى الدعوة إلى الله و بيانا لكيفية الدعوة و آداب الداعى وشروطه كما ضمنه تراجم مجموعة من القصاص والمذكرين وَنُتَفاً مُضِيئة من جوامع الكلم وروائع البيان عن الصحابة فمن بعدهم وقد سمى ابن الجوزى هذا الفن بأسماء ثلاثة : القصص والتذكير والوعظ فلو قيل: إن ابن الجوزى المتوفى عام ٥٩٧ هـ رحمه الله هو واضع هذا الفن لم يكن بعيدا . عل أن الوعظ والتذكير والقصص كلها تندرج تحت معنى واحد هو الدعوة الى الله

بالكلام أو بالخطابة وما ورد عن السلف من ذم للقصاص فمحمول على ما لم يكن فيه علم الكتاب والسنة أو ما لم يتحر أصحابه فيه الصدق والصواب والإخلاص . ولقد عنى العلماء بالتفصيل فى مسائل علاج النفوس ومداواتها فضرب الغزالى بسهم وافر فى كتابه " منهاج العابدين " وأبواب من " إحياء علوم الدين " و كذا ابن حزم فى كتابَيْهِ " عِلَل النفوس ومُداواتها " و " الأخلاق والسِّيَر . وأوفى على الغاية شيخا الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم فى كتبهما النافعة لا سيما "مدارج السالكين " لابن القيم فى شرح " منازل السائرين " لأبى اسماعيل الهروى وكتاب "حادى الارواح " و" الفوائد " و " التحفة العراقية فى الأعمال القلبية " لابن تيمية وغير ذلك.

وما زال أهل العلم يضعون كُتبا فى الوعظ وفى الخطابة تارة وفى تربية النفوس ورياضتها تارة أخرى وربما جمعوا بين السير والتراجم من جهة والدعوة إلى إصلاح النفوس من جهة أخرى كما فعل أبو نعيم الأصبهانى فى كتابه " حلية الأولياء و طبقات الأصفياء " والإمام الذهبى فى " سير أعلام النبلاء "

وربما جمعوا بين السيرة النبوية والفقه والدعوة إلى الاقتداء والتأسى كما فعل ابن القيم فى كتابه " زاد المعاد فى هدى خير العباد". وربما تضمنت كتب الآداب هذا المعنى ككتاب " أدب الدنيا و الدين " للماوردى و " الآداب الشرعية " لابن مفلح الحنبلى ، كما صنفت كتب مبكرة فى الحسبة وأحكامها وآدابها ككتابى " الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر " لابن الخلال ولابن تيمية و " معالم القربة فى أحكام الحِسْبَة " لابن الأخوة الشافعى . وقد تواكب مع هذا الاتجاه اتجاه آخر يعنى بمقارنة الأديان والرد على المخالفين فى أصل الدين ككتاب " الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح " لابن تيمية و " هداية الحيارى " لابن القيم . إلا أن نقلة نوعية ضخمة فى التصنيف فى هذا العلم قد وقعت بتنحية الشريعة وإسقاط الخلافة فى العصر الحديث ومع محاولات الدعاة والمصلحين لاستئناف الحياة الإسلامية الحقة أَوْجَدَتْ لهذا العلم مداخل وروافد عديدة وصلته بالسياسة الشرعية تارة وبالفقه وأحكام النوازل تارة وبعلوم الحياة ووسائل الاتصال والتعبير تارة.

وبدأ علم أصول الدعوة يتناول بهذا الاسم وتكتب فيه كتب ودراسات وتعد فى تأصيله مداخل وتدرس الدعوة من مختلف جوانبها فقها وتاريخا ومنهجا و خططا ووسائل وفلا عجب أن يستفيد اللاحق من السابق فيؤصل للدعوة مناهجها ويضبط وسائلها وأهدافها ويبصرها بمواضع الزلل ومكامن الخلل ومواطن الرشد وأسباب العلاج وقديما قيل : كم ترك الأول للآخر ؟ ومما تجدر ملاحظته أن التصنيف الخاص فى الدعوة إلى الله أخذ فى بادىء الأمر سمة الوعظ والتذكير والمخاطبة بما يرقق

القلوب ويزهد فى الدنيا ويرغب فى الآخرة حيث عرفت أبواب الرقائق فى عامة كتب الحديث كالصحاح والسنن وأفردت أبواب الزهد بكتب مستقلة كالزهد للإمام ابن المبارك والزهد للإمام أحمد ونحو ذلك مما يشتمل على دعوة النفس و محاسبتها.

٧- اسمه :أسماء علم أصول الدعوة :

تعددت أسماء هذا العلم المبارك و تنوعت وذلك لشرفه وعلو منزلته إذ أن كثرة الأسماء تدل على عظم قدر المسمى ومن أشهر الأسماء المعاصرة ما يأتى :

- علم الدعوة :

وهو أعم أسماء هذا العلم وأوسعها وأشملها وأكثرها تناولاً واستعمالاً ، و باسمه صُنِّفَت كتب كثيرة من أهمها على سبيل المثال : " المدخل إلى علم الدعوة " لفضيلة الدكتور محمد أبو الفتح البيانونى ، حيث عرفه بقوله : " هو مجموعة من القواعد والأصول التى يتوصل بها إلى تبليغ الإسلام للناس وتعليمه وتطبيقه " وعلى هذا الاسم درج كثير من الكُتَّاب و الدُّعاة المعاصرين.

- أصول الدعوة:

وتدخل أدلة الدعوة ومصادرها وأركانها دخولاً أوَّلياً ثم يمتد نطاق هذا المصطلح ليشمل أحكاما وآدابا تتعلق بالدعوة فى وسائلها ونوازلها المتصلة بقضية البلاغ وصنيع من كتب فى أصول الدعوة من العلماء والدعاة بوحى هذا المعنى الواسع كما فى كتاب " أصول الدعوة " لفضيلة الدكتور عبد الكريم زيدان ، حيث شمل كتابه كثيرا مما يتصل بأصول الدعوة وموضوعها ووسائلها وآدابها وما يتصل بالداعى والمدعوين من مسائل وإن خلا الكتاب عن تعريف اصطلاحى دقيق لهذا العلم.

- مناهج الدعوة :

وهذا اصطلاح يتناول خطط الدعوة و نظمها وقد يتوسع فى مفهومه فيتناول الأهداف والأصول والقواعد كما فعل فضيلة الأستاذ محمد سرور زين العابدين فى كتابه : " منهج الأنبياء فى الدعوة الى

الله " حيث قال عن مقصوده عن هذا المصطلح " قصدت الأصول والأهداف التى كانت تجمع بين أنبياء الله جميعا وهذا الذى يعينه كثير من الكتاب فى عصرنا و كما يقولون : " لا مشاحة فى الاصطلاحات"

• فقه الدعوة :

وهو من أشمل هذه الاصطلاحات و باسمه صنفت كتب كثيرة من أهمها : " فقه الدعوة إلى الله " لفضيلة الدكتور على عبد الحليم محمود.

ومن الجدير بالذكر أن أبواب هذا العلم قد أفردت بالتصنيف بل وأفردت بالدراسة على اعتبار أنها علوم مستقلة فى كليات الدعوة و أقسامها بجامعات العالم الإسلامي اليوم.

٨- استمداده :

مصادر وروافد علم أصول الدعوة :

إن علم أصول الدعوة يمتد ليشمل ما يحيط بتبليغ رسالة الإسلام للبشر عامة وتعليم وتربية المستجيبين كافة وتحقيق التمكين لهذا الدين خاصة فيستمد مادته من العلوم الشرعية إضافة إلى ما فى الماضى والحاضر من تجارب ودعوات وما فى الواقع من أسباب ووسائل ومحاولات وما فى النفس البشرية من نزعات و توجهات . والإحاطة بهذه الروافد العديدة يمكن أن يتناول على النحو التالى :

١- علم الإيمان :

فلابد للداعية أن يحيط بأركان الإيمان و حقيقته و مسائله و نواقضه وما يتضمن ذلك من الرد على الملاحدة والدهريين وغيرهم من المخالفين وما لا يسع أن يجهله من مسائل الاعتقاد وأهم من ذلك اتقاد حرارة الإيمان فى الجنان وذلك بالعناية بأعمال القلوب وبواطن العبادات.

٢- علم الأخلاق والسلوك والتربية :

الأخلاق العليا هى فرائض وفضائل فى هذا الدين الحنيف وتأتى بعد علم الإيمان ، فالقرآن المكّى ما عنى بشيء بعد العقيدة عنايته بالأخلاق فيتعين على الداعية أن يحيط علماً بالأخلاق الفاضلة وأن يتحقق بها عملا وسمتا وهديا وأن يتعلم كيف يعلمها ويربى غيره على رعايتها والسلوك عليها و تزكية النفوس عن طريقها.

٣- علم الأحكام:

حيث يتناول أحكام العبادات وما لا غِنَى عنه من أحكام المعاملات وما لا يسع الداعى جهله من مناهج وطرائق الاستنباط والاستدلال وقواعد الفقه وقضاياه الكلية مع الإلمام التام بمحاسن أنظمة الإسلام التشريعية والمالية و السياسية والاجتماعية.

٤- علم السيرة و التاريخ :

فسيرة النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة فيهما البيان لمنهجه العملى صلى الله عليه وسلم فى الدعوة إلى الله فهى القدوة وفيها الأُسوة ومنها تؤخذ العِبْرَة ثم إن فى تاريخ الدولة الإسلامية الراشدة من الحوادث والنوازل ما يضيء طريق أهل الدعوة فى كل زمان ومكان ويبصرهم هدى خير القرون المأمور باتباعهم.

٥- تجارب الدعاة و تصرفات العلماء :

تعد تلك التجارب والوقائع مصدراً مهما فى أصول الدعوة حيث يقف الداعية على اجتهادات السابقين والمعاصرين من أهل الدعوة فيما طرأ من مشكلات وما واجههم من عقبات وفتاوى أهل العلم فى ذلك ومواقف الطوائف المشتغلة بالدعوة من هذه القضايا جملة ويدخل فى هذا دراسة الواقع زمانا ومكانا وأحوالاً ليتمكن من ترجيح الراجح من الأقوال وتقدير المصالح والمفاسد.

٦- علوم العصر و الوسائل المستجدة:

مثل علوم الإدارة وفنون الاتصال ووسائل التأثير وأساليب الخطاب المناسب لزمانها و مكانها والمقيدة – فى نفس الوقت – بقيود الشرع وضوابطه.

٩- حُكْمُه :

إن حكم تعلم هذا العلم ينبىء على حكم الدعوة نفسها ومن أمْعَنَ النظر علم أن الدعوة إلى الله حياة الأديان وأنه ما قام دين ولا انتشر إلا بالدعوة ولا تداعت أركان ملة بعد قيامها و تلاشت إلا بترك الدعوة و التعليم والتذكير .

قال ابن القيم : " إذا كانت الدعوة أشرف مقامات العبد وأفضلها فهى لا تحصل إلا بالعلم الذى يدعو به وإليه ولابد فى كمال الدعوة من البلوغ فى العلم إلى حد يصل إليه السعى"

وقد اتفق العلماء فى الجملة على وجوب الدعوة إلى الله وذلك لعموم قوله تعالى : (ادع إلى سبيل ربك) النحل : ١٢٥ وقوله سبحانه : (وادع إلى ربك) القصص : ٨٧ ثم اختلفوا فى نوعية الوجوب هل هو على التعيين أم على الكفاية ؟ ولكلٍ أدلة قوية ومنهم من رجح القول الأول ومنهم من رجح القول الثانى ومع كون أدلة الفريق الثانى أظهر وأقوى إلا أن ثمرة الخلاف العملية قليلة وذلك لاتفاق الفريقين على أصل الوجوب ولاتفاق القائلين بالوجوب الكفائى على أنه إذا لم تحصل الكفاية أَثِمَ جميعُ القادرين كلٌ بِحَسَبِهِ وكذا فإن القائلين بفرض العين قيدوا الوجوب بالاستطاعة فمن لم يكن عالما بحكم المنكر لم يعد مستطيعا اتفاقا ، ومن كان عاجزا عن التغيير فقد سقط عنه الوجوب إذ مناط الوجوب هو القدرة فيجب على القادر ما لا يجب على العاجز لقوله تعالى : (فاتقوا الله ما استطعتم) التغابن : ١٦ و قوله صلى الله عليه وسلم: " إذا أَمَرْتُكم بأمر فَأْتُوا منه ما استطعتم " أخرجه البخارى ومسلم

وفى الجمع بين القولين قال شيخ الإسلام : " وكل واحد من الأمة يجب عليه أن يقوم من الدعوة بما يقدر عليه إذا لم يقم به غيره فما قام به غيره سقط عنه وما عجز لم يطالب به كما يمكن الجمع بين القولين بتقسيم الدعوة إلى خاصة وعامة فالخاصة فى بيت الرجل وبين أهله وفى سلطانه وهى واجب عينى ، لقوله صلى الله عليه و سلم : " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته " أخرجه البخارى ومسلم.

والدعوة العامة فى سائر المسلمين دعوة إلى الخير وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وهى واجب كفائى ، لقوله تعالى : (و لتكن منكم أُمَّةٌ يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر) آل عمران : ١٠٤

وأخيرا فإنَّ تَحَقُّقَ الكفاية فى الدعوة اليوم أمر متعذر وغير متيسر فدعوة المسلمين مجال رحب فسيح متجدد وأوسع منه وأرحب دعوة غير المسلمين إلى الإسلام ، كل ذلك فى عالم يموج بالفتن وتستحكم فيه الجهالة ويتسع فيه الخرق على الراقع .

ونظراً إلى هذا فإن الدعوة إلى الله عز وجل اليوم أصبحت فرضا عاماً وواجبا على جميع العلماء وعلى جميع الحكام الذين يدينون بالإسلام فرض عليهم أن يبلغوا دين الله حسب الطاقة والإمكان بالكتابة والخطابة وبكل وسيلة استطاعوا ، وألا يتقاعسوا عن ذلك أو يتكلموا على زيد أو عمرو فإنَّ الحاجة بل الضرورة ماسَّة اليوم إلى التعاون والاشتراك والتكاتف فى هذا الأمر العظيم . ولا يرد على هذا الحكم بظاهر قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) المائدة : ١٠٥ بجواز ترك الدعوة حال الهداية فإن ترك الدعوة مخصوص بفساد الحال فى آخر الزمان حيث لا ثمرة ولا أثر للدعوة والإنكار لغلبة الشح المطاع والهوى المتبع وإعجاب كل ذى رأى برأيه كما أن الاهتداء المذكور فى الآية لا يتم إلا بالقيام بالدعوة والأمر و النهى بل إن الآية لتدعو المؤمن ألا يَهاب ويرهب من دعوة الكافر والمنافق والفاجر فإنهم لن يضروه إذا كان مهتديا. ولقد عالج الصديق رضى الله عنه هذا الفهم السقيم فقال : " يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتتأولونها على غير تأويلها وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : " إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أَوْشَكَ اللهُ أن يَعُمَّهم بعقاب من عنده" رواه أبو داود والترمذى وصححه الشيخ الألبانى.

وحال أهل العلم سلفا وخلفا إلى يوم الناس هذا يدل على أنهم لا يدفنون أنفسهم بالعزلة عن نفع الناس بل و يرهبون عن ذلك.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " ترك أهل العلم لتبليغ الدين كترك أهل القتال للجهاد وترك أهل القتال للقتال الواجب عليهم كترك أهل العلم للتبليغ الواجب عليهم ، كما لا ينبغى أن يفت فى عَضُد أهل الدعوة انتفاش الباطل وانتشاره لأن الله إنما كلفهم بالبلاغ وليس بالهداية ولهم فى أنبياء الله

أسوة فإن النبى من أنبياء الله قد يأتى يوم القيامة ومعه الرجل والرجلان وقد يأتى ليس معه أحد ولا يكون هذا عن تقصير فى الدعوة أو إخلال بالبلاغ فإن الهداية مسلمة إلى الله تعالى وحده قال عز و جل : (إِنَّكَ لا تَهْدِى مَن أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِى مَن يَشاءُ) القصص : ٥٦

وقال سبحانه : (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء) البقرة : ٢٧٢ فالدعوة إنما هى (معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون) الأعراف : ١٦٤

وتأسيسا على ما تقدم فإنَّ ممارسة الدعوة إلى الله تعالى واجبة وُجُوباً عَيْنِياً يتفاوت بحسب كل مكلف والعلم قبل القول والعمل فَفَرْضٌ على كل داعية أن يتعلم من علم أصول الدعوة ما يقيم دعوته صحيحة موافقة للهدى والسمت الذى كان عليه الدعاة الأوائل عليهم صلوات الله و سلامه . قال سبحانه وتعالى : (فبهداهم اقتده) الأنعام : ٩٠ والقاعدة الفقهية تنص على أن " ما لا يقوم الواجب إلا به فهو واجب .

فعلى كل داعية أن يستقى من علم " أصول الدعوة " ما لا يسعه أن يجهله من هدى النبى صلى الله عليه وسلم فى الإصلاح والتغيير وأن يدرك سنن الله الحاكمة فى التمكين و الاستخلاف . ثم إنه يجب على بعض الدعاة الفقهاء أن يقوموا بفرض الكفاية من الاجتهاد الذى يهيئهم للنظر فى النوازل الدعوية و يمكنهم من استنباط الأحكام الشرعية وتحقيق المصالح المعتبرة و تكميلها و دفع المفاسد أو تقليلها والموازنة بين الإيجابيات والسلبيات دعماً وتسديداً لمسيرة الدعوة وحفظاً وترشيداً لجهود العاملين .

١٠- مسائل هذا العلم متعددة ومتنوعة ؛ فهي تدور حول مبادئ هذا العلم ومقدماته، وأركان الدعوة وأصولها ومنطلقاتها، والداعي إلى الله وصفاته وواجباته، وتاريخ الدعوة ومنهجها، وأنواع الدعوة وأساليبها ووسائلها، وإدارة الدعوة وطرائقها.

من أهم المؤلفات فى علم أصول الدعوة :

١- أصول الدعوة للشيخ عبد الكريم زيدان.

٢- المنهج السلفى عند الشيخ الألبانى لعمرو عبد المنعم سليم.

٣- الأسس العلمية لمنهج الدعوة لعبدالرحيم المغذوي وهي رسالة أكاديمية من الجامعة الإسلامية

٤- الدرر الغالية في آداب الدعوة والداعية - ابن باديس

٥- فقه الدعوة لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني

(٣٥) مبادئ علم التَّراجِم

علم التراجِم أو علم تراجم الرجال : هو العلم الذي يتناول سِيَرَ حياة الأعلام من الناس عبر العصور المختلفة.

ويُعدُّ علمُ الرجال من العلوم الإسلامية النفيسة التي نشأت في ظل المنهج البياني (النقلي) الذي يُعنى بالنصِّ تأصيلاً ودراسةً؛ وإذا كانت مادة هذا العلم في "الفوائد الرجاليّة"، وفي "الكليَّات الرجاليَّة"، فإنَّ ما يجعل من المادة علماً هو المنهج الذي ينتظمها فيعلي من شأنها، لينقلها من نثير المعارف إلى سلك العلوم، ولعلَّ من نافلة القول إنَّ هناك شيئاً آخر غير المنهج يرجع إليه التمايز بين مدوَّنات العلوم، وإلاّ ما الذي يجعلنا نفاضل بين كتابٍ وآخر على الرغم من اشتراكهما في الموضوع والمنهج. والشيء المعنيُّ هنا هو ثقافة المنهج التي تتفاوت بين مُدَوِّني العلوم.

من أهم المؤلفات فى علم التَّراجِم :

- سير أعلام النبلاء، من تأليف الإمام الذهبي، أحد أشهر وأكبر كتب التراجم والرجال، والكتاب مرتب على التراجم بحسب الوفيات ابتداء من الصحابة إلى نهاية القرن السابع الهجري، وهو كتاب مهم وعظيم، يعمد المؤلف فيه إلى البيان الكامل لاسم صاحب الترجمة، ونسبه ومكانته، وقيمته العلمية ومولده، ونشأته، وعلمه، وشيوخه، وتلامذته، وتاريخ المولد والوفاة، وتقديم النقد في مكانه المناسب، مع نقد الأحاديث.
- أُسْد الغابة في معرفة الصحابة - المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، المعروف بابن الاثير (المتوفى: ٦٣٠ هـ).
- أسماء من يعرف بكنيته من أصحاب الرسول - المؤلف: أبو مسعود المعافى بن عمران بن نفيل بن جابر الموصلي (المتوفى: ١٨٥ هـ).

- الأعلام - المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦ هـ)
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب - المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣ هـ).
- الإصابة في معرفة الصحابة - المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ).
- أعيان العصر وأعوان النصر - المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (المتوفى: ٧٦٤ هـ).
- إكمال الكمال - المؤلف: أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا (المتوفى: ٤٧٥ هـ).
- إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال - المؤلف: مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي، أبو عبد الله، علاء الدين (المتوفى: ٧٦٢ هـ).
- إنباء الغمر بأبناء العمر - المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ).
- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام - المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨ هـ).
- تذكرة الحفاظ - المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨ هـ).
- تراجم رجال الدارقطني في سننه الذين لم يترجم لهم في التقريب ولا في رجال الحاكم - المؤلف: مقبل بن هادي الوادعي (المتوفى: ١٤٢٢ هـ).
- تقريب التهذيب - المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ).
- تهذيب الأسماء واللغات - المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦ هـ).
- حلية الأولياء - المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠ هـ).

- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر - المؤلف: عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار (المتوفى: ١٣٣٥ هـ).
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر - المؤلف: محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد (المتوفى: ١١١١ هـ).
- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة - المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ).
- الروض الأنيق في فضل الصديق - المؤلف: عبد الرحمن بن أبو بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ).
- الرياض النضرة في مناقب العشرة - المؤلف: محب الدين أحمد بن عبد الله، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٦٩٤ هـ).
- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر - المؤلف: محمد خليل بن علي المرادي (المتوفى: ١٢٠٦ هـ).
- صفة الصفوة - المؤلف: جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧ هـ).
- الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع - المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (المتوفى: ٩٠٢ هـ).
- الطبقات الكبرى - المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠ هـ).
- العبر في خبر من غبر - المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨ هـ).
- غاية النهاية في طبقات القراء - المؤلف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣ هـ).
- الغرر في فضائل عمر - المؤلف: عبد الرحمن بن أبو بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ).
- الكنى - المؤلف: البُخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦ هـ).

- الكنى والأسماء - المؤلف: أبو بِشْر محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد بن مسلم الأنصاري الدولابي الرازي (المتوفى: ٣١٠ هـ).
- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة - المؤلف: نجم الدين محمد بن محمد الغزي (المتوفى: ١٠٦١ هـ).
- معجم ابن الأعرابي - المؤلف: أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم البصري الصوفي (المتوفى: ٣٤٠ هـ).
- معجم الصحابة - المؤلف: أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المَرْزُبان بن سابور بن شاهنشاه البغوي (المتوفى: ٣١٧ هـ).
- معرفة الصحابة - المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠ هـ).
- المنتخب من كتاب ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين - المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠ هـ).
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال - المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨ هـ).
- الوافي بالوفيات - المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (المتوفى: ٧٦٤ هـ).
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (المتوفى: ٦٨١ هـ).

(٣٦) مبادئ علم التَّاريخ

للتاريخ الإسلامي مكانة وأهمية عظمى، لا يدانيه أي تاريخ آخر للأمم غير المسلمة، فينبغي للمسلمين العناية به، ومعرفة الغاية من دراسته، فهو لا يدرس للتسلية وإنما للعظة والعبرة وأخذ الدروس والاستفادة من التجارب المذكورة فيه. وإليك مقدمة عن أهمية دراسة المصادر التاريخية ومعرفتها.

تعريف التاريخ لغة واصطلاحا

ذَكَر أهل اللغة فيه معاني عدة: فمن قائل: إن التاريخ هو الإعلام بالوقت، أو التعريف بالوقت،

يقال: أرخت المولود أو الحدث في يوم كذا، أو أرخت الحادثة الواقعة في بلد كذا، أي: عرفتها بالوقت أو حددتها بالوقت أو أعلمت بوقتها.

ونقل صاحب كشف الظنون عن بعض أهل اللغة : أن التاريخ هو تعيين وقت ينسب إليه زمان يأتي عليه أو مطلق الزمان، سواءً كان ماضياً أو مستقبلاً.

وقيل أيضاً فيه: إنه تعريف الوقت بإسناده إلى أول حدوث أمر شائع، من ظهور ملة أو دولة أو أمر هائل مما يندر وقوعه.

وهذا معنى واضح ومهم؛ لأن الأحداث مرتبطة بالزمن، إضافة إلى أن بعض الحوادث تجعل مقياساً تاريخياً، على سبيل المثال: حادثة الفيل، يقال فيها: ولد بعد عام الفيل بعامين، ولد قبل عام الفيل بكذا، أي: أن هذه الحادثة كانت عظيمة وهائلة وغير مألوفة ونادرة وليست متكررة؛ فعرفها الناس، وتناقلوا خبرها، وضبطوا وقتها، ثم جعلت مقياساً بعد ذلك. وكما أرخ المسلمون أيضاً في عهد عمر رضي الله عنه بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنها كانت حدثاً عظيماً ترتب عليه بناء الدولة الإسلامية، والتحاق المسلمين بالنبي عليه الصلاة والسلام في المدينة المنورة، فجعل هذا الحدث العظيم -الذي هو حدث نادر غير متكرر- مقياساً تاريخياً، ولا يزال حتى هذا اليوم مقياس تاريخنا إلى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم.

أما تعريف التاريخ في الاصطلاح كعلم مستقل بذاته، فإن الأقوال فيه مسترسلة ومطردة، بمعنى: لم يأخذ العلماء فيه بما يقال في التعريفات: لابد أن تصان عن الإسهاب، وأن تكون جامعة مانعة، وإنما ذكر بعض المؤرخين تعريفات فيها إطلاق القول، وتكثير المترادفات، مما الأصل أن يصان عنه التعريف، فمن ذلك ما ذكره صاحب كشف الظنون في تعريف التاريخ حيث قال: إنه معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائع أشخاصهم وأنسابهم ووفياتهم.

وهذا التعريف شامل للأبعاد الثلاثة التي هي: البعد المكاني، والبعد الزماني، والبعد الإنساني المتعلق بالأشخاص.

قوله: معرفة أحوال الطوائف. أي: الأشخاص والقبائل.

وقوله: وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم ووفياتهم. هذا من الناحية الاجتماعية.

وقوله: وبلدانهم. هذا يتعلق بالناحية المكانية.

أما ابن خلدون فيعرف التاريخ بقوله: هو إخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأول.

ثم يستطرد في ذكر الأمور التي تحدث في هذه الأزمان، كظهور دولة، أو ظهور ملك، أو موت عالم، أو نحو ذلك.

ثم أضاف إضافة مهمة تتعلق بتعريف التاريخ فقال: وفي باطنه -أي: في باطن علم التاريخ- نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة وعريق، وجدير بأن يعد في علومها وخليق.

وهذه إضافة مهمة تدل على أن علم التاريخ يتعلق بالمعرفة الدقيقة للحوادث، والمنهجية التوثيقية للإخبار بها، كما أنه يرتبط بالنظر والتحليل والتعليل، وهي معرفة الأسباب وتحليلها، وهذا لا شك أنه أمر مهم كما سيأتي الحديث عنه.

والسخاوي يعرف التاريخ على نحو ما ذكره ابن خلدون فيقول: هو التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال من مولد الرواة والأئمة، ووفاتهم.

ثم ذكر أشياء كثيرة مما يؤرخ له، قال: وما أشبه هذا مما مرجعه للفحص عن أحوالهم في ابتدائهم، وحالهم في استقبالهم.

ثم أضاف إضافة مهمة فقال: ويلتحق به ما يتفق من الحوادث والوقائع الجليلة، من ظهور ملة أو كذا أو كذا.

وربما يتوسع فيه من بدء الخليقة وقصص الأنبياء وغير ذلك من أمور الأمم، وأحوال القيامة ومقدماتها.

وهذا قد صنعه بعض المؤرخين حيث أدخلوا في التاريخ ما وردت الأخبار به عن أحوال يوم القيامة، وإرهاصاتها ومقدماتها، وأدخلوه في التاريخ؛ لأنه كائن لا محالة.

وبهذا نستطيع أن نقول: إن علم التاريخ في هذه التعريفات التي أشرت إليها، يتعلق بجمع المعلومات والأخبار عن البلدان، وعن الأشخاص من حيث النشاط البشري الإنساني عبر الزمان، وكذلك عن الزمن وما يتعلق به من هذه الأحداث والأشخاص، فنقول مثلاً: زمن قيام الدولة الأموية من عام (٤١هـ) حتى عام (١٣٢هـ) فهذا زمن أرخنا به.

أو يقال في وَفَيات الأشخاص أو في مواليدهم: إن فلاناً ولد عام كذا، أو مات عام كذا، فهذا أيضاً تاريخ.

أو يقال مثلاً عن البلدان : إن أول من خط أو بنى الفسطاط هو فلان، وكان ذلك في عام كذا. أو فتح المسلمون بلدة كذا في عام كذا. فهذا كله تاريخ من هذا الباب.

فائدة التاريخ وأهميته :

النقطة الثالثة المهمة : فائدة التاريخ وأهميته.

وهذا الموضوع في غاية الأهمية ؛ لأن كثيراً من الناس لا يفطن إلى أهمية التاريخ وفائدته، وأكثر ما عنده أن التاريخ أحداث مشوقة ومسلية، وفيها غرائب وطرائف، ولا شيء وراء ذلك.

ولكن في الحقيقة للتاريخ فوائد عظيمة جداً، لو تأملنا فيها لكان ارتباطنا بتاريخنا واتصالنا به واطلاعنا عليه وقراءتنا له واستنباطنا منه أكثر بكثير مما هو حال كثير منا، وعلى وجه الخصوص حال كثير من شباب الأمة، الذين ربما كانت لهم مطالعات واجتهادات في تحصيل بعض العلوم، وبعض تخصصاتها أدنى أهمية من التاريخ، وأذكر بعضاً من هذه الفوائد:

الفائدة الأولى: الفائدة التربوية من تاريخ الرسل والأنبياء والصحابة والأئمة

إن الفائدة التربوية من أعظم الفوائد وأجلها، والله سبحانه وتعالى قد قص على النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وعلى أمته قصص الأنبياء والمرسلين، حيث قال جل وعلا: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الألْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [يوسف:١١١].

والله جل وعلا خاطب النبي الكريم عليه الصلاة والسلام بقوله: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ ﴾[الأنعام:٩٠].

وإنما قص علينا هذا لنأخذ العبرة والفائدة التربوية التقويمية التهذيبية، التي نقوم بها الأخطاء، ونكمل بها النقص.

والله جل وعلا يخاطب الأمة بقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو

اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[الأحزاب:٢١].

فالسيرة مهمة جداً، وهي جزء من التاريخ، وقد جعل الله عز وجل سيرة النبي عليه الصلاة والسلام قدوة وأسوة نقتدي بها ونستفيد منها ونتربى عليها.

قال ابن عبد البر في كتابه: (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) متحدثاً عن الصحابة: يجب علينا الاهتداء بهديهم، فهم خير من سلك سبيله - أي: سبيل النبي صلى الله عليه وسلم- واقتدى به.

وفي التاريخ أخبار الرسل والأنبياء والنبي عليه الصلاة والسلام والصحابة، وكذلك علماء الأمة، قال ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله:

(فمن قرأ فضائل مالك وفضائل الشافعي وفضائل أبي حنيفة بعد فضائل الصحابة والتابعين، وعني بها، ووقف على كريم سيرهم وهديهم؛ كان ذلك له عملاً زاكياً).

فالفائدة التربوية عظيمة جداً من كتب التاريخ، سيما عند المؤرخين الذين يشيرون إلى مثل هذه الفوائد، ولا بأس أن نذكر بعض الأمثلة السريعة، وإن كان سيأتي استعراض بعض هذه الكتب.

الإمام الذهبي رحمة الله عليه كان من المكثرين في التعليقات والفوائد التربوية المتعلقة بتراجم الأعلام الذين ترجم لهم في كتب كثيرة، ومن أهم هذه الكتب كتاب (سير أعلام النبلاء)، وكتاب (تاريخ الإسلام)، وكان كثيراً ما يذكر المواقف ثم يقول: قلت، وعندما تجد للذهبي كلمة قلت؛ فعظ عليها بالنواجذ، وتأمل ما بعدها، فإنه استخلاص عالم، واستنباط فقيه، وتدقيق محدث، وعلم مؤرخ، فقد كان يكثر من ذلك، وأحيل على سبيل المثال إلى أول المجلد العاشر في ترجمة الإمام الشافعي فقد ذكر من التعليقات على مواقف الشافعي وأقواله كلاماً نفيساً يرجع إليه ويستفاد منه، وليس المقام مناسباً لنقله.

وابن كثير رحمة الله عليه في البداية والنهاية له تعليقات موجزة مختصرة، لكنها في غاية النفع والفائدة، فإذا ذكر على سبيل المثال- ما وقع لظالم من الظلمة أو لجبار من الجبابرة ونحو ذلك، فبعد أن ينتهي من القصة يعلق عليها تعليقاً يسيراً، لكنه في نفس الوقت تعليق مهم ومفيد، فيقول مثلاً: وهكذا من أعان ظالماً سلط عليه. فهذه الكلمات عبارة عن استنباط، وعن فائدة تربوية عظيمة، ونجد كثيراً من ذلك في كتب التاريخ.

الفائدة الثانية : معرفة وإدراك السنن الإلهية :

إن معرفة وإدراك السنن الإلهية مهم جداً؛ فإن الله سبحانه وتعالى قد جعل في الحياة البشرية سنناً، وهذه السنن هي التي تحكم حياة الناس وقيام الدول وزوالها، وفلاح الناس وخسرانهم، كل ذلك مضبوط بهذه السنن.

والتاريخ يصدق هذه السنن التي جاءت في النصوص الشرعية، ومن هذه السنن قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾[الرعد:١١].

فانظر على سبيل المثال كيف كان أواخر الدولة الإسلامية في الأندلس؟! كيف غير المسلمون حالهم فغير الله عز وجل حالهم؟!

وتجد أيضاً قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾[آل عمران:١٤٠] وترى كيف تزول الدول وكيف تقوم... إلى غير ذلك من الصور المتعلقة بهذا.

والله جل وعلا قد وجه المسلمين إلى أن يتأملوا في التاريخ؛ لينظروا إلى هذه السنن، كما قال جل وعلا: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٧]، وقال جل وعلا: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾[فاطر:٤٣].

فهذا أمر في غاية الأهمية، وهو مما يستنبط ويستفاد من علم التاريخ.

الفائدة الثالثة : الفوائد العلمية

إن الفوائد العلمية جديرة بأن يفرد الحديث عنها ويطول؛ لأن كتب التاريخ لا تشتمل على التاريخ وحده، بل تجد كثيراً من كتب التاريخ يضم في ثناياه معلومات ومسائل تتعلق بالحديث والفقه واللغة والاجتماع، ونحو ذلك من أمور يطول ذكرها، وحسبنا مثلاً أن نعرف أن مقدمة ابن خلدون الشهيرة التي فيها تاريخ للعلوم، وفيها أسس لعلم الاجتماع، وفيها بيان لأسس العمران والحضارة، هي مقدمة لكتابه التاريخ.

فهذا يدلنا على أن كتب التاريخ ليست قصصاً وأخباراً فقط، وإنما في ثناياها كثير من هذه الفوائد، ولعل من أعظم فوائد العلوم المنشورة في كتب التاريخ - سيما كتب التاريخ المتقدمة- ما

يتعلق بعلم الحديث وتراجم الرواة.

يقول سفيان رحمه الله: لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ؛ لأن التاريخ يكشف ويبين التدليس، ويبين الإرسال، ويبين الانقطاع.

دخل بعض الناس إلى بلاد المشرق، وجعل يروي بعض الروايات، وقالوا لـابن المبارك : إن فلاناً يروي أحاديث ما ندري ما هي؟ فجاء فسأله فقال: متى ولدت؟ قال: ولدت عام كذا، قال: إن هذا يروي لكم عمن مات قبله بعشر سنوات. يعني: هو كاذب.

إذاً: فالتاريخ من شأنه الحفاظ على الحديث والرواية، وهذا من أعظم الفوائد والمنافع، ولذلك اهتم كثير من العلماء بالتاريخ ؛ لكونه يتعلق بالدرجة الأولى بالحفاظ على سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

الفائدة الرابعة : عرض المسائل النحوية والفقهية والتطرق إلى تاريخ واضعها

هناك أيضاً فوائد عجيبة من دراسة التاريخ، على سبيل المثال: الذين يعرضون مسائل لغوية ونحوية وصرفية دقيقة جداً، كثير منهم يبدأ بذكر من هو أول من وضع علم النحو؟

ويذكر ما روي عن الإمام علي رضي الله عنه أنه أمر أبا الأسود الدؤلي بوضع علم النحو، ثم يترجمون لـأبي الأسود ، وتاريخ نشأة هذا العلم.

وهذه ليست فائدة تاريخية بحتة، وإنما هي أيضاً فائدة مستقلة، إضافة إلى ما هو منشور في هذه الكتب من مسائل نحوية.

كذلك عندما يأتي الحديث عن علم آخر غير النحو، فهذه ليست فائدة تاريخية بحتة، وإنما هي أيضاً فائدة عن المترجم بالمسائل التي تفرد بها في الفقهيات، وما خالف فيه غيره، وما اعترض عليه بعض العلماء، ومناقشة هذه المسألة... إلى أمور ومفردات كثيرة فيها فوائد عظيمة.

الفائدة الخامسة : معرفة الأحوال العامة في حياة الناس

من هذه الفوائد أيضاً: ما يتعلق بالأحوال العامة في حياة الناس من معرفة أمور الناس وأحوالهم ومعاشاتهم واهتماماتهم، وكلما يرسم صورة واضحة عن طبيعة المجتمعات في تلك الفترات الزمنية أو

التاريخية، وهذا باب طويل جداً.

الفائدة السادسة: الاستفادة من التجارب والخبرات في الحياة

ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أنتم أعلم بأمور دنياكم)، والتاريخ يقدم عصارة تجارب الأمم، وخلاصة الخبرات الإنسانية في أمور الحياة الدنيوية، مما لا يتعارض مع الأحكام الشرعية، بحيث يمكن للمسلمين إذا قرأوا تاريخ تلك الأمم كيف أسست بنيانها! كيف أقامت بعض معالم حياتها! كيف كونت أسس حضارتها في بعض الأمور الحياتية! فإن هذا الباب يمكن أن يضيف إلى المسلمين فوائد عظيمة جداً.

الفائدة السابعة : حقيقة الأمم في ظلال الإسلام

إن معرفة الحياة في ظلال الإسلام فائدة مهمة جداً؛ لأن هناك شبهات كثيرة تدور حول عدم صلاحية الإسلام لإقامة الدولة كما يقولون، والآن ينادي كثير من العلمانيين وغيرهم إلى الدولة المدنية، ويسمون الحكم الإسلامي أو الدولة الإسلامية: الإسلام السياسي ونحو ذلك، ويدعون أن هذا المعنى لا يمكن أن يتحقق، وقد جمعوا في ذلك لقطات وروايات شاذة، أو وقائع منفردة ليؤكدوا هذا، فأحدهم -وهو مؤلف كتاب: (ما قبل السقوط)- يجمع حوادث معينة من فترات معينة من التاريخ؛ ليستدل بها على أن الفترات التي كان فيها قيام دولة دينية لم تكن دولة مدنية، وإنما كانت فترات ظلم واضطهاد وكذب ومصادرة للحريات وغير هذه الكلمات المفترية.

وآخر ينشر مقالات متعددة في إحدى المجلات ويقول فيها: وضربوا - أي: الحكام- الأئمة بالسياط، ويأتي بالمحن التي مرت بالإمام أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، وكلهم قد وقع له أذى أو سجن أو ضرب، أو نحو ذلك، ويقول: هذه هي الدولة الدينية أو الإسلامية التي تريدونها، وأعلامها وعلماؤها قد وقع لهم هذا ؟!

نقول: عندما نقرأ التاريخ نرى صوراً مشرقة غير هذا الذي يدس لنا، وغير هذه الوقفات واللقطات التي تنتقى لنا بخبث ومكر ودهاء؛ لنحتار أو نضطرب أو نتشكك أو نرفض حكم الإسلام، كما قد يقع في ذلك بعض المسلمين الذين يرفضون أن يكون حكم الإسلام هو الذي يعمهم ويشملهم.

وهذا باب واسع، وأحياناً يردون علينا بأننا لا نستشهد إلا بعهد عمر بن الخطاب وعهد عمر بن عبد العزيز ثم ليس عندنا شيء وراء ذلك، فنقول: لو قرأنا التاريخ لوجدنا ليس عشرات وإنما

مئات الأمثلة، ولا أستطرد في ذلك، ولكن أقول: اقرأ عهد عبد الرحمن الداخل في الأندلس، والناصر الذي جاء بعده، وانظر ما كان في عهدهما من استقرار ومن رخاء ومن توسع وعمران وحضارة.. إلى غير ذلك.

وانظر إلى الممالك الشرقية، وما كان في عهد الملك مودود ومن قبله من آبائه، وكذا الغزنوي، واقرأ فتوحات بلاد الهند والسند، وتاريخ محمد بن القاسم.. إلى غير ذلك، وستجد أمثلة كثيرة جداً تؤيد هذا المعنى.

إن التاريخ قائم بدحض الشبهات، والرد على المفتريات والمقالات الباطلة والزائغة والمنحرفة.

على سبيل المثال : يشيع كتاب التاريخ من المستشرقين ومن وافقهم من بعض المؤرخين المعاصرين نظرية: تطور الديانات، ويزعمون أن الإنسان البدائي كان مثلاً يخاف من الحيوانات فعبدها، ثم بعد ذلك تطور فصار يخاف من الشمس والبرق فصار يعبدها، ثم تطور هذا الإنسان وجاءت الديانات في مرحلة من مراحل التطور.

نقول : إن التاريخ الصحيح ينبئنا أن أصل الدين في هذه الحياة الدنيا هو دين التوحيد والإسلام من لدن آدم عليه السلام إلى أن جاء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بدين الإسلام الخاتم، وعندما نقرأ التاريخ نستطيع أن ندحض هذه المفتريات وهذا الكذب.

وهكذا نظرية داروين التي تقول: بأن أصل الإنسان قرد.

لا يوجد أي تاريخ من تواريخ البشر يروي لنا: أنه كان في بلد من البلاد أو في عصر من العصور من كان من البشر يشبه القرد، أو أن قرداً تحول إلى إنسان، التاريخ يدحض هذا، فعندما نقرأ في التاريخ نعرف كثيراً من الأمور التي تتعلق بالنواحي العقدية، بل حتى من النواحي الفكرية، ومن النواحي المتعلقة بالجهاد وما يثار حوله اليوم، فإنه يقال على سبيل المثال: إن الجهاد نوع من الإرهاب، ونوع من القسوة وعدم الإنسانية، ولو قرأنا تاريخ الأمة الإسلامية لرأينا كيف كان جهادها، وكيف ترفع المجاهدون عن كل هذه المعاني المغلوطة، وعن كل هذه المثالب، وعن كل الأمور التي يشوهون بها تاريخنا.

لو قرأنا التاريخ لعرفنا أن هذا كله باطل، حتى ما يتعلق بأمور التنمية وأمور الحضارة، مثل قول بعض أبناء المسلمين: كنا قبل كذا قرن نعيش في تخلف وتأخر!!

ويقصد بذلك عهد النبي عليه الصلاة والسلام وعهد الصحابة .

فهذه الشبه التاريخ يدحضها دحضاً.

ونقول لهؤلاء: هاتوا لنا من التاريخ ما يشهد لأقوالكم، فعندنا ما يشهد لأقوالنا.

الفائدة التاسعة : معرفة الحركة العلمية في كل عصر ومصر

إن معرفة الحركة العلمية في كل عصر ومصر من أعظم وأجل الفوائد التي يخرج بها المطَّلع على التاريخ؛ لأن في كل زمان يؤرخ لأعلامه العلماء والمذاهب التي وجدت فيه، والكتب التي صنفت، والمسائل التي بحثت، والمناظرات التي وقعت، وإذا بك تعرف نشأة العلوم والعلماء البارزين في كل علم من العلوم، والإضافات التي وجدت في هذه العلوم، حتى أرخوا أول من أدخل: سنن النسائي إلى بلاد المغرب، وأول من أدخل كتاب كذا إلى بلاد المشرق، من الذي كان يرصد مثل هذه الأمور ؟

إنها كتب التاريخ، فقد كانت ترصدها رصداً عجيباً، وتجد في التاريخ فوائد من أمتع وأنفع وأروع ما يمكن، وتجد كذلك أيضاً ما يتعلق بالتاريخ الفكري والعلمي للمذاهب، حتى المذاهب المنحرفة.

فالتاريخ ذكر متى حصل التشيع، وما ظروفه وملابساته، ومن أول من قعَّد له، ومن أول من صنف فيه، وما الدول التي ناصرته، على سبيل المثال: دولة البويهيين لما استولت على الخلافة في بغداد في الثلث الأول من القرن الرابع ناصروا التشيع والرفض، حتى كتبت مسبة الصحابة على محاريب المساجد في بغداد وغيرها. وهكذا أيضاً: دولة الفاطميين العبيديين الرافضة الذين وصفهم الذهبي في سير أعلام النبلاء بقوله: الدولة الفاطمية الرافضية العبيدية اليهودية، وارجعوا إلى سير أعلام النبلاء؛ لتجدوا حقيقة هذه الدولة الرافضية الخبيثة.

إذاً: نعرف بواسطة التاريخ هذه الحركات والمذاهب، وتاريخها، وكتبها، وأول ما بدأت مثل هذه الأمور، وهذه فوائد عديدة ومهمة جداً.

الفائدة العاشرة: نقض البدع والخرافات والمحدثات المنحرفة

إن نقض البدع والخرافات وكثير من المحدثات التي يريد أن يقررها بعض الناس، وكثير من

الخرافات التي يعتقدها بعض الناس، يكون عن طريق البحث عن تاريخها.

ولا بأس أن نروي هذه الطرفة التي تشيع عند الناس: وهي أن رجلين من العاطلين الباطلين، لم يكن عندهما عمل ولا مال، فعمدا إلى كلب فذبحاه ثم دفناه ثم أقاما عليه قبراً وجعلا له بناءً، ثم قالا: هذا قبر فلان الولي، ثم دَعَوَا الناس له، وصارا هما السادنان لهذا القبر المزعوم، فجاءتهما الوفود من الناس يهدون القرابين، ويدفعون الأموال، فلما اختلفا في قسمة الأموال قال أحدهما: وحق الشيخ فلان، يقسم بهذا الولي المزعوم، فقال الآخر: نحن ذبحناه معاً!

فعندما تبحث في التاريخ تجد مثل هذه الأمور المتعلقة بتعظيم الأضرحة، هل كانت في عهد النبي عليه الصلاة والسلام؟

الجواب: لا، ابحث في التاريخ هل كانت في عهد الصحابة؟ متى نشأت؟ في أي مكان؟

فتستطيع بواسطة التاريخ أن تدحض مثل هذه الأمور، وأن تنقضها.

وهكذا حتى في تاريخ الديانات، فالتثليث متى دخل إلى النصرانية؟

التاريخ ينبئنا أن بولس هو الذي أنشأ التثليث في المؤتمر الذي كان بعد الألف الأولى من رفع عيسى عليه السلام، وهذا التثليث من دس اليهود الذين أفسدوا الديانة المسيحية بإدخال التثليث فيها.

وهكذا تجد أمثلة كثيرة فيما يتعلق بالخرافات والبدع والمحدثات، فعندما تتتبع التاريخ تجد من أسسها، من أول من بدأها، وتجد كثيراً من هذه البدايات تشوبها شبهات، إما أن وراءها يهود أو زنادقة أو غيرهم كميمون بن ديصان القداح الذي أدخل الباطنية، وغيره ممن أدخل الشعوبية في الأمة الإسلامية، ونحو ذلك، وهناك أمور يطول ذكرها.

الفائدة الحادية عشرة : إظهار الحقائق وكشف المغالطات

إن التاريخ لا يرحم عند إظهار الحقائق وكشف المغالطات؛ لأن التاريخ يسجل كل الوقائع، وكما يقولون في عبارة جميلة وشائعة: قد تخدع كل الناس بعض الوقت، وقد تخدع بعض الناس كل الوقت، لكن أن تخدع كل الناس كل الوقت فغير ممكن.

قد تجد بعض السذج وتضحك عليهم وتخبرهم أخباراً وأحوالاً مكذوبة فيصدقونك ما شاء الله أن

يصدقوك، لكن غيرهم سيكذبونك ويعرفون أنك لم تكن صادقاً في هذه الروايات، وقد تدلس على الناس كلهم فيصدقونك في بعض الأوقات، ثم يمر الزمن وتتكشف الحقائق كما يقولون.

على سبيل المثال: من الأمور التي أشاعها بعض ذوي الأغراض في بعض الكتب التي لها صلة بالتاريخ ككتاب الأغاني والعقد الفريد وغيرهما، ما يذكر عن سيرة هارون الرشيد ومجالس منادمته وشربه الخمر ومجالس القيان وغير ذلك، فهذه الأمور شاعت حتى كاد بعض الناس أن يسلِّم بها، لكن إذا رجعت إلى ما أورده ابن خلدون في أول مقدمة التاريخ، ذكر ما أسماه الأوهام التي وقع فيها بعض المؤرخين، وذكر عن الإمام الطبري ما نقله عن هارون الرشيد أنه كان يحج عاماً ويغزو عاماً، وأنه كان يصلي في اليوم والليلة مائة ركعة، فهل الذي يصلي في اليوم والليلة مائة ركعة يعقل أن يكون من أهل السكر والإدمان والخنا والفجور؟! إلى غير ذلك.

وهكذا لما لبس على الناس في التاريخ المعاصر بشخصية أتاتورك الذي أشيع أنه منقذ المسلمين، وأنه كذا وكذا وكذا، ثم يكشف التاريخ أنه لا أصل لهذه الشائعات، وأنه ابن سفاح، وإذا له عروق وجذور يهودية، فهو ينسب إلى يهود (الدونمة) في تركيا، وظهر أنه أكبر متآمر على الإسلام والمسلمين، وأكبر مجرم في حق التاريخ الإسلامي المعاصر حيث نقض الخلافة الإسلامية.

إذاً: عندما تقرأ التاريخ تكتشف هذه المغالطات الخطيرة التي تغير أفكار الناس.

الفائدة الثانية عشرة: إعادة الأمل وبث الحماسة في نفوس المسلمين

آخر الفوائد التي نذكرها على عجالة هي: إعادة الأمل وبث الحماسة في نفوس المسلمين، وذلك عندما يرتبطون بتاريخهم وأمجادهم وقادتهم وعلمائهم وأمرائهم وملوكهم، عندما يرون هذه الصفحات المشرقة، وعندما يقفون على هذا التراث العلمي الزاخر، وعندما يجدون هذه المؤلفات التي ربما لا يستطيعون حصر أسمائها فضلاً عن أن يقفوا عليها أو أن يقرءوها.

هذا كله يجعلهم على أمل وعلى يقين -إن رجعوا إلى دين الله عز وجل- أن يجددوا هذا التاريخ، وأن يعيدوا تلك الأمجاد، وكما يقال في أمثال العرب: ما أشبه الليلة بالبارحة.

وكما يقال عند غيرهم واستخدمه العرب أيضاً في الوقت المعاصر: التاريخ يعيد نفسه.

إذاً: يمكن أن يعيد التاريخ نفسه إذا استجلبنا منه هذه الفوائد، وكما قيل: أمة لا تعرف ماضيها

لا تستطيع أن تخطط لمستقبلها.

اقرأ التاريخ إذ فيه العبر *** ضاع قوم ليس يدرون الخبر

فهذه وقفة موجزة مع بعض هذه الفوائد في التاريخ، وهذه الوقفة الموجزة لا تغني شيئاً، ولكنك لو قرأت كتاباً واحداً من كتب التاريخ المعتبرة عند الأئمة المشهورين؛ لوجدت أضعاف هذه الفوائد التي أشرت إليها، وأوجزت القول فيها.

علم التاريخ عند المسلمين وأسسه ودوافعه

كيف كان علم التاريخ عند المسلمين؟! وما هي أسسه؟ وما الأمور التي دفعت إليه، وجعلت تراث المسلمين في التاريخ لا يضاهى به تراث آخر، لا في كثرة الكتب ولا في أنواعها ولا في استقصائها ولا في مناهجها مطلقاً؟

لا يمكن أن يقارن تاريخ المسلمين والعطاء الذي فيه بغيره من تاريخ الأمم التي لا تبلغ فيما أعرف حتى عشر معشار هذا العطاء في تاريخ الإسلام والمسلمين.

الأساس الأول: القرآن الكريم

القرآن الكريم وردت فيه أحداث تاريخية وقصص تاريخية، مثل: قصص الأنبياء والمرسلين والأمم السابقة، كقصة سبأ وغيرها من الأمم.

وهذا كان له أثر عظيم على المسلمين، حيث جعلهم يقرءون، والعلماء يفسرون، وبدأ التفسير يجمع بدايات للمادة التاريخية التي تعلق وتشرح وتفسر هذه الآيات المتعلقة بالأحداث للأمم الماضية، والله عز وجل قد دعا المسلمين إلى التأمل والاعتبار بأحوال الغابرين، وإلى السير في الأرض والنظر فيها والتأمل فيها، وهذه الدعوة هي دعوة لمعرفة الأحداث ثم للاعتبار بها؛ لأن الاعتبار هو مرحلة ثانية بعد المعرفة.

الأساس الثاني: السيرة النبوية

السيرة النبوية عند المسلمين دين، يدينون الله بها، وأسوة يقتدون بها، وأحكام يتبعونها، وسنن يحرصون عليها، ولذلك كان أول بدايات تاريخ الإسلام المنفرد المستقل: هو ما يتعلق بمغازي النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته، وكان هذا معروفاً عند المسلمين، حتى قال قائلهم: كان

آباؤنا يعلموننا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يعلموننا السورة من القرآن.

ومن هنا انتشر التصنيف والتأليف في سيرة النبي عليه الصلاة والسلام ومغازيه، وهي كثيرة جداً، وفريدة وعجيبة في دقتها وضبطها واستيعابها وشمولها في الحديث عن شخص النبي عليه الصلاة والسلام وعن تاريخه وسيرته.

الأساس الثالث : التأصيل في علم الحديث

صح عن ابن سيرين -كما في مقدمة صحيح مسلم- أنه قال: إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم، كان الصحابة يحدثوننا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنا نأخذ منهم، فلما حدثت الفتنة وركب الناس الصعب والذلول قلنا: سموا لنا رجالكم، فمن كان من أهل السنة قبلنا، ومن كان من أهل البدعة رددنا.

إذاً: بدأ العلماء من السلف يبحثون عن أحوال الرواة وتواريخهم وسيرهم، وصدقهم وكذبهم، ومواطن بلدانهم وأماكن رحلاتهم، ومعرفة شيوخهم وتلاميذهم.

وتدوين التاريخ المتصل بعلم الحديث باب واسع مستقل في كتب كثيرة منها كتاب: التاريخ الكبير للبخاري والتاريخ لابن معين والتاريخ لخليفة بن خياط.

وهناك تواريخ كثيرة دونوا فيها أسماء الرجال وأحوالهم إلى غير ذلك، وهذا عامل من عوامل نشوء علم التاريخ والاهتمام به، والاحتفاء به عند المسلمين، بل هو من أعظم العوامل وأكثرها أهمية.

الأساس الرابع: منزلة الخلفاء الراشدين والصحابة رضوان الله عليهم

يقول النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ) . هذا الحديث معناه: أن سنة الخلفاء الراشدين وفعلهم هدي تهتدي به الأمة، وسنة تستن بها.

إذاً: هذا جعل الأمة تهتم بسيرة الخلفاء الراشدين وصحابة النبي صلى الله عليه وسلم.

وسيرة صحابة النبي صلى الله عليه وسلم باب واسع كبير جداً، وفيه مؤلفات عظيمة وكثيرة جداً.

ولا بأس أن أشير هنا إلى كتاب: (معجم ما ألف عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم)، ذكر جامعه محمد الشيباني كتباً مطبوعة ومخطوطة وافرةً وكثيرة، مراعياً في ذلك التسلسل الزمني من بداية ما ألف في هذا الباب إلى أوقات متأخرة.

وقد ألف قبله في سيرة النبي عليه الصلاة والسلام وكتاب: (معجم ما ألف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) للمحقق العلامة صلاح الدين المنجد وهو كتاب عظيم النفع، جمع فيه مؤلفه مئات المصنفات في سيرة النبي عليه الصلاة والسلام في مختلف العصور.

إذاً: سنجد أن هناك كتباً خاصة فيما يتعلق بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومغازيه، وكتباً فيما يتعلق بأحوال الرجال والجرح والتعديل، وكتباً فيما يتعلق بسير الصحابة رضوان الله عليهم، وهذه كلها ضمن التاريخ، ولا نستطيع أن نعرج عليها في مثل هذا المقام.

الأساس الخامس: الفتوحات الإسلامية

عندما فتح المسلمون مصر، وبلاد الشام، وبلاد العراق، جاءوا إلى بلاد لها حضارة ولها تاريخ، وفيها رجال، فزاد ذلك من رصيد هذا التاريخ عند المسلمين، وعرّفوا بملوك هذه البلاد وتاريخها وما كان فيها من أحوال، وما كان أهلها عليه من ديانات، إضافة إلى أن الدولة الإسلامية احتاجت إلى تنظيم أمورها، وإلى إنشاء الدواوين كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما دون ديوان الجند، وديوان العطاء، فاحتاج إلى أن يحدد وأن يدون قبائل المسلمين، وأسبقية الصحابة في الإسلام، حتى يجعل عطاء السابقين في الإسلام أكثر، ويجعل عطاء من دونهم أقل، وأبناء الصحابة أقل من الصحابة، وكذا التابعين أقل. وهذا أيضاً كان رافداً من روافد التاريخ، وفيه جمع للمادة التاريخية.

الأساس السادس: خدمة المذاهب الفكرية والفقهية

إن خدمة المذاهب الفكرية والفقهية كان أحد العوامل والروافد للتاريخ عند المسلمين، فالمذاهب الفقهية الأربعة على سبيل المثال، كل أهل مذهب خدموا مذهبهم، فجاءت حصيلة تاريخية في نشأة المذهب، وفي سيرة إمام المذهب، وفي سيرة علماء المذهب، وما يتعلق بالمواطن التي انتشر فيها المذهب إلى غير ذلك، فجمعت مادة تاريخية واسعة، وحتى على مستوى المذاهب الفكرية المنحرفة كالمعتزلة، فالمعتزلة عندما كانت لهم صولة وجولة دونوا طبقاتهم، وأشهروا أعلامهم، وأرخوا لرموزهم، وهكذا فعل الشيعة أيضاً. وهذا كان رافداً تاريخياً عظيماً عند

المسلمين.

الأساس السابع: خدمة العلوم المختلفة

هذا ملحق بالذي قبله، لكنه على مرتبة أدنى وأقل، فالأدباء ألفوا في طبقات الأدباء، وجعلوا هناك مراحل أدبية، وأرخوا مثلاً لأدباء الأندلس على حدة، وأخروا لأدباء بلاد الشام على حدة، وبلاد اليمن على حدة، .. وهكذا وجمعوا هذه التراجم.

كذلك النحاة واللغويون والأطباء والحكماء ما من أهل علم إلا وتوسعوا في تاريخ ذلك العلم وأعلامه، وهذه أيضاً كانت مادة عظمية جداً من مواد التاريخ.

الأساس الثامن: خدمة البلاد وذكر فضائلها

التآليف في خدمة البلاد، وذكر فضائلها كثيرة، مثل ما ألف عن مكة وفضائلها وتأسيسها، والمدينة المنورة، وبيت المقدس وغيرها من الدول، فيؤلف أهل كل بلد في محاسن بلادهم، فمثلاً: أهل الشام يذكرون فضائل الشام، وخطط الشام، ووصف بلاد الشام، إلى غير ذلك، ويترجمون لكل من دخل إليها، ومن مات فيها، ومن اشتهر بها، فاجتمعت مادة عظيمة.

الأساس التاسع: رحلات المشاهير من العلماء المؤرخين

رحلات المشاهير من العلماء الذين أرخوا في رحلاتهم أحوال البلاد وأهلها، وأرخوا ما مر بهم من الأمور التي وقعت.

من هؤلاء العلماء الذين اشتهروا بالرحلات في البلدان: ابن بطوطة، واشتهرت رحلته باسمه: رحلة ابن بطوطة، وهناك رحلة ابن جبير، ورحلة ابن فضلان، وهذا الأخير رحل مبعوثاً من الخليفة في القرن العاشر إلى بلاد روسيا، وبلاد بلغاريا. وعندما تقرأ في كتب هؤلاء تجد أحوال تلك البلاد، ووصفاً لأمور عجيبة جداً يتعجب منها المرء كثيراً. فهذه أيضاً كانت رافداً عظيماً من الروافد التاريخية، وعندما ننظر إلى هذه الروافد، وإلى هذه الأسس، نجد أن المادة التاريخية في تاريخ المسلمين أصبحت مادة عظيمة جداً وغزيرة غزارة لا يدانيها غيرها.

المحاور الثلاثة للتصنيف في التاريخ :

هذه المحاور هي: الزمان، والمكان، والإنسان، إما أن نعنى بالتاريخ في فترة زمنية، أو نعنى بالتاريخ

في صِقع أو بلد بعينه، أو نعنى بالتاريخ لأشخاص بأعيانهم.

المحور الأول للتصنيف في التاريخ : الزمان

بالنسبة للزمان يأتينا نوع التصنيف بما يسمى التاريخ العام أو الحوليات الذي يبدأ بذكر السنوات: السنة الأولى، السنة الثانية، السنة الثانية بعد المائة الأولى... إلى آخره، وهذا فيه استعراض للسنوات.

كذلك في نطاق هذه الوحدة الزمنية يذكر بلاداً مختلفة ويذكر أشخاصاً وأعلاماً مختلفين، لا يجمعهم إلا وجودهم في هذا الزمن.

ومن أنواع التصنيف المتعلق باعتبار الوحدة الزمنية: التصنيف الذي عرف بتراجم القرون: القرن الثامن، القرن التاسع، القرن العاشر، فقد اعتبر فيها الوحدة الزمنية، ووجد في هذا التصنيف البعد الإنساني بتراجم الرجال، والحوادث التي تذكر في أثناء هذه التراجم.

كذلك هناك نوع ثالث من التصنيف هو: التصنيف المتعلق بالدول، عندما يقال: تاريخ دولة بني أمية، أو تاريخ الدولة العثمانية، فهذا يشمل الزمن الذي كانت فيه هذه الدولة على وجه الخصوص.

المحور الثاني للتصنيف في التاريخ : المكان

بالنسبة لاعتبار المكان هناك أنواع منها : تاريخ المدن، كتاريخ بغداد، ودمشق، وطرابلس، وغيرها كما سنذكر بعضاً منها.

النوع الثاني : تاريخ الفتوح، مثل: فتوح الشام للبلاذري، وفتوح مصر لابن عبد الحكم.

المحور الثالث للتصنيف في التاريخ: الإنسان

أما بالنسبة للإنسان، فهناك التاريخ العام للأعلام، كما في (تاريخ الإسلام) للذهبي، أو في (سير أعلام النبلاء) له أيضاً، فهو لم يشترط زمناً معيناً، وإنما ذكر أعلاماً عبر زمن اختاره من أول زمن معين إلى آخر زمن معين. أو تاريخ الأعلام المرتبط بعلم معين: أو مذهب معين، مثل: أعلام المذاهب الفقهية، أعلام الفكر الفلاني، أو أعلام كذا، أعلام كذا... إلى آخره. فهذا يعطينا

صورة إجمالية عامة عما يتعلق بأنواع التصنيف في التاريخ.

هذه الخلاصات التي ذكرتها هي مقدمة؛ لأننا لم نذكر بعد شيئاً من المصادر التاريخية، لكن هذه المقدمة أحسب أن فيها عدداً من الفوائد منها:

الفائدة الأولى: أن هذه المقدمة شوقت الكثير منكم إلى أن يعرفوا هذه المصادر، كما شوقت بعضاً منكم - فيما أظن- أن يبدءوا من يومهم هذا في مطالعة بعض كتب التاريخ، وقد يستمر بعضهم يوماً أو يومين ثم يفتر أو يكسل، لكن عموماً كتب التاريخ من مزاياها أنها ممتعة، تجد فيها تغيراً وتجديداً؛ لأنها ليست علماً جامداً، وليست تخصصاً مفرداً، وإنما هي أحداث ووقائع وغرائب وأشياء منوعة لا يمل القارئ منها.

الفائدة الثانية: أنها مهدت لنا لندخل إلى المصادر التاريخية بعقلية منظمة، ولو بدأنا بأنواع التصنيف في التاريخ ودخلنا في بعض الكتب لوجدنا أن هناك صعوبة في الاستيعاب والتفاعل مع المادة المتعلقة بمصادر التاريخ.

ذكر المصادر المشهورة في التاريخ وفوائدها وملامحها وأنواعها :

هناك كتب التاريخ العام التي تسمى: كتب الحوليات التي وحدتها أو موضوعها هو الزمن، وهذه الكتب كثيرة، منها: ما ألفه اليعقوبي وابن قتيبة الدينوري ومن أشهرها وأبرزها وأكثرها فوائد في كتب المتقدمين كتاب: (تاريخ الأمم والملوك) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة (٣١٠هـ).

ومن هذه الكتب أيضاً كتاب (الكامل في التاريخ) لابن الأثير الجزري وهو أيضاً على هذا النسق، وقد ذكر في مقدمته أنه انتفع بكتاب الطبري ومن هذه النوعية أيضاً كتاب (البداية والنهاية) لابن كثير .

ولعل من المناسب أن نشير إلى بعض هذه الكتب وفوائدها وملامحها في هذا المقام، ونجعل السرد فيما تبقى من الوقت؛ لأننا نخشى ألا يبقى وقت لذكر ما يتعلق ببعض هذه الفوائد.

الفوائد المتعلقة بتاريخ الطبري :

لقد بدأ الطبري فيما يتعلق بتاريخه من أول خلق العالم، وهذا سار عليه كثير من المؤرخين، حيث

صنعوا كما صنع الطبري .

بدأ الطبري بتعريف الزمان، ومتى بداية الزمان، وبعد ذلك ذكر الروايات التي وردت في أن أول ما خَلَقَ الله عز وجل القلم، فقال له: (اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة) ثم ذكر بعد ذلك ما يتعلق بخلق السماوات والأرض، ثم خلق آدم، وقصة إبليس، والرسل والأنبياء من بعد ذلك.

والطبري رحمة الله عليه كان إماماً مفسراً محدثاً ومؤرخاً، وكانت شهرته في التفسير والحديث أكثر من التاريخ.

وهنا ملاحظة مهمة وهي: أن كثيراً من العلماء من المحدثين والمفسرين والفقهاء ممن لهم عناية بالتاريخ اشتهروا في مجالات علومهم التي عرفوا بها، وأهملت الناحية التاريخية في مؤلفاتهم وفي تراثهم وإنتاجهم، فجاء بعض المعتنين بالتاريخ من المتأخرين، وكتبوا في إبراز الناحية التاريخية عند هؤلاء، على سبيل المثال: (ابن عبد البر وجهوده التاريخية) (ابن حزم وجهوده في التاريخ) وغيرهما، فهؤلاء لم يشتهروا أساساً كمؤرخين، وإنما لهم شهرة في العلوم الأخرى، فأبرز بعض المتأخرين هذا الجانب عندهم.

الطبري هو من أعيان علماء المسلمين، ومن المتقدمين في القرن الثالث الهجري، وتوفي في العقد الأول من القرن الرابع كما مر بنا، وقد ألف كتابه التاريخ بعد التفسير؛ لأنه أحال في التاريخ إلى بعض المواطن في التفسير، فلما جاء عند خلق آدم، قال: لقد أجملت ذلك في التفسير؛ لأنه ليس ذلك موضعه، ثم أفاض بعد ذلك في خلق آدم وقصة إبليس وكذا.

كأنه يشير أنه لم يرد أن يفصل هذا التفصيل في التفسير؛ لأنه لا يليق به فجعله في التاريخ.

وقد ظل الطبري يملي كتابه من سنة (٢٩٠هـ) حتى سنة (٣٠٢هـ) يعني: لمدة اثنتي عشرة سنة كما ذكر المؤرخون في ترجمته.

ومن الملاحظات المهمة التي تلفت النظر: أن كثيراً من كتب التاريخ الإسلامي المتقدمة أول من عني بها ونشرها هم المستشرقون، فكتب التاريخ في طبعاتها الأولى من نتاج المستشرقين، ولعل سائلاً يسأل: لماذا؟!

هناك أسباب بعضها جوهرية :

أولاً: أن كثيراً من مخطوطات هذه الكتب هي في بلاد الغرب، سرقوها ونهبوها عندما دخلوا بلاد

المسلمين، لاسيما لما دخلوا الأندلس، ولما دخلوا مصر، ولما دخلوا بلاد الشام.

ثانياً: أن الطباعة بدأت عندهم قبلنا بكثير، ومعلوم أن الطباعة في العالم الإسلامي جاءت بعدهم بفترة لا بأس بها، وأن أول مطبعة دخلت إلى العالم الإسلامي هي التي دخلت إلى مصر على يد نابليون بونابرت في أواخر القرن التاسع عشر، فهذا سبب تأخر الطباعة عندنا، فوجود المطابع عندهم جعلهم يتقدمون علينا في هذا الباب.

ثالثاً: أن المستشرقين في بداية هذا القرن لم تتأسس علومهم إلا على التراث الإسلامي الحضاري في بلاد الأندلس وغيرها، فكان كثير منهم قد تعلم العربية؛ ليقرءوا كتب المسلمين ككتب الطب وكتب التاريخ وغيرها من الكتب، فهم قد أسسوا ثقافتهم وعلومهم في كثير منها على كتب المسلمين، وبالتالي كانت عنايتهم بها، ومن هنا كانت أول طبعة لتاريخ الطبري عام (١٨٧٦م) على يد المستشرق دي خويه.

قال الطبري في مقدمته : وأنا ذاكر في كتابي هذا من ملوك كل زمان، من لدن ابتداء ربنا جل جلاله خلق خلقه إلى حال فنائهم من انتهى إلينا خبره ممن ابتدأه الله تعالى بآلائه ونعمه فشكر نعمه، من رسول له مرسل أو ملك مسلط، أو خليفة مستخلف فزاده إلى ما ابتدأه به من نعمه في العاجل نعماً... إلخ.

ثم ذكر أنه أرخ بعد ذلك للسنوات، وبدأ بالقول في الزمان، وبدأ بذكر قصة آدم، وقصة نوح عليه السلام، وما ورد في هذه القصص.

ثم أرخ بعد ذلك لتاريخ الفرس وبلاد المشرق التي كانت فيها حضارة قبل مولد النبي عليه الصلاة والسلام.

ثم بدأ بعد ذلك بمولد النبي عليه الصلاة والسلام، وما ذكر من إرهاصات وقعت أثناء مولده عليه الصلاة والسلام في بلاد كسرى وفي بلاد قيصر، وبعد ذلك بدأ بسرد التاريخ الإسلامي.

تميز الطبري كغيره ممن جاءوا في تلك الفترة أنهم رووا التاريخ بالأسانيد، وبالتحديث والرواية عمن سمعوا منه إلى منتهى أسانيدهم. كما أنه كان يجمع كل الروايات في الحادثة الواحدة، وإن اختلفت هذه الروايات.

من أهم المؤلفات فى علم التاريخ :

- البداية والنهاية هو عمل موسوعي تاريخية ضخم، ألفه الحافظ ابن كثير والكتاب مؤسس حسب معتقدات الديانة الإسلامية. وهو عبارة عن عرض للتاريخ من بدء الخلق إلى نهايته يبدأ ببداية خلق السماوات والأرض والملائكة إلى خلق آدم، ثم يتطرق إلى قصص الأنبياء مختصراً ثم التفصيل في الأحداث التاريخية منذ مبعث النبي محمد حتى سنة٧٦٧ هـ بطريقة التبويب على السنوات.
- الأخبار الطوال - المؤلف: أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (المتوفى: ٢٨٢ هـ).
- الأصنام - المؤلف: أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (المتوفى: ٢٠٤ هـ).
- الأوائل - المؤلف: أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري (المتوفى: ٣٨٢ هـ).
- الإحاطة في أخبار غرناطة - المؤلف: لسان الدين بن الخطيب، محمد بن عبد الله (المتوفى: ٧٧٦ هـ).
- الإكليل - المؤلف: ابن الحائك، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الشهير بالهمداني (المتوفى: ٣٣٤ هـ).
- البدء والتاريخ - المؤلف: المطهر بن طاهر المقدسي (المتوفى: نحو ٣٥٥ هـ).
- البداية والنهاية - المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى:٧٧٤ هـ).
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع - المؤلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفى: ١٢٥٠ هـ).
- التدوين في أخبار قزوين - المؤلف: عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني (المتوفى: ٦٢٣ هـ).
- الدارس في تاريخ المدارس - المؤلف: عبد القادر بن محمد النعيمي (المتوفى: ٩٢٧ هـ).
- السلوك لمعرفة دول الملوك - المؤلف: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥ هـ).
- الشماريخ في علم التاريخ - المؤلف: عبد الرحمن بن أبو بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ).
- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم -

المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي (المتوفى: ٥٤٣ هـ).

- الفصل في الملل والأهواء والنحل - المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦ هـ).
- الكامل في التاريخ - المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، المعروف بابن الاثير (المتوفى: ٦٣٠ هـ).
- المختصر في أخبار البشر - المؤلف: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي (المتوفى: ٧٣٢ هـ).
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب - المؤلف: محيي الدين أبو محمد عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي (المتوفى: ٦٤٧ هـ).
- المعرفة والتاريخ - المؤلف: أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي (المتوفى: ٣٤٧ هـ).
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - المؤلف: جواد علي (المتوفى: ١٤٠٧ هـ).
- المنتظم - المؤلف: جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧ هـ).
- المنمق في أخبار قريش - المؤلف: الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب، أبو محمد، بدر الدين الحلبي (المتوفى: ٧٧٩ هـ).
- بدائع الزهور في وقائع الدهور - المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ).
- بغية الطلب في تاريخ حلب - المؤلف: كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن العديم (المتوفى: ٦٦٠ هـ).
- تاريخ أبي زرعة الدمشقي - المؤلف: عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصري المشهور بأبي زرعة الدمشقي الملقب بشيخ الشباب (المتوفى: ٢٨١ هـ).
- تاريخ أصبهان - المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠ هـ).
- تاريخ ابن خلدون - المؤلف: عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون (المتوفى: ٨٠٨ هـ).
- تاريخ الإسلام - المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨ هـ).

- تاريخ الخلفاء - المؤلف: عبد الرحمن بن أبو بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ).
- تاريخ الرسل والملوك - المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠ هـ).
- تاريخ المدينة - المؤلف: ابن شبة أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري (المتوفى: ٢٦٢ هـ).
- تاريخ بغداد - المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣ هـ).
- تاريخ بيت المقدس - المؤلف: جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧ هـ).
- تاريخ خليفة بن خياط - المؤلف: أبي عمرو خليفة بن خياط العصفري (المتوفى: ٢٤٠ هـ).
- تاريخ داريا - المؤلف: أبو علي عبد الجبار بن عبد الله الخولاني المعروف بابن مهنا (المتوفى: ٣٦٠ هـ).
- تاريخ دمشق - المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١ هـ).
- تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام - المؤلف: أبو البقاء محمد بن أحمد بن محمد بن الضياء المكي (المتوفى: ٨٥٤ هـ).
- تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء - المؤلف: أبو الحسن الهلال بن المحسن الصابي (المتوفى: ٤٤٨ هـ).
- تجارب الأمم وتعاقب الهمم - المؤلف: أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه (المتوفى: ٤٢١ هـ).
- حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور - المؤلف: ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف بن عبد الله (المتوفى: ٨٧٤ هـ).
- ديوان الإسلام - المؤلف: شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي (المتوفى: ١١٦٧ هـ).

- زبدة الحلب في تاريخ حلب - المؤلف: كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن العديم (المتوفى: ٦٦٠ هـ).
- صفة جزيرة العرب - المؤلف: ابن الحائك، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الشهير بالهمداني (المتوفى: ٣٣٤ هـ).
- عجائب الآثار - المؤلف: عبد الرحمن بن حسن الجبرتي (المتوفى: ١٢٣٧ هـ).
- عيون الأخبار - المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦ هـ).
- فتوح الشام - المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي (المتوفى: ٢٠٧ هـ).
- فضائل مصر المحروسة - المؤلف: أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي المصري (المتوفى: بعد ٣٥٥ هـ).
- قصص الأنبياء - المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤ هـ).
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان - المؤلف: أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (المتوفى: ٧٦٨ هـ).
- مقدمة ابن خلدون - المؤلف: عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون (المتوفى: ٨٠٨ هـ).
- التيجَان في مُلوك حِمْيَرْ - المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣ هـ).
- دولة الإسلام في الأندلس - المؤلف: محمد عبد الله عنان المؤرخ المصري (المتوفى: ١٤٠٦ هـ).
- الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة - المؤلف: أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني (المتوفى: ٥٨٤ هـ).
- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة - المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (المتوفى: ٩٠٢ هـ).
- معجم البلدان - المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (المتوفى: ٦٢٦ هـ).

(٣٧) مبادئ علم الأنْساب

علم الأنساب :

فالعِلْمُ في اللغة مصدر عَلِمَ يَعْلَم ، وهو خلاف الجهل ونقيضه ، وهو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً .

فالعلم هو :إدراك الشيء على حقيقته كما هي.

والوَهْمُ : إدراك الشيء على غير حقيقته.

والظَّنُ : إدراك الشيء على حقيقته مع احتمال مرجوح

والشَّكُ :إدراك الشيء على حقيقته مع احتمالِ مساوٍ له .

هذه معاني هذه المفاهيم في منطق اللغات التي لابد من ذكرها عند التعريف بالعلم.

والعلم في الاصطلاح :مجموع مسائل وأصول كليّة تدور حول موضوع أو ظاهرة محددة ؛ وتعالج بمنهج معين ، وينتهي إلى النظريات والقوانين.

أو هو : منظومة من المعارف المتناسقة التي يعتمد في تحصيلها على المنهج علمي دون سواه .

والنَّسَبُ فِي اللُّغَةِ : مَصْدَرُ نَسَبَ ، يُقَال : نَسَبْتُهُ إِلَى أَبِيهِ نَسَبًا إِذَ عَزَوْتُهُ إِلَيْهِ ، وَانْتَسَبَ إِلَيْهِ : اعْتَزَى . وَالاِسْمُ : النِّسْبَةُ بِالْكَسْرِ ، وَقَدْ تُضَمُّ . قَال ابنُ السِّكِّيتِ : يَكُونُ النَّسَبُ مِن قِبَل الأبِ وَمِن قِبَل الأمِّ . والذي قاله ابنُ السِّكِّيتِ هو الحق ، وأخطأ من اللغويين قال : هو من قِبَلِ الأبِ فقط . لأنَّ هذا تعريفه في الاصطِلاح لا في اللغة ، أما في اللغة فهو يشمل ما كان من جهة الأبِ وما كان من جهة الأم ، ولا فرق . وَليس بِجَيِّدٍ قول من قَال من الفقهاء : هُوَ الاِنْتِسَابُ لأِبٍ مُعَيَّنٍ . لأنَّه تعريفٌ غيرُ جامعٍ ، إذ يلزم في بعض الحالات أن ينتسب الابن إلى أمه كما في اللعان ، وإن كانت الأم أحد الأبوين . ولا بدَّ في التعريف من أن يكون جامعاً لما يلزم ؛ مانعاً لما لا يلزم . كما أن لعلم المواريث مصطلحاته التي اصطلحتها الشريعة لأجل الحكمة في توزيع التركات باعتبار الأحوج والأشد عَوَزاً ، ولا يعني إخراج المحجوب وغير الوارث من الأقارب من حظيرة القرابة والنسب .

والنَّسِيْبُ هو : القريبُ الذي بينك وبينه رابطةُ نسبٍ . وأخطأ من عرَّف النسب لغة بأنه بمعنى القرابة رأساً.

أَمَّا النَّسَبُ فِي الاِصْطِلاَحِ فقد عرفته الموسوعةُ الفقهيةُ الكويتيةُ بأنه :الْقَرَابَةُ وَهِيَ الاِتِّصَال بَيْنَ إِنسَانَيْنِ بِالاِشْتِرَاكِ فِي وِلاَدَةٍ قَرِيبَةٍ أَوْ بَعِيدَةٍ .

وهذا تعريف للنَّسَبِ اصطلاحاً مِن حيثُ مَا هو نَسَبٌ فقط . وليس تعريفاً لعلم النسب من حيث ما هو علم للنسب ، وهو صالح لأن يكون تعريفاً للنسب في اصطلاح المؤرخين أيضاً ، والتعريف يشمل الولد والوالد ، وهو النسب العامودي ، من قِبَلِ الأب ومن قبل الأم ، ويشمل القرابة التي تكون أفقية لكل أجيال السلسلة كالإخوة والأعمام والأخوال .

وعُرِّف النسبُ أيضاً بأنه : الرابطة التي تكون بين الوالد والولد.

١- حده :

علم النسب مركباً في اصطلاح فلاسفة التاريخ ، فقد قالوا فيه : علم ، يُعْرَفُ مِنه أَنْسَابَ الناسِ ؛ وقواعِدَ الانتسابِ .

أو عرَّفوه بعبارة أخرى : علمٌ يُتعرَّفُ منه أنسابَ النَّاسِ ، وقواعِدَهُ الكُلِّيَّةِ وَالجُزْئِيَّةِ .

وخَصُّوهُ بِالناسِ لأنَّ غالباً ما يُعني به أنساب الناس ، وإلا فإن للحيوان البهيم نسبٌ ، وقد ألَّفَ العلماء في أنساب الخيل مثلاً.

هذا التعريف متى نظرنا إليه كعلم له ضوابطه وقواعده وأصوله . ولكن بتعريفهم هذا يكونوا قد صنفوه ضمن العلوم الآلية أو العلوم المساعدة للعلوم الأساسية ، كما هو علم أصول الفقه بالنسبة للفقه ، ولذا فإن علم النسب ؛ علم له جانبان ، أولها هو الجانب الأساسي ، ونقول في حَدِّهِ : علمٌ يُعرف به وَجْه رابطة القرابة التي بين شخص وآخر . أو العلم بوجه القرابة التي بين شخص وشخص ، أو بين جماعة وجماعة .

ومتى أردنا بالنسب خصوص تلك العلاقة التي بين الوالد والولد فإنا نقول في تعريف علم النسب :علمٌ يُعرف به وجه اتصال والدٍ وإنْ علا بولدٍ وإنْ نزل

أو هو : علم يعرف به وجه اتصال أصل بفرع أو فرع بأصل .

هذا متى نظرنا إليه كعلمٍ بسيط مِن غيرِ دِرَايَةٍ بتلك القواعد والأصولِ. وفي الحقيقة ما دامت هذه حاله فإنه يفقد استقلاليته ويكون تابعاً لعلم التاريخ ، كعلم من بعض علومه ، والتاريخ قد عدَّه بعضُ الفلاسفة ضمن مقامات الفنون ولم يصنفوه ضمن مقامات العلوم. وعلى أي حال فإن هذا القسم من علم النسب هو الذي يستفيد منه كل وارد لمنهله ، وهو بمثابة مسائل علم الفقه بالنسبة

لمسائل أصول الفقه.

أما الجانب الثاني الذي لعلم النسب ؛ فهو الجانب الآلي ، حيث أنه يُصَنَّفُ كعلمٍ مساعد للقسم السابق ، فمنه يُستفاد في تحصيل المَلَكَةِ لدى العالم بالنسب في اتخاذ الحُكم ، وتقرير نتيجة تَوَصَّل لها ، لأنه العلم الذي يتضمن المسائل الأصولية التي لعلم النسب والتي هي بمثابة مسائل علم أصول الفقه بالنسبة لمسائل الفقه . ومن أجل ذلك فإن بعض فلاسفة العلوم صنفوا هذا القسم كتصنيفهم لقسيمه ، وهذا القسم هو الذي يصدق فيه قولهم : علمٌ يُتعرَّفُ منه أنسابَ النَّاسِ ، وقواعِدَهُ الكُلِّيَّةِ وَالجُزْئِيَّةِ .وإنَّه لَكذلك فإنه يجب أن نزيد في التعريف :ومعرفة حال المستفيد .لأن العلماء نَصُّوا على أوصاف للنسابة صاحب هذه الصنعة ، منها العدالة والصلاح والضبط والتثبت والقريحة الجيدة.

أما عن كيفية الاستفادة من الأنساب فهذا متروك للباحثين في التاريخ والاجتماع وعلم الإنسان ، إذ كلٌ يستفيد منها بحسب ما تقتضيه تلك العلوم من تَصَوُّرٍ لمسائل النسب .

وإنما عرَّفْنَاه بقولنا : علمٌ يُعرف به وَجْه رابطة القرابة التي بين شخص وآخر . لأجل أن النسب ليس هو مجرد الرابطة التي تكون بين الوَالِدِ وإنْ عَلا والوَلَدِ وإنْ نزل ، وإنما هذه الرابطة تكون أيضاً بين المرء والأب وإن علا ، والابن وإن نزل ، والأخ وعقب الأخ ، والعم وعقب العم .

ولذا فإن النسب ينقسم إلى :

١- نَسَبٌ صُلْبِيٌّ : وهو الرابطة التي بين الوالد والولد . وهو يشمل نسب المرء الذي بينه وبين آباءه الذكور ، ونسبه الذي بينه وبين كل أنثى ولدته ، ولكن الناس اطمأنت نفوسهم لعُرْفِ الشرائع المنزلة منذ القدم ؛ وكان مقصدها ضبط معيشة الإنسان على حالٍ واحدة بها يكون حفظ الأنساب ؛ وصلاح المجتمعات ؛ وصون الأعراض .

٢- نَسَبُ قَرَابَةٍ : وهم الإخوة وأولادهم والأخوات ، والأعمام في أي جيل كانوا وأولادهم والعمَّات . ومن أجل ذلك فإنه لما نزل قول الله تعالى} : وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ {نادى النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم في عموم قريش ، ولكنه رتَّبَ قبائلَ قريش أمامه على مراتبٍ كالشجرة ، شجرة النسب التي استوحى صورتها النسابون من هذا الترتيب ، فكان هو في أعلى فرع لها كالثمرة ، فرتبهم بحسب القرب والبعد النسبي الذي بينهم وبينه ، وهذا النوع من النسب يقال له : رَحِمٌ في الغالب ، وإنما قلنا : رحم في الغالب . لأن الرَّحم تشمل الولد والوالد أيضاً ، وهي تشمل كل قريب على الإطلاق ؛ ولذا فإنَّ الشريعةَ تلطَّفت معه في باب التركات لما لم يكن له فريضةٌ فيها ؛ فأبقتْ له مسمى القرابة بلفظ الرَّحِمِ ، ولم تَسْلَخْ عنه القُرْبَى ، فالرحيمُ في باب المواريث كُل قَرِيبٍ ليس

ذَا فَرْضٍ مُقَدَّرٍ وَلاَ هو من العَصَبَة ، ونعرف معنى مدلول الكلمة متى عرفنا مراد المتكلم ، لأن الألفاظ ليست بذواتها وإنما على حسب مراد المتكلم ، ولذا فإن مراد الله تعالى من القربى في قوله} قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ {لا تشمل كل قريش في كلام المحققين من أهل العلم ، وإنما هي في خصوص بني هاشم كما نصَّ عليه أهل العلم كما أفاده الشافعي في كتابه الأم.
أما أولاد البنات ، وأولاد الأخوات ، وأولاد العمات ، فكل أولئك قرابة أيضاً لا يُمارِي أحدٌ في ذلك ، ولكنهم قرابة دون التي في إطلاق عُرْفِ الناس ، وهي قرابة نَسَبٍ نِسْبِيٍّ أيضاً .

وبعض الفقهاء جعل للنسب قِسماً آخر دعاه بالعَصَبَةِ ، وفي الحقيقة أن العصبة ليسوا من أقسامه ولا من طبقاته ، وإنما من صفات أهله ؛ أو هي حَمِيَّة طبيعية تلازم كل طبقة من طبقاته ؛ وتتفاوت شدتها في كل طبقة بحسب قربها وبعدها من الفرد المَحْمِي ، فالمقصود بهم الذين يتعصَّبون للمرء لأجل القرابة التي بينه وبينهم ، وهذه العصبية على طبقات ومراتب كتلك التي شَكَّلها النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم أمامه وهو على الصفا ، فحال المرء مع العصبية التي له مع طبقات النسب تجعله بمثابة مركز دوائر تحيط به ؛ دائرة على إثر دائرة ..
أمَّا في اصطلاح النُّحَاةِ فقد عُرِّفَ النَّسَبُ بأنه : إلحاق الفروع بالأصول بياء مشددة في آخره . نحو : قُرَشِيٌّ ، عَنَزِيٌّ ، قِبْطِيٌّ . وهو تعريف غير جامع . والأفضل أن يقال فيه : هو عزو شيءٍ إلى والدٍ ، أو بلدٍ ، أو مهنة ، أو وصف، بياء مشددة في آخره، مع كسر آخره .وقلنا في التعريف : شيءٍ ، حتى يشمل ذلك كل حيوان ؛ ونبات ؛ وجماد . وقلنا : والدٍ ؛ ليشمل الذكر والأنثى ، نحو : عَلَوِيٌّ في النسبة للذَّكر ، فَاطِمِيٌّ في النسبة للأنثى . والبلد : نحو رجل مِصْرِيٌّ ، للحي ؛ وثوبٌ حَضْرَمِيٌّ ، للجماد ؛ وزعفرانٌ خُرَسَانِيٌّ ، للنبات. والمهنة نحو : رجل اسْكَافِيٌّ . والوصف كقولنا : هذا حِمارٌ وَحْشِيٌّ ، نسبةٌ إلى الوَحْشِ.

٢- موضوعه :
أشخاص الآدميين من حيث انتماءهم إلى أصل يُعْزَوْن إليه ، فينتسبون إليه إما وِلادَةً ، أو وَلاَءً ، أو حِلْفاً .
فموضوع هذا العلم البحث في هذه النِسْبَة من حيث الرواية أو الدراية ، أو الرواية والدراية معاً. وفي الأسماء مفردةً أو مضافة لاسم أو سلسلة أسماء برابطة قرابة ؛ فيَبْحَثُ في ضبط هذه الأسماء مفردةً أو متصلةً تَحَسُّباً لأيِّ عَارِضٍ ، ضَبْطٌ في نُطْقِهَا ، وضبطٌ في عَزْوِها لأصلها ، ويبحث في حال تلك السلاسل ، أي في تشَعُّبِها ، وفي القُرْبِ والبُعْدِ درجةً وكيفيةً ؛ وفي الاتصال والانقطاع

، كما يبحث في حال مصادر تحصيل الأنساب ، وغير ذلك من المسائل التي قد تناولها العلماء ونَهَّجُوا لتبيينها المناهج التي أملتها عليهم طبيعة مباحثاتهم لعلم النسب والاستفادة منه. فللمؤرِخين مناهجهم ، وللمُحَدِّثِين مناهجهم ، وللباحثين الاجتماعيين مناهجهم ، ولِلُغَويين مناهجهم .. ومتى كان العالم بالأنساب على دراية بعلم آليته كلما كان أوفق لتفهم موضوعاته والاستفادة منه والإفادة لغيره.

وقلنا : إن موضوعه أنساب الآدميين على وجه العموم ، ويمكن أن يشمل نسب كل مُحْدَثٍ نَامِي ، واستعمل في الغالب في تدوين ودراسة أنساب الإنسان .

وإنما قلنا على وجه العموم ، فلأجل أن الغالب أن يتناول العالم بالنسب بالدراسة النسب الشرعي الناتج عن نكاح أو استيلاد وإن اختلفت الأديان ، وفي النادر من يدرس أنساب اللقطاء وأولاد السفاح واللعان ، وهؤلاء يُدعون عند النسابين الغربيين بالأولاد غير الشرعيين ، وكان منهم بعض ملوكهم وعظماءهم . والمراد بالمحدث ؛ كل ما كان سوى الله تعالى ، فكلمة محدث تشمل كل ما هو مخلوق . والمراد بكلمة النامي ؛ كل ما كان النمو من طبعه ؛ وهو الحيوان والنبات.

٣- ثمرته :
لعلم الأنساب فوائد وثمرات كثيرة ، وتختلف هذه الثمرات والغايات مع اختلاف العلم الذي يُقَارِنه ويتأثَّر به من العلوم التي تستفيد من بياناته وتعتمد على نظرياته وفلسفته ، وهو في الغالب يكون مقترناً مع سرد الوقائع التاريخية ، لأنه وإن كان لعلم النسب شُبْهَةُ استقلال ، إلا أن بينه وبين علم التاريخ عمومٌ وخصوصٌ من وجه كغيره من العلوم الإنسانية والاجتماعية التي تأثر في بعضها وتتأثر ببعضها ، ويجب ملاحظة أن كل علم يكون مستقلاً في حد ذاته ، أما بالإضافة إلى العلوم الأخرى فإن بعض العلوم تفقد الاستقلالية وتكون من العلوم الآلية أو المساعدة في تحصيل العلم المطلوب ، كعلم النحو العربي هو علم مستقل، ولكن بإضافته إلى العلوم الشرعية فإنه يعد من العلوم الآلية.

فثمرات علم النسب كثيرة لا سيما متى نظرنا إليه من غير وجهته الآلية ، وقد بيَّن بعضَها كثيرٌ من الباحثين فيه ، المُجَدِّدِيْنَ لِحُلتِهِ ؛ والتي تنضوي كلها تحت إحساس الإنسان بالحيوية في تفاعله وتعامله مع مجتمعه ، وشعوره بالمسؤولية والجِدِّيَّة في التعايش ، وتُشْبع نفسه بالمحبة للمجتمع والألفة مما ينتج عن ذلك التماسك بين مُكوناتٍ المجتمع ، والتكامل والتكافل بين أفراده ، وتحصل لدى الفرد العصبية الواجبة لأجل النُّعرة والتَّناصر ، فحيث تكون العصبية مرهوبة ومخشيَّة ، والمنبت

فيها زكيٌّ محميٌّ تكون فائدة النسب أوضح ، وثمرتها أقوى ، فمعرفة النسب وتعدد الآباء وذكر مآثرهم وخلالهم الحميدة وهو الحسب كلاهما عصمة للنفس من ركوب الآثام وتلقُّفها ، لأن لكل إنسان جانبان اثنان ، جانب مادي وهو النَّسَبُ وهو سلسلة أسماء آباءه وأمهاته ، وجانب رُوحي وهو الحَسَبُ ، وهو سلسلة مآثر آباءه وأمهاته ، فالحسب يسير مع النسب حذو القُذَّة بالقُذَّة ، هذا يَحدُوُه والآخر يُذكِيه ، فمعنى كل واحد منهما راجع إلى الآخر ، وليست الحضارات هي التي تَذْهبُ بالحسبِ وتقوّض أركان النسب كما زعم ابن خلدون ، وإنما الأمر الذي ذكرنا وهو مُعَاقرة الفِعَال الخسيسة ، وإهمال النسب ونسيانه مع ما يحمله في فَقَرَاتِهِ من خلال حميدة لأمر من الأمور الكثيرة . ومن لم تدون سلسلة نسبه كما هو الغالب في البشرية ، فإن أخلاقه الحميدة وأفعاله الجميلة واستقامته على الدين القويم كل ذلك يشير إلى شرف نسبه وكريم حسبه رغم الجهل بسلسلة الآباء.

أما ثمراته كعلم من العلوم الآلية فهي :

١- صيانةُ الأنساب من الكذب والوضع .
٢- حفظُ الأنساب مِن الضياع والاختلاط .
٣- والاحترازُ به من الغلط في نَسَبِ شَخصٍ .
٤- مُنَازَلَةُ الكذَّابِين والأدعياء والوضَّاعين ، وتفنيد موضوعاتهم ، وهدم مشاريعهم ، ومقارعتهم بالحجج والبراهين والدلائل ، وتبيين حالهم للناس
٥- دَرْءُ غواية الشعراء الذين يطعنون في أنساب الناس.

وفائدة علم النسب في مجال علم التاريخ :
التاريخُ هو الزمان كما عرفه المؤرخون ، وسلسلة النسب هي تغيير يطرأ على الزمان في عدة أوقات منتظمة ومتتابعة ومنضبطة ، وشأن التاريخ ملاحظة ذلك التغيير الذي يطرأ عليه أثناء مسيرته ويؤثر بالتالي في حياة البشرية ، ويشكل النسبُ عنصراً مهماً في قَصّ التاريخ ، وتوضيح الوقائع التاريخية ، حيث يمثل النسبُ والزمانُ معاً العمود الفقري لسرد المادة التاريخية ، أو بعبارة المؤرخين : يُشَكِلُ البشرُ والزمانُ نهر التاريخ . وطبقات سلسلة النسب أو أجيالها بمثابة دوحات غنية في مراحل طريق التاريخ وخط سير الزمان ، كتلك التي تستلهم الشاعر وتُهَيِّج شاعريته في مراحل حياته وتكوّن له مادته الفكرية وتصقل قريحته، فمنزلٌ يُطْرِبه ، وآخر يُبَكِّيه ، وثالث يُغضبه .. ، والمؤرخون شبَّهوا التاريخ في سيره الطويل بالنهر ؛ ذلك لأن النهر يَتَّسِعُ مجراه ويضيق

، ويستقيم ويتعرَّج ، ويستوي وينحدر ، ويهدأ ويثور .. وهكذا التاريخ في أحداثه ووقائعه عبر خط سيره يتخذ أنماطاً سيكولوجية شتى ، وكذلك الأجيال التي تشكل سلسلة النسب لكل جيل سيكولوجيته الفردية

فالنسب يسلسل المادة تسلسلاً زمنياً ، لأن ذات النسب مرتبٌ على تلك الطبقات الزمنية ، ولذا فإن ترتيبه للأحداث يكون بمثابة فلم سينمائي في سيناريو بارع ، هو الغاية في المونتاج والإخراج . إذن فهو يدرأ عن المؤرخ الصعوبة في ترتيب الأحداث التاريخية ؛ وفي الربط بين البيانات التاريخية ، لأن ترتيب هذه وربط تلك لا يحسنه إلا المؤرخ الفنان ؛ صاحب الذَّوق التاريخي ؛ والحِسّ الأدبي ، والحَدَسِ المُرْهَفِ ، والضمير النَّزِيه ، وهذه الصفات قد لا تتوافر على كل مؤرخ ، فسلسلة النسب هي المادة التي تملأ الزمان بالأحداث والوقائع كما تشغل الصور الفراغ الذي في الفلم الخام.

كما أن التعريف بصاحب النسب ثمرة من ثمراته التاريخية ؛ فحِينَ يُنسبُ شخصٌ إلى جَدِّهِ الأشهر منه فإنه يكون والحال هذه معرفةً بعد أن كان نكرةً لا يُعرف ، كما أنه حين ينسب إلى بلدةٍ يحصل له بهذه النسبة التعريف ، فلو قال لك شخصٌ : أنا زيد. فإنه لم يزدك معرفة بنفسه إلا معرفة نسبية ، بخلاف ما لو قال لك : أنا زيدٌ القرشيّ . أو قال لك : أنا زيد المكيّ . أو قال لك : أنا زيد التاجر

وعلم النسب يقدم للمؤرخ البيانات الصحيحة المعتمدة التي يمكنها من أن تغير في مفهوم المعلومة التاريخية عند المؤرخ وتساعد في تفسير الحادثة تفسيراً واقعياً كما هو ، فالنتيجة النسبية أو الحكم النسبي التي تقول للمؤرخ : إن زياد بن أبيه لا يَمُتُّ بصلة نسب إلى قريش قط البتة قطعاً . تسوق المؤرخ إلى المهيعة الصحيحة والطريق الواضحة في تفسير الوقائع التاريخية التي أثَّر زياد بن سمية فيها . وكذا الحال في النتيجة النَّسَبِيَّة التي تقول له : إن صاحب الزنج إنما ينتسب إلى عبد القيس لا إلى العلويين . وهكذا دواليك .

وفائدته في الدراسات الأنثوبلوجية .

متى اتخذه الأنثوبلوجيون كقاعة للدراسة فإنه سيعطي استقراءً كاملاً عن فلسفة الإنسانية ، وتصوراً واضحاً عن أصل الإنسان وأدوار وجوده ، وتوقعات نهايته ؛ بايولوجياً وسلوكياً ، وبالتالي تكون الاستنتاجات صحيحة ومتكاملة وواضحة بل ومفيدة لدى المثقف المستفيد ، لأننا لا

نستطيع أن نعطي حكماً علي شيء قبل أن نحيط به علماً من جميع النواحي ، إذ أنَّ الحُكْمُ على الشيء فَرَعٌ عن تَصَوُّرِهِ .

وفائدته في الدراسات الاجتماعية السوسيولوجية :

يساعد الباحث الاجتماعي على تحديد الخصائص الاجتماعية التي تميز عَيِّنَة الدراسة في جميع النواحي العلمية والنفسية السيكولوجية والمهنية والخَلقية ، ويساعد للباحث الاجتماعي في حصر الجماعة التي اتخذها كَعَيِّنَة في إجراءاته البحثية فتصدق توقعاته في النتيجة وتكون أكثر قبولاً لدى المستفيدين منها ، بل وأنجع في تقويم المجتمع وإصلاحه ، ذلك بأن الاجتماعيين لا يدرسون الإنسان منعزلاً عن مجتمعه أو مجتثاً من أصله ، إذ إن كل من الفرد والمجتمع يدل على الآخر ويشير إليه ، ففهم العلاقات الاجتماعية لا تحصل بدراسة الأفراد في حال انعزال ، وإنما في حال تفاعله مع مجتمعه ، وسلسلة النسب مثلاً تشكل مع ثمرتها التي هو الفرد تفاعلاً اجتماعياً ومجتمعاً آخر يوجّه سلوك الفرد الذي يتفاعل معه ويؤثر عليه تأثيراً بيّناً ؛ لأنه جزء من نظامه ، والباحث الاجتماعي تهمه كل البيانات الإيجابية والسلبية التي يقدمها علم النسب عن سلالة معينة أو مجتمع معين على حدٍّ سواء ؛ لأنه يسعى للتنظير الاجتماعي في جميع مجالات علوم الاجتماع المختلفة .

وفائدته في الجغرافية:
علم الأنساب يعرِّفُ الباحثَ في الجغرافية البَشَرِيَّة على كيفية تعامل البشر مع الطبيعة ، وعلى توزُّعِ الأجناس البشرية في الأقاليم والأماكن وأسبابه ونتائجه .

٤- نِسْبته :
هو أحد العلوم الإنسانية والاجتماعية التي تتناول الإنسان بالدراسة المنهجية داخل مجتمعه ، وهو أحد العلوم التاريخية على وجه الخصوص ، فبينه وبين هذه العلوم نسبة العموم والخصوص ، ولذا فإن النسابة بينه وبين المؤرخ مثلاً نسبة عموم وخصوص.

٥- فضله :
على أي حال كان فهو علم نافعٌ ؛ وصنعة فاضلة ؛ وصاحبه فاضلٌ ، جَدِيْرٌ بِالحَفَاوَةِ وَالتَّكْرِيْم . وهو أفضل العلوم التاريخية ، حتى كاد أن يستقل عن علم التاريخ ، وفَضُلَ لأجل حفظه لأنساب الناس حتى سار بالتاريخ على المهيعة الصحيحة الواضحة .

وهو علم يدعو إلى التَفَكُّرِ في أصلِ النشأةِ ، وإلى الاعتبار بالقرون الخالية لذا هو داعية سلام ؛ يهذب النفس ، ويصفي القلب من الغل والحقد والحسد متى صادف قريحةً جيدةً ، فيتصفُ العالم به بمحبة الشعوب والتودد للبشرية كافة ، إلا أن من ساءت نفسه فقد تصيبه إحدى آفات هذا العلم وهي :

١- إما أن يتتبع به معايب الناس ، ويجمع به المثالب ، وهذا النوع يقال في صاحبه : عَيَّابة ، نسابةٌ لا ذِمَّة له .

٢- وإما أن يتحول الذي يعاني من عقدة النقص إلى الشعوبية ؛ نسبة إلى الشعب ، أو يدعى نسباً ليس له ، وهذا يقال له نَسَّابَة دعي كذاب. والشعوبي هو الذي يصدار حكماً مسبقاً على الشعوب نصرةً للشعب الذي هو منه ، ويقال له : نسابة شُعُوبي

٣- وإما أن يصاب صاحب النسب بالعُجْبِ فيؤديه ذلك إلى ترك التَّحَلِّي بالفضائل ، أو إلى ترك التخلي عن الرذائل ، أو إلى التحلي بالرذائل والتخلي عن الفضائل ، وهذا اللئيم الرذيل.

ولذا فإن العلم أي علم لا يبذل إلا لأهله ، الذين صفت نِيَّاتُهم ، وكانوا أهلاً لحمله ؛ ولبذله وامتهانه كمهنة ، ولا يتعلم أحدٌ علماً أيّ علم كان إلا بعد اختبار ورياضة للنفس .

٦- واضعه :

أولاً: علم النسب من حيث أنه علم بروابط القرابة التي تكون بين فرد وفرد :

الواضع له إنما هي الشرائع ، حيث علَّم اللهُ آدم الأسماء كلها ، وبيَّن حقيقة تلك العلاقات التي للأقرباء ، وما يتعلق بها من أحكام ، وجعل لكل نوعٍ ووصف من القرابة اسماً ، فسمَّى الوالدُ أباً ، والوالدةُ أمّاً ، والصنو أخاً وأختاً ، والولد ابناً أو بنتاً ، وكذا كان الحال في الجَّدِ ، والجَدَّة ، والعَم ، والعمة ، والخال ، والخالة ، والحفدة .. بل حثت الشريعة على صلة تلك القرابات التي دعتها رحماً أيضاً ، فبينت طرائق وصلها وأوجه رعاية مصالحها. وكانت مسألة حِفظ النسب من مقاصد الشرائع ، ومن الضروريات الكليات الأمهات ، كما جعلت الشرائع لكل مسمى من الأقرباء حكماً في باب التركات ، وباب الأنكحة. وجعلت النسب أساس توزيع المواريث . وجاءت مسميات شتَّى في ألفاظ الشريعة للقرابة ، بعضها كان مجملاً محتاج للبيان، وهذه الألفاظ هي: الذُّرِّية ، والقربى ، والنسل ، والآل ، والأهل ، والعترة ، والعقب ، فكان ذلك تحريضاً للعقول كي تعمل.

وهذا كله نجده لدى أهل الشرائع المنزلة ، إذ نجد في العهد القديم تلك العناية البالغة بأنساب البشرية ، وأنساب الأنبياء ، وأنساب بني إسرائيل. وكان أحبار بني إسرائيل يشرحون تلك الأنساب ويُذَيِّلونها كلما استجدت بموازاة خط الزمان ، حتى أدرجت تلك الشروح والتذييلات في التوراة نفسها، فَحُفظت بدخولها حرام كتاب الله على رغم ما ألحقت به من عَوَرٍ وعيب.

ثانياً: علم الأنساب من حيث أنه عِلمُ آلةٍ

وهذا القسم من وَضْعِ الإنسان ، وضعه منذ أن أوجده الله ، أسوةً بغيره من العلوم الإنسانية التي وضعها الإنسان لما شعر بالحاجة إليها ؛ والحاجة أمُّ الاختراع ، فالحاجة والضرورة دعتا إلى وضعه. ذلك عندما احتاج الإنسان إلى تفهُّم مجتمعه ، واحتاج إلى معرفة الصلة التي بينه وبين مجتمعه كأفراد وجماعات ، بل وإلى معرفة أصله ونشأته وسر وجوده . كل ذلك كان بوازع الغريزة المُلِحّ ، فالإنسان مدني بالطبع ؛ محبٌ للاجتماع ؛ كَلِفٌ ببني جنسه ، فعلم النسب انعكاسٌ للمدنية ، ومرآةٌ للإنسانية ، وترجمانٌ لفلسفة العلاقات الاجتماعية ، يحُثُّه وَخْزُ الرَّحِمِ وتأنيبُها من جهة ؛ ودغدغتها ولِذَّتها من جهة أخرى ، بل والمصلحة والمادة من جهة ثالثة .

وكان علم النسب قد بدأ بسيطاً نظراً لبساطة المجتمع الإنساني الأول. وحين كبر المجتمع الإنساني الأول ؛ وتعددت المجتمعات البشرية ، وبعدت الأنسابُ ؛ وشَعُثَ العِمْرانُ ؛ تبلورت حينئذ مفاهيم علم الأنساب ، فَقُنِّنَتْ له القوانين المُنَظِّمَة والمُلْزِمة ، وَسَنَّ له النسابون الضوابطَ والمصطلحاتِ والأساليب الفنية .

وكان الفضل الأكبر في الإسلام للنسابة محمد بن السائب الكلبي ت٢٠٤هـ في تجديد هذا العلم لأهل الإسلام ، فكان إمام أهل النسب بلا منازع ، وصاحب أعظم وأثبت مدرسة في علم النسب في الإسلام ، وهو أول من قعَّد له القواعد في الإسلام ، وأصَّل له الأُصول ، وخطَّ له الخُطَطَ التي مشى على رسمها كل مَن جاء بعده ، ولا يماري أحدٌ في أنهم كانوا عالةً عليه . ثم تتابع على ضبطه طوائف ثلاث :

١- العلماء بالشرعيات
٢- المؤرخون والأخباريون
٣- الأدباء والشعراء

وقلّما تجتمع هذه الأوصافُ في أحَدٍ من المشتغلين بالأنساب . وكان من الضرورات التي دعت إلى

سن الضوابط والقوانين وإلى حفظ النسب والتأليف فيه ؛ اختلاف الأديان والمذاهب ، والألوان ، واللغات ، فكل أحد أراد أن يذُبَّ عن حوضه ، ويحمي بيضته ، وكلٌ أراد أن يُشْخِصَ نفسه ، وأن يثبت وجوده ، ويفرض إرادته ، وهو ما يعَبَّر عنه بصراعِ الأيدلوجيات وصراع الحضارات.

٧- اسمه :

هو علم النسب ، أو علم الأنساب (جينالوجيا)

وبعض فلاسفة العلوم لا يجعلونه من العلوم وإنما يعدونه فناً من الفنون ، بل يعدونه قسماً من أقسام التاريخ إما علماً وإما فَنّاً .

ويقال لمن يمتهنه : ناسِبٌ، ونَسَّابٌ ، ونَسَّابَةٌ ، والنسابة لا تقال لأي عالم به ، وإنما للبَلِيغ بعلمِ الأنساب ، والهاء فيه للمبالغة ؛ للاحترام والتعظيم ، ويقال لمن جمع معه الأخبار والقصص والتاريخ : أخباريَّ . أما القصَّاص فتقال لمن يَقُصُّ الأخبار والوقائع ثم يخلطها بالأساطير والأكاذيب والخرافات ، ولذلك فإنَّ قصص القرآن العظيم هي أحسن القصص لأنها لا تشتمل على الأساطير والخرافات ؛ ولأن الله تعالى يختار من القصص ما تحصل به العبرة والموعظة والفائدة .

٨- استمداده :

هو علم يستمد من تاريخ الناس ، وأخبارهم ، ومن اجتماعهم ، وتناكحهم . ومصادر أخبار الناس كثيرة .

أولها : الكتب المقدسة المنزلة من عند الله وأحاديث الرسل عليهم السلام .

ثانيها : النصوص التاريخية . المدونة في الكتب ، والكتابات الأثرية ، والنقوش الحجرية ، الصكوك العدلية ، الشهادات البينة ، وعند الفقهاء وإن كانت الشهادة سماعية من عدول ، لأن الشهادة بالتسامع لا يُقرّها الفقهاءُ إلا في النسب ، والموت ، والنكاح .

ثالثها : النصوص الأدبية ، من شعر ونثر.

٩- حكمه :

الحكم الأول : الفرض على العين

فهو فرضٌ على كل عين ؛ إذا تعلمه الفردُ فإن الإثم يسقط عنه ولا يلحقه تأنيب الشريعة . إذ

فرضٌ على كل إنسان أن يعرف قرابته ورحمه الذين يجب عليه أن يَصِلَهُم وَيَبَرَّهُم ؛ وأن يعلم الرابطة التي بينه وبينهم ، فإذن هو فرض عين لأجل الصِّلَةِ وَالمَوَدَّةِ .

كما يفترض عيناً معرفة نسب النبي صلى الله عليه وآله وسلم على وجه الجملة وإلا كان المسلم مُقَصِّراً ، ولكنه لا يَكْفُر خلافاً لابن حزم الظاهريّ الذي كفرَّ بناءً على أصول مذهبه ، ومن عرف نسب النبي صلى الله عليه وآله وسلم على وجه التفصيل فهو صاحب فضل .

الحكم الثاني : الفرض على الكفاية .
وهو يفترض على الكفاية في الأنساب البعيدة لأجل أن يكون في المجتمع مَن يَذُبُّ عن الأنساب دعاوى الكذَّابين ؛ وخرافاتِ القُصَّاصِ ؛ وأغراضَ الوضَّاعِين ، ويبين عَوَرَهَا ، ويفضح أهلها ، ويكون مُعَلِّماً له ، ناشراً لفضله ، ناصحاً لأهله . فإذا تعلمه من حصلت به الكفاية في تعلمه فإن الإثم يسقط عن المجتمع فلا يلحقه تأنيب الشريعة .

أما علم النسب الآلي فحكمه فرض على الكفاية . ولا يطالب كل أحدٍ بإتقانه والدراية به ، إلا مَن انفرد به أو توحَّد به في زمانه فإنه يتعين فرضاً عليه ، ومتى تعدد أهل الدراية به كان بينهم على الكفاية.

قال ملك بهوبال في أبجد العلوم : والعلوم التي هي فروض كفاية على المشهور: كل علم لا يُستغنى عنه في قوام أمر الدنيا وقانون الشرع ؛ كفهم الكتاب والسنة وحفظها من التحريفات ، ومعرفة الاعتقاد بإقامة البرهان عليه وإزالة الشبهة ، ومعرفة الأوقات ، والفرائض والأحكام الفرعية ، وحفظ الأبدان ، والأخلاق ، والسياسة ، وكل ما يتوصل به إلى شيء من هذه كعلم اللغة والتصريف والنحو والمعاني والبيان . وكالمنطق ، وتسيير الكواكب ، ومعرفة الأنساب ، والحساب ، إلى غير ذلك من العلوم التي هي وسائل إلى هذه المقاصد . وتفاوت درجاتها في التأكيد بحسب الحاجة إليها .

الحكم الثالث : التحريم .
وهو يَحْرُمُ ويكونُ مِن كبائرِ الذنوبِ متى كان قَصْدُ الإنسانِ مِن تَعلُمِه أن يتتبع به المثالبَ والعيوب ، أو لِمُجَرَّدِ التَّعالي واحتقار الناس وغَمْطِهم ، لأنَّه كِبْرٌ ؛ وهو من أعظم الذنوبِ ، وهذه الأخلاق الرذيلة التي تكون في بعض أشباه النسابين تُعَدُ جريمة دينية واجتماعية ، وتكون أغلظ متى قصد

به الإضرار بالأقارب ؛ فهو عند الله قطيعة للرَّحم المعظَّمَة .

١٠- مسائله :

أما مسائله أي قضاياه التي تطلب نسب محمولاتها إلى موضوعاتها فهي :

١- حفظ الأنساب الصحيحة روايةً ودرايةً :

وحفظها بالرواية يكون

أ - بِضَبْطِهَا لفظاً ومعنى

ب - بِتَدْوِيْنِها بأصلح الأسلوبين ، إما البسط وإما التشجير ، أيهما كان له أتقن فإنه يتعين عليه التدوين به

ت - بِالأخذِ عن الثقاتِ ، والتَّحَمُلِ مِن الأثباتِ .

أما حفظها دِرَايةً فيكون :

أ -بِالتَثَبُّتِ في رِوايتها.

ب -بِالبحثِ في أحوالِ رُواتها ، إتقاناً ، وضبطاً ، وعدالةً ، وسلامة من الغفلة .. وغير ذلك من الصفات المطلوبة ، أما الإسلام فلا يُشترط ، لأننا نصدق دعاوي أهل جميع الديانات في حكاية أنسابهم ولا نكذبهم ، وإنما لا نقبل من كان خبيثاً في دينه من أهل الديانات ، أي خبيث النفس ؛ سفيهاً ؛ فَحَّاشاً ؛ عيَّاباً ؛ لا يَرْقَبُ في أحدٍ إلاًّ وَلاَ ذِمَّةً.

ج -بِتطبيقِ مصطلحاتِ أهل الصَّنْعَة :

د -بِتَحْمِيل الأنساب مَن كان أهلاً لحملها مِن طلاب العلم ، وعدم بذل العلم للأوغادِ ؛ أو إجازة أصحاب المآرب والمشبوهين ، أو تكثير سواد الأدعياء وأشباه النسابين .

٢- رد دعاوى الكذابين ؛ والقصاص ؛ والوضَّاعين ؛ والمغرضين ، وغواية الشعراء .

٣- ضبط الأنساب بتبيين المتشابه في النِّسْبَة ، والمؤتلِف والمخْتَلِف ، المتفِق والمفترِق .

٤- الأنساب للبشر كالأسانيد للخبر ، فكما أن الإسناد يتبين به الخبر الموصول والمقطوع والمعضل والمعلق والصحيح والضعيف والموضوع ، فإن علم النسب يكون مثله في تبيين ذلك في الدعاوى النسبية على وجه العموم ، ويَنْقُدُ النسابةُ كل ما يصله ولا يتقبل شيئاً إلا بعد نَقْدِهِ وإلا كان قَصَّاص.

٥- ربط الأفراد ، والمجموعات ، والقبائل ، والشعوب بصلة النسب ، وهو ما يسمى بالتَّعْمِيد للفرد أو المجموعات.

٦- خدمة العلوم الإنسانية ؛ كالتاريخ ، وعلم الاجتماع ، بتقديم المادة اللازمة الأساسية لحصول الغاية المرجوة من كل علم ، فعلم النسب علم مستقل ؛ له أصوله وقوانينه وضوابطه ، إلا أنه لا يمنع من أن يكون خادماً لعلوم أخرى ، لأن بين جميع العلوم روابط ؛ فكلها مبنية على بعضها البعض ، فهي من جهة تكون رئيسة ومن جهة أخرى تكون مرؤوسة.

من أهم المؤلفات فى علم النسب :

١- جمهرة النسب تأليف: هشام بن محمد الكلبي (ت: ٢٠٤ هـ).
٢- نسب معد واليمن الكبير لابن الكلبي.
٣- أنساب الأشراف لأبي الحسن البلاذري (ت: ٢٧٩ هـ)
٤- نسب عدنان وقحطان تأليف: أبي العباس محمد المبرد النحوي (ت: ٢٨٥ هـ).
٥- الطبقات للإمام خليفة بن خياط العصفري.
٦- الإنباه عن قبائل الرواة لابن عبد البر (ت: ٤٦٣ هـ) .
٧- الإيناس بعلم الأنساب جمع الوزير الفاضل أبي القاسم الحسين بن علي المغربي (ت: ٤١٨ هـ)
٨- جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦ هـ)
٩- الأنساب لعبد الكريم السمعاني (ت: ٥٦٢ هـ).
١٠- طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف الرسولي.
١١- نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب تأليف: أبي العباس القلقشندي (ت: ٨٢١هـ)
١٢- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان تأليف: أبي العباس القلقشندي (ت: ٨٢١هـ)
١٣- العجاب في بيان الأنساب تأليف: الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ)
١٤- لب اللباب في تحرير الأنساب تأليف: الحافظ جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ)
وغيرها.

الثاني: كتب قديمة مختصة فقط بذكر قبائل وبيوت معينة ومنها:

١- الإكليل في أنساب اليمن وأخبار حمير وملوكها تأليف: أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني اليمني (ت: ٣٣٤ هـ)

٢- جمهرة نسب قريش للزبير بن بكار.

٣- التبيين في أنساب القرشيين للإمام ابن قدامة صاحب المغني.

٤- الاستبصار في نسب الأنصار لابن قدامة أيضا.

٥- غاية الاختصار في البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار تأليف: تاج الدين بن زهرة الحلبي كان حيا سنة ٧٥٣ هـ.

٦- العجاجة الزرنبية في السلالة الزينبية تأليف: الحافظ جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ)

٧- نسب الفقهاء آل عجيل لمحمد بن هادي بن بكري العجيلي.

أما الكتب المعاصرة في الأنساب وإن كان لا يخلو عدد كبير منها من أخطاء وفي بعضها تحامل أو تجهيل فهي:

١- إدراك الفوت في ذكر قبائل تاريخ حضرموت تأليف: علي بن محمد بن عبد الله باخيل ءال بابطين النَّوَّحي.

٢- تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب تأليف عبد الرحمن الأنصاري.

٣- جمهرة أنساب أمهات النبي صلى الله عليه وسلم تأليف: السيد الحسين بن حيدر الهاشمي الحسيني

٤- معجم قبائل المملكة العربية السعودية تأليف: حمد الجاسر.

٥- البدر المنير في رفع الحجاب عن نسب آل أبي وزير تأليف: الشيخ مزاحم بن سالم باوزير من أهل القرن الرابع عشر الهجري

٦- إسعاف أهل الأعيان بأنساب أهل عمان للسيابي.

٧- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة لعمر رضا كحالة.

وهناك كتاب قيم للعلامة الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد رحمه الله وهو (طبقات النسابين)

(٣٨) مبادئ علم المُتُون

علم الْمُتُون :

المَتْن لغةً له عدة معاني تزيد على السبعة، أنسبها لسياقنا: "اللفظ"، واصطلاحاً هو ما جرى إطلاقه عند أهل العلم على مبادئ فن من الفنون، تكثف في رسائل صغيرة غالباً، وهي تخلو في العادة من كل ما يؤدي إلى الاستطراد أو التفصيل، كالشواهد والأمثلة إلا في حدود الضرورة، وذلك لضيق المقام عن استيعاب هذا ونحوه، لذلك عُدَّت المتون الأقل ألفاظاً الأحسن في ذاتها والأَكثر قبولاً عند الدارسين.

وهو الكتاب الأصلي الذي تكتب فيه أصول المسائل، ويقابله الشرح، شرح المتن، وقد سموه بالمتن في الاصطلاح لأنه عبارة عن هذه المختصرات العلمية، لأنها تتضمن المسائل الأساسية للركوب والحمل.

أقسام المتون :

تنقسم المتون إلى قسمين:

1ـ متون منثورة، وهي الأَكثر.

2ـ متون منظومة في أبيات الشعر يسمى الشعر التعليمي، وتكون غالباً من بحر الرجز، وقد تكون من غيره.

والرَّجَز بحر معروف من بحور الشعر، وتسمى قصائده الأراجيز واحدتها أرجوزة ويسمى قائله راجزاً.

وإنما سمي الرجز رجزاً لأنه تتوالى فيه حركة وسكون ثم حركة وسكون، وهو يشبه في هذا بالرجز في رجل الناقة ورعدتها، وهو أن تتحرك وتسكن ، ثم تتحرك وتسكن. ويقال لها حينئذٍ رجزاء.

والرجز ديوان العرب في الجاهلية والإسلام ، وكتاب لسانهم ،وخزانة أنسابهم وأحسابهم.

وهذا النوع من النظم: "الشعر التعليمي"، نظم علمي يخلو من العواطف، والأخيلة، ويقتصر على الأفكار، والمعلومات، والحقائق العلمية المجردة.

وهذه المنظومات العلمية تنقسم إلى قسمين:

1ـ منظومات في علم معين استقلالاً، كَمُلْحَة الإعراب للحريري، وألفية ابن مالك في النحو .. إلخ.

2ـ منظومات لمتن معين مثل ألفية العراقي نظم مقدمة ابن الصلاح، ونظم العمريطي لمتن الورقات، ولمتن الآجرومية، ونظم زاد المستقنع، وجمع الجوامع.... إلخ. والمتون موجودة من قديم الزمان، ولكنها لم تعرف بهذا الاسم، بل باسم المختصرات: مثل مختصر الخرقي عمر بن الحسين الخرقي المتوفى سنة (٣٣٤هـ) - رحمه الله تعالى -

قال أبو علي الحسن بن أحمد بن البنا في كتابه المقنع في شرح مختصر الخرقي: " وكان بعض شيوخنا يقول: ثلاثة مختصرات، في ثلاثة علوم، لا أعرف لها نظائر: الفصيح لثعلب، واللمع لابن جني، وكتاب المختصر للخِرَقي، فما اشتغل بها أحد وفهمها كما ينبغي إلا أفلح."

ثعلب : هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني مولاهم المتوفي سنة (٢٩١هـ) -رحمه الله تعالى.-

ابن جني : هو أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي المتوفي سنة (١٣٩٢هـ) -رحمه الله تعالى.- وكان الغرض منها -أي المتون- حكيماً، وهو جمع المسائل الأولية البسيطة في متون صغيرة، بعبارة سهلة، لتكون بداية لشُداة الفقه على نحو الآجرومية في علم النحو. لكنها لم تستمر كذلك، بل بالغ بعض المتأخرين في إيجاز بعض المتون إلى درجة الألغاز. وقد اقتضت الحاجة التعليمية وجود منهج يسير عليه الطالب وهو:

1ـ المتن الذي هو الأساس الذي يبني عليه الطالب علمه في كل فن بحسبه.

2ـ شرح لهذا المتن.

3ـ حاشية على هذا الشرح.

4ـ تقرير على الحاشية.

المتون بين المدح والقدح:

قال ابن خلدون في مقدمته: "ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم، يولعون بها، ويدونون منها برنامجاً مختصراً في كل علم، يشتمل على حصر مسائله وأدلتها، باختصار في الألفاظ، وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن، وصار ذلك مخلاً بالبلاغة، وعسراً على الفهم، وربما عمدوا إلى الكتب الأمهات المطولة في الفنون بالتفسير والبيان، فاختصروها تقريباً

للحفظ، كما فعله ابن الحاجب في الفقه وأصول الفقه، وابن مالك في العربية، والخونجي في المنطق، وأمثالهم، وهو فساد في التعليم، وفيه إخلال بالتحصيل، وذلك لأن فيه تخليطاً على المبتدئ بإلقاء الغايات من العلم عليه، وهو لم يستعد لقبولها بعد، وهو من سوء التعليم ... ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم، بتتبع ألفاظ الاختصار العويصة الفهم بتزاحم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها، لأن ألفاظ المختصرات تجدها لأجل ذلك صعبة عويصة، فينقطع في فهمها حظ صالح من الوقت... اهـ."

وانتقدت أيضاً بأن المهتمين بها في النهاية أعجز من غيرهم في التطبيق وتذوق النصوص ولا سيما النصوص الأدبية... وأنها بأساليبها، ومحتوياتها، ومناهج تصانيفها، لا تتفق مع الحقائق التربوية الحديثة، والمناهج التعليمية العصرية، لصعوبة أسلوبها ووعورة مضمونها.

ولكن الناظر في هذا النظام من التصنيف، على الرغم من كل ما قيل فيه من قدح يجد فيه:

١- عمقاً علمياً يتجلى في كثرة المعلومات، وتنوعها، وترتيبها ترتيباً محكماً.

٢- إضافة إلى ما فيها من الفوائد، والإضافات التي لا توجد في المطولات.

٣- تكوين صورة مجملة للفن الذي ألفت فيه، يستطيع الطالب الإحاطة بها في زمن قليل، وماهي إلا مدخل للعلوم، وليست هي الغاية وإليها النهاية، بل هي الأساس والبداية.

٤- إن العلم الذي فيه المتون، أكثر منه فيما تلاها من المؤلفات الحديثة وأعظم فائدة.

٥- هذه المتون يحتاج الدارس لها إلى الصبر، والجد والاجتهاد في فهمها، ويكوّن هذا الجد والاجتهاد ملكة لا توجد لغير دارسها.

٦- إن الغموض الذي عيبت به المتون ليس مما يعاب، بل هو في الحقيقة مدح لها لا قدح فيها، لأنه لا يستوي من يحصل العلم بيسر وسهولة، ومن يحصله بكد، ومشقة، وعناء ... وأين مستوى هذا من ذاك؟ وبهذا يشرف قدر العالم وتفضل منزلته، ولوكان العلم كله بيناً لاستوى في علمه جميع من سمعه، فيبطل التفاضل.

قال الخليل بن أحمد -رحمه الله تعالى-: "من الأبواب مالو شئنا أن نشرحه حتى يستوي فيه القوي والضعيف لفعلنا، ولكن يجب أن يكون للعالم مزية بعدنا."

وقال بعضهم عن المتون: "حفظتُ من العلم جوهره ولبابه، وقامت لا تزال بدورْها الكريم في مسرح التعليم، من ذلك العصر البعيد إلى عصرنا الجديد."

٧- المتون تجمع حقائق العلم في ورقات يسهل حفظها، ويسهل استحضارها في الدروس، والمناسبات.

٨- قال صاحب النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة: " العالم إنما يمتاز بفهم الغامض، وإدراك البعيد، وحلّ المستغلق، وذلك لا يكون إلا بتعويد المرء على شيء من الصعاب، ليمرن عقله على حل ما يماثلها، وكما أن المرء الرياضي لا يكون قوياً على حمل الأثقال إلا بالتعود على حمل أحمال ثقيلة متدرجاً في ذلك، كذلك لا يكون عقله قادراً على حل الصعاب إلا إذا عوّد عقله على حلّ مسائل عويصة متدرجاً في ذلك."

٩- الذين يحيطون بالمتون ويتقنونها ولا يشتكون منها أقرب إلى الابتكار وإلى الاجتهاد من غيرهم، ومن قال عن المتون : إنها غامضة وعميقة قد يكون كلامه هذا من عدم القدرة على الفهم.

١٠- وجود بعض الناس ممن اعتنى بالمتون ولم يفلح، لا يحكم به على الأكثر.

١١- الناظر في تراجم العلماء، وكيفية طلب العلم بالنسبة لهم، يدرك تماماً صحة هذه الطريقة.

١٢- هذا الأسلوب من التصنيف يربي فضيلة البحث، والتمحيص، وينمي حلية الصبر والاعتماد على النفس، ويعوّد على دقة الملاحظة.

بعضَ الناس إذا قيل له: لماذا لا تحفظ المتون؟ لماذا لا تدرس أصول الفقه؟ لماذا لا تدرس علوم البلاغة؟ لماذا لا تدرس النحو والصرف؟ يقول لك: وهل الصحابة درسوا هذه العلوم؟! العلم قال الله قال رسوله فقط! العلم هو القرآن والحديث فقط!

وبعضَهم إذا قيل له: قال الخليلُ بن أحمد كذا، وقال ابنُ مالك كذا، وقال الشاعرُ كذا، يقول لك: أين الأسانيدُ الصحيحة إلى هؤلاء أنهم قالوا هذا الكلام؟!!

وبعضَهم إذا شرع في طلب العلم، فجلس في مجلس الشيخ الذي يشرح ألفية السيوطي مثلا، فوجد الشيخ استغرق عدة مجالس في أسابيعَ ولم ينتهِ من عشرة أبيات! فقال في نفسه: متى أنتهي من هذا؟ هذا يستغرق عمرا ثم أحتاج عمرا بعده لدراسة الأصول، وعمرا آخر لدراسة النحو، وعمرا آخر لدراسة الفقه، وهكذا! فتراه ينقطع عن العلم بالكلية، أو يقرأ في الكتب بغير شيخ على الإطلاق!

وبعضهم إذا قرأ كتابا مختصرا في كل فن من الفنون، فاعتقد العصمة في مؤلفه فصار يَقبَلُ كل ما يوافقه، ويرد كل ما يخالفه، ولا يَعُدُّ ما خرج عن هذه الكتب علما على الإطلاق!

والسبب أننا نجهل معنى العلم، ونجهل أكثر كيف نصل إلى العلم، ونجهل أكثر كيف نحتفظ بهذا العلم!
فبعض الناس عنده العلم راسخا كالشجرة التليدة الراسخة منذ آلاف السنين لا تتأثر بالعوارض!
وبعضهم عنده العلم بازخا عاليا ولكن أصله ضعيف إذا أتته ريحُ الشبهات وعواصف المشككات انقلعت شجرته من أصلها!

وبعض الناس عنده العلم الراسخ كالشجرة الطيبة، ذات الأصول المركوزة، والفروع المنثورة، والأغصان الوارفة، والثمار اليانعة، تأخذ طيبا فتعطي طيبا، يأكل منها الناس فيحمدوها طُعما وريحا، فإذا ما صارت عجوزا وآذنت بالرحيل طفق الناس يأخذون من بذورها ما يستعملونه مزدرعا لهم في الأرض التي تخرج بعشرات الأشجار الأخرى الطيبة التي تنفع الناس أيضا، ويستمر العطاء!
والمتون لطالب العلم كهذه البذرة لهذه الأشجار، عليها تُبتنى الشجرة العظيمة، وبها يزداد كل يوم فروعا وأغصانا تستمد نورها من أصل هذه البذرة؛ فالورقة لا تصلح بغير غصن، والغصن لا يصلح بغير فرع، والفرع لا يصلح بغير جذع، والجذع لا يصلح بغير أصل الشجرة.

أهمية المتون :

- فالمتون هي التي تجمع العلم في رأس الإنسان فيستطيع أن يستحضر ما يشاء بسهولة!
- والمتون هي التي تضمن للإنسان أن لم يفته شيء من أصول العلوم!
- والمتون هي التي تفرق بين الطالب الذي يشتغل بالفروع بغير تأصيل وبين صاحب التأصيل الأصيل!
- والمتون هي التي تختصر عليك أعماراً بَذَلَهَا من قبلك علماؤنا حتى أتوك بالزبدة والخلاصة التي تحتاج أنت إلى أضعاف أضعاف عمرك حتى تحصلها وحدك!
- والمتون هي التي تبقى معك بعد سنوات طوال من القراءة في كتب لا تلبث أن تنساها!
- والمتون هي التي تجعلك واثقاً من كلامك في مجلس المدارسة والمناظرة، فيسلم لك المؤلف والمخالف!
- والمتون هي التي تجعل لكلامك حلاوة وطلاوة، فيكون له وقع عند العامة والخاصة!
- والمتون هي الشهادة التي لها قيمة حقيقية في زمن كثرت فيها شهادات الزور!
- والمتون هي الأساس الذي تستطيع أن تسقيه كل ما تحصله من ماء العلم الطيب فيرسخ في ذهنك، بدلا من وضع هذا الماء في قيعان لا أصل لها فلا يكاد يبقى منه شيء!

ولهذا كله كان علماؤنا الأجلاء يوصون بحفظ المتون، ويقولون دائمًا: من حفظ المتون حاز الفنون.

من أهم المتون العلمية :

العقيدة:

[*] العقيدة الطحاوية
[*] بلغة الراوي نظم عقيدة الطحاوي
[*] مهمات شرح الطحاوية
[*] العقيدة السفارينية
[*] منظومة المقاصد السنية للرسالة التدمرية
[*] منظومة الإحسائي على مقدمة أبي زيد القيرواني
[*] جملة العقائد من كتاب التسهيل والتكميل لفقه متن خليل
[*] التيسير المجلى في نظم القواعد المثلى

[*] متن الأصول الثلاثة
[*] تسهيل الحفظ والوصول نظم الثلاثة الأصول
[*] منظومة سلم الوصول إلى علم الأصول في توحيد الله واتباع الرسول
[*] قلائد العقيان بنظم مسائل الإيمان
[*] البراهين الموضحات في نظم كشف الشبهات

[*] العقيدة الواسطية لابن تيمية
[*] العقيدة الحائيَّة منظومة ابن أبي داود
[*] الأصول الثلاثة والقواعد الأربع ونواقض الإسلام
[*] كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب
[*] لمعة الاعتقاد
[*] خلاصة القواعد المثلى

علوم القرآن والتفسير :
[*] المنظومة الزمزمية في التفسير
[*] النظم الحبير في علوم القرآن والتفسير
[*] منظومة في المكي والمدني
[*] ناظمة الزهر في علم الفواصل وعد أي السور
[*] الفرائد الحسان في عد آي القرآن
[*] هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبيين متشابه الكتاب

علم القراءات :
[*] حرز الأماني ووجه التهاني
[*] الدرة المضية في القراءات الثلاث
[*] طيبة النشر في القراءات العشر
[*] عقيلة أتراب القصائد في علوم الرسم
[*] اللؤلؤ المنظوم في جملة من المرسوم

[*] المقنع في رسم مصاحف الأمصار

علم التجويد :

[*] تحفة الأطفال والغلمان
[*] المقدمة الجزرية
[*] المفيد في علم التجويد
[*] نونية السخاوي في علم التجويد
[*] عقود الجمان في آداب حفظ القرآن

الحديث :

[*] الأربعين النووية مع زيادات ابن رجب
[*] عمدة الأحكام لعبد الغني المقدسي
[*] بلوغ المرام لابن حجر
[*] الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم

مصطلح الحديث :

[*] منظومة البيقوني
[*] منظومة طُرْفَة الطُّرَف
[*] نظم نُخْبَة الفِكَر
[*] قصب السكر لنظم نخبة الفكر
[*] ألفية السيوطي في علوم الحديث
[*] ألفية العراقي في علوم الحديث الشريف
[*] اللؤلؤ المكنون في أحوال الأسانيد والمتون
[*] منظومة في قواعد الجرح والتعديل
[*] منظومة الهداية في علم الرواية
[*] العذب القراح في علم الاصطلاح

[*] القصيدة الغزلية في صفات الحديث
[*] الأربعين النووية

المنطق :
[*] السلم المنورق في علم المنطق

أصول الفقه :
[*] متن الورقات في أصول الفقه
[*] تسهيل الطرقات في نظم الورقات
[*] نظم الورقات للمغربي
[*] الكوكب الساطع نظم جمع الجوامع
[*] منظومة وسيلة الحصول إلى مهمات الأصول
[*] مراقي السعود لمبتغي الرقي والصعود
[*] منظومة الحكمي في أصول الفقه
[*] منظومة ابن أبي يحيى في أصول الإمام مالك
[*] نظم مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول

القواعد الفقهية :
[*] المنظومة الفضفرية في القواعد الفقهية
[*] منظومة القواعد الفقهية للسعدي
[*] منظومة في القواعد الفقهية
[*] الفرائد البهية في نظم القواعد الفقهية في الأشباه والنظائر الشافعية

الفقه :
[*] الرسالة للقيرواني
[*] المرشد المعين على الضروري من علوم الدين
[*] نهاية التدريب في نظم غاية التقريب
[*] نظم الزبد في الفقه الشافعي
[*] ألفية الزبد في الفقه الشافعي

[*] منظومة مفردات أحمد
[*] تكملة روضة المرتاد في نظم مهمات الزاد
[*] منظومة بلوغ المرام من أدلة الأحكام
[*] الفارضية الحنبلية
[*] البرهانية في منظومة علم الفرائض
[*] منظومة الرحبية في علم الفرائض
[*] التحفة القدسية في اختصار الرحبية في الفرائض
[*] دليل الطالب لنيل المطالب فى الفقه الحنبلى للشيخ مرعى بن يوسف الكرمى الحنبلى

السيرة النبوية والتاريخ :
[*] نظم الدرر السنية في السيرة الزكية
[*] إنارة الدجى في مغازي خير الورى
[*] نيل السول من تاريخ الأمم وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم
[*] ذات الشفاء في سيرة النبي والخلفاء

علم النحو والصرف :
[*] متن الآجرومية
[*] نظم المقدمة الآجرومية للشنقيطي
[*] نظم الآجرومية للعمريطي
[*] الدرة البهية في نظم الأجرومية
[*] رائعة الابتدا في نظم الآجرومية وقطر الندى
[*] نظم في النحو
[*] المنظومة المختصرة في النحو
[*] لامية الأفعال
[*] ألفية ابن مالك في النحو

علم البلاغة :
[*] عقود الجمان في علم المعاني والبيان
[*] الجوهر المكنون في البلاغة

علم العروض :
[*] بحور الشعر
[*] الرامزة في العروض

اللغة :
[*] نظم مثلث قطرب للمغربي
[*] نظم مثلث قطرب للبهنسي
[*] ديوان الإمام الشافعي
[*] المعلقات العشر
[*] قصيدة غروب الأندلس

الإملاء :
[*] حاشية العذراء في نظم قواعد الإملاء

الوصايا والآداب والحِكَم :
[*] المنظومة الميمية في الوصايا والآداب العلمية
[*] منظومة الألبيري
[*] منظومة عنوان الحكم
[*] لامية العجم

(٣٩) مبادئ علم الأَخْلاق

علم الأخلاق :
الخلق في اللغة هو" السجية والطب والعادة "، ولكن المسألة ليست بهذه البساطة لأن كلمة "خلق "وحدها تحتمل معنيين الخلق الحسن والخلق القبيح، ولذا فإننا ننتقل من تعريف الخلق لغويًا إلى تعريف علم الأخلاق وموضوع دراسته.

ويمكن تعريف علم الأخلاق من حيث البحث عن المبادئ وترتيبها واستنباطها والكشف عن

أهميتها للحياة الأخلاقية، مع بيان الواجبات التي يلتزم بها الإنسان.

ومن التعريفات لهذا العلم ما يتجه به نحو سلوك الإنسان بالنظر إلى مثل أعلى حتى يمكن وضع قواعد عامة للسلوك والأفعال تعين على" فعل الخير والابتعاد عن الشر. " ويعتبر علم الأخلاق – أو الفلسفة الخلقية - عادة من العلوم المعيارية - أي لا تقتصر على دراسة ما هو كائن، أو الأوضاع الراهنة ولكن بما ينبغي أن تكون عليه ولذا فإن مهمته هي" وضع الشروط التي يجب توافرها في الإرادة الإنسانية وفي الأفعال الإنسانية لكي تصبح موضوعًا لأحكامنا الأخلاقية عليها. "

ومن هذا التعريف نرى أننا في حاجة إلى إيضاح كثير من الموضوعات في المجال الأخلاقي.
إن أول مسألة تواجهنا في دراسة الأخلاق هي معرفة الفرق بين الإرادة الخلقية والإرادة الطبيعية، فإن أفعال الإنسان وسلوكه منها ما هو صادر عن دوافع طبيعية غريزية بحتة شأنه فيها شأن الحيوان، ومنها ما يخضع للقوانين والمبادئ والقواعد" إن الحياة الإنسانية الصحيحة لا تبدأ إلا من حيث تنتهي الحياة الحيوانية الصرفة."

كما يواجهنا أيضًا النظر في القيم أو المبادئ الخلقية أو المثل العليا.
أي على وجه الإجمال، نحن في دراستنا للأخلاق نقف وجهًا لوجه أمام الإنسان الذي يخوض تجربة الحياة الابتدائية بكل ما فيها من خير وشر، ونحاول أن نتعرف على مدى قدرته على اجتياز هذا الطريق أو ذاك.

وهنا نجد قدرًا كبيرًا من الاتفاق على أن المبادئ الخلقية والمثل العليا قد حازت في تاريخ الإنسانية الطويل على قدر ثابت من التأييد. فقد غرس الله تعالى فينا بصائر أخلاقية فطرية، إذ مهما بلغت درجة الانحراف والفساد اللذين قد نسقط فيهما وفيما عدا حالات استثنائية خاصة بضلال الضمير، فإننا نعترف ونحب ونقدر الفضيلة في ذاتها وفي غيرها حتى إن أعوزتنا الشجاعة للارتفاع إلى مستواها.

والذي ظهر من دراسة علماء النفس في بحوثهم في سيكولوجية الشعوب أن الأحكام التقديرية التي يطالب بها الدين. كما ظهرت في العرف والتقاليد الاجتماعية.

كذلك كشفت الدراسات الأنثروبولوجية الحديثة أن تاريخ الحضارة البشرية مليء بالشرائع

الأخلاقية وأنها تتقارب تقاربًا شديدًا، وحتى إذا افترضنا وجود اختلافات بينها فإنه ليس هناك ما يمنع ظهور أخلاقية مطلقة ، وهذا يعني أن الأساس الأخلاقي في البشرية فطري، وأن للقيم وجودها الذاتي حيث تفرض نفسها على الوجدان البشري بطريقة أولية حدسية" أما عجز بعض الأشخاص عن إدراك القيم أو التمييز بينها إنما هو "العمى الخلقي" الذي قد يرجع إلى انعدام النضج أو نقص التربية لديهم."

موضوع علم الأخلاق

موضوع الأخلاق: سلوك الإنسان وأفعاله الصادرة عنه بإرادة مباشرة أو بالواسطة، ومرادنا بالواسطة هنا أن علم الأخلاق يدين المخطئ إذا قصر وأهمل الاحتياط والتحفظ. طبعاً مع قدرته عليه حيث لا تقصير مع العجز.

تعريفه :

وعلم الأخلاق مجموعة من المبادئ المعيارية التي ينبغي أن يجري السلوك البشري على مقتضاها، والياء في المعيارية نسبة إلى المعيار الذي يقاس به غيره (أي أن مبادئ الأخلاق ترسم طريق السلوك الحميد وتحدد أهدافه وبواعثه).

الغاية :

إذا كانت الغاية من علم النحو صون اللسان عن الخطأ في المقال، ومن علم المنطق صون الفكر عن الخطأ في الأحكام، فإن الغاية من علم الأخلاق صون الإنسان عن الخطأ في سلوكه بحيث يكون مستقيماً في قصده وفعله وغرضه بعيداً عن الهوى والتقليد الأعمى، وبكلمة فإن الغاية من كل علم ما عدا علم الأخلاق أن نبتعد عن الخطأ في مسائله وقضاياه. أما الغاية من علم الأخلاق فهي ان يوجد مجتمع يسود فيه العدل والأمن والتعاون على صيانة الحياة من الفساد والمظالم، ومن كل ما يشقيها ويرهقها، والسير بها إلى الأكمل والأفضل.

ومعنى هذا أن علم الأخلاق يتوخى اصلاح الفرد والجماعة بملازمة الصراط المستقيم في السلوك.

مصدره :

ومصدر علم الأخلاق كتاب الله وسنة نبيه وآله الأطهار والعقل والمشاهدة والفطرة. وبعض الكتّاب يعبر عنها بالجهاز الدقيق الموجود في داخل الإنسان يدرك تلقائياً الكثير مما يصلحه

ويسعده ولا يُشقيه ويفسده كحبه للحرية والمساواة وكراهيته للعبودية والمحاباة، ورغبته في كل ما يوفر له الحياة الفضلى ويجعله شيئاً مذكوراً. وبعض المؤلفين يسمي هذا الجهاز بقانون القلب الذي يدرك الشيء تلقائياً. في مقابل قانون العقل الذي ينتقل من مجهول إلى معلوم، من شاهد إلى غائب.

مهمة الدعاة في هذا العصر

أما اليوم، وقد اجتاحت المادية الجامحة كل شيء، وطغت على عقول أكثر الناس وقلوبهم، خاصة شباب الكليات والمعاهد بل والرجل العادي أيضاً، ليس كما كان من قبل في عقيدته وعبادته وإقباله على التضحية والموعظة الدينية، أما اليوم، وقد كاد الإسلام يعود غريباً كما بدأ، فعلى حماته الغيورين أن يسلكوا طريقاً جديداً في الدعوة إليه يتفق مع روح العصر والعقول التي يخاطبونها، فيلمّون أولاّ بالمذاهب المادية وفلسفتها، ويعرفون عيوبها ومساوئها كي يكون الحوار مع أنصارها الواثقين بها مجدياً وعلمياً لدى من يسمعه من أهل الوعي، يهدف إلى تمحيص الحقيقة ومعرفتها.

أهداف تعليم الأخلاق:

إن التعليم حسب أهداف محددة يجب تحقيقها من خلال أساليب التدريس وبوسائلها الخاصة التي تؤدي إلى تحقيقها، فالأهداف بمثابة معايير من خلالها نعرف تحققها أو عدم تحققها ونستطيع تقويم أساليب تعليمها.

وأهم أهداف تعليم الأخلاق في الاتجاه الإسلامي هي ما يلي:

١- بيان حقائق القيم الأخلاقية الإسلامية ومبادئها وميادينها.

٢- التبصير بشمولية روح الأخلاق الإسلامية على كل تصرفات وسلوكيات الناس الفردية والاجتماعية.

٣- إبراز أهمية وأثر القيم الأخلاقية الإسلامية من الناحية العلمية والاجتماعية والإنسانية والحضارية المادية والمعنوية.

٤- إظهار خصائص ومميزات القيم الإسلامية بالنسبة إلى الأخلاقيات البشرية الوضعية.

٥- وضع المعايير الخلقية الإسلامية أمام المتعلمين؛ ليستطيعوا توجيه سلوكهم وتقويم السلوكيات في ضوئها.

٦- تكوين القناعة بثبات القيم الأخلاقية الإسلامية، وأنها ليست خاضعة للتغيرات الاجتماعية، بل إن التغيير والتكوين الاجتماعي يجب أن يخضع لهذه القيم.

٧- تكوين الإيمان بالعلاقات الثابتة والمتينة بين العقيدة الإسلامية والقيم الأخلاقية الإسلامية.

٨- الإشعار بأن تعليم الأخلاق لا يعني مجرد توصيل المعلومات الأخلاقية إلى الأذهان فقط، بل يعني الإشعار بالمسئولية الأخلاقية وبتطهير النفوس وتزكيتها من الرذائل والشرور وتحليتها بالفضائل ومكارم الأخلاق.

٩- تكوين الشعور بالمحبة للفضائل والكراهية والنفور من الرذائل والشرور.

١٠- تنمية الميول نحو العمل بالقيم الأخلاقية، والدعوة إليها ما استطاع المعلم إلى ذلك سبيلًا في المدرسة وخارجها.

ولا بد مع ذلك من تعليم الأخلاق في إطار معايير ثابتة بها يعرف الدارس القيم الأخلاقية وبها يستطيع أن يميز بين العادات والتقاليد وبين القيم الأخلاقية.

وقد بينا تلك المعايير بشئ من التفصيل وقسمناها إلى قسمين: معايير الأخلاق الإسلامية في الجزء الأول من هذه الموسوعة، ومعايير التربية الأخلاقية في الجزء الثاني منها.

ولكي يكون التعليم الأخلاقي مؤثرًا في السلوك الأخلاقي لا بد من تحقيق الأمرين، الأول: دراسة الأخلاق من حيث كونها علمًا من العلوم الإسلامية، والقسم الثاني: التربية الأخلاقية الإسلامية. وهذا النوع من الدراسات للأخلاق الإسلامية تميزت به هذه الموسوعة عن غيرها من الدراسات الأخلاقية الأخرى التي تقتصر على الجانب الأول، ولا تتناول القسم الثاني إلا قليلًا، كما سنتناول في الجزء الثالث نظام الأخلاق الإسلامي.

ولهذا فإن هذه الدراسة - من هذه الزاوية - تعد من أوسع الدراسات الأخلاقية من حيث الشمولية على الجوانب الثلاثة المهمة.

من أهم المؤلفات فى علم الأخلاق :

١- العقيدة والأخلاق - د. محمد بيصار، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٨م.

٢- علاقة العلم بالأخلاق - أحمد فهمي العمروسي، مطبعة المعاهد، مصر ١٩٢٢م.

٣- علم الأخلاق - إلى نيقوماخوس- أرسطو، ترجمة أحمد لطفي السيد، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٤م.

٤- علم النفس التربوي، د- أحمد زكي صالح، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة "د. ت."

٥- علم النفس والأخلاق - ج١٠، هافيلد، ترجمة محمد عبد الحميد أبو العزم، مكتبة مصر، القاهرة.

٦- في الدين والأخلاق القومية - د. محمد عبد الله دراز، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٣م.

٧- القانون والأخلاق - محمد البهي، وزارة الأوقاف، القاهرة.

(٤٠) مبادئ علم الآداب

الأدب ومعناه العام :

- ذكر الشيخ محمد عوامة في كتابه أدب الاختلاف تعريف الأدب ومعناه ، وفي "المصباح المنير" : ((قال أبو زيد الأنصاري : الأدب : يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل . وقال الأزهري نحوه، فالأدب اسم لذلك)) .

- ((وأهل اللغة يقولون : الأدب : الظرف وحسن التناول في الأمور كلها ، وقال بعض العلماء : الأدب كلمة تجمع خصال الخير كلها ...)) .

- قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : ((الأدب : استعمال ما يُحمد قولاً وفعلاً، وعبر بعضهم بأنه الأخذ بالمكارم الأخلاق، وقيل : الوقوف على المستحسنات، وقيل : بل هو تعظيم من فوقك، والرفق بمن دونك، وقيل : إنه مأخوذ من المأدبة، وهي الدعوة إلى الطعام، سمي بذلك لأنه يدعى إليه)).

- وأسند الخطيب إلى الإمام مالك أن محمد بن سيرين التابعي العلم الإمام رضي الله عنهما قال حاكياً حال كبار التابعين :

- ((كانوا يتعلمون الهدي، كما يتعلمون العلم)) . قال مالك – مؤكداً ذلك من فعل ابن سيرين - : ((وبعث ابن سيرين رجلاً ينظر كيف هدي القاسم بن محمد وحاله)).

- وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى : ((كان أبو بكر بن إسحاق إذا ذَكَر عقل أبي على الثقفي يقول : ذاك عقل مأخوذ من الصحابة والتابعين . وذلك : أن أبا على أقام بسمرقند مدة أربع سنين يأخذ تلك الشمائل من محمد بن نصر المَروزي، وأخذها ابن نصر عن يحيي بن يحيى، فلم يكن بخراسان أعقل منه، وأخذها يحيي عن مالك، وأقام عليه لأخذها سنة بعد أن فرغ من سماعه، فقيل له في ذلك ؟

- فقال : ((إنما أقمت مستفيداً لشمائله، فإنها شمائل الصحابة والتابعين)).

- وقال إبراهيم بن حبيب بن الشهيد – وهو وأبوه من الثقات الأثبات - : قال لي أبي : ((يا بنيَ ائت الفقهاء والعلماء وتعلم منهم، وخذ من أدبهم وأخلاقهم وهديهم، فإن ذاك أحب إلى لك من كثير من الحديث)).

- وروى أبو نعيم في ترجمة الإمام مالك أنه قال لفتى من قريش : ((يا ابن أخي تعلم الأدب قبل أن تتعلم العلم)).

- وهذا أمر نشئ عليه الغمام مالك من أول يوم دخل فيه على العلم. فقد حكي صنيع أمه معه فقال : ((كانت أمي تعممني وتقول لي : اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه)).

- ولا بد من كليهما معاً: العلم والأدب، فهما كما قال أبو زكريا العنبري أحد الأجلاء : ((علم بلا أدب كنار بلا حطب وأدب بلا علم كروح بلا جسم)) أخرجه الخطيب في جامعه أيضاً.

أدب التلقي :

((غلاء العلم عندهم أغلى من مقام أنفسهم عند الناس))

ذكر الشيخ عبد الفتاح أبو غده في كتابه (العلماء العُزَّاب) :

قال العلامة ياقوت الحموي رحمه الله تعالى : في (معجم الأدباء) ١٤٨:٦، في ترجمة صديقه وصاحبه : (عزيز الدين أبي طالب : إسماعيل بن الحسين) المروزي النسَابة العلوى الحسيني، المولود سنة ٥٧٢، والمتوفي بعد سنة ٦١٤ رحمه الله تعالى ، ما يلي :

((حدثني عزيز الدين رحمه الله : قال : ورد الفخر الرازي إلى مَرو، وكان من جلالة القدر، وعظم الذكر، وضخامة الهيبة، بحيث لا يراجع في كلامه، ولا يتنفس أحد بين يدي لإعظامه، على ما هو مشهور متعارف، فدخلت إليه، وترددت بالقراءة عليه.

فقال لي يوماً- وكان عزيز الدين هذا آنذاك في حدود الثلاثين من العمر :

((أحب أن تصنف لي كتاباً لطيفاً في أنساب الطالبيين لأنظر فيه، فلا أحب أن أكون جاهلاً به، فقلت له : أتريد مشجراً أم منثوراً ؟

فقال : المشجر لا ينضبط بالحفظ، وأنا أريد شيئاً أحفظه ، فقلت : السمع والطاعة، وصنفت له الكتاب الذي سميته بالفخري وحملته وجئته به.

فلما وقف عليه، نزل عن طَرَّاحته وجلس على الحصير، وقال لي : اجلس على هذه الطَرَّاحة، فأعظمت ذلك – أي استعظمت ذلك واستكبرته علي!- وخدمته- أي دعوت له وقلت له : أنا خادمك لا يليق بي هذا- ، فانتهرني نهرة مزعجة، وزعق علي وقال : اجلس بحيث أقول لك، فتداخلني – عَلِمَ الله – من هيبته ما لم أتمالك إلا أن جلست حيث أمرني.

ثم أخذ يقرأ على ذلك الكتاب، وهو جالس بين يدي، ويستفهمني عما يستغلق عليه، إلى أن أنهاه قراءةً، فلما فرغ منه قال: اجلس الآن حيث شئت، فإن هذا علمٌ أنت أستاذي فيه، وأنا استفيد منك، وأتتلمذ لك، وليس من الأدب أن يجلس التلميذ إلا بين يدي الأستاذ.

فقمت من مقامي، وجلس هو في منصبه، ثم أخذت أقرأ عليه، وأنا جالس بحيث كان أولاً.

وهذا ولعمري من حسن الأدب حسنٌ، ولا سيَما من مثل ذلك الرجل العظيم المرتبة)).

وجاء فى كتاب الوافى بالوفيات للصفدى ٧-١٩٦ فى ترجمة الحافظ أبى بكر الخطيب البغدادى (أحمد بن على بن ثابت) المولود ببغداد سنة ٣٩٢ ، والمتوفى بها سنة ٤٦٣ رحمه الله تعالى ما يلى :

((حضر أبو بكر الخطيب درس الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، فروى الشيخ حديثاً من رواية بحر بن كُنَيْزٍ – بالنون والزاي- السَّقَّاء، ثم قال للخطيب ما تقول فيه ؟ فقال الخطيب : إن أذنت لي ذكرت حاله، فأبعد الشيخ أبو إسحاق ظهره من الحائط، وقعد مثلما يقعد التلميذ بين يدي الأستاذ، يسمع كلام الخطيب، وشرع الخطيب في شرح أحواله، ويقول : قال فيه فلان كذا، وقال فيه فلان كذا، وشرح أحواله شرحاً حسناً وما ذكر فيه من الأئمة من الجرح والتعديل، إلى ان فرغ منه، فأثنى الشيخ أبو إسحاق عليه ثناءً حسناً، وقال : هو دارقطني عهدنا)) . انتهى

الأخلاق في الإسلام عبارة عن المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني ، والتي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على الوجه الأكمل والأتم ، ويتميز هذا النظام الإسلامي في الأخلاق بطابعين :

الأول : أنه ذو طابع إلهي، بمعنى أنه مراد الله سبحانه وتعالى .

الثاني : أنه ذو طابع إنساني، أي للإنسان مجهود ودخل في تحديد هذا النظام من الناحية العملية. وهذا النظام هو نظام العمل من أجل الحياة الخيرية ، وهو طراز السلوك وطريقة التعامل مع النفس والله والمجتمع .

وهو نظام يتكامل فيه الجانب النظري مع الجانب العملي منه، وهو ليس جزءًا من النظام الإسلامي العام فقط ، بل هو جوهر الإسلام ولبه وروحه السارية في جميع نواحيه : إذ النظام الإسلامي - على وجه العموم -مبني على مبادئه الخلقية في الأساس ، بل إن الأخلاق هي جوهر الرسالات السماوية على الإطلاق. فالرسول صلى الله وسلم يقول : " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " [رواه أحمد في مسنده] .

فالغرض من بعثته -صلى الله عليه وسلم - هو إتمام الأخلاق ، والعمل على تقويمها ، وإشاعة مكارمها ، بل الهدف من كل الرسالات هدف أخلاقي ، والدين نفسه هو حسن الخلق .

ولما للأخلاق من أهمية نجدها في جانب العقيدة حيث يربط الله سبحانه وتعالى ورسوله -صلى الله عليه وسلم - بين الإيمان وحسن الخلق ، ففي الحديث لما سئل الرسول صلى الله عليه وسلم : أي المؤمنين أفضل إيمانا ؟ قال صلى الله عليه وسلم : " أحسنهم أخلاقاً " [رواه الطبراني في الأوسط] .

ثم إن الإسلام عدّ الإيمان برًّا، فقال تعالى : (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ

وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ)(البقرة: ١٧٧) وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : " البر حسن الخلق " [رواه مسلم]. والبر صفة للعمل الأخلاقي أو هو اسم جامع لأنواع الخير.

وكما نجد الصلة بين الأخلاق والإيمان ، نجدها كذلك بين الأخلاق والعبادة إذ إن العبادة روح أخلاقية في جوهرها؛ لأنها أداء للواجبات الإلهية. ونجدها في المعاملات - وهي الشق الثاني من الشريعة الإسلامية بصورة أكثر وضوحاً .

وهكذا نرى أن الإسلام قد ارتبطت جوانبه برباط أخلاقي ، لتحقيق غاية أخلاقية، الأمر الذي يؤكد أن الأخلاق هي روح الإسلام ، وأن النظام التشريعي الإسلامي هو كيان مجسد لهذه الروح الأخلاقية .

الخلق نوعان :

١- خلق حسن : وهو الأدب والفضيلة، وتنتج عنه أقوال وأفعال جميلة عقلا وشرعاً .

٢- خلق سيئ : وهو سوء الأدب والرذيلة، وتنتج عنه أقوال وأفعال قبيحة عقلا وشرعاً.

وحسن الخلق من أكثر الوسائل وأفضلها إيصالاً للمرء للفوز بمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والظفر بقربه يوم القيامة حيث يقول : " إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً" (رواه الترمذي)

الأخلاق والممارسة الإيمانية :

إن الأخلاق في الإسلام لا تقوم على نظريات مذهبية ، ولا مصالح فردية ، ولا عوامل بيئية تتبدل وتتلون تبعا لها ، وإنما هي فيض من ينبوع الإيمان يشع نورها داخل النفس وخارجها ، فليست الأخلاق فضائل منفصلة ، وإنما هي حلقات متصلة في سلسلة واحدة ، عقيدته أخلاق ، وشريعته أخلاق ، لا يخرق المسلم إحداها إلا أحدث خرقا في إيمانه .. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق السارق وهو مؤمن " [رواه البخاري].

وسُئِلَ صلى الله عليه وسلم : أيكذب المؤمن ؟ قال: (لا) ثم تلا قوله تعالى : (إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ) (النحل:١٠٥) . فالأخلاق دليل الإسلام وترجمته العملية ، وكلما كان الإيمان قوياً أثمر خلقا قوياً.

دوام الأخلاق وثباتها :

كما أن الأخلاق في الإسلام ليست لونا من الترف يمكن الاستغناء عنه عند اختلاف البيئة ، وليست ثوبًا يرتديه الإنسان لموقف ثم ينزعه متى يشاء ، بل إنها ثوابت شأنها شأن الأفلاك والمدارات التي تتحرك فيها الكواكب لا تتغير بتغير الزمان لأنها الفطرة (فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ)(الروم:٣٠)

من أهم المؤلفات في علم الآداب والأخلاق :

- الواعظين ورياض السامعين (ت: البحيري) المؤلف: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي أبو الفرج.
- نفح العبير (ط. العالمية) المؤلف : عبد الله بن مانع الروقي العتيبي.
- حياة السلف بين القول والعمل ، المؤلف : أحمد بن ناصر الطيار
- من مواعظ وأقوال الصالحين والصالحات ، المؤلف: هاني الحاج
- صيد الخاطر ويليه لفتة الكبد إلى نصيحة الولد ، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ، المحقق: حسن السماحي سويدان
- لب اللباب «مختصر شرح فصول الآداب» لابن عقيل ، المؤلف: عبد الله بن مانع الروقي العتيبي
- فصول الآداب ومكارم الأخلاق المشروعة ، المؤلف : علي بن عقيل بن محمد أبو الوفاء ، المحقق: عبد السلام بن سالم السحيمي
- هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقا ، المؤلف : محمود محمد الخزندار
- مواعظ الصحابة رضي الله عنهم مواعظ علمية منهجية وتربوية ، المؤلف: عمر بن عبد الله بن محمد المقبل
- الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء ، المؤلف : عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي أبو الفرج ، المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد
- شرح منظومة الآداب الشرعية (ط. الأوقاف السعودية) ، المؤلف: موسي بن أحمد الحجاوي الدمشقي

- كتاب زهر الآداب وثمر الألباب -كتاب فريد من نوعه- للحصري القيرواني.
  أجود طبعاته : طبعة تحقيق محمد علي البجاوي.
- كتاب لباب الآداب، للفارس الأمير أسامة بن منقذ ، وأفضل طبعاته بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ، مكتبة السنة، دار الجيل.
- كتاب روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان ، بتحقيق محي الدين عبد الحميد.
- كتاب أدب الدنيا والدين ، لأبي الحسن الماوردي الفقيه الشافعي.

(٤١) مبادئ علم الرَّقائِق

علم الرقائق :

إذا أردنا طريق السعادة فعلينا بالاهتمام بقلوبنا وإصلاحها ومداواة أمراضها وأسقامها حتى تستجيب لربها . والقلب يحتاج إلى وعظ يرده إلى الحق ويردعه عن الشر . والموضوع الذي سأتكلم معكم فيه هو بعنوان "الرقائق" وسنتناول الحديث عن علم الرقائق فى النقاط التالية :

١- تعريف الرقائق
٢- أسباب الكلام في هذا الموضوع
٣- أهمية الرقائق وحاجتنا
٤- ما هى الرقائق
٥- عناية السلف بالرقائق
٦- التوازن في الرقائق

أولا: تعريف الرقائق المقصودة بالكلام :
الرقائق التي نتكلم عنها ـ وتسمى الرقاق أيضا والمعنى واحد ـ :جمع رقيقة وهي ما تحدث في القلب رقة ، والرقة : الرحمة واللين . قال الراغب : متى كانت الرقة في نفس فضدها القسوة كرقيق القلب وقاسي القلب .

ثانياً : أسباب الكلام في الموضوع :
١- أن الرقائق من العلم وليست خارجة عن دائرة العلم كما يعتقده بعض الناس .
٢- إقبال الدنيا وتزينها في هذا العصر حتى أصبحت هم الناس .

٣- حاجة الناس لما يرقق قلوبهم ويزيل عنهم الغشاوة و القساوة .
٤- أهمية هذا الموضوع في هذا الزمن المادي الذي يقدس الأساس التحليلي والإقناع العقلاني.
٥- إغفال هذا الموضوع من قبل الملتزمين ؛ وذلك راجع إلى :

أ- اعتقاد أن مثل هذا الموضوع شأن العامة أو المبتدئين من الملتزمين ، وأما الملتزم منذ زمن فعليه بالأشياء الأخرى كالمناقشات الفكرية ونحوها .
ب- اعتقاد أن الكلام في هذا الموضوع أو الاهتمام به من شأن الصوفية .
ج - أن هذا العصر عصر مادي يحتاج إلى الإقناع العقلاني ولا يهتم بالعاطفة.

ثالثاً: أهمية الرقائق أو حاجتنا إلى الرقائق:
إن المسلمين عموما عالمهم ومتعلمهم وجاهلهم يحتاجون جميعاً إلى ما يرقق قلوبهم ويتسبب في خشوعها وإنابتها إلى الله ، وتتضح أهمية الرقائق أو حاجتنا إلى الرقائق في النقاط التالية:
١- أن من كان قبلنا كانوا يعيشون في محيط إسلامي والمنكرات تستتر، أما الآن فالمنكرات كثرة مما يزيد من احتمال تأثر المؤمن بها من حيث لا يريد ، فتكون الرقائق بمثابة الوقود التي تعطي المسلم طاقة في مواجهة هذه المنكرات .

٢- أن الرقائق تعطي قوة دفع للمسلم لامتثال ما يؤمر به والانتهاء عما ينهى عنه ، فمثلا كان أول ما أنزل ذكر الجنة والنار وما فيهما وما أعد لأهلهما ، ثم نزلت الأحكام بعد أن تهيأت النفوس للقبول . تقول عائشة : "أول ما نزل من القرآن سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول ما نزل لا تشربوا الخمر ، لقالوا : لا ندع الخمرة أبدا" .

٣- الرقائق تقوي الإيمان الذي يعين المسلم على الثبات في مواجهة الشهوات ، ومن المعلوم أن الشهوات سببت ضعف إيمان كثير من المسلمين .

٤- أن مخاطبة العقل وحده قد لا تكفي مالم تكن ممزوجة بإثارة العاطفة ، إذ إن مخاطبة العقل وحده قد لا تنتج إلا معلومات نظرية جافة لا حياة فيها ، أما مخاطبة العقل والعاطفة فتؤدي إلى الإقناع والتطبيق العملي .

٥- الرقائق تجدد الإيمان في القلب .

٦- طلبة العلم والدعاة بحاجة إلى الرقائق ، وذلك لما يلي :

أ- العناية بالرقائق تجنب طالب العلم بإذن الله الإصابة فإنه تصيبه في مقتل ، كآفة العجب أو الحسد أو الهوى أو غيرها .

ب- طالب العلم والدعية يدعو الآخرين إلى طاعة الله والإنابة إلى الله والإخبات إليه والخشوع والخضوع مما يجعل هذه الأمور لابد من توفرها في هذا الداعية إذ أن فاقد الشيء لا يعطيه والذي يوفر هذه الأشياء في نفس الداعية الرقائق .

ج- طالب العلم والداعية قدوة للآخرين فيستفيدون منه والاستفادة من فعله أبلغ من الاستفادة من قوله ، لذا لابد أن يكون رقيق القلب ، وقد كان السلف يعنون عند طلبهم للعلم بانتقاء الشيخ الذي يتعلمون منه ويأخذون عنه فينظرون إلى عبادته وهديه وسمته فإن أحسن هذه الأشياء أخذوا عنه وإلا تركوه .

د- الداعية يتعرض للامتحان والابتلاء والذي يعينه على الثبات بإذن الله الرقائق .

رابعاً : الرقائق:
أي ما الأشياء التي يمكن أن نطلق عليها رقائق ؟ أي الأشياء التي تسبب رقة القلب ؟
الرقائق هي ما يلي :

١- معرفة الله ومعرفة أسمائه وصفاته واقتضاء هذه المعرفة لآثار هذه الأسماء الحسنى والصفات العلا من العبودية .

فإذا عرف الله .. كيف يعصيه ؟ كيف يعصي ربه وهو يعلم أنه صائر إليه موقوف بين يديه ؟ وكذلك يعرف أسماء الله وصفاته حق المعرفة بأن يؤمن بها ويستحضرها في قلبه ، يستحضرها في قلبه عند الطاعة فيقبل إليها ، وعند المعصية فيحجم عنها .
ومعرفة أسماء الله وصفاته ترقق القلب ، فإذا علم بسمع الله تعالى وبصره وعلمه المطلق حفظ

لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل مالا يرضي الله ، يقول ابن القيم في مفتاح دار السعادة (٩٠/٢):(وعلمه - ويقصد العبد - بسمعه تعالى وبصره وعلمه وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وأنه يعلم السر وأخفى ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضي الله وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه فيثمر له ذلك الحياء باطنا ، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح " اهـ .

وإذا عرف أن الله هو الجبار العزيز شديد العقاب لم يجرؤ أن يبارزه بالمعصية وإذا علم أن الله هو الرحمن الرحيم الغفور الودود رجا رحمة ربه وأحب خالقه .

فإذا عرف الله بأسمائه وصفاته أحب ربه سبحانه وخافه ورجاه فلا يكون في قلبه مكان لحب غيره أو مكان لخوف غيره أو مكان لرجاء غيره .

وليس من معرفة أسماء الله وصفاته أن نجعلها دافعا لنا للمعصية فنقول : إن الله غفور رحيم مما يدفعنا إلى أن نعصيه وننسى أنه أيضا سبحانه شديد العقاب .

٢- ذكر الجنة والنار :

إذا أراد المسلم أن يرق قلبه ويخشع لخالقه فليتفكر في الجنة والنار . يتفكر في النار وصفتها وأهوالها وأنكالها وأن الصخرة العظيمة لتلقى في شفير جهنم فتهوي فيها سبعين عاما ما تفضي إلى قرارها ، وأن وقودها الناس والحجارة، وأنها لا يزال يلقى فيها وتقول هل من مزيد . ويتفكر في أن طعام أهلها الضريع الذي لا يسمن ولا يغني من جوع ، والزقوم المتناهي في المرارة ويشربون الحميم المتناهي في الحرارة ، والصديد شديد النتانة . وليتذكر أن لباس أهلها القطران تطلى به جلودهم ، ((فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ)) (الحج:١٩) . هذا مع ما لهم من التبكيت والتخجيل ((كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ)) (الملك : ٨-٩)

تفكر حينما ينادى : أين فلان ابن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الأمل ، المضيع عمره في سوء العمل فيبادره الزبانية بمقامع من حديد ويسوقونه إلى العذاب الشديد ، فيسكن في دار ضيقة الأرجاء مظلمة المسالك ، يتمنى الخروج فلا يجاب، فيتمنى الهلاك ولا يجده ((وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ)) (فاطر:٣٧)

((إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً)) (الكهف:٢٩). إذا تفكر في هذا كله رق قلبه ورجع إلى خالقه .

وكذلك عليه أن يتفكر في الجنة ونعيمها وما أعده الله لأهلها فيها ؛ فيتفكر في أهل الجنة وفي وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم متكئين على أرائك منصوبة على أطراف أنهار

مطردة بالخمر والعسل ومحفوفة بالغلمان والولدان مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كأنهن الياقوت والمرجان لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان يطاف عليهم بأكواب وأباريق وكأس من معين بيضاء لذة للشاربين ويطوف عليهم ولدان مخلدون كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون ينظرون فيها إلى وجه الملك الكريم وقد أشرقت وجوههم نضرة النعيم لهم فيها ما اشتهت أنفسهم لا يخافون ولا يحزنون ..دار تربتها المسك والزعفران .وسقفها عرش الرحمن ملاطها المسك الأذفر ، وحصباؤها اللؤلؤ والجوهر ، ثمارها كأمثال القلال ألين من الزبد وأحلى من العسل . أدنى أهلها منزلة من له الدنيا وعشر أمثالها . إذا تفكر في هذا كله رق قلبه ورجع إلى ربه امتثل أمره وانتهى عن نهيه.

٣- ذكر الموت وما بعده من عذاب القبر ونعيمه :
الموت حقيقة لم يجادل بها أحد والجميع مقتنع تمام الاقتناع بأنه سيموت ولكن قل : من يضع الموت نصب عينيه؟ وذكر الموت يرقق القلب ويزهد في الدنيا ، ((أكثروا من ذكر هادم اللذات)) فإذا تفكر أنه سينتقل من قصره إلى قبره ، ومن التنعم بالطعام والشراب إلى التمرغ في التراب ، ومن أنس العشرة إلى وحشة الوحدة ، ومن الفراش الوثير إلى المصرع الوبيل ، وأن الدود سيكون أنيسه ، ومنكر ونكير جليسه . إذا تفكر في سكرات الموت وأنها أشد من ضرب بالسيوف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض .

وإذا تفكر في ما سيلقاه في قبره وأنه إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار . إذا تفكر في هذا كله ارتدع عن المعاصي ورق قلبه لخالقه .

٤- التفكر في أهوال يوم القيامة :
من نفخ الصور والبعث يوم النشور والعرض على الجبار ، والسؤال عن القليل والكثير ونصب الميزان لمعرفة المقادير وجواز الصراط وأحوال الناس في جوازه ، وتطاير الصحف وهل ستأخذ كتابك بيمينك أو بشمالك ، وسماعك المنادي وهو ينادي بصوت مسموع سعد فلان بن فلان أو شقي فلان بن فلان.
وتتفكر في طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه والخجل والحياء من أن تفتضح عند العرض على الجبار . في ذلك اليوم لا ينفع صديق صديقه ولا والد ولده ولا قريب قريبه ، ((وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى)) (فاطر:١٨). إذا تفكر في هذا كله فحري أن يرق قلبه ويخشع .

٥- زيارة القبور :

((كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها)) مسلم وزاد الترمذي : ((فإنها تذكر الآخرة)) وزاد ابن ماجة من حديث ابن مسعود : ((وتزهد في الدنيا)) .

زيارتك للمقبرة تجعلك تتفكر أن هذا مآلك شئت أم أبيت فيدفعك هذا إلى أن تقدم إلى مثل هذه الحفرة ، تقدم ما يجعلها عليك روضة من رياض الجنة بإذن الله .

٦- استحضار سوء الخاتمة وحسنها :

إذا كان العبد يرجو حسن الخاتمة ويخشى من سوءها واستحضر ذلك دفعه ذلك إلى ما يبعده عن سوء الخاتمة ويقربه إلى حسنها بإذن الله مما يجعل قلبه وجلاً خائفا من سوء الخاتمة راجياً حسنها فيرق لذلك .

٧- تذكر الذنوب السابقة :

إن عدم نسيانك ذنوبك وتقصيرك في حق خالقك يدفع إلى أن تزيد في العمل بعد أن يكون قلبك خائفا من ربه وجلاً يقول ــ صلى الله عليه وسلم ــ: ((إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه ، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه فقال به هكذا فطار)) رواه البخارى

٨- معرفة الدنيا وما جبلت عليه من التقلب :

فكم من غني افتقر ، وكم من عزيز ذل ، وكم من جبار قصم ، وكم من ظالم ظُلم.

جبلت على كدر وأنت تريدهـــا *** صفوا من الأقذاء والأكـــدار
ومكلف الأشياء فوق طباعها *** متطلب في الماء جذوة نار

إذا اعتبرت بما حل بغيرك رجعت إلى ربك ورق قلبك ، والسعيد من وعظ بغيره ، فقل لي بالله عليك أتنتظر أن ينزل الله بك مصيبة حتى ترجع إليه ويرق قلبك بعد قسوته .

٩- التفكر في آيات الله الكونية:

فقد اكتشف في هذا العصر من الآيات الكونية ما يجعل الإنسان يعظم ربه وخالقه ويرق له قلبه وكذلك آيات الله في نفسك وما في جسمك من بديع صنع الله وإتقانه ، اذا تفكرت في هذا أنبت إلى الله ورق قلبك ((سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ..))

(فصلت:٥٣) .

١٠- مجالسة الصالحين :
الذين بمجالستهم ترق القلوب سواء كان هذا شيخاً لك يعلمك الخير أو كان صديقاً يساعدك على ما يقربك إلى الله.
فينبغي للمتعلم أن يقصد من العلماء من اشتهر بالديانة وعرف بالستر والصيانة ، يقول ابن سيرين : إنما هذا العلم دين فانظروا عن من تأخذون .
والمفترض أن يستفيد طالب العلم رقة القلب من شيخه . كما أن من الإخوان من مصاحبتهم ترقق القلب ، " ما أعطي عبد بعد الإسلام خيرا من أخ صالح ، فإذا رأى أحدكم وداً من أخيه فليستمسك به" عمر بن الخطاب.

١١- الاستكثار من الأعمال الصالحة :
من تقرب إلى الله بما افترض عليه فقد نجح ، ومن زاد في تقربه إلى ربه بالنوافل فقد أحبه ربه.
استكثر من الأعمال الصالحة مبتدئاً بالفرائض فكملها على أحسن وجه تستطيع ، ثم النوافل فالإكثار منها مرقق للقلب ، أكثر من ذكر الله تبرأ من النفاق ، أكثر من الصيام يباعد الله وجهك عن النار ، أكثر من قيام الليل فاستغفار الأسحار ودموع المناجاة سيماء يحتكرها المؤمنون ،لابد من اغتنام مواسم الطاعات وأيام العبادات وليالي القربات التي وجهنا إليها كتاب ربنا وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

١٢- قراءة سِيَر وأخبار السلف :
إن الاطلاع على ما كان عليه السلف الصالح في هذه الأمة من رقة في القلوب وعبادة دائمة لعلام الغيوب يرقق القلب ويجعل في النفس شوقا إلى أن تحذو حذوهم وتقتدي بهم . ولاشك أن أولى من يقتدى به في ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم فهو الأخشى لله و الأخوف من ربه سبحانه وتعالى.
يقول بشر بن الحارث : بحسبك أن قوما موتى تحيا القلوب بذكرهم .

١٣- قراءة كتب الرقائق والزهد :
والاستفادة من الصحيح فيها وترك ما قد يكون في بعضها من شطحات وابتداع . والحرص كل الحرص على السنة الصحيحة والاقتداء بما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٤- الدعاء بأن يرزقك الله قلباً خاشعاً رقيقاً ليناً محباً للخير مبغضاً للشر .

١٥- قراءة القرآن بتدبر :

إن قراءة القرآن بتدبر ، تقرأه لوحدك وذهنك غير مشغول بغيره ، قراءته بخشوع وتفكر ، إن مثل هذه القراءة تورث رقة القلب ولينه ، ((اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)) (الزمر:٢٣) .

إن بقراءة القرآن تعرف ربك حق معرفته بأسمائه وصفاته وتتذكر اطلاعه عليك ، وبقراءة القرآن تعرف الجنة وما أعد لأهلها فيها ، وتعرف النار وما أعد لأهلها فيها ، وتعرف قدر الدنيا وحقيقتها بجانب الآخرة ، وتعرف الكثير مما يرقق قلبك .

إن بعض الناس قد يرق قلبه لسماع شعر ولا يرق قلبه لسماع القرآن أو تلاوته مع أن هذا لو أنزل على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله .

خامساً : العناية بالرقائق :

لقد اعتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يرقق قلوب أصحابه ويدفعهم للامتثال ، بل وجدوا منه صلى الله عليه وسلم قدوة عملية في ذلك ، إذ كان أرقهم قلبا وأشدهم خشية لله وخوفا منه ، وأحرصهم على ما يرقق قلبه ، وكان صلى الله عليه وسلم يستعيذ من قلب لا يخشع . يقول حنظلة بن الربيع الأسيدي أحد كتاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ :" لقيني أبو بكر ــ رضي الله عنه ــ فقال: كيف أنت يا حنظلة ؟ قلت : نافق حنظلة . قال : سبحان الله ما تقول ؟ قلت : نكون عند رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــيذكرنا بالجنة والنار كأنا رأي عين فإذا خرجنا من عند رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عافَسْنا الأزواج والأولاد والضَّيْعات نسينا كثيرا .." الحديث رواه مسلم ، والشاهد من هذا قوله : يذكرنا بالجنة والنار . والتذكير بالجنة والنار من الرقائق .

وقد قال الله تعالى : ((أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ)) (الحديد:١٦) .

قال ابن مسعود :((ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين)) .

ولذا رقت قلوب الصحابة واعتنوا بما يرقق قلوبهم وابتعدوا عما يسبب قسوتها . لقد تعلموا الإيمان قبل أن يتعلموا القرآن ، فلما تعلموا القرآن ازدادوا به إيمانا . يقول ابن مسعود ((إنما العلم خشية

الله)).

لقد أكثروا من عبادة ربهم العبادة المشروعة فقد كان يسمع لهم في الليل دوي كدوي النحل من قراءة القرآن والتهجد به . لقد كانوا يبكون من خشية الله ولهم في ذلك القصص، وكذلك من بعدهم .

وصنف العلماء في الرقائق كتبا مستقلة واعتنوا بها ، بل إنك لا تكاد تجد كتابا صنف في الحديث إلا وأفرد للرقائق والزهد كتابا أو بابا .

وكانوا يعدون خشية الله ورقة القلب هي العلم الحقيقي وأن العلم الحقيقي هو ما يورث الخشية ورقة القلب . يقول الحسن : ((إن كان الرجل إذا طلب العلم لم يلبث أن يرى ذلك في تخشعه وبصره ولسانه ويده وزهده)).

سادساً : التوازن في الرقائق :

لا يعني كلامي السابق أن نبالغ في المشروع ونتجاوز به حد الاعتدال الذي شرعه الله عز وجل ، وكان هديه صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في ذلك ولا يجوز لأحد من أمته صلى الله عليه وسلم أن يزيد عليه أو أن يظن أنه أكمل عبادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يظن ظان أن الكلام في الرقائق يعني الدروشة وترك العلم .

هذا غير صحيح أبدا ، فالرقائق كما قلت سابقا باب من أبواب العلم ، فالعلم لابد أن يكون قدوة في خشيته لله وهديه وسمته ولو لم يكن فيه ذلك لما قام بواجب العلم ، والعلم يؤدي إلى رقة القلب وخشية الله(إنما يخشى الله من عباده العلماء).

إن العلم إذا كان مبنيا على نهج الكتاب والسنة فإنه وسيلة لترقيق القلب ، وليس صحيحاً أن الرقائق لا يعتني بها إلا المبتدئون أو الدراويش ، بل أولى من يعتني بها العلماء وطلبة العلم والدعاة.

خلاصة القول أنه لابد من التوازن بين أبواب العلم والرقائق وحفظ المسائل وغيرها .

فالقلب إذا رق ولان لخالقه وتوجه إلى ربه بصفاء روح وجد لذة تتضاءل بجانبها اللذات الدنيوية ، ولذا قال بعضهم -محمد بن أحمد المعروف بابن رزقويه- :والله ما أحب الحياة في الدنيا لكسب ولا تجارة ولكن لذكر الله ولقراءتي عليكم الحديث)) .

من أهم المؤلفات فى علم الرقائق :

- البحر الرائق في الزهد والرقائق " ، أحمد فريد.
- الزهد والرقائق " ، عبد الله بن المبارك ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي.
- الفوائد والزهد والرقائق والمراثي " ، جعفر بن محمد بن نصير الخلدي ، تحقيق مجدي فتحي السيد.

- موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين " ، محمد جمال الدين القاسمي.
- مدارج السالكين . " لابن القيم.
- الجواب الكافي . " لابن القيم.
- طريق الهجرتين وباب السعادتين . " لابن القيم.
- لطائف المعارف " لابن رجب.
- مقتطفات من المواعظ و الأدب " ، علي سالم آل حارث.
- التعليق على منظومة في السير إلى الله والدار الآخرة " ، الشيخ عبد الرحمن السعدي.
- تزكية النفس " لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق الدكتور محمد سعيد القحطاني.
- السر المكنون في رقة القلوب ودمع العيون " ، عبد الكريم الديوان ، دار المسلم.
- موارد الظمآن لدروس الزمان " ، عبد العزيز السلمان.
- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة " ، أبو عبد الله القرطبي المفسر ، تحقيق محمود السطويسي.
- أهوال القيامة " ، عبد الملك كليب.
- القبر ، عذابه ونعيمه " ، حسين العوايشة.

(٤٢) مبادئ علم الأذكار

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) ﴾ سورة الأحزاب : ٤١ ، ٤٣

(الذِّكر) يقال اعتباراً باستحضاره، وتارة يقال لحضور الشئ القلب أو القول . ولذلك قيل الذِكر ذِكران : ذِكر بالقلب وذِكر باللسان ، وكل واحد منهما ضربان، ذكر عن نسيان وذكر لا عن نسيان بل عن إدامة الحفظ، وكل قول يقال له ذكر، فمِن الذكر باللسان قوله تعالى (وهذا ذكر مبارك أنزلناه) وقوله (أَأُنزِلَ عليه الذكر من بيننا) أي القرآن، ومن الذكر عن النسيان قوله (فإني نسيتُ الحُوتَ وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) ومن الذكر بالقلب واللسان معاً قوله تعالى)

فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً) وقوله (فاذكروا الله عند الْمَشْعَرِ الحَرام واذكروه كما هداكم) والذِكْرى : كثرة الذِكر وهو أبلغ من الذكر ، قال تعالى (رحمة منا وذِكرى لأولي الألباب ـ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) في آي كثيرة . والتَّذْكِرَة : ما يُتذكَّر به الشئ وهو أعم من الدلالة والأمارة قال تعالى (فما لهم عن التذكرة معرضين ـ كلا إنها تذكرة) أي القرآن

(سَبِّحوه) التسبيح تنزيه الله تعالى وأصله المَرَّ السريع في عبادة الله تعالى، وجُعِلَ ذلك في فعل الخير كما جُعِل الإبعاد في الشر فقيل : أبْعَده الله ، وجُعِلَ التسبيح عاماً في العبادات قولاً كان أو فعلاً أو نية قال تعالى (فلولا أنه كان من الْمُسَبِّحِين) قيل من المصلين والأَوْلَي أن يُحمل علي ثلاثتِها قال (ونحن نسبح بحمدك – وسَبِّح بالعَشِيّ – فَسَبِّحْه وأدْبار السُّجود – لولا تُسَبِّحون) أي هلَّا تعبدونه وتشكرونه . والأشياء كلها تسبح له وتسجد بعضها بالتسخير وبعضها بالاختيار ولا خلاف أن السموات والأرض والدواب مُسَبِّحات بالتسخير من حيث أحوالها تدل علي حكمة الله تعالى، وقوله (ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض) فذلك يقتضي أن يكون التسبيح علي الحقيقة وسجوداً علي وجه لا نفقهه بدلالة قوله (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) .

وسُبْحان أصله مصدر نحو : غُفْران . والسُّبُّوح القُدُّوس من أسماء الله تعالى، والسُّبْحَةَ التسبيح وقد يقال للخَرَزات التي بها يُسبَّح سُبْحَة (١) .

(البُكْرَة) التي هي أول النهار فاشْتُقَّ من لفظه لفظ الفعل فقيل بَكَر فلان بُكُوراً إذا خرج بُكْرَة والبَكُور المبالغ فى البُكُور.

(أَصِيلاً) : الآصال أي العَشايا يقال للعَشيَّة أصيل وأصيلة فجمع الأَصيل أُصُل وآصال وقال تعالى (بُكْرَة وأصيلاً) وأصل الشئ قاعدته (٢) .

الذِكْر هو المنزلة الكبرى التي منها يتزود العارفون، وفيها يتجرون وإليها دائماً يترددون، وهو منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل ومن منعه عُزِل، وهو قوت قلوب العارفين التي متى فارقها صارت الأجساد لها قبوراً، وعمارة ديارهم التي إذا تعطَّلَت عنه صارت بُوراً، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قُطَّاع الطريق، وماؤهم الذين يطفئون به التهاب الطريق ودواء أسقامهم متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب. به يستدفعون الآفات ويستكشفون الكُرُبات وتَهُون عليهم به المصيبات، إذا أظلَّهم البلاء فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم، فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون، ورؤوس أموال سعادتهم التي بها يَتَّجِرُون، يدع القلب الحزين ضاحكاً مسروراً ويوصل الذاكر إلي المذكور بل يدع الذاكر مذكوراً، وفي كل جارِحَة من الجَوَارِح عبودية مؤقتة (والذِّكْر) عبودية القلب واللسان وهي غير

مؤقتة، بل هم يؤمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال قياماً وقعوداً وعلي جنوبهم، فكما أن الجنة قِيعان وهو غِراسُها فكذلك القلوب بُوُرٌ خراب وهو عمارتها وأساسها.

وهو جلاء القلوب وصقالتها ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقاً ازداد محبة إلي لقائه للمذكور واشتياقاً، وإذا وَطَّأ في ذكره قلبه للسانه نسي في جنب ذكره كل شئ، وحفظ الله عليه كل شئ، وكان له عِوضاً من كل شئ، به يزول الوَقْر عن الأسماع والبُكْم عن الألسنة وتنقشع الظُّلْمة عن الأبصار .

زيَّن الله به ألسنة الذاكرين كما زين بالنور أبصار الناظرين فاللسان الغافل كالعين العمياء والأُذن الصماء واليد الشَّلاء . وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته . قَال

---

(١) المفردات فى غريب القرآن - الراغب الأصفهانى ص ٢٢٧

(٢) المفردات فى غريب القرآن - للراغب ص ٢٨

الحَسن البصري : تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء : في الصلاة والذكر وقراءة القرآن، فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق (١)

أنواع الذِّكر :

١ - ذِكر أسماء الله عز وجل وصفاته ومدحه والثناء عليه بها نحو (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله) .

٢ - الخبر عن الله عز وجل بأحكام أسمائه وصفاته نحو : الله عز وجل يسمع أصوات العباد ويري مكانهم .

٣ - ذكر الأمر والنهي كأن تقول : إن الله أمر بكذا ونهي عن كذا .

٤ - ذِكر آلائه وإحسانه.

(١) البحر الرائق للشيخ د / أحمد فريد ص ٩٦

والذكر يكون بالقلب أو باللسان وأفضل الذكر ما تَوَاطَأَ عليه القلب واللسان، وذكر القلب أفضل من ذكر اللسان. وأفضل الذكر تلاوة القرآن وذلك لتضمنه لأدوية القلوب كما قال تعالى (ونُنَزِّلُ مِن القرآن ما هو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين ولا يَزيد الظالمين إلا خساراً)(١) وقال (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظةٌ من ربكم وشفاءٌ لِما في الصدور وهُدَىً ورحمةً للمُؤمنين)(٢) . وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (خَيْرُكُم مَن تعلَّم القرآنَ وعلَّمَه)(٣) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبى صلي الله عليه وسلم قال (مَن قرأ حرفاً مِن كتاب الله فله به حسنة والحسنة بِعَشْر أمثالها لا أقول (ألم) حرف؛ لكن : ألف حرف ولام حرف وميم حرف) (٤) .

وقال خباب بن الأرَت رضي الله عنه : تقرب إلى الله ما استطعت فإنك لن تتقرب إليه بشئ أحب إليه من كلامه . وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه : لو طَهُرَت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم . وقال ابنُ مسعود رضي الله عنه : من كان يحب أن يعلم أنه يحب اللهَ فليعرض نفسه على القرآن، فإن أحبَّ القرآن فهو يحب الله، فإنما القرآن كلام الله (٥) .

فوائد الذِكْر :

روي مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلي الله عليه وسلم قال : (

سَبَقَ الْمُفَرِّدون . قالوا : وما المفردون يا رسول الله ؟ قال : الذاكرون اللهَ كثيراً والذاكراتُ) .

فَذِكْرُ اللهِ لـه فوائد كثيرة يجنيها العبدُ الذاكر لله تعالى في دنياه وأخراه، وذكر ابن القيم – رحمه الله تعالى – في كتابه الوابل الصَّيب أكثر من سبعين فائدة للذكر، وهـذا ملخص كلامه :-

---

(١) سورة الإسراء : ٨٢ (٢) سورة يونس : ٥٧

(٣) رواه البخاري رحمه الله تعالى عن عثمان رضي الله عنه .

(٤) رواه الترمذي والحاكم رحمها الله تعالى عن ابن مسعود رضي الله عنه – ص . ج رقم ٦٤٦٩

(٥) البحر الرائق – الشيخ د / أحمد فريد حفظه الله تعالى ص ١٠٢ – ١٠٤

١ - أنه غِراس الجنة كما في حديث جابر عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال (من قال سبحان الله وبحمده غُرِسَت له نَخْلَة في الجنة)(١) .

٢ - أن دوام ذكر الرب تعالى يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده فإن نسيان الرب سبحانه وتعالى يوجب نسيان نفسه ومصالحها، قال تعالى (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ..)(٢) .

٣ - أن الذكر شفاء لقسوة القلوب، قال رجل للحسن البصري : يا أبا سعيد أشكو إليك قسوة قلبي . قال : أَذِبْه بالذكر، وقال مَكْحُول : ذكر الله شفاء وذكر الناس داء .

٤ - أن الذكـر يوجِب صـلاةَ الله تعالى وملائكته علي الذاكـر، ومن صلى الله تعالى عليه وملائكته فقد أفلح كل الفلاح وفاز كل الفوز، قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً * وسبحوه بكرة وأصيلاً * هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلي النور وكان بالمؤمنين رحيماً)(٣)

٥ - أن جميع الأعمال إنما شُرِعتْ إقامةً لذكر الله عز وجل قال تعالى (وأَقِمِ الصلاة لذكري)(٤) أي لإقامة ذِكْري . وقال شيخ الإسلام في قوله تعالى (إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر

ولذكر الله أكبر)(٥) : الصحيح أن معني الآية أن الصلاة فيها مقصودان عظيمان وأحدهما أعظم من الآخر، فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولِما فيها من ذكر الله أعظم من نهيهما عن الفحشاء والمنكر.

٦ - أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره ويرضي الرحمنَ عز وجل ويزيل الهم والغَم والحزن ويجلب للقلب الفرح والسرور .

٧ - أنه يقوي القلب والبَدَن ويُنَوِّر الوَجْه والقَلْب ويُجْلِب الرِّزقَ .

---

(١) رواه ابن حبان والترمذي رحمها الله تعالى وصححه الألباني .

(٢) سورة الحشر : ١٩

(٣) سورة الأحزاب :٤١ - ٤٣   (٤) سورة طه :١٤

(٥) سورة العنكبوت :٤٥

٨ - أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنصرة ويورثه المحبة التي هي روح الإسلام وقُطْب رَحَى الدين ومدار السعادة والنجاة.

٩ - أنه سبب لاشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والفُحْش والباطل .

١٠ - أنه يورث المراقبة حتي يدخل العبد في باب الإحسان ويورثه الإنابة والقرب فعل قدر ذكر العبد لربه يكون قربه منه وعلى قدر غفلته يكون بعده عنه .

١١ - أنه يُورِث ذِكْرَ الله للعبد قال تعالى (فاذكروني أذكركم) .

١٢ - أن الله يباهي بالذاكرين ملائكته .

١٣ - أنه يورث حياة القلب كما قال ابن تيمية : الذكر للقلب كالماء للسمك .

١٤ - أنه يورث جلاء القلب مِن صداه، وكل شئ به صدأ، وصدأ القلب الغفلة والهوى وجلاؤه الذكر والتوبة والاستغفار .

١٥ - ومنها أنه يحط الخطايا ويذهبها .

١٦ - أنه سبب لنزول الرحمة والسَّكينة .

١٧ - أن إدامته تنوب عن الطاعات وتقوم مقامها حيث لا تنوب جميع التطوعات عن ذكر الله وعن ابن مسعود قال : لأن أسَبّحُ اللّهَ تعالى تسبيحات أحب إليّ مِن أن أنفق عددهن دنانير في سبيل الله عز وجل .

١٨ - أن الذكر يعطي الذاكر قوة في قلبه وبدنه حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه وقد علَّم النبيُّ صلي الله عليه وسلم ابنته فاطمة وعلياً رضي الله عنهما أن يُسَبِّحا كل ليلة إذا أخذا مضاجعهما ثلاثاً وثلاثين ويَحْمَدا ثلاثاً وثلاثين ويُكَبِّرا ثلاثاً وثلاثين لما سألته الخادمَ وشَكَتْ إليه ما تقاسيه من الطَّحْن والسعي والخدمة فعلَّمها ذلك وقال (إنه خير لكما من خادم) . فقيل : إن مَن دَاوَمَ علي ذلك وجد قوة في يومه تغنيه عن خادم .

١٩ - أن كثرة الذكر أمان من النفاق فإن المنافقين قليلو الذكر لله تعالى قال سبحانه في المنافقين (ولا يذكرون الله إلا قليلاً) .

٢٠ - أن الذكر أفضل من الدعاء : الذكر ثناء على الله عز وجل، والدعاء سؤال العبد لحاجته فأين هذا من هذا، والذكر كذلك يجعل الدعاء مستجاباً، فالدعاء الذي تَقَدَّمَه الذكر والثناء أفضل وأقرب إلي الإجابة من الدعاء المجرد.

ومن فوائد الذكر أنه غذاء القلب والروح الذي يتقويان به فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين غذائه .

قال ابن القيم – رحمه الله – وحضرتُ شيخَ الإسلام ابنَ تيمية مَرَّة صَلَّى الفَجْرَ ثم جلس يذكر اللّهَ تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفتَ إليَّ وقال : هذه غَدْوتِي ، ولو لم أتغَدَ هذا الغدَاءَ لسقطت قوتي . وقال لي مرة : أنا لا أترك الذِّكْر إلا بنية إجمام نفس أو إراحتها لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر .

قال الشيخ أبو بكر الجزائري في تفسير الآيات الكريمات :

هذا النداء الكريم من رب رحيم يوجه إلى المؤمنين الصادقين ليعلمهم ما يزيد إيمانهم ونورهم ويُحفظون به من عدوهم وهو ذكر الله تعالى ذكراً كثيراً لا حَدَّ له إذ هو الطاقة التي تساعد علي الحياة الرُّوحِية (وسبحوه بكرة وأصيلاً) بصلاة الصبح وصلاة العصر وبقول سبحان الله والحمد لله والله أكبر دُبُرَ كل صلاة من الصلوات الخمس وقوله (هو الذي يصلي عليكم وملائكتُه) وصلاته تعالى عليهم رحمته لهم وصلاة ملائكته الاستغفار لهم (ليخرجكم من الظلمات إلي النور)

أي من ظلمات الكفر والمعاصي إلي نور الإيمان والطاعات، فصلاته تعالى وصلاة ملائكته هي سبب الإخراج من الظلمات والنور . وقوله (وكان بالمؤمنين رحيماً) وهذه علاوة أخرى زيادة علي الإكرام الأول وهو الصلاة عليهم وإنه بالمؤمنين عامة رحيم فلا يعذبهم ولا يشقيهم.

وعن أبي موسي الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (مَثَل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مَثَل الحي والميت) . وعن أبي هريرة أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال (يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي، وإن ذكرني في مَلأٍ ، ذكرتُه في مَلأٍ خيرٍ منه)

وعن جابر رضى الله عنه قال سمعتُ رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم يقول (أفضل الذكر : لا إله إلا الله)

وعن عبد الله بن بُسرْ رضي الله عنه أن رجلاً قال : يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثُرتْ عَلَيَّ. فأخبرني بشئ أتشبث به. قال : (لا يزال لسانك رَطْباً من ذكر الله)

ورطوبة اللسان عبارة عن سهولة جريانه، كما أن يُبْسَه عبارة عن ضده، ثم إن جريان اللسان عبارة عن مداومة الذكر فكأنه صلى الله عليه وسلم قال دَوام الذكر . فهو من أسلوب قوله تعالي (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : (ألا أُنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة وخير لكم مِن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلي . قال : (ذكر الله تعالى)

من أهم المؤلفات فى الأذكار والأدعية :

- الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة للشيخ مصطفى العدوي.
- صحيح الكلم الطيب لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني.
- صحيح الأدعية والأذكار المنتخبة من كتب العلامة ناصر الدين الألباني، جمع وترتيب: المبارك أبو الفضل السلفي.
- مختصر النصيحة في الأذكار والأدعية الصحيحة للشيخ / محمد إسماعيل المقدم.
- كتاب نزل الابرار بالعلم المأثور من الأدعية والأذكار للقنوجي.
- زاد الأبرار من الأدعية والأذكار لهمام الجرف.
- رحيق الأزهار من الأدعية والأذكار، المؤلف : لبنى أبو شقرة

- فوائد من الكتاب القيم لابن القيم الوابل الصيب بطريقة سؤال وجواب لغافل بن منوخ الرخيص.

- الاستغفار وثمراته في القرآن والسنة للدكتور سليمان بن صادق البيرة.
- الدعاء في الحج لسامي بن محمد بن جاد الله.
- معاني الأذكار وثوابها لماجد إسلام البنكاني.
- أذكار الجهاد والدعاء على الكفار الصحيحة لوائل بن علي الدسوقي.
- أهمية الاستغفار وفوائده لعلي بن نايف الشحود.
- الأدعية والأذكار المأثورات أثناء وبعد الصلوات د / إسماعيل محمد علي عبد الرحمن.
- تسبيح ومناجاة وثناء على ملك الأرض والسماء للدكتور محمد موسى الشريف.

(٤٣) مبادئ علم الجُمَّل

علم الجُمَّل أو الجُمَل

حساب الجُمَّل والترقيم البدائي عند العرب

استعمل العرب كغيرهم من الأمم قبل ظهور الإسلام الترقيم ، وسجلوا تلك الأرقام بالكلمات . كما أنهم استعملوا حروف أبجديتهم للدلالة على أرقامهم (يرى بعض الباحثين أن العرب لم يستعملوا ذلك إلا بعد قيام الدولة الإسلامية) وسمّوه (حساب الجمّل) (وهو بتشديد الميم كما ضبطه الجوهري في الصحاح ٤/١٦٦٢ . وينظر المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٧/٣١٥ . وقد عرّفه ابن سيده في كتابه المذكور بقوله : "وحساب الجـمَّل : الحروف المقطَّعة على أبي جاد" .

وثمة بعض الخلاف بين أهل المشرق وأهل المغرب في ترتيب حروف (أَبْجَد) ، ومن ثم اختلافهم في دلالتها على الأرقام .

الأبجدية عند أهل المشرق:

رتب أهل المشرق حروف (أَبْجَد) على النحو التالي :
(أَبْجَد هَوَّز حُطِّي كَلَمُن سَعْفَص قَرَشَت ثَخَذْ ضَظَغْ) (وقد قال الخوارزمي في مفاتيح العلوم - المصدر الأول - : "حروف حساب الجمّل وهي :

(أَبْجَد هَوَّز حُطِّي كَلَمُن سَعْفَص قَرَشَت ثَخَذْ ضَظَغْ) ، هذا على ما يستعمله المنجمون والحسَّاب ، فأما على ما تعرفه العرب ف :

(أبو جاد هواز حطي كلمون سعفص قرشات)" . وينظر : المحكم في نقط المصاحف للداني ٣٣ - ٣٤.

ودالتها عندهم على الأرقام كما في الجدول التالي:

قيمته العددية	الحرف	قيمته العددية	الحرف	قيمته العددية	الحرف	قيمته العددية	الحرف
400	ت	60	س	8	ح	1	أ
500	ث	70	ع	9	ط	2	ب
600	خ	80	ف	10	ي	3	ج
700	ذ	90	ص	20	ك	4	د
800	ض	100	ق	30	ل	5	هـ
900	ظ	200	ر	40	م	6	و
1000	غ	300	ش	50	ن	7	ز

الأبجدية عند أهل المغرب :

وأما ترتيبها عند أهل المغرب فهو على الصورة التالية :
(أَبْجَد هَوَّز حُطِّي كَلَمُن صَعْفَض قَرَسَتْ ثَخَذْ ظَغش) ، فالاختلاف بين الفريقين في ثلاث كلمات فقط.

وترقيم المغاربة الأبجدي حسب الجدول الآتي:

الحرف	قيمته العددية	الحرف	قيمته العددية	الحرف	قيمته العددية	الحرف	قيمته العددية
أ	1	ح	8	ص	60	ت	400
ب	2	ط	9	ع	70	ث	500
ج	3	ي	10	ف	80	خ	600
د	4	ك	20	ض	90	ذ	700
هـ	5	ل	30	ق	100	ظ	800
و	6	م	40	ر	200	غ	900
ز	7	ن	50	س	300	ش	1000

ومما يجدر ذكره هنا أن العرب استعملوا في ظل الدولة الإسلامية ترتيبا آخر لهذه الحروف سُمي بحروف المعجم وبحروف الهجاء أو التهجي وبحروف العربية - يراعى تشابه الشكل مع اعتبارات أخرى ، ولا علاقة للحساب به - ، فوضعوا الحروف المتشابهة في الرسم متساوقة ، لكن بقي الخلاف قائمًا بين أهل المشرق وأهل المغرب في الترتيب : (رجح البعض أن القرن الثاني أو الثالث الهجري هو الزمن الذي حدث فيه الانفصال بين الترتيب الأبجدي المشرقي والمغربي ، وكذلك بين حروف المعجم (الهجاء) المشرقية والمغربية . الكتابة العربية والسامية

فترتيب المشارقة هو : (أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و ي)

وأما ترتيب المغاربة فهو : (أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ و ى)

وقد فضل الصفدي الترتيب المشرقي لأنه أكثر اتساقا فقال : (وترتيب المشارقة أحسن وأنسب لأنهم أثبتوا الألف أولا ، وأتوا بالباء والتاء والثاء : ثلاثة ، وبعدها جيم حاء خاء : ثلاثة متشابهة في الصور أيضا ، ثم إنهم سردوها كل اثنين اثنين متشابهين إلى القاف ، وأتوا بعد ذلك بما لم يتشابه فكان ذلك أنسب).

وَبَيَّنَ أبو عمرو الداني سبب تسميتها بحروف المعجم فقال : "وحروف المعجم الحروف المقطعة من الهجاء ، وفي تسميتها بذلك قولان : أحدهما أنها مبينة للكلام ، مأخوذ ذلك من قولهم : أعجمتُ الشيء ، إذا بينته ، والثاني أن الكلام يُختبر بها ، مأخوذ ذلك من قولهم : عَجَمتُ العود وغيره ، إذا

اختبرته").

ومن أوائل الذين استعملوا الترتيب المشرقي أمير المؤمنين في الحديث وفقهه أبوعبد الله البخاري - المتوفى سنة ٢٥٦ هـ . ، وذلك في كتابه القيم : (التاريخ الكبير) - وفي وغيره - ، وتبعه الإمام مسلم بن الحجاج - المتوفى سنة ٢٦١ هـ . في كتابه : (الكنى والأسماء) ، والإمام أبو عبد الرحمن النسائي - المتوفى سنة ٣٠٣ هـ . في كتابه (الضعفاء) ، والإمام أبو جعفر العقيلي - المتوفى سنة ٣٢٢ هـ . في كتابه الضعفاء أيضا ، والإمام أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم - المتوفى سنة ٣٢٧ هـ . في كتابه الجليل (الجرح والتعديل) ، وغيرهم الكثير .

وسبقهم إلى هذا الترتيب برمته الإمام اللغوي أبو عمرو الشيباني - المتوفى سنة ٢٠٦ هـ . في كتابه (الجيم) ، وقد عُدّ أبو عمرو أول من رتب المعجم حسب أوائل الحروف كما ذكر الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار في كتابه (الصّحاح ومدارس المعجمات العربية) .

وكل هؤلاء قدموا الواو على الهاء . لكن الإمام اللغوي إسماعيل بن حماد الجوهري - المتوفى قبيل الأربع مئة - صاحب (تاج اللغة وصِحاح العربية) المشهور بـ (الصحاح) قدّم في كتابه المذكور الهاء على الواو ، قال الأستاذ احمد عطار في كتابه السابق : "وأفرد لكل حرف من حروف الهجاء بابا خاصّا به ، إلا الواو والياء فجمعها في باب واحد ، ولهذا قدّم الهاء على الواو ليسعه جمع الواو والياء في باب" . وقد تبعه على تقديم الهاء على الواو الجم الغفير من علماء اللغة وغيرهم كمتأخري علماء الحديث ، ومنهم : أبو الحجاج المزي - المتوفى سنة ٧٤٢ هـ . - في كتابه الفريد (تهذيب الكمال) .

ومن أوائل الذين اختاروا النَّمط المغربي في الترتيب المعجمي : الفقيه المحدث محمد بن حارث الخشني القيرواني ، ثم الأندلسي - المتوفى سنة ٣٦١ هـ . - في كتابه (تاريخ علماء الأندلس) ، الذي بقيت منه نسخة عتيقة في الخزانة الملكية بالرباط - وهي تُعَدُّ من أقدم المخطوطات بالخزانة الملكية ، وقد كتِب في آخرها : "تم الكتاب . والحمد لله حق حمده ، وصلى الله على محمد وعلى آله . وكان ذلك في شعبان من عام ثلاثة وثمانين وأربع مئة" - .

وتبعه الإمام أبو الحسن علي بن محمد القابِسي - المتوفى سنة ٤٠٣ هـ . - في كتابه : (المُلَخَّص لما في الموطأ من الحديث المسند) ، الذي نظمه على شيوخ الإمام مالك مرتبين على حروف المعجم . والإمام أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي ابن عبد البر - المتوفى سنة ٤٦٣ هـ . - في كتابه (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد) ، الذي رتبه أيضا على شيوخ الإمام مالك على

حروف المعجم ، وكتابه (الاستغناء في معرفة الكنى) . وكذلك فعل الإمام أبو القاسم بن بَشْكُوال - المتوفى سنة ٥٧٨ هـ . - في كتابه : (الصلة) ، الذي ذيل به على كتاب ابن الفرضي ، وغيرهم الكثير الكثير . وكذلك فإن أبا عبد الله بن عبد الملك المراكشي - المتوفى سنة ٧٠٣ هـ . - تبع ابن بشكوال في ترتيبه لكتابه : الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة ، وقال في مقدمته : "فآثرت ترتيب كتابي هذا بأن وضعتُ أبوابه على ترتيب حروف المعجم المشرقي لصحة اعتباره" . وينبغي ملاحظة ما ذكره أبو عمرو الداني في كتابه : (المُحكم في نقط المصاحف) ، بقوله : "أهل المشرق ينقطون الفاء بواحدة من فوقها ، والقاف باثنتين من فوقها ، وأهل المغرب ينقطون الفاء بواحدة من تحتها ، والقاف بواحدة من فوقها ، وكلهم أراد الفرق بينهما بذلك" .

ولا بأس أن نشير هنا إلى أن الخليل بن أحمد الفراهيدي - المتوفى سنة ١٧٠ هـ . - رتب كتابه (العين) على طريقة أخرى وصفها الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار في كتابه (الصحاح ومدارس المجمعات العربية) بقوله : "ورتب معجمه على الحروف بحسب مخارجها ، فبدأ بحروف الحلق لأنه أبعد مخارجها ، ويبدأ بالصعود تدريجيا حتى ينتهي إلى الشفة ، وجعل ترتيب الحروف هكذا :

(ع ح هـ غ خ ق ك ج ش ض ص س ز ط ت د ظ ذ ث ر ل ن ف ب م و ي أ) .

والخليل أيضا هو أول من جمع حروف المعجم ضمن بيت واحد - كما ذكر السيوطي في بغية الوعاة وهو :

صِفْ خَلْقَ خَوْدٍ كمثل الشمس إذ بَزَغَتْ * يَحْظى الضَّجيع بها نجلاءُ معطارُ

فهذا الترقيم الأبجدي الذي انتهجه أهل المشرق والمغرب يعتمد النظام العشري الساذَج ، إذ قسموه إلى منازل : آحاد وعشرات ومئات ثم الألف ، بيد أنهم لم يعرفوا فيه الصفر .

وظل هذا الترقيم مستخدما عند العرب على نطاق واسع إلى أن عرفوا الأرقام الشائعة ، فقلَّ حينئذ استعمالهم له حتى كاد أن ينقطع في عصرنا هذا . ومن ذلك الاستعمال ما ذكره الأستاذ الكبير المحدث الشيخ أحمد محمد شاكر في مقدمة تحقيق الإحسان في تقريب صحيح ابن حيان من أن العلامة جمال الدين نصر الله بن أحمد البغدادي الحنبلي - المتوفى سنة ٨١٢ هـ . - لَهِج باستخدام الترقيم الأبجدي في ترتيبه للفروع الفقهية التي انطوى عليها كتاب القواعد الفقهية لابن رجب الحنبلي - المتوفى سنة ٧٩٥ هـ . - ،وفي هذا الصّدد يقول : "فجاء جمال الدين الحنبلي

هذا ، وصنع فهرسا جيدا لكتاب القواعد ، رتّب فيه الفروع الفقهية التي نُثِرت في الكتاب على أبواب الفقه ، ووضع عقيب كل مسألة رقم القاعدة التي هي فيها بحروف الجمّل مرموزة بالأحمر ، وقال : مثال ذلك : إذا كان عقيب المسألة : (ق ن ج) ، فاعلم أن القاف بمئة والنون بخمسين والجيم بثلاثة ، فاطْلب القاعدة الثالثة والخمسين بعد المئة تجد المسألة في القاعدة المذكورة" .

كما أن الإمام ابن ناصر الدين الدمشقي - المتوفى سنة ٨٤٢ هـ . - أشار إلى وفيات الحفاظ الذين اشتملت عليهم قصيدته (بديعة البيان عن موت الأعيان) بالترقيم الأبجدي ، وتتألف هذه القصيدة من أكثر من تسع مئة بيت تضم أكثر من ألف ومئتي حافظ ، وقد جعلها على الطبقات . وهذا مثال منها يوضح المقام ، ففي أول الطبقة السابعة يقول : "الزاهدُ ابنُ القاسم النبيلُ قَوِيُّهُم صلاحُه أثيلُ" . فقد ذكر في هذا البيت فقيه مصر عبد الرحمن بن القاسم صاحب الإمام مالك - المتوفى سنة ١٩١ هـ . - ، وأشار إلى تاريخ وفاته هذا بأوائل كلمات الشطر الثاني ، فالقاف تساوي ١٠٠ ، والصاد ٩٠ ، والألف ١ . وعلى هذا النمط عامة القصيدة . ولم يغفل ابن ناصر الدين الدمشقي في مطلع القصيدة عن التنبيه إلى منهجه فيها ، فمما قاله في هذا الشأن :

وفاتُهم مُدْرَجَة في الوصفِ *** مرموزةٌ بأولِ من حرفِ

على حساب جمّل تلوح *** غير أناسٍ موتهم صريحُ

ولتركيب الأرقام الأبجدية طريقة تعرض لها الخوارزمي بقوله : "فإذا ركبت منها اثنين أو ثلاثة فإن سبيلك أن تقدم الأكثر وتؤخر الأقل ، مثال ذلك : (يب) اثنا عشر ، وكذلك (قكج) مئة وثلاثة وعشرون" . (لم يراع بعض الباحثين المعاصرين هذا الترتيب التنازلي في الترقيم الأبجدي ، كالدكتور مطلوب في الأرقام العربية إذ يقول "فإذا أُريد الرقم (١٢٤٠) كتبوا (مرغ)" . وكذلك الدكتور السمان في بحثه : أرقامنا العربية الحالية هل يمكن التحول عنها؟ عندما قال : "فإذا أرادوا كتابة (١٧٢٠) مثلا كتبوا (كذغ)" .

أدناه جدول يبين بعض النماذج حسب طريقة المشارقة :

ما يعادلها	اللفظة	ما يعادلها	اللفظة	ما يعادلها	اللفظة	ما يعادلها	اللفظة	ما يعادلها	اللفظة
45	مه	2345	بغشمه	660	خس	66	سو	11	يا
155	قنه	3000	جغ	1001	غا	98	صح	19	يط

كج	23	قيا	111	غقيا	1111	طغ	9000	---	---
لج	33	رب	202	بغ	2000	كغ	20000	---	---
نط	59	شعب	372	بغقيا	2111	غغ	1000000	---	---

والحروف المركبة لم يكن يلاحظ معناها ، وهي في كثير من الأحيان - كما ترى - لا معنى لها أصلا . لكن جماعات من المتأخرين لما استعملوا هذا الترقيم الأبجدي في تأريخهم وغيره جعلوها ذات معنى ، إلا أنهم لم يلتزموا حينئذ الترتيب المنازلي . فمن ذلك (وهي نماذج لا خلاف فيها بين المشارقة والمغاربة) أن أحد المؤرخين سجل فتح القسطنطينية - وقد كان سنة ٨٥٧ هـ . - بهذه الجملة المفيدة : (بلدة طيبة) . وأرخ آخر هذا الفتح بآخر كلمة ذكرها في هذا البيت:

رام أمرَ الفتح قوم أولون *** حازه بالنصر قوم آخرون

وإنه لمن الفائدة بعد هذا العرض ، أن نسجل كلمات عن تاريخ تلك الأبجدية العربية التي هي مادة الأرقام العربية الأولى. أدناه تجدون كل نماذج وقواعد حساب الجُمَّل

علم الحروف هو : ترجمة الحروف إلى أعداد ثم الأعداد إلى حروف ، والأعداد في هذا الفن هي مفاتيح أسراره والتي تقع في طريق الوصول إلى كشف الأمور الغيبية والأسرار الخفيّة ، وسيأتي في مبحث لاحق بعض أسرار الاعداد وارتباطها بالحروف في عالم القرآن والتكوين.

ثم أن ترجمة الحروف إلى أعداد لاستنطاقها تكون بناءً على قواعد متعددة وطرق مختلفة ، نذكر هنا أهمها:

الطريقة الأولى : الجُمَّل الكبيرة وهي الطريقة المشهورة والشائعة									
أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ي
1	2	3	4	5	6	7	8	9	10
ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص	ق	ر
20	30	40	50	60	70	80	90	100	200

	غ	ظ	ض	ذ	خ	ث	ت	ش	
	1000	900	800	700	600	500	400	300	

الطريقة الثانية : الجُمَّل الكبيرة على الطريقة المغربية

ي	ط	ح	ز	و	هـ	د	ج	ب	أ
10	9	8	7	6	5	4	3	2	1
ر	ق	ض	ف	ع	ص	ن	م	ل	ك
200	100	90	80	70	60	50	40	30	20
	ش	غ	ظ	ذ	خ	ث	ت	س	
	1000	900	800	700	600	500	400	300	

الطريقة الثالثة : التهجّي وهي بسط الحرف كما يُلفظ باللسان واستنطاقه بالأعداد ، مثلا حرف "أ" نلفظه : ألف ، وحرف "ب" نلفظه باء ، واستنطاق الحروف بالأعداد على هذه الطريقة هي

ي	ط	ح	ز	و	هـ	د	ج	ب	أ
11	10	9	17	13	6	35	53	3	111
ر	ق	ص	ف	ع	س	ن	م	ل	ك
201	181	95	81	130	120	106	90	71	101
	غ	ظ	ض	ذ	خ	ث	ت	ش	
	1060	901	805	731	601	501	401	360	

الطريقة الرابعة : الأبجد الصغير

ي	ط	ح	ز	و	هـ	د	ج	ب	أ
10	9	8	7	6	5	4	3	2	1
ر	ق	ص	ف	ع	س	ن	م	ل	ك
20	19	18	17	16	15	14	13	12	11

	غ 28	ظ 27	ض 26	ذ 25	خ 24	ث 23	ت 22	ش 21

الطريقة الخامسة : الأبتث. . .									
ر 10	ذ 9	د 8	خ 7	ح 6	ج 5	ث 4	ت 3	ب 2	أ 1
ف 20	غ 19	ع 18	ظ 17	ط 16	ض 15	ص 14	ش 13	س 12	ز 11
	ي 28	و 27	هـ 26	ن 25	م 24	ل 23	ك 22	ق 21	

مثال تطبيقي:

قال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي -رحمه الله- في خاتمة منظومته (سلم الوصول إلى علم الأصول):
أبياتها" يسر "بعَدِّ الجُمَّلِ *** تأريخها" الغفران "فافهم وادع لي

طريقة الحساب : "يسر"
10+60+200=270 إذن : أبياتها = ٢٧٠ بيتاً
"الغفران"
1+30+1000+80+200+1+50= 1362 إذن : تأريخها = ١٣٦٢هـ

والحروف المركبة لم يكن يلاحظ معناها ، وهي في كثير من الأحيان - كما ترى - لا معنى لها

(٤٤) مبادئ علم النَّحْت :

النَّحْت في أصل اللغة : هو النشر والبَرْي والقطع. يقال: نحت النجّار الخشب والعود إذا براه وهذب سطوحه. ومثله في الحجارة والجبال. قال تعالى: "وتنحتون من الجبال بيوتاً فرهين".

والنحت في الاصطلاح: أن تعمد إلى كلمتين أو جملة فتنزع من مجموع حروف كلماتها كلمة فذّة تدل على ما كانت تدل عليه الجملة نفسها. ولما كان هذا النزع يشبه النحت من الخشب والحجارة سمّيَ نحتا.

وهو في الاصطلاح عند الخليل: "أخذ كلمة من كلمتين متعاقبتين، واشتقاق فعل منها".

ويعتبر الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) هو أوّل من أكتشف ظاهرة النحت في اللغة العربية حين قال: "إن العين لا تأتلف مع الحاء في كلمة واحدة لقرب مخرجيها، إلاّ أن يُشتَق فَعِلٌ من جمع بين كلمتين مثل (حيّ على) كقول الشاعر:

أقول لها ودمع العين جار *** ألم يحزنك حَيْعَلَة المنادِي

فهذه كلمة جمعت من (حيّ) ومن (على). ونقول منه (حيعل، يحيعل، حيعل.

هذا، ويعرّف الدكتور نهاد الموسى النحت بقوله : هو بناء كلمة جديدة من كلمتين أو أكثر أو من جملة، بحيث تكون الكلمتان أو الكلمات متباينتين في المعنى والصورة، وبحيث تكون الكلمة الجديدة آخذة منها جميعاً بحظ في اللّفظ، دالة عليها جميعاً في المعنى.

ويعتبر تعريف الدكتور نهاد الموسى المذكور، هو أشمل تعريف للنحت؛ حيث استقاه، صاحبه من مجموع تعريفات السابقين.

ب - صور النحت في اللغة العربيّة:

لقد ورد النحت في اللغة العربية على صور عديدة أهمّها:

تأليف كلمة من جملة لتؤدي مؤدّاها، وتفيد مدلولها، كبسمل المأخوذة من (بسم الله الرحمن الرحيم)، وحيعل المأخوذة من (حي على الصلاة، حي على الفلاح).

ومما ورد في كلام العرب:

لقد "بَسْمَلَتْ" ليلى غداة لقيتها *** فيا حبّذا ذات الحبيب المبسمل

تأليف كلمة من المضاف والمضاف إليه، عند قصد النسبة إلى المركب الإضافي إذا كان علماً كعبشمي في النسبة إلى عبد شمس، وعبد ري في النسبة إلى عبد الدار.
تأليف كلمة من كلمتين أو أكثر، تستقل كل كلمة عن الأخرى في إفادة معناها تمام الاستقلال؛ لتفيد معنى جديدا بصورة مختصرة. وهذا النوع كثير الورود في اللغات الأوربية، قليل في العربيّة وأخواتها السامية ولم تعرف منه إلا بعض ألفاظ نتيجة تخريج لبعض العلماء، من ذلك "لن" الناصبة، يرى الخليل أنّها مركبة من "لا" النافية و "أن" الناصبة. و "هلم": يرى القرّاء أنها من "هل" الاستفهامية، ومن فعل الأمر "أُمَّ" بمعنى أقصد وتعال. وقيل: إنّها مركبة من هاء التنبيه" و "لم" بمعنى ضم. و"أيان" الشرطية مركبة من "أي آن" فحذفت همزة آن وجُعلت الكلمتان كلمة واحدة متضمّنة معناهما. وغير خاف أنّ وجود هذا القسم رهن بافتراضات جدليّة وخلافات بين العلماء.

ج - الغرض من النحت:
تيسير التعبير بالاختصار والإيجاز. فالكلمتان أو الجملة تصير كلمة واحدة بفضل النحت.
يقول ابن فارس: "العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار. وذلك" رجل عبشمي "منسوب إلى اسمين" هما عبد وشمس.
وسيلة من وسائل تمية اللغة وتكثير مفرداتها؛ حيث اشتقاق كلمات حديثة، لمعان حديثة، ليس لها ألفاظ في اللّغة، ولا تفي كلمة من الكلمات المنحوت منها بمعناها.

د - أقسام النحت:
قام المتأخرون من علماء اللغة من خلال استقرائهم للأمثلة التي أوردها الخليل بن أحمد وابن فارس بتقسيم النّحت إلى أقسام عدّة، يمكن حصرها فيما يلي:
النحت الفعلي: وهو أن تنحت من الجملة فعلاً، يدل على النطق بها، أو على حدوث مضمونها، مثل: (جعفد) من: جعلت فداك (و بسمل) من: "بسم الله الرحمن الرحيم".
النحت الوصفي: وهو أن تنحت كلمة واحدة من كلمتين، تدل على صفة بمعناها أو

بأشدّ منه، مثل: (ضِبَطْر) للرجل الشديد، مأخوذة من ضَبَط وضَبَر. و(الصّلدم) وهو الشديد الحافر، مأخوذة من الصلد والصدم.

النحت الاسمي: وهو أن تنحت من كلمتين اسما، مثل (جلمود) من: جمد وجلد. و(حَبْقُر) للبرد، وأصله حَبُّ قُرّ.

النحت النسبي: وهو أن تنسب شيئاً أو شخصاً إلى بلدتي: (طبرستان) و (خوارزم) مثلاً، تنحت من اسميها اسماً واحداً على صيغة اسم المنسوب، فتقول: (طبرخزيّ) أي منسوب إلى المدينتين كليهما. ويقولون في النسبة إلى "الشافعي وأبي حفيفة": "شفعنتي" وإلى "أبي حنيفة والمعتزلة": "حنفلتي""، ونحو ذلك كثير.

النحت الحرفي: مثل قول بعض النحويين، إنّ (لكنّ) منحوتة، فقد رأى القراء أنّ أصلها (لكن أنّ) طرحت الهمزة للتخفيف ونون (لكن) للساكنين، وذهب غيره من الكوفيين إلى أنّ أصلها (لا) و (أن) والكاف الزائدة لا التشبيهيّة، وحذفت الهمزة تخفيفا.

النحت التخفيفي: مثل بلعنبر في بني العنبر، وبلحارث في بني الحارث، وبلخزرج في بني الخزرج وذلك لقرب مخرجي النون واللاّم، فلما لم يمكنهم الإدغام لسكون اللاّم حذفوا، كما قالوا: مست وظلت. وكذلك يفعلون بكلّ قبيلة تظهر فيها لام المعرفة، فأمّا إذا لم تظهر اللاّم فلا يكون ذلك، مثل: بنى الصيداء، وبنى الضباب، وبنى النجار.

وهناك تأويلات ألفاظ قائمة على وجوه فكهة يمكن حملها على النحت، وذلك كالذي أورده الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) عن أبي عبد الرحمن الثوري، إذ قال لابنه: "...أي بني، إنما صار تأويل الدرهم، دار الهمّ، وتأويل الدينار، يدني إلى النار" ومنه: "كان عبد الأعلى إذا قيل له: لم سمّي الكلب سلوقيا؟ قال: لأنه يستل ويلقى، وإذا قيل له: لم سمّي العصفور عصفوراً؟ قال: لأنه عصى وفرّ".

هذا، وحين نستعرض الشواهد الصحيحة المرويّة عن العرب في النحت لا نكاد نلحظ نظاماً محدّداً نشعر معه بما يجب الاحتفاظ به من حروف وما يمكن الاستغناء عنه. وليس يشترك بين كلّ تلك الأمثلة سوى أنّها في الكثرة الغالبة منها تتّخذ صورة الفعل أو المصدر، وأنّ الكلمة المنحوتة - في غالب الأحيان- رباعيّة الأصل.

ومن أشهر الأمثلة الرباعيّة الأصول ما يلي:

كلمة منحوتة من كلمتين مثل "جعفل" "أي" جعلت فداك "وكذلك "جعفد" منحوتة من نفس الكلمتين في بعض الرّوايات.
كلمة منحوتة من ثلاث كلمات مثل: "حيعل" أي قال: "حي على الفلاح".
كلمة منحوتة من أربع كلمات مثل: "بسمل" أي قال: "بسم الله الرحمن الرحيم". أو ربّما كانت هذه الكلمة منحوتة من كلمتين فقط هما "بسم الله".
أكبر عدد من الكلمات التي نحت منها كلمة واحدة هو ذلك القول المشهور "لا حول ولا قوة إلاّ بالله"، فقيل من هذه العبارة: "حوقل" أو "حولق"

هـ - مذهب ابن فارس في النحت:
لقد استهوت ابن فارس فكرة النحت وطبّقها على أمثلة كثيرة في كتابه "مقاييس اللغة" فخرج علينا بنظرية مفادها: أنّ أكثر الكلمات الزّائدة على ثلاثة أحرف، منحوت من لفظين ثلاثيين.
يقول ابن فارس في كتابه "مقاييس اللغة": "اعلم أنّ للرّباعي والخماسي مذهبا في القياس، يستنبطه النظر الدقيق؛ وذلك أنّ أكثر ما تراه منه منحوت، ومعنى النّحت: أن تؤخذ كلمتان وتنحت منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعا بحظ. والأصل في ذلك ما ذكر الخليل من قولهم: حيعل الرجل إذا قال: حيّ على".
كما يقول ابن فارس في كتابه "الصاحبي":
"العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار... وهذا مذهبنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت. مثل قول العرب للرجل الشديد "ضِبَطْر" من ضَبَطَ وضَبَرَ".
مما سبق؛ نستنتج -كما استنتج أحد الباحثين من قبل -بأن ابن فارس مسبوق في نظريته؛ حيث يشتم من نصّه في المقاييس بأن الخليل بن أحمد قد سبقه في مذهبه المذكور وأنّه يسير على طريقته في ذلك.

و - موقف المحدثين من النحت:
يقول الدكتور صبحي الصالح: "ولقد كان للنحت أنصار من أئمة اللغة في جميع العصور، وكلّما امتدّ الزمان بالناس ازداد شعورهم بالحاجة إلى التوسّع في اللغة عن

طريق هذا الاشتقاق الكبّار، وانطلقوا يؤيدون شرعية ذلك التوسع اللغوي بما يحفظونه من الكلمات الفصيحات المنحوتات.

ولكن النحت ظلّ -مع ذلك- قصّة محكيّة، أو رواية مأثورة تتناقلها كتب اللغة بأمثلتها الشائعة المحدودة، ولا يفكر العلماء تفكيراً جدياً في تجديد أصولها وضبط قواعدها، حتى كانت النهضة الأدبية واللغوية في عصرنا الحاضر؛ وانقسم العلماء في النحت إلى طائفتين:

طائفة تميل إلى جواز النحت والنقل اللّفظي الكامل للمصطلحات.

وطائفة يمثّلها الكرملي حيث يرى: (أن لغتنا ليست من اللّغات التي تقبل النحت على وجه لغات أهل الغرب كما هو مدوّن في مصنفاتها. والمنحوتات عندنا عشرات، أمّا عندهم فمئات، بل ألوف، لأنّ تقديم المضاف إليه على المضاف معروفة عندهم، فساغ لهم النحت. أما عندنا فاللغة تأباه وتتبرأ منه)

وقد وقف الدكتور صبحي الصالح من الطائفتين موقفاً وسطاً حيث يقول: "وكلتا الطائفتين مغالية فيما ذهبت إليه؛ فإن لكلّ لغة طبيعتها وأساليبها في الاشتقاق والتوسّع في التعبير. وما من ريب في أنّ القول بالنحت إطلاقا يفسد أمر هذه اللغة، ولا ينسجم مع النسيج العربي للمفردات والتركيبات، وربّما أبعد الكلمة المنحوتة عن أصلها العربي. وما أصوب الاستنتاج الذي ذهب إليه الدكتور مصطفى جواد حول ترجمة (الطب النفسي الجسمي)، فإنّه حكم بفساد النّحت فيه (خشية التفريط في الاسم بإضاعة شيء من أحرفه، كأن يقال: "النفسجي" أو النفجسمي" ممّا يبعد الاسم عن أصله، فيختلط بغيره وتذهب الفائدة المرتجاة منه".

ز - صلة النحت بالاشتقاق:

لقد انقسم الباحثون من علماء اللغة إزاء نسبة النحت إلى الاشتقاق، إلى أربعة فرق:

الفريق الأول: ويرى "أنّ مراعاة معنى الاشتقاق (...) جعل النحت نوعاً منه: ففي كلّ منها توليد شيء من شيء، وفي كل منها فرع وأصل، ولا يتمثّل الفرق بينها إلاّ في اشتقاق كلمة من كلمتين أو أكثر على طريقة النحت واشتقاق كلمة من كلمة في قياس التصريف".

الفريق الثاني: ويذهب إلى أنّ النحت غريب عن نظام اللغة العربية الاشتقاقي. لذلك لا يصحّ أن يعد قسماً من الاشتقاق فيها. وحجّته أن لغويّينا المتقدّمين لم يعتبروه من ضروب الاشتقاق، وأنه يكون في نزع كلمة من كلمتين أو أكثر، بينما يكون الاشتقاق في نزع كلمة من كلمة. زد على ذلك أنّ غاية الاشتقاق استحضار معنى جديد، أما غاية النحت فالاختصار ليس إلاّ.

الفريق الثالث: ويمثله الشيخ عبد القادر المغربي. وقد توسط بين الفريقين السابقين: فاعتبر النحت "من قبيل الاشتقاق وليس اشتقاقا بالفعل، لأن الاشتقاق أن تنزع كلمة من كلمة. والنحت أن تنزع كلمة من كلمتين أو أكثر، وتسمى تلك الكلمة المنزوعة منحوته".

الفريق الرابع: وقد انفرد به العلامة محمود شكري الألوسي. وقد أدرج النحت في باب الاشتقاق الأكبر.
فيقول: "و (النحت) بأنواعه، من قسم (الاشتقاق الأكبر)".
وعنده أن الاشتقاق الأكبر هو: "أن يؤخذ لفظ من لفظ، من غير أن تعتبر جميع الحروف الأصول للمأخوذ منه، ولا الترتيب فيها، بل يكتفى بمناسبة الحروف في المخرج، ومثلوه بمثل: نعق، من النهق، والحوقلة من جملة: لاحول ولا قوة إلا بالله، للدلالة على التلفظ بها".
وما ذكره العلامة الألوسي -سلفا-، أعتبره خلطا غير مُرْضٍ، إذ النحت يتميز عن الاشتقاق الأكبر بتوليد جديد له بعض خواص الاشتقاق.
هذا، وإنني أعتبر النحت من قبيل الاشتقاق وليس اشتقاقا بالفعل -كما قال الشيخ المغربي-، من حيث أن عنصر التوليد فيه ظاهر، والذي عليه مدار الاشتقاق وبينهما اختلاف غير يسير..

ح - النحت بين السّماع والقياس:
يقرّر الدكتور إبراهيم نجا -رحمة الله- أن: "النحت سماعي. وليس له قاعدة يسير وفقها القائلون، إلاّ في النسبة للمركب الإضافي. فقد قال العلماء إنه مبنيّ على تركيب كلمة من اللفظين على وزن (فعلل)، بأخذ الفاء والعين من كلّ لفظ ثم

ينسب للفظ الجديد كعبشميّ في عبد شمس، وعبد ريّ في عبد الدار، وتيملّي في تيم اللاّت. وفي غير ذلك مبنى على السّماع والأخذ عن العرب"

غير أنّ بعض الباحثين المتأخرين فهموا نصّ ابن فارس: "... وهذا مذهبنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت" - فهموه فهماً مختلفاً؛ فقد استنتج بعضهم من هذا النص أنّ ابن فارس يرى أنّ النحت قياسي.

يقول الدكتور إبراهيم أنيس: "ومع وفرة ماروي من أمثلة النحت تحرج معظم اللّغويين في شأنه واعتبروه من السّماع، فلم يبيحوا لنا نحن المولدين أن ننهج نهجه أو أن ننسج على منواله. ومع هذا، فقد اعتبره ابن فارس قياسيا، وعده ابن مالك في كتابه التسهيل قياسيّا كذلك".

حيث يقول "ابن مالك" في التسهيل: قد يُبْنَى من جُزأي المركب فَعْلَلَ بفاء كل منهما وعينه، فإن اعتلّت عين الثاني كمل البناء بلامه أو بلام الأول ونسب إليه.

وقال أبو حيّان في شرحه: وهذا الحكم لا يطّرد؛ إنّما يقال منه ما قالته العرب، والمحفوظ عَبْشميّ في عبد شمس، وعبد ريّ في عبد الدار، ومرقسيّ- في امرئ القيس، وعَبْقَسَى في عبد القيس، وتيملي في تيم الله. انتهى.

وقد علّقت لجنة النحت بمجمع اللغة العربية في القاهرة على هذا الاختلاف بالقول: "... وقد نقلنا فيما تقدّم عبارة ابن فارس في فقه اللغة، وهي لا تفيد القياسية إلاّ إذا نظر إلى أنّ ابن فارس ادعى أكثرية النحت فيما زاد عن ثلاثة، ومع الكثرة تصحّ القياسية والاتساع".

وهكذا يظلّ النحت بين قياس وسماع بين اللغويين، ووقف مجمع اللغة العربية من ظاهرة النحت موقف المتردّد في قبول قياسيته، حتى "تجدد البحث أخيراً حول إباحته أو منعه، فرأى رجال الطبّ والصيدلة والعلوم الكيماوية والحيوانية والنباتية في إباحته وسيلة من خير الوسائل التي تساعدهم عند ترجمة المصطلحات الأجنبية إلى اللغة العربية".

ومن هنا؛ انتهى مجمع اللغة العربية بالقاهرة إلى قرار سنة ١٩٤٨م يفيد: "جواز النّحت في العلوم والفنون للحاجة الملحّة إلى التعبير عن معانيها بألفاظ عربيّة موجزة".

ولكن بشرط انسجام الحروف عند تأليفها في الكلمة المنحوتة، وتنزيل هذه الكلمة على أحكام العربية، وصياغتها على وزن من أوزانها.

وبتحقيق هذه الشروط يكون النّحت -كجميع أنواع الاشتقاق- وسيلة رائعة لتنمية

هذه اللغة وتجديد أساليبها في التعبير والبيان من غير تحيّف لطبيعتها، أو عدوان على نسيجها المحكم المتين.

من أهم المؤلفات التى تكلمت علم النحت :

- المزهر : للسيوطي، ١/ ٤٨٢-٤٨٥ .
- النحت وبيان حقيقته ونبذة من قواعده : للعلامة السيد محمود شكري الألوسى، تحقيق وشرح محمد بهجة الأثري، ط. مطبعة المجمع العلمي العراقي سنة ١٤٠٩هـ.
- الاشتقاق: للأستاذ عبد الله أمين.
- أسرار اللغة :للدكتور إبراهيم أنيس.
- كتاب النحت في اللغة العربية :للدكتور نهاد الموسى، الطبعة الأولى، دار العلوم للطباعة

والنشر بالرياض سنة1405 هـ

- فقه اللغة العربية للدكتور إبراهيم محمد نجا، ص 55 وما بعدها.
- الاشتقاق وأثره في النمو اللغوي للدكتور عبد الحميد محمد أبو سكين.
- فقه اللغة :للدكتور إبراهيم محمد أبو سكين، ، ط .مطبعة الأمانة سنة1404 هـ.
- الاشتقاق والتعريب للشيخ عبد القادر المغربي.
- فقه اللغة العربية وخصائصها للدكتور إميل بديع يعقوب.
- الاشتقاق عند اللغويين، للدكتور فتحي أنور الدابولي
- النحت في العربية :عبد الكريم مجاهد مقال منشور بمجلة الفيصل :العدد56 ، صفر 1412 هـ
- النحت بين مؤيديه ومعارضيه للدكتور فارس فندي البطاينة ، بحث منشور بمجلة اللسان العربي، العدد34

- الاشتقاق :للدكتور فؤاد ترزي، ص 351 وما بعدها، وتجديد العربية بحيث تصح وافية بمطالب العلوم والفنون :للأستاذ إسماعيل مظهر، الناشر مكتبة النهضة المصرية، د.ت.
- فقه اللغة للدكتور علي بعد الواحد وافي، ص 186 وما بعدها .والصاحبي :لابن فارس، ، ط .المكتبة السلفية بالقاهرة سنة1328هـ.

(٤٥) مبادئ علم الفِراسَة

علم الفِراسَة

لقد برع العرب منذ القدم في مهن كثيرة وأمور عديدة وعلوم ومعارف كانوا السابقين إليها عن غيرهم من الأمم ولعل من أهمها علم الفراسة، يقال في أيام العرب تفرست في وجه الرجل فعرفت من أين هو ومن أين قدم، وهكذا اعتبر من ضمن العلوم الشائعة آنذاك وقد عرف علم الفراسة تعريفاً بسيطاً يعتبره إلهام فالفراسة تعتبر : (فكره تقفز فجأة للوعي ممن شهد لهم بالصلاح وبالذكاء وبالمعرفة الطويلة) وممن اشتهروا بذلك الخليفة الراشد فاروق الإسلام والمسلمين أبو حفص / عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه وهو الملهم من أمة / محمد صلى الله عليه وسلم وقت التنزيل إذ نزل القرآن الكريم بما يتوافق مع رأيه في أربع وعشرين موضعا وقد تكلم علماء الحديث في حديث : (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله) وأنه لا يصح إلا أن الحديث الصحيح : (من عادى لي وليا والذي فيه : كنت سمعه الذي يسمع به ويده التي يبطش بها ...... الحديث) وهذا الحديث يؤيد معناه ويؤكده حقيقة من طرق صحيحة وقد اشتهرت أسر عربية ببراعتها في الفراسة وتقصي الأثر .

وكانت القيافة في العرب خاصة، ولم يكن في جميع الأمم أحد ينظر إلى رجلين أحدهما قصير والآخر طويل، أو أحدهما أسود والآخر أبيض فيقول : هذا القصير ابن هذا الطويل، وهذا الأسود ابن هذا الأبيض إلا في العرب . العقد الفريد لـ / ابن عبد ربه الأندلسي / ٢٠٩-٢١٠ . وقد ذكر / القلقشندي في كتابه : (قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان) أن في بني مدلج بن مُرة بن عبد مناة بن كنانة هؤلاء علم القيافة، وهو إلحاق بعض الأقارب ببعض، كإلحاق الابن بالأب،

والأب بالابن، ونحو ذلك بالشبه ومنهم / محرز المدلجي الصحابي رضي الله عنه، الذي سرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بقيافته في / زيد بن حارثة، وابنه / أُسامة بن زيد، حيث دخل عليهما فوجدهما نائمين، وقد بدت أقدامهما من غطائهما، فقال : إن هذه الأقدام بعضها من بعض ولهم قصة مع / إبليس جاء فيها أنه عند بدء تحرك قريش للحاق بقافلة / أبي سفيان تخوف البعض بسبب الحرب بين قريش وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة، إذ اعتقدوا أن يغدر بهم بنو بكر وهم منشغلون بملاقاة المسلمين فقال / إبليس متقمصا شكل / سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي، وهو أحد أشراف بني كنانة : أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه وأما بكر بن عبد مناة فبنوه هم أحلاف قريش ضد عدوتهم خزاعة وضد الرسول صلى الله عليه وسلم أما الفراسة فقد تكون مشتركة مع بعض الأمم علما أن نتائج البصمة الوراثية تكاد تكون قطعية في إثبات نسبة الأولاد إلى الوالدين أو في نفيها عنهما فهي أقوى من القيافة العادية والخطأ في البصمة الوراثية ليس واردا من حيث هي وإنما الخطأ في الجهد البشري أو في عوامل التلوث ونحو ذلك، وجاء في قرار المجمع الفقه الإسلامي أنه لا يجوز الاعتماد على البصمة الوراثية في نفي النسب ولا يجوز تقديمها على اللعان الواردة صفته في سورة النور وكذلك لا يجوز استخدام البصمة الوراثية بقصد التأكد من صحة الأنساب الثابتة شرعا والقيافة على نوعين : قيافة البشر وقيافة الأثر .

أما قيافة البشر : فهي الاستدلال بهيئات أعضاء الإنسان عما يريد كشفه، فكان الواحد منهم يستطيع أن يُلحق المولود بأمه ولو كانت مع عشرين امرأة .

وأما قيافة الأثر : فهي الاستدلال بآثار الأقدام والخفاف والحوافر وقد ذكر في هذا المجال ما يعد من المستحيلات، قالوا : إنهم كانوا يميزون قدم الرجل والمرأة والبكر والثيب والشيخ والشاب والأعمى والبصير.

ولقد تفرد العرب بشكل عام والبدو بشكل خاص بهذا العلم دون غيرهم من الأمم ولهم في ذلك مهارة عجيبة، لا يكاد يجاريهم فيها أحد معتمدين على الفطنة، ودقة الملاحظة والذكاء الفطري واستطاعت المأثورات تخليد الوقائع بشكل يكاد يرقى في بعض الأحيان إلى مستوى الأساطير والخوارق ويحتل قصاصو الأثر في البادية مكانة عالية لما يقدمونه من دور كبير في استقرار المجتمع البدوي من خلال الكشف عن أسرار كل عمل أو فعل قد يلطخ به فاعله سمعة العشيرة، وهناك قصاصون مشهورون يقوم البدو باستدعائهم لتتبع الأثر حين تدعو الحاجة إلى ذلك، وهم يتميزون

بمهارات خاصة تمكنهم من أداء مهامهم بنجاح، وهي خاصة تعتمد علي قوة الملاحظة، والموهبة المكتسبة والخبرة والمتابعة المستمرة التي تبدأ منذ الصغر .

وفي كتاب لأحد المستشرقين الذين زاروا منطقة ساحل عمان وأطراف الربع الخالي والذي كان يتبع منهج البحث الأنثروبيلوجي (وظائف الأعضاء) في وصل الأنساب ببعضها حيث كان يدرس التركيب التشريحي للقبائل من حيث الطول واللون وشكل الجمجمة وقياساتها ومما ذكر أن عرب الجنوب يتصفون بالقصر نوعا ما وبشكل الجمجمة المكورة وبغمق لون البشرة وأن عرب الشمال يتصفون بشكل الجمجمة الأكثر استطالة والطول نوعا ما وفتح لون البشرة والشكل المميز للأنف فهل من الممكن أن تفيد هذه الطريقة في المساعدة على معرفة الأنساب وعلاقتها ببعضها البعض ؟ علما بأن القيافة علم قديم اشتهرت به العرب منذ بدء الخليقة في عصور مختلفة وقد أقرته الشريعة.

فعلم القيافة هو على قسمين : قيافة الأثر، ويقال لها العيافة وقيافة البشر، وهي المرادة ههنا، وهو علم باحث عن كيفية الاستدلال بهيئات أعضاء الشخصين على المشاركة، والاتحاد بينهما في النسب والولادة في سائر أحوالها وأخلاقها والاستدلال بهذا الوجه مخصوص ببني مدلج، وغيرهم من العرب، وذلك لمناسبة طبيعة حاصلة فيهم لا يمكن تعلمه وحكمة الاختصاص تؤول إلى صيانة النسبة البنوية، كما قال بعض الحكماء وخص ذلك بالعرب ليكون سببا لارتداع نسائهم عما يورث خبث الحس وشوب النسب من فساد البذر والزرع وحصول هذا العلم بالحدس والتخمين لا بالاستدلال واليقين، والله سبحانه وتعالى أعلم وقد حكي أن الإمام الشافعي - رحمه الله - ومحمد بن الحسن - رحمه الله - رأيا رجلا فقال محمد : إنه نجار وقال الشافعي : إنه حداد فسألاه عن صنعته، فقال : كنت حدادا والآن نجار وإنما سمي بقيافة البشر لكون صاحبه متتبع بشرات الإنسان وجلوده وأعضاءه وأقدامه وهذا العلم لا يحصل بالدراسة، والتعليم ولهذا لم يصنف فيه وذكروا أن / إقليمون من غير العرب صاحب الفراسة كان يزعم في زمانه أنه يستدل بتركيب الإنسان على أخلاقه، فأراد تلامذة / بقراط أن يمتحنوه به، فصوروا صورة بقراط ثم نهضوا بها إليه وكانت يونان تحكم الصورة بحيث تحاكي المصورة من جميع الوجوه في قليل أمرها وكثيره، لأنهم كانوا يعظمون الصورة، ويعبدونها فلذلك يحكونها وكل الأمم تبع لهم في ذلك، ولذلك يظهر التقصير من التابعين في التصوير وظهوره بينا، فلما حضروا عند / إقليمون ووقف على الصورة وتأملها وأمعن النظر فيها، قال : (هذا رجل يحب الزنا) وهو لا يدري من هو، فقالوا له : كذبت هذه

صورة / بقراط، فقال : لا بد لعملي أن يصدق فاسألوه فلما رجعوا إليه وأخبروه بما كان، قال : صدق / إقليمون أنا أحب الزنا، ولكن أملك نفسي كذا في تاريخ الحكماء . قال في (مدينة العلوم) : ومبنى هذا العلم ما يثبت في المباحث الطبية من وجود المناسبة، والمشابهة بين الولد ووالديه، وقد تكون تلك المناسبة في الأمور الظاهرة بحيث يدركها كل أحد، وقد يكون في أمور خفية لا يدركها إلا أرباب الكمال . ولهذا اختلف أحوال الناس في هذا العلم كمالا، وضعفا إلى حيث لا يشتبه عليه شيء أصلا لسبب كماله في القوتين أي القوة الباصرة والقوة الحافظة اللتين لا يحصل هذا العلم إلا بهما، وهذا العلم موجود في قبائل العرب ويندر في غيرهم، لأن هذا العلم لا يحصل إلا بالتجارب والمزاولة عليه مددا متطاولة، ولهذا لم يقع في هذا العلم تصنيف وإنما هو متوارث ولاهتمام العرب بهذا العلم اختص بهم، وتوارثه خلف عن سلف، ولهذا لم يوجد في غيرهم إلا ما ندر . انتهى

وقد اعتبر القيافةَ الشارعُ أيضاً في بعض الأحكام كما ورد في الصحيح من حديث مجزز الأسلمي، أنه دخل فرأى أسامة بن زيد وزيدا وعليهما قطيفة قد غطيا رؤوسهما، وبدت أقدامهما فنظر إليهما مجزز الأسلمي وقال : إن هذه الأقدام بعضها من بعض، فسر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم، قال الحافظ / ابن حجر رحمه الله تعالى : وجه إدخال هذا الحديث في كتاب الفرائض الرد على من زعموا أن القائف لا يعتبر به فإن اعتبر قوله فعمل به لزم منه حصول التوارث بين الملحق والملحق به . انتهى . وقد بسط القول في ذلك القاضي العلامة / محمد بن علي الشوكاني في مؤلفاته فارجع إليها.

وقد كتب أحد الإخوة قائلا : إن علم النسب علم عظيم القدر إذ به يكون التعارف بين الناس والشعوب والقبائل وعلم بهذه الصفة علم عظيم لا ينكر حقه إلا جاهل، وقد قال الله تعالى في محكم كتابه : (يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [الحجرات : ١٣] فقد جعل تعرف الناس بأنسابهم غرضا له تعالى في خلقه إيانا شعوبا وقبائل وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على تعلمه لهذه الغاية فيروى عنه قوله : (تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال، منسأة في الأجل، مرضاة للرب) ولا يزال العربي يقيم له وزنا، ولا سيما عربي البادية، فعلى نسب المرء في البادية تقوم حقوق الإنسان، بل حياته في الغالب، فنسب الإنسان هو الذي يحميه، وهو الذي يحافظ على حقوقه ويردع الظالم عنه ويأخذ حق المظلوم منه (٢) وقد أعطى

العرب هذا العلم عظيم اهتمامهم ففاقوا غيرهم فلم نجد أمة من الأمم أولته هذا الاهتمام فبرعوا فيه حتى فاقوا غيرهم، إن هذا العلم الذي برع فيه العرب لا يعد حكرا عليهم كما يتصور كثير من الناس بل اهتمت به بعض الأمم ووضعت له ضوابط تتناسب مع ثقافتها وموروثاتها، ويعد هذا العلم فرع من فروع علم التاريخ الذي يبحث ويتابع تواريخ السلالات والأسر وأعمالها وأثارها وسير أعلامها، وخاصة الأسر الحاكمة في المجتمعات الغربية، ويطلق عليه علم السلالات (البيدلوجيا) وقد أدخل بعض من العرب العارفين بعلم الأنساب معرفة لا تقيد بضوابط وأصول محددة أطلق عليها القيافة كان لها دور في علم الأنساب وقد عرفها العرب في الجاهلية ويقال : أنها كانت مختصة ببني مدلج ومضر بن نزار ومنهم تعلمته القبائل العربية حيث كان العرب يزعمون أن الولد إذا ولدته أمه يجب أن يكون بين هيئته وهيئة أبيه تقارب في الهيكل، والشكل، والطول، والقصر والقيافة علم يؤخذ بالحدس والتخمين ، وقد عرف اللغويون القائف بأنه الذي يعرف النسب بفراسته ونظره إلى أعضاء المولود ، والقيافة التنبؤ والإخبار عن شيء بتتبع الأثر والشبه ، وتدخل في ذلك قيافة آثار الأقدام والأخفاف والحوافر للاستدلال منها على أصحابها، وتعين النسب في حالة الشك فيه وما زالت القيافة معروفة عند العرب حتى الآن وقد اشتهر بها (بنو مدلج) خاصة، حتى قيل للقائف (مدلجي) بسبب هذا الاختصاص، وبنو لهب، وأحياء مضر ، ويروي (المسعودي) أن القيافة من الأمور التي برع بها العرب واختصوا بها، وصار لهم مران وخبرة بها، وذكر أن ممن عرف واشتهر بها / محرز المدلجي وقد تعجب الرسول من قيافته وصدقه ، ومن القبائل التي لها دراية بهذا الضرب من المعرفة حتى الآن بعض العشائر القاطنة بين بغداد وسامراء في العراق، وهؤلاء لا يزالون عاكفين عليها ، إن هذا النوع من المعارف لا يمكن الاعتماد عليه بالكامل ما لم يشفع بأسانيد وقرائن ومدونات علم النسب فهو يصلح أن يكون عاملا مساعدا لا أصلا منفردا في الأنساب.

اشتهر العرب قديما بالفراسة حيث كان العربي وبفضل فراسته يستطيع أن يعرف من ملامح الشخص وخصوصا وجهه أن يعرف اصل هذا الشخص ومن أي قبيلة هو وأن يأخذ انطباع عام عنه حول شخصيته مثل (كرمه، بخله ، شجاعته ، جبنه ....)، وتفرع علم الفراسة إلى علوم كثيرة أيام العرب ومن هذه الأنواع :-

١-العيافة (فراسة الأثر) :- تحليل أثار أقدام من مشى على أرض رملية أو غيرها واستنتاج

معلومات غزيرة عن هذا الشخص مثل جنسه وعمره ووزنه وطوله وصحته وغيرها من المعلومات وكذلك كان يستخدم هذا العلم في فنون الصيد من أجل تتبع الفريسة من خلال الأثر الذي تتركه.

٢- القيافة (فراسة الإنسان) :- معرفة خصائص الإنسان السلوكية والنفسية من خلال النظر إلى أعضاء الإنسان مثل الوجه وما يحويه من أجزاء كالعيون والأنف والفم والحواجب ...، وكذلك ملاحظة خصائص الجسم العامة كالأذرع والسيقان والأقدام والظهر والكتف وغيرها من هذه الأعضاء.

٣- الريافة (البحث عن الماء) :- وهي معرفة وضعية المياه الجوفية في التربة من خلال شم التربة أو ملاحظة النباتات ومدى نموها وحجمها ، وملاحظة الحيوانات وسلوكها في تلك المنطقة.

٤- الاختلاج (توقع المستقبل) :- وهي معرفة ما سوف يحدث مع الإنسان من خلال دراسة أعضائه (ولكن الدين الإسلامي نهى عن هذا النوع من الفراسة واعتبرها من التنجيم ....)

٥- فراسة الجبال ومعرفة المعادن والكنوز الدفينة بها.

٦- فراسة الغيوم والرياح وتوقع هطول الأمطار وكميته.

٧- فراسة الحيوان :- لمعرفة طباع الحيوان وأهم صفاته المحمودة أو المذمومة وغيرها الكثير من أنواع الفراسة التي اشتهر بها العرب قديما تعريف الفراسة عند العرب قديما :- ورد ت كلمة " فراسة " في اللغة كما في المعجم الوسيط على أنها" المهارة في تعرف بواطن الأمور من ظواهرها " تعريف الفراسة في لسان العرب: جاء في لسان العرب لابن منظور " الفراسة ، بكسر الفاء : النظر والتثبت والتأمل للشيء والبصر به ، يقال إنه لفارس بهذا الأمر إذا كان عالماً به ، وتفرس في الشيء : توسمه

الفراسة عند ابن القيم :

هناك ثلاثة أنواع من الفراسة لدى ابن القيم: النوع الأول: (الفراسة الإيمانية وحقيقتها أنها خاطر يهجم على القلب ينفي ما يضاده يثبت على القلب) وسمي بهذا الاسم تشبيها له بوثوب الأسد على فريسته وسبب هذا النوع : نور يقذفه الله في قلب العبد يكون من نتائجه أن يفرق بين الحق

والباطل والصادق والكاذب وغيرها وهي بحسب الإيمان قوة وضعفا فكلما قوي الإيمان قويت وكلما ضعف ضعفت فمن كان أقوى إيمانا كان أقوى فراسة . أما النوع الثاني من الفراسة فهو الفراسة الرياضية : وهي تكون بالمران والتكرار وتحمل المشاق من الجوع والسهر والتخلي وسببها أن النفس إذا تجردت مما يثقلها صار لها كشف بحسب ذلك التجرد وهذا النوع لا يختص بأهل الإيمان بل هو حاصل للمؤمن والكافر فهي مشتركة بين الناس وقوتها تبعا لسببها . ولا دلالة فيها على إيمان ولا ولاية ولا يستفاد منها الكشف عن الحق ولا عن طريق مستقيم فهي تحصل للولاة والأطباء وأرباب الحرف بحسب معرفتهم بوظائفهم وتمكنهم منها . والنوع الثالث والأخير يسمى الفراسة الخلقية وهي الاستدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن لما بينهما من ارتباط اقتضته حكمة الله كأن يستدل بزرقة العينين على الدهاء والخبث وبسعة الصدر على سعة الخلق والحلم ونحو ذلك وهي أيضا كسابقتها لا يستدل بها على إيمان ولا كفر ولا ولاية ولا عداوة .

ويرى صاحب المنازل أن الفراسة: استئناس الغيب ويقصد بها قياس الشاهد على الغائب وهو أمر مشترك بين المؤمن والكافر وغيرهما ومثالها الاستدلال على نزول المطر بشدة البرق والرعد واستدلال الطبيب على المرض بظواهر على المريض ونحو ذلك وهي عنده على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: فراسة طارئة نادرة وهي التي تقع على لسان شخص مرة واحدة في العمر مثلا وهي عنده فراسة الغافلين الذين لم يأنسوا بذكر الله وقربه فهي كرمية من غير رام .

الدرجة الثانية: فراسة تجنى من غرس إيماني وهي تبعاً لصدق الحال فكلما كان الحال أصدق كانت هذه الفراسة أقوى وهي عنده تختص بأهل الإيمان وهم فيها متفاوتون .

الدرجة الثالث: فراسة سرية وهي التي يخبر فيها المختار المصطفى صاحب الولاية عن الأمور المغيبة تارة تصريحا وتارة تلويحا إما سترا لحاله أو صيانة لما أخبر به من الابتذال ووصوله إلى غير أهله وإما لغير ذلك من الأسباب وهي أعلى الأنواع عند صاحب منازل السائرين مع أن هذه الدعوى غير مقبولة لأن الخبر عن الغيب قد يكون ساحرا أو كاهنا أو عرافا أو منجما وكل هؤلاء أحوالهم من الشرع مذمومة . قال صلى الله عليه وسلم: من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم .

هذا وقد غلا الصوفية في الفراسة حتى جعلوها مصدرا من المصادر الأساسية للمعرفة حتى حكموها في أمور الديانة مع أن صاحب الفراسة إن كانت إيمانية لا يعرف صدقها إلا بوقوعها وجزمه بمجرد الواردات يحتاج إلى عرضه على الشرع ليحكم عليه بالنفي أو الإثبات والحق أو الباطل وغاية الأمر إن لم يدل الدليل على أنه باطل أو حق أن تكون الفراسة من المرجحات ،

ولذا لم يعرف أن النبي صلى الله عليه وسلم حكم بفراسة في مال أو عرض أو نفس أو نسب أو عقل بل بالبينات والشهود وغاية الفراسة أن تكون أمارة ظنية لا تصل إلى مقام الدليل من حيث دلالته على إثبات الحكم فلا تصلح للاستقلال بالحكم في أمر شرعي أو قدري بل لا بد من عرض ما دلت عليه على نصوص الكتاب والسنة وما دل عليه معقولها . مما يدل على أن الفراسة ترجع أسبابها إلى أمرين : الأول: جودة ذهن المتفرس . الثاني: ظهور العلامات والأدلة على المتفرس فيه وهما أمران ظنيان فما بني عليه يكون ظنيا فلا يستقبل بالإثبات أو النفي ولا تعارض به الأدلة اليقينية من الكتاب والسنة ومعقولها . وبذا يتبين لنا أنه لا يجوز الاعتماد في إثبات الحكم الشرعي أو القدري على مجرد الفراسة وحدها بل لا بد من اجتماع أمارات كثيرة تقرب إلى اليقين أو أدلة شرعية تدل على المنفي أو المثبت . وأما في الأمور الدنيوية التي لا تعارض كتابا ولا سنة ولا تستلزم نقل الأموال وإثبات الحدود والتعزيرات فلا بأس من الاستفادة من الفراسة في مجال الترجيح بين المتعارضات.

كيفية قراءة الوجه :

هناك اختلاف في الوجوه حسب البيئة والمنطقة فسكان المدن يختلفون عن سكان الصحراء الوجه الشرقي يختلف عن الوجه الأوربي والآسيوي ، ومن هنا كان الارتباط الحديث بين الفراسة علم النفس ولم يعد علماً يختص به العرب واليونانيون بل أصبح مستقلاً بذاته فجاءت جهود العلماء العرب والأجانب في رسم استنتاجات واجتهادات عن أشكال الوجوه وانعكاسها على أصحابها فكانت على النحو التالي:

الوجه المربع أو الحديدي (عرض الفك يوازي عرض الوجنتين) :

هناك العديد من السمات التي يتمتع بها صاحب هذا الوجه مثل الشخصية القوية فهو قيادي في عمله ، لديه الإصرار في الوصول إلي غاياته وهو محب للنظام سريع الانفعال يجمع بين الشدة واللين بنفس الوقت ، محبوباً ويملك عدة صداقات ، أنسان حديدي وصلب في قراراته ، يقنع الآخرين بوجهة نظره لأنه يملك القوة والحجة والإقناع.

الوجه الرفيع :

أما أصحاب هذا الوجه فإنهم يتميزون بنحف الوجه ، والخدان غائران والعينان حادتان صاحبه ذو حس مرهف ، مثالي يسعى لتميز والاستقلالية ويشعر بالإحباط إذا عاكسته الأمور مع ذلك يهمه أن يكون لامعاً ، بعض العلماء أطلقوا عليه لقب (الوجه الملكي) ، وأصحاب هذا الوجه غالباً من

الملوك والمسؤولين ، وجه قيادي مع إصرار وصرامة ورغبة في تمام لكل شيء .. ومع ذلك لا يستسلم للفشل الذي يكون من ثقته الزائدة بنفسه.

الوجه البيضاوي (عريض الوسط والخدين وضيق الذقن بالنسبة للجبهة)

يتميز هذا الوجه بالجمال ويعكس السحر والفتنه صاحبه جاد وصلب ويواجه الفشل ،شديد الجاذبية وحساس وشاعري ومتسامح ، ويميل للرومانسية ، أصدقائه معدودون ، وللأسف بسبب طيبته وثقته الزائدة بالآخرين علاقاته مصيرها الفشل، لا يتمتع بشعبية كبيرة ويفضل العزلة بعالمه الخاص ، والعلماء يسمون أصحاب هذا الوجه بأنهم صانعوا أنفسهم.

الوجه المثلث أو الجبلي

يتميز صاحب هذا الوجه أنه ذو تميز بطلة وجهه ودقة ملامحه ، وصاحب هذا الوجه عقلاني ذو ذهن حاد ومتفائل وناقد جيد ، يحاسب نفسه على الأخطاء بكثرة ' وهو ذو حماسة للعمل.

الوجه المستدير أو القمري

كثيراً ما نسمع عن تشبيهات لطيفة لأصحاب الوجوه المكتنزة كقولنا " وجهك كالقمر" لاستدارته وجماله ، والحقيقة أن معظم أصحاب هذا الوجه يميلون للسمنة ، يعانون من مشاكل كثيرة ولديهم القدرة على التأقلم السريع مع ظروف الحياة ومواقفها الجديدة والمستجدة . صاحب هذا الوجه ينجح في الأعمال التي تحتاج إلى أقناع كالتجارة ، إلا انه يشعر بالملل بسرعة وعقلانية واضحة في الأمور ، أحياناً يندم على أخطائه ويسترضي أصحابها وهذه الأخطاء السبب الرئيسي لها في أغلب الأحيان عصبيته الشديدة.

- إذا كان لديك ثلاثة خطوط أو أكثر متباعدة عن بعضها البعض في شكل متساوي فأنت ذكيه و لطيفه.

- إذا كان لديك خطان متباعدان جدا فهذا ينبئ لك بسعادة مستقبليه.

- إما الخط الواحد المستقيم على جبينك فهو علامه على النجاح.

الحاجبان.

- عندما يكون شعر الحاجبين ناعما وداكنا ورقيقا على الأرجح أن يتمتع الشخص بالجمال والوسامة وأن يكون ودودا.

- الحاجبان الضئيلان وغير الكثيفين لا يبشران بالخير في ما يتعلق بالحظ.

- عندما يلتقيان الحاجبان بالوسط فوق الأنف فهذه علامه على أن الشخص غشاش.

- إذا كان الحاجبان يحتويان على ثغره يمكننا توقع الحظ السيئ.

- يوحي الحاجبان اللذان يكونان أطول من العينين في شكل كبير بأن الشخص يتمتع بذكاء فوق المعدل.

العينان.

- لقد أظهرت الأبحاث أن الأشخاص أصحاب العينين الداكنتين يتمتعون بطبع سريع الغضب وقدرة قصيره على التركيز ولكنهم يحسنون اتخاذ القرارات.

- أثبتت الأبحاث أن الأشخاص أصحاب العينين الفاتحتين يعملون في شكل أفضل تحت الضغوط من الأشخاص

أصحاب العينين الداكنتين.

- العينان البنيتان: الانفتاح والعاطفة وسرعة الاهتياج..

- العينان ذات اللون البندقي : الذكاء والهدوء

- العينان الزرقاوان : الانبساط والصلابة والبرود

- العينان الخضروان : الشجاعة والبهجة والولع بإزعاج الآخرين في شكل طفيف والأبداعية

- العينان الرماديين: التحكم وعمق التفكير.

- تعود العينان ذات الذيلين المرتفعين عند الأطراف إلى الأشخاص المتفاخرين بأنفسهم وغير متحفظين الذين لا يمانعون المخاطرة

- أما العينان المنحدرتان نحو الأسفل فنوحيان بطيبة القلب والكرم والوفاء في الحب.

الخَدَّان:

- الخدان المستديران والسمينان والممتلئان هما علامة على الصحة والجمال والازدهار.

- غالبا ما نعزي في الشكل التقليدي النحيلين أو المسطحين بالمرض.

- في علم الفراسة لا تعتبر الغمازات مبشراً بالخير إلا إذا كانتا تظهران فقط عندما تبتسمين وفي هذه الحالة تكونين محظوظة لأنها تعني أنك سوف تلقين إعجاب الجنس الآخر.

- تشير البقعة السوداء على الخدين إلى الأخلاقيات المتحررة.

الأنف.

- يدل الأنف الواسع على أن صاحبه مستقر ويشعر بالأمان مع نفسه.

- أما الأشخاص الطائشون والمتقلبون فغالبا ما يكون أنفهم ضيقا.

- يدل الأنف الطويل (أي الأنف الذي يكون أطول من طول الجبين) على أن الشخص متكبر ومحتقر للآخرين.

- يملك الذين لا يقاومون بسحرهم أنفا قصيرا في شكل غير اعتيادي.

- يوحي الأنف السمين بالعطف والتفاؤل . أما الأنف الهزيل والناتئ العظام فيوحي بالتشاؤم وعدم المبالاة.

- يكون أصحاب الأنف المرفوع نحو الأعلى مسترخين ويسهل التعامل معهم. في حين أن الأنف ينخفض نحو الأسفل عند طرفه يعني أن صاحبه على الأرجح أناني ومتطلب.

- يشير الأنف المعقوف إلى حدة الذكاء والموهبة والقدرة والرغبة في أن يكتسب الشخص الشهرة.

- أما الأنف المستقيم فهو يعني أن صاحبه وسيم وحكيم وبارع.

الأذنان:

يكون أصحاب الأذين المسطحتين والعرضيتين والناعمتان ذات شحمتين طويلتين محظوظين : أما الأشخاص الذين لا يتمتعون بالكثير من الحظ فهم يملكون أذنين معقوفتين وذات بشرة رقيقه.

- غالبا ما تنتمي الأذنان ذات الشحمتين السميكتين إلى أنواع الأشخاص غير الأوفياء أو الذين لا يمكن الاعتماد عليهم.

- كلما تواجدت أذناك في أعلى رأسك كلما كنت أكثر ذكاء.

الشفتان:

- إذا كانت شفتاك ممتلئتين وصغيرتين فأنت كريمة ومثيرة.

- تعني الشفتان الصغيرتان والرفيعتان أنه على الرغم من أنك تطلين على الآخرين في صورة المرأة الواثقة من نفسها في شكل مفرط إلا أنك قد تخفين بعض المشاعر عدم الشعور بالأمان.

- إذا كانت شفتك العليا أكبر في شكل بسيط من شفتك السفلى فهذا يعني أنك تتحلين بالصبر أكثر من الأشخاص " فاقدي البصر " (وهم الأشخاص الذين تكون شفتهم العليا أسمن في الشكل

كبير وملحوظ من شفتهم السفلى) والذين لا يتحلون بالصبر البتة ! - الشفة العليا السمينة فعلا هي اشاره على أن الشخص خائن!!

- إذا كانت شفتاك واسعتين وصلبتين فأنت إنسانه متطلبه وقديمة الطراز ونزاعة إلى السيطرة على الآخرين. - تعود الشفتان المقطبتان إلى الأشخاص الراشدين واللبقين والمسؤولين!

الأسنان.

- تشير الأسنان اللامعة والنظيفة وذات الحجم المتساوي واللون الأبيض مثل اللآلئ إلى الحظ السعيد.

- إذا كان عدد الأسنان في الحنك الأسفل أكبر من عدد الأسنان في حنكك الأعلى فهذا يعني أن الحظ السيئ يحيط بك من كل الجوانب.

- يقال أيضا إن الفراغ ما بين السِّنَّيْنِ المتواجِدَيْن في واجهة الفم هما نذير الشؤم. (ولكن تذكري اللسان:

- اللسان الشديد الاحمرار وهو علامة جيدة ويشير إلى حسن الحظ.

-إذا كان لون اللسان يحتوي على أثر رمادي على الأرجح أن يكون صاحبه مشاكسا وغيورا وذات طباع حاد.

- قد يعاني صاحب اللسان الباهت اللون جدا فأنه يعاني من مجموعه متنوعة من المشاكل الصحية

- يرمز اللسان ذو الطرف القاسي إلى الشخص المشاكس والمحب واللاذع والنكد.

- اللسان الطويل في الشكل كبير هو جالب لِلْحَظِّ بالنسبة إلى الرجال .. وغير جالب للحظ بالنسبة إلى النساء

من أهم المؤلفات في علم الفِراسَة :

- الفراسة ، لابن قيم الجوزية
- الفراسة ، لفخر الدين الرازى
- علم الفراسة الحديث ، لجرجى زيدان
- الفراسة وقوة الحدس.. قوانين النجاح العقلية ، لفيليكس ايشباخر ، تعريب : كامل محمد إسماعيل
- احترف فن الفراسة للدكتور / إبراهيم الفقى

- الفراسة وحسن التصرف في الحوار ، للدكتور : محمد بن فهد بن إبراهيم الودعان

هذا وقد تم بحمد الله تعالى ما تيسر جمعه وعرضه في هذا الكتاب (الْمَطالِبُ السَّنِيَّةُ في المَبادِئِ الْعَشَرَةِ لِلْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ) والذى أسأل الله تعالى أن يلقى القبول وأن يكون نافعا لقارئيه وأن يكون سببا لفتح مدارك كثيرة لطلبة العلم وغيرهم ممن يهتمون بالعلوم الشرعية وأن يجعله في ميزان الحسنات وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه؛
الفقير إلى عفو ربه
محمد حسن نور الدين إسماعيل

الفهرس